

الفصل

شبكة ثقافية شهرية - العدد (٢٢٦) - ربيع الآخر ١٤١٦ هـ / أغسطس / سبتمبر ١٩٩٥ م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (226) AUG. / SEP. 1995

مفاهيم نقدية:
لهدنزيام والدرلة

المهندسة الوراثة
في عالم النبات

سأيق الأضرين: متى وكيف؟

Mingool.com

أحدث
النقائات
الطبية

www.ahlaltareekh.com

البريد

الصورة الحقيقية

أبدي لكم إعجابي بمجلتكم التي هي أول مجلة عربية تبني جسر اتصال بين المغرب العربي والخليج، هذا الخليج الذي لانعرف عنه إلا القليل. وهذا القليل - مع الأسف - مشوه، ولا يعكس حقيقة واقع المجتمع الخليجي كما تعرفناه على صفحات مجلة «الفيصل» التي كانت موفقة في نقل الصورة الحقيقية والنزيهة عن إخواننا الخليجيين. تحية طيبة أزفها إلى كل العاملين في مجلتنا الغراء «الفيصل»، التي لا يستطيع القارئ التوقف عن التجوال عبر صفحاتها لما تعالجه من قضايا حيوية ومتنوعة.

مبروك بن دباح
الجزائر - سطيف ص. ب ١٣٤
دائرة بابور ١٩٤٦١

قارئ يسترد أنفاسه

عن طريق «الفيصل» أُرْجِي خالص الشكر إلى الدكتور حسني محمد حسن الأستاذ الناقد الورع، فقد أنصفتني وظلمني آخرون، وشجعني وثبط عزيمتي غيره، وبنقده ولفتاته وشرحه الوافي في باب «تبشير» لقصيدتي «ما ضاع حق» المنشورة في العدد (٢١٩)، التي سطرت من خلالها شكواي وأسفي، بنقده هذا أسترّد أنفاسي بعد أن زكمتني الهواء الفاسد وأغماني الحذر العقلي، وقد دبت الحياة بجوانحي بعد خمول وتقاعس، وقد نبئت سوقتي بعد جفاف بما أفاض - جزاه الله خيراً - عليّ من برد الثناء الذي رفع قدري، فأثلج صدري وأنشط فكري.

فشكراً لكم أولاً، وله ثانياً، وحبذا لو أرسلتم إليّ أو نشرتم عنوانه الذاتي لأصل برافده قنوتي، والسلام.

سعدي حسن رزق
(عامل حرفي)
الإسكندرية - مصر
١٤ ش المندرة - قسم كرموز

المحرر:

عنوان الدكتور حسني محمد حسن :
كلية المعلمين
ص. ب ١٠٧٠ - الطائف
المملكة العربية السعودية

جائزة الملك فيصل العالمية

أعبر لكم عن إعجابي بمجلتكم الغراء «الفيصل»، وأخص بالذكر العدد (٢٢١) الذي كان موضوعه الرئيس يدور حول «مؤسسة الملك فيصل الخيرية»، هذه المؤسسة التي برهنت على أنها ترمي إلى تكريم علماء المسلمين، وإعطائهم المكانة اللائقة التي هم أهل لها، وذلك بإنشاء جائزة الملك فيصل العالمية. وما يلاحظ حول هذه الجائزة:

١- أنها لم تكن موجهة إلى العلماء والمثقفين السعوديين فحسب، حيث لم تحصل المملكة العربية السعودية من مجموع (١٠٣) جوائز سوى على (٩) جوائز، وبذلك يُرهَن المسؤولون عن جائزة الملك فيصل بأن مقياس إعطاء الجائزة علمي بحث ولا تدخل أي اعتبارات أخرى لاختيار الفائز.

٢- أنها الجائزة الوحيدة في العالم - ذلك على حد علمي - التي تعطي أهمية لمن يخدم الإسلام، فنجد فرعاً من الجائزة يسمى «خدمة الإسلام».

٣- أنها شاملة لمختلف العلوم الدينية والدنيوية، ولا تقتصر على فرع دون الآخر.

٤- أن المنظور في إعطاء الجائزة هو إسهام العالم في تحقيق إضافة في العلوم التي يهتم بها وإن لم يكن مسلماً، فجائزنا الملك فيصل العالمية للطب والعلوم أعطيتا في غالب الأحيان لعلماء أكفيا في ميدانهم من غير المسلمين، وبذلك تؤكد هذه الجائزة عالميتها. ومن ثم تستحق مكانة مرموقة كالتي عليها جائزة نوبل.

ونظراً لمكانة هؤلاء العلماء أقترح على إدارة مجلة الفيصل أن تعطي لكل واحد منهم حيزاً أكبر في الأعداد القادمة، ليكتب حول أحد الموضوعات التي تدخل في نطاق اهتمامه، ذلك بطريقة ميسرة يفهمها جمهور القراء، حتى ينتفع الناس بعلمهم، وحتى نتعرف ما قدموه من جديد، وبذلك لا نحفظ مجرد أسماء فقط، بل نطلع على مضمون إضافاتهم العلمية. في الأخير أتمنى أن تواصلوا مسيرة نشر العلم والمعرفة التي أخذتموها عهداً على أنفسكم بإصدار مجلة «الفيصل»، وأن تبقى «الفيصل» على طابعها الخاص والمميز.

محمد الفاضل الحمدي
القبضة الأصلية ١٠٠٠ - تونس
ص. ب ١٦٢٤

«البريد» زاوية تستقبل فيها مجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الرد على البعض الآخر للقراء يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعنوانين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١

العقل المأسوي

إطلالة



لغيره، لأنه من المحتمل أن يملك خيالاً خصباً ينفذ إلى مكان الظواهر الخارجية، ويكشف جوهرها، دون أن تواتيه أدواته وقدراته ليحيل هذا الخيال إلى واقع، فيأتي من يملك هذه الأدوات والقدرات لينفذ ما ارتسم في الخيال. وهكذا تكامل الأدوار بين بني البشر، إذ كثيراً ما كان الأدياء والمفكرون سابقين للعلماء في وضع الصور للمخترعات والمبتكرات، دون أن يملكو وسائل تجسيدها لتصبح حقيقة حية.

وفي المقابل فإن الظروف الاجتماعية قد تكبل العقل، وتحد من قدراته، فتصبح سباجاً حوله يمنع من التحليق إلى آفاق بعيدة، وذلك حين تضمحل قوة الفكر، وتنهى عرى النسيج الثقافي، فيصبح التقليد وحاكاة سمة للإنسان، سواء كان هذا التقليد مجاراة لنماذج ذاتية سابقة، أو اتباعاً للحضارة السائدة. وبالطبع لن يكون التابع أبداً كالنبي، لأن ما أبدعه السابقون كان محكوماً بظروف وأحوال عايشوها وتعاملوا معها وفق مقتضيات واقعهم، فعندما يتبدل ذلك الواقع لا بد أن يتبدل وسائل التوافق معه من غير أن يعني ذلك إهمالاً أو استخفافاً بالإرث الثقافي والحضاري، وإنما يكون التفاعل مع هذا الإرث من خلال استيعابه لاستلهاام واستبطان طرائق جديدة للتكيف مع متطلبات العصر وظروفه. وكذلك فإن النقل من الآخرين دون وعي وإدراك يمثل إهداراً للطاقة الفكرية للأمة ولشروطها الطبيعية، لأن هذا النقل سيتجاوز التقدم بعد زمن قصير أو طال، مما يقتضي تغييره والاستغناء عنه، وحينما لن يكون ذلك إلا باستيراد الجديد الذي أبدعته عقول الآخرين.

وهكذا يظل التابعون يلهثون وراء نتاج غيرهم دون تفكير في إبداع يماثل هذا النتاج أو يوقفه، لأن عقولهم ركبت إلى الدعة والراحة، وارتضت الدوران في فلك الآخرين، يمنحونهم ويمعنون عنهم حسب مجريات مصالحهم وتقلبات أهوائهم.

ولا يكفي التابعون استيراد النتاج المادي للآخرين، وإنما يحاولون - كذلك - أن يطبقوا مبادئ ونظريات وأساليب تفكير غيرهم في بيئاتهم، بلا أدنى نظر في الفوارق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها بين المجتمعات المختلفة، ومن غير إدراك أن هذه الأفكار والنظريات بمفاهيمها ومصطلحاتها التي نبتت في بيئة فكرية وثقافية معينة، لا بد أن تعبر عن قيم هذه البيئة ورواها ومصالحها، التي قد تتعارض مع قيم الثقافة الجالبة ومرتكزاتها؛ بل قد تهدد كيانها ووجودها أيضاً، وهذا ما أسلفت ذكره في العدد الماضي عند تناول قضية التبعية وأزمة المصطلح. فعندما يصبح النقل العشوائي سمة بارزة يمكن القول بأن عقول هؤلاء المقلدين واقعة في الأسر. فالعقل الأسير كما بين د. سيد حسين عطاس له سمات وصفات يعرف بها، أهمها أنه عقل غير مبدع وعاجز عن بحث المشكلات الأصلية، وأنه عاجز عن استبطان طريقة تحليلية مستقلة للأغاط السائدة، كما يعجز عن فصل ما هو خاص عما هو عام في العلم، وتسم نظره للأمور بالجزئية، مع اغترابه عن معتقداته والقضايا الأساسية لجمعه، أما الأمر من ذلك فإنه لا يشعر بأسره.

صوره أنه القوة المتهينة لقبول العلم، وعرفه آخرون بأنه العلم بصفات الأشياء حسناتها وقبيحها، وقيل إنه قوة النفس التي يحصل بها تصور المعاني. ويطلق لفظ العقل - كذلك - على مجموع الوظائف النفسية التي تتعلق بتحصيل المعرفة كالإدراك والتداعي والذاكرة والتخيل والحكم والاستدلال، أما في اللغة، فإن أصل العقل المنع، والإمسك، والامتناسك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقل لسانه أي كفه، ومنه قيل للعقل عقل. وكما يقول د. زكي نجيب محمود: «إنه مهما اختلفت تعريفات الناس للفظ عقل، حين أرادوا استخدامها في شيء من الدقة، فأظهروا جميعاً - في عصرنا الراهن على الأقل - متفقون على أبعاد معنى لا يجوز أبداً أن ينصرف إليه مفكر واحد، وهو المعنى الذي يتصور أن ثمة في عالم الكائنات كائناً، مستقلاً بذاته، قائماً برأسه، اسمه عقل، كما يشير اسم (هملاب) مثلاً إلى جبل معلوم. فلتعدد التعريفات كما يريد لها أصحابها، على أن تلشقي كلها عند نقطة واحدة هي أن العقل اسم يطلق على فعل من نمط ذي خصائص يمكن تحديدها وتمييزها، والعقل ضرب من النشاط، يعالج به الإنسان الأشياء على وجه معين. وهو في هذا الاتجاه لا يختلف عن مالك بن نبي الذي قال حين كثرت التعريفات واختلفت حول مفهوم الثقافة إنه لا يجوز أن تنلغى بتعريف محدد للثقافة، وإنما علينا أن نبحث عن وظيفتها الاجتماعية في خطة تحليلية تضمها في إطار برنامج قابل للتطبيق. أي إن المهم ليس التعريف بقدر ما يهنا ما يقوم به هذا العقل من وظائف. وأهم هذه الوظائف أن يزن الأمور والأعمال، ويحلل مكوناتها، ويستنتج ما يهنا من علاقات، وما يمكن أن تقضي إليه من نتائج، حتى يتخذ قراره في ضوء هذه التوقعات، مع ضرورة الأخذ في الحسبان الظروف والموازانات التي تحكم الواقع؛ إذ إن القضايا والمشكلات لا يمكن النظر إليها بمعزل عن بيئتها، وإنما لا بد أن تكون الرؤية لها مبنية في إطار تفاعلها مع هذه البيئة، وإلا جاءت قاصرة، وغير مؤدية للمسردود الإيجابي المراد من التضييق والتضييق.

ويرتكز عمل العقل على مدى ما يتوافر له من معارف وتجارب، فكلما زاد معيها منها، كانت قراراته أقرب إلى الصواب، فالعقل يعتمد إلى استرجاع الخبرات السابقة في المواقف المختلفة، ليستعين بها في اتخاذ قراره حيال الموقف الذي هو بصده، فإذا كان هذا الموقف جزءاً من خبراته السابقة، سهل عليه التعامل معه، أما إذا كان جديداً عليه، فإن ذاكرته المحافظة تستدعي أكثر المواقف السابقة قرأاً له، ليقوم العقل بتحديد جوانب القاروب والتباين بين الموقفين القديم والجديد، وموازنة ما يهنا من تشابه واختلاف، حتى يصل إلى قراره. ويتأثر العقل بالظروف البيئية والاجتماعية التي تحيط بالإنسان، فقد تكون هذه الظروف دافعة إلى استفراده وحته على العمل والإيمان بأشكال غير معروفة من التفكير، فتقضي إلى وسائل وأساليب جديدة في الواقع المعيش، وليس من المهم أن يكون صاحب الفكرة الجديدة منفذاً لها، وإنما يكفي أن يكون ملهماً

مع أننا على مسافة زمنية لاتريد على أصابع اليد الواحدة من القرن الحادي والعشرين إلا أن الجدل لا يزال محتدماً حول العقل (تعريفاً واصطلاحاً ووظائف وصفات).

فالعقل مثل - ولا يزال يمثل - لغزاً محيراً للإنسان، يحاول أن يفك طلاسمه ويكشف أسرارته وخباياه. وقد شغل تعريفه علماء اللغة والنفس والطب والعلوم والفلاسفة، فاختلغوا حيل وضع تعريف محدد له، كما اختلفوا حول وظائفه وصفاته وحدود قدراته، ولكنهم اتفقوا على أن العقل ميزة للإنسان، وقدرة خاصة به دون غيره من المخلوقات، يستطيع بها التعلم والتخيل، وإقامة العلاقات بين الأشياء وتحليلها، والنظر إلى الأمور والقضايا بفحص وتحصيل، واستبطان الحلول للمشكلات التي تواجهه، واستقراء المستقبل على ضوء معطيات الواقع وخبراته الماضي ووضع الاستعدادات والاحتياطات لمواجهة، فالعقل نعمة من الله للإنسان، لذا كان الأمر الإلهي له في القرآن بالتفكير والتفكير والتدبر والتبصر والتفقه، لضمان توظيفه لما فيه النفع والفائدة.

واستطاع الإنسان بإعمال عقله أن يطور أساليب حياته ووسائل معيشته، فصنع من مكونات البيئة من صخور وأشجار وغيرها أدوات بدائية تلبي حاجاته، ثم أخذ يرتقي سلم الحضارة بخطوات وثيدة تزداد سرعتها بمرور الزمن وانفتاح العقل على عوالم جديدة من المعارف والخبرات، إلى أن بلغ شأواً عظيماً من التقدم التقني في هذا العصر، الذي أصبح فيه بنو البشر كمن يعيشون في قرية صغيرة، يعرف كل فرد فيها ما يجري في ساحتها من أحداث، وما يثار فيها من قضايا، يتابعها عن كتب، ويتفاعل معها، ويتأثر بها.

وتمثل الصورة التي رسمها أفلاطون للعقل أكثر التعريفات تداولاً؛ إذ صور الشهوة والعاطفة جوادين يجران عربة، يقودها العقل، بمعنى أنه الضابط لحركتهما. وكذلك اهتم المفكرون المسلمون بالبحث عن كنه العقل، وحاولوا إيجاد تعريفات له ضمنوها كتبهم ومعاجمهم، فدارت حولها مناقشات ثرة وجدل عميق. فمنهم من رأى أن العقل مرادف للعلم، ومنهم من

فني دائرة التبعية

ويحاكي صاحب العقل الأمير عادات وتقاليد غريبة عنه، فرضتها وسائل الغزو المتعددة في بيئة سيطر عليها الحواء والفراغ الثقافي. وهذا العقل يعجز عن أن يكون مستقلاً واعياً بذاته؛ ناهيك عن أن يدع فكرة جديدة يحتاج إليها مجتمعه؛ وإنما يكفي بالمسيرة وبشد عقله إلى دائرة من التبعية لا يستطيع منها فكاً.

وقد ذهب الناس مذاهب شتى في تقديرهم لقيمة العقل ودوره في حياة الإنسان، فهناك من رفع من شأنه، حتى ألهم بعضهم وعبدوه، وجعل موازينه فوق موازين الوحي والشرع، ويرى هؤلاء أن العقل يستطيع أن يميز بين الحسن والقبيح، والخير والشر، من غير مرشد يذله، وساد هذا الرأي في الفكر اليوناني، وفي بعض الأفكار والعقائد الفكرية في هذا العصر، حتى إن هناك من يقول إن الإنسان كان يحتاج إلى الله حين كان في أطواره الأولى، أما بعد هذا الذي حققه في مجال التقدم التقني، فيستطيع أن يعتمد على نفسه. وحظ آخرون من شأن العقل، وصوروه مفسداً لحياة البشر، فعزفوا عن توظيفه، وراحوا يطلبون العلم عن طريق المكاشفات والمواجيد، وبعضهم يمارس أنواعاً من الطقوس طلباً لسمو الروح، كما في ثقافة الهند والصين.

ولا يحتاج المرء إلى كبير عناء لدحض هذه المقولات، فمن قال بكمال العقل، وعدم حاجته إلى مرشد يهديه إلى سواء السبيل مخطئ؛ دون شك، والدليل على ذلك قائم على أرض الواقع؛ فكثير من ممارسات الإنسان على مر العصور تؤكد أن عقله يضل حين يفقد المرشد والدليل؛ إذ إن ميزانه غير ثابت، وأحكامه تبدل جبال الموقف الواحد من زمن إلى زمن، وقد يستنسخ أمراً اليوم ويكرهه غداً. فقد أباح العقل العربي في الجاهلية - مثلاً - وأد البنات، وكان تعدد الزوجات دون حدود وظلم المرأة شائعاً في كثير من المجتمعات، حتى نظر إليها البعض - كاليهود - على أنها مخلوق نجس، ووصفوها بأنها أمر من الموت، وأجبرت على ممارسة الرذيلة. وكان نكاح الأمهات والزنا، واحتقر أقوام العمل اليدوي، ولم يقتصر هذا الاحتقار على العامة، بل إن هناك مفكرين سوغوه، ونظروا له. وفي هذا العصر الذي يتيه بما وصل إليه الإنسان من تقدم مادي، نجد المجتمعات المتقدمة تقنياً تتيح قيم ومبادئ تتنافى ومكارم الأخلاق، وهو لا يكتفي بنشرها في إطار مجتمعه فحسب، بل يحاول فرضها على الآخرين، من خلال أنشطة وممارسات متعددة، من بينها المؤتمرات، كمؤتمر السكان الذي انعقد في القاهرة، أو مؤتمر المرأة الذي انعقد في بكين في الفترة من ٤ - ١٥ سبتمبر الحالي، والذي يتجه إلى تأكيد بعض مآجاء في وثيقة مؤتمر السكان، بتبعية دور المرأة في المجتمع باستخدام شعار الاستقلالية والاكتفاء الذاتي، حيث تضمن مشروع وثيقة المؤتمر وصف دور المرأة في بيتها بأنه العمل غير الربحي، بل تزعم الوثيقة نفسها أن الأمومة هي السبب وراء قهر المرأة، وأن عليها التخلص من هذا الدور. وفي إطار الدعوة إلى المساواة

بين الرجل والمرأة تستخدم الوثيقة مصطلح GENDER بوصفه تصوراً جديداً للأدوار والوظائف الاجتماعية التي يقومون بها، ولا يلف الأمر عند هذا الحد؛ إذ تواجه زعماً بوجود ثلاثة أجناس أخرى إلى جانب جنسي المرأة والرجل، وأصحاب هذا الزعم يرون أن من حق المرأة أن تقيم علاقة جنسية مع من تريد؛ رجلاً كان أو امرأة، وأن من حق الشواذ تكوين أسرة، بحيث يتاح لهم تبني أطفال يولدون عن طريق التلقيح الصناعي. وقالت رئيسة مركز الأبحاث السياسية في أمريكا في مقابلة أجريت معها في محطة (CNN) يوم الثلاثاء (١٩٩٥/٨/٢٣ م) إن وثيقة المؤتمر قد أعدتها وتبنتها مجموعة صغيرة في كل بلد، وساهم فيها بشكل فردي أو رسمي بعض أهل النفوذ والمال. وفي اعتقادها أن هذا الاتجاه منحرف، وأنه لا يعكس إلا رأي فئة محدودة من النساء تجمع بينهن رابطة يلطفن حولها. فبأي قيم يمكن أن يقبل العقل - سواء كان ذلك بمنظور تاريخي أو واقعي أو استقرائي - أن يكون البشر من خمسة أجناس. وتتضمن الوثيقة دعوة إلى إلغاء التحفظات والممارسات كافة التي تتعارض مع توصياتها، أي إن واضعها يرونها جدية بالتطبيق في كل مكان دون مراعاة لما للمجتمعات من مبادئ وقيم دينية تتعارض مع هذا الطرح، وهي لاشك تتناقض أيضاً مع الفطرة السليمة. كما نجد العالم اليوم يمحج بالنزاعات والصراعات التي تدمر الحرت والنسل، كل ذلك دليل على أن عقول البشر - دون أدنى استعثار للقيم الإنسانية - تنجح إلى خبط الأمور، وتعجز عن معرفة الخير من الشر، وتتفاوت في إدراكها لأوجه الحسن والقبح في المسائل والقضايا. ويكون هذا التفاوت أيضاً في الشخص الواحد؛ إذ يؤدي تراكم معارفه وخبراته إلى أن يعدل بعض قناعاته، بل إنه قد يتنازل عنها تماماً، ويتبنى نقيضها. ومن ثم لا يمكن لعقول البشر أن تفتن وترشع دون وجود هادئ يبرر لها مسالك الخير، وينبهاها إلى مزالق الشر.

ولأن الله سبحانه وتعالى الخالق عالم بأسرار خلقه، محيط بما في العقل من قصور في إدراك الأمور على وجهها الصحيح، أرسل الرسل والأنبياء إشفاقاً منه - سبحانه - على الإنسان من أن يضل أو يظنى، وهذا الهادي الإلهي لا يمثل قيئداً على عمل العقل، وإنما يعد سياجاً يحميه من الزلل، ويحول دون وقوعه في أحوال الرذيلة التي تحط من شأنه. فإذا كان أفلاطون جعل العقل قائداً لجواري الشهوة والعاطفة، فإن العقل يحتاج بالقدر نفسه إلى معيار قيمى لتمييز الخير من الشر والنافع من الضار على أساس من التأمل والتدبر؛ لآتي منظوره للحياة والكون وفق الغاية التي أرادها خالقهما، ليعمل ويبدع في إطار منظم دون فرضي أو شطط.

وهذا التفاوت في مستويات إدراك العقول لا يتصل بصلة بالاستعلاء العنصري الذي قارسه بعض الشعوب والأمم متخيلة أنها أكثر رفاً من غيرها في درجات التفكير، وأن ذلك يسوغ لها أن تحكم وتسخر الأمم الأخرى لخدمتها. ويوضح التاريخ الأزمان والمصائب التي حاقت بالبشرية من جراء هذا الزعم،

فادعاء هتلر رقي الجنس الآري قاد البشرية إلى حرب عالمية أودت بحياة ٣٩ مليون نسمة حسب ما أوضح بريجنسكي مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي الأسبق في كتابه «OUT OF CONTROL»، كما أن إسرائيل زرعت في قلب الوطن العربي بأيدي من يدعون التقدم والرقي، وهي التي تزعم أن شعبها هو «شعب الله المختار»، وراح في سبيل إقامتها ملايين الضحايا من العرب والمسلمين الذين اغتصبت أراضيهم وأزهقت أرواحهم.

ويعارس الإعلام الغربي نوعاً مستتراً من الاستعلاء، من خلال تصدير قيم مجتمعه ومبادئه إلى الأمم الأخرى مستخدماً أسلوباً شائفاً تتيح له التقية الحديثة؛ إذ يقدم هذا الإعلام الإنسان الغربي على أنه النموذج الذي يجب أن يحتذى في هيئته وقيمه ومبادئه، في الوقت الذي يعرض فيه ثقافات الآخرين وقيمهم في مستوى أقل، وبأسلوب لا يلتزم الموضوعية في أغلب الأحيان، مستغلاً هيئته على وسائل الاتصال في ظل اختلال التدفق الإعلامي. وقد كشفت دراسة علمية أجريت في فيزيولا عن تأثير الإعلام في تصورات الأطفال أن اختبارات عينه البحث من الأطفال جاءت متحيزة إلى حد كبير إلى جانب أسلوب حياة - مع تقديري لما في هذه الحياة من جوانب إيجابية تستحق الإعجاب - الإنسان الأمريكي الأبيض الذي يرونه مثلاً للجاذبية والتسلط بمبادئ العدل.

وإذا كان الغرب بما لديه من قوة لتمرير تصوراتهِ عن العالم، وفرض مفاهيمه ونشرها على نطاق واسع، قد نجح في ترسيخ مقومات محددة عن الحضرة، من واقع تجربته، ووصم العالم الثالث - وهو اصطلاح غربي - وبخصائص العرب والمسلمين بالتخلف وعدم الأهلية، فلن شيع هذه التصورات لدرجة تغفلها في أوساط قطاعات من الأمة، وسيطرتها على تفكير بعض قادة الرأي والفكر لا يعني بأي حال سلامة هذا التصنيف المتحيز، لأنه إذا كان التخلف المادي سمة لما يسمى بالعالم الثالث، فإن الغرب في محاولاته المستمرة لتأكيد وجهة تجربته المادية لا يلقى بالأل لأخلاق والضمير بوصفهما ضوابط يجب أن تحكم عمل العقل، ومن ثم فإن الواقع ينش عن تخلف في الجانبين، مادي هنا، وروحي هناك. ولكن غياب الضوابط والمعايير المحددة للعقل لا يهدد الحضارة الغربية فحسب، وإنما يهدد الحضارة الإنسانية كلها، بحكم ما للغرب من قوة وتأثير واضح في هذا العالم؛ لأن العقل حين يعمل من دون قيم يلتزمها، يمثل تهديداً لصاحبه وللآخرين، ولعل هذا ما قصده الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين قال: «إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق، ففعل بلا أخلاق، هو عقل يدمر أكثر مما ينشئ».

عن أبي عبد الله محمد بن الحسين

أدب وفكر

- ١٩ المرأة اليهودية خارج الشريعة د. حسن ظاظا
- ٢٤ حوار الحضارات (١): الجانب القيمي والأخلاقي د. أحمد العسال
- ٢٨ مفاهيم نقدية: الانزياح وأدبية النص! د. نعيم اليافي
- علي عزت بيغوفيتش ووحشية الخبرة
- ٣٢ والعقل والعلم في هذا العصر! د. عبدالحليم عويس
- حكم التعوذ من الشيطان الشيخ أبو عبد الرحمن
- ٤٨ الرجيم (صداع العقول) الظاهري
- ٥٣ الشباب والفكر المحموم د. محمد بن سعد الشوير
- ٥٤ مصادرنا: كيف نقومها ونفيد منها؟ أبو اليزيد العجمي
- جعفر البتبي يكي المدينة
- ٦٢ المنورة (من أدب الجزيرة) د. عبدالله أبو داهش
- ٧٢ يحيى حقي: عطر الأحباب (٢) د. سيد حامد السَّاج

طب وعلوم

- التقنيات الطبية والأمل في علاج الأمراض المستعصية
- ٨ إعداد: عدنان عزيمة

إعلام

- الاغتراب والالتزام في الصحافة النسائية خليل محمود الصمادي ١٠٠

لغة

- اللغة العربية: هل تكون اللغة الرسمية لنيجيريا؟ عبد الرحيم عيسى الأول ٤٠
- افاق لغوية: شيء وأشياء صالح بن سليمان الوهبي ٧١

تعليم

- القراءة: كيف تخطط لها؟ د. علي بن صالح الحبتي ١٠٦

تراث وتاريخ

- الربيع والزهور في شعرنا العربي الشيخ عثمان الصالح ١٨
- من أدب الرحلات: مع الموسوي المكي في رحلته «نزهة المجلس ومُنية الأدب الأنيس» (٤) الشيخ حمد الجاسر ٣٥
- قصة قصيدة: ليلي المريضة في العراق د. محمود جبر الربدادي ٣٨
- الشعراء والحسد د. نورة الشملان ٦٧
- من نوادر التصنيف: فضالة الخوان في

نباتات لا تتأثر بالمانخ!



لن يطول الوقت حتى يرى سكان إفريقيا الاستوائية والأمازون والسافانا أشجار التفاح والبرتقال تزاحم السيك والأبنوس وأشجار الهشاب في غاباتهم الحارة. وكذلك لن يطول انتظار الأوربيين وسكان المناطق الباردة الأخرى ليشهدوا المانجو والأناناس وأشجار زيت النخيل في مزارعهم، فالتجارات التي يحققها العلماء والباحثون في زراعة الخلايا والأنسجة النباتية تكشف يوماً بعد يوم عن فتح جديد مذهل، حيث إن تقنية الجينات تضع بين أيدي الباحثين إمكانات واسعة لاستبطان أنواع مختلفة من النباتات بالمواسم التي يرغب فيها الباحث، بما يتيح فرص ناجحة لزراعة نباتات المناطق الباردة في المناخات الحارة والعكس، وكذلك إنتاج نباتات جديدة تجمع بين صفات نوعين أو أكثر، كما هو الحال مع نبات «الطماطس» المستبط من الطماطم والبطاطس.

د. وجدي عبد الفتاح سواحل يلقي الأضواء على «نبات الأنابيب وتقنية الجينات».

ص ٨٤

لماذا نسائير الآخرين؟



لو توقف الإنسان متأملاً كل سلوك يأتيه، وأعاد التفكير في تصرفاته الثقافية وتلك السلوكيات التي يواجه بها المواقف المختلفة، وإذا وضع أنماط استجاباته للمواقف في دائرة الضوء، سيجد أن سلوكه مرهون باعتبارات عديدة قيمة وبيئية وغيرها، ولكن من أكثرها تأثيراً في شخصية الإنسان هي ما تعرف بـ «مسايرة الآخرين»، كونها تعد عنصراً حاسماً في تحديد مدى استقلالية الإنسان أو ذوبانه في الآخرين من حوله. فمتى؟ ولماذا؟ وكيف تكون مسايرة الآخرين؟

د. محمد مهدي الجوفي يجيب عن هذا السؤال، ويوضح المفاهيم المختلفة المرتبطة بالمسايرة.

ص ٥٩

أقزام البامبوتي!



بالرغم مما يقال عن العالم «القرية»، وثورة الاتصالات التي قربت المسافات الفاصلة بين الجماعات البشرية، ووضعت العالم كله داخل شاشات التلفاز الفضية متوغلة في تفاصيل حياة الإنسان، إلا أن المجتمعات البشرية تظل منطوية على حقائق دقيقة يصعب اختراق جدرانها.

الباحث السكاني (الانثروبولوجي) كولن ترينبول عايش أقزام «بامبوتي» في إفريقيا، وحاول أن ينقل صورة واقعية عن حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

نجلاء حسن حامد قدمت عرضاً لكتابه «سكان الغابة» THE FOREST PEOPLE في «نافذة على ثقافة العالم».

ص ٩١



د. أحمد محمد العسال

- من مواليد مصر.
- حاصل على دكتوراه الفلسفة الإسلامية من جامعة كامبردج بإنجلترا عام ١٩٦٨م.
- عمل بالأزهر الشريف في المكتب الفني للوعظ، ثم في إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية، حيث شارك في تحقيق وإخراج عدد من كتب الشيخ محمود شلتوت،
- عمل بجامعة الملك سعود (١٣٩٠ - ١٤٠٠هـ)، عمل رئيساً لقسم الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأعيد للعمل نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد منذ عام ١٤٠١هـ. وحتى الآن.
- شارك في تأليف كتب العلوم الشرعية للمراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في فترة عمله مدرساً للعلوم الشرعية في وزارة المعارف بدولة قطر.
- حضر العديد من الندوات والمؤتمرات، وله كثير من البحوث والمؤلفات في مجالات الفكر والثقافة الإسلامية، منها «الإسلام وبناء المجتمع»، و«النظام الاقتصادي في الإسلام».



د. نعيم محمد اليافي

- مواليد حمص، سورية ١٩٣٦م.
- دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة القاهرة.
- يعمل أستاذاً للأدب الحديث في جامعة دمشق، ورئيساً لفرع اتحاد الكتاب في مدينة حلب.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الأدبية المحلية والعربية.
- من أهم مؤلفاته: «طبقات علماء إفريقيا وتونس لأبي العرب التميمي» (تحقيق بالاشتراك)، «الشعر بين الفنون الجميلة»، «الشعر العربي الحديث»، «التطور الفني لشكل القصة القصيرة في بلاد الشام»، «مقدمة لدراسة الصورة الفنية»، «تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث»، «وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور»، «اللغة العربية لغز اختصين»، «الغامرة النقدية»، «دعوة إلى الحوار»، «أوهام الحداثة: دراسات في نظرية الشعر»، وغيرها، إلى جانب عدد من الكتب التي لا تزال تحت الطبع.



عبد الرحيم عيسى الأول

- مواليد إيتي بنيجيريا ١٩٤٩م.
- حاصل على الليسانس في اللغة العربية، جامعة قارون بالجمهورية الليبية، ونال درجة الماجستير في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة إبادن، بنيجيريا.
- عمل مدرسا للغة العربية في المدرسة الثانوية الحكومية بمدينة عداياوا، بنيجيريا (١٩٨١م)، ومحاضراً بكلية التربية بمدينة سكوتو النيجيرية (١٩٨٢م).
- يعمل حالياً محاضراً بوحدة اللغة العربية، قسم اللغات الأجنبية بجامعة ولاية لاجوس.
- حضر عدداً من المؤتمرات العلمية، وله كتب وبحوث علمية منشورة، إضافة لمقالات متعددة في الصحف والمجلات المحلية المتخصصة.



د. وجدي عبد الفتاح سواحل

- مواليد محافظة الغربية، مصر ١٩٦٤م.
- حاصل على دكتوراه في فلسفة العلوم، جامعة ليدز ببريطانيا، ودكتوراه في العلوم، جامعة نيتريدج بالدنمارك ١٩٩٤م.
- عضو بالمؤسسة الأمريكية لتقدم العلوم، والاتحاد الأمريكي للعلماء، والعديد من الجمعيات العلمية العالمية.
- يعمل حالياً باحثاً في شعبة بحوث الهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا بالمركز القومي للبحوث في القاهرة، وعضواً بلجان تحكم أبحاث الهندسة الوراثية في عدد من المجلات العلمية بكل من بريطانيا وأمريكا وكندا.
- من مؤلفاته: «تكنولوجيا نقل الجينات»، و«التحول الوراثي باستخدام أساليب الهندسة الوراثية»، وله (١٩) بحثاً منشوراً في مجلات علمية دولية، وألقى عشرة أبحاث في عدد من المؤتمرات العلمية في كل من ألمانيا وبريطانيا والسويد والهند وفرنسا.

٩٩

طيبات الطعام والألوان

١٠٣

صالح خريسات مرثي الرجل المغدور في التراث الشعبي الأردني

شخصيات

٤٦

د. توفيق علي منصور الشاعر اللورد تيسون: وتتجدد الحياة

٥١

أجراه: أحمد خيرى الناقد منذر عياشي: اللغة هي الوجه الأبرز

٧٠

صبري عبدالله فتدليل لكنينة النص (حوار مع)

٧٧

الأديب الراحل علي شلش: جمع بين ثراء الإنتاج الأدبي والتفدي وعمقه

شعر وقصة

٦٩

عبد المنعم عواد يوسف تيهي دلالة (قصيدة)

١٠٨

لؤي علي خليل أشياء ضائعة (قصة قصيرة)

١١٠

حمد الزيد الصداق (قصة قصيرة)

١١٥

يس قطب الفيل الرسالة قبل الأخيرة (قصيدة)

١١٦

سعيد سالم الحصاد والكافأة (قصة قصيرة)

١٢٩

د. حيدر الغدير أيا صوفيا (قصيدة)

الأبواب والنوايا الثابتة

الطريق إلى الله: أحمد فيلكس: صام

٦٤

رمضان قبل إسلامه

٦٦

د. صالح بن سعد اللحيدان طريق الهدى

٨٠

من المكتبة السعودية

١٠٧

د. تهاضر حسون آفاق اجتماعية: التراث أساس الحاضر والمستقبل

١١١

إعداد: الزبير مهداد دائرة المعارف: من رواد أدب الطفولة العرب

١١٨

الحركة الثقافية في شهر

١٣١

كتب وردت

١٣٢

المسابقة

١٣٤

استراحة العدد

١٣٦

تبشير

١٣٨

ردود خاصة

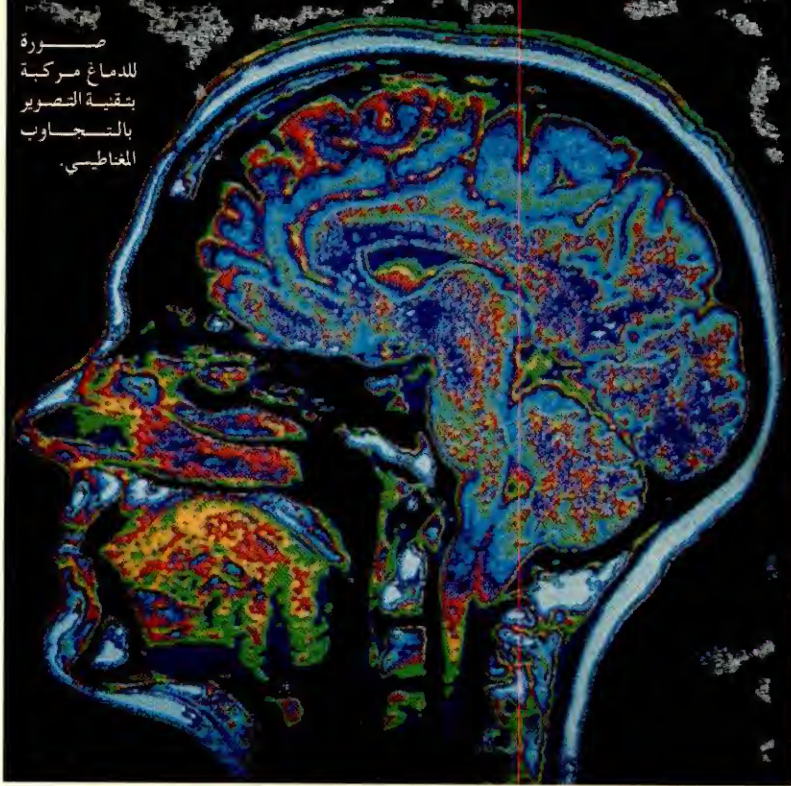
١٤٠

مناقشات وتعليقات

١٤٦

على موعد: عندما يحل الصغار مكان الكبار ياسر الفهد

صورة
للدماغ مركبة
بتقنية التصوير
بالتصاوب
المغناطيسي.



صورة حاسوبية ثلاثية الأبعاد لكثافة سرطانية في الدماغ (بالأحمر) تظهر فيها عظام الجمجمة (بالأبيض) ووسط الدماغ (بالأصفر). تم تجميع الصورة بالحاسوب استناداً على البيانات المستقاة من مسبار التخطيط الطبقي الحاسوبي، ومن المتوقع أن يؤدي تطور مثل هذه التقنيات إلى ثورة في عالم الطب والعلاج.



أجل التقنية الطبية

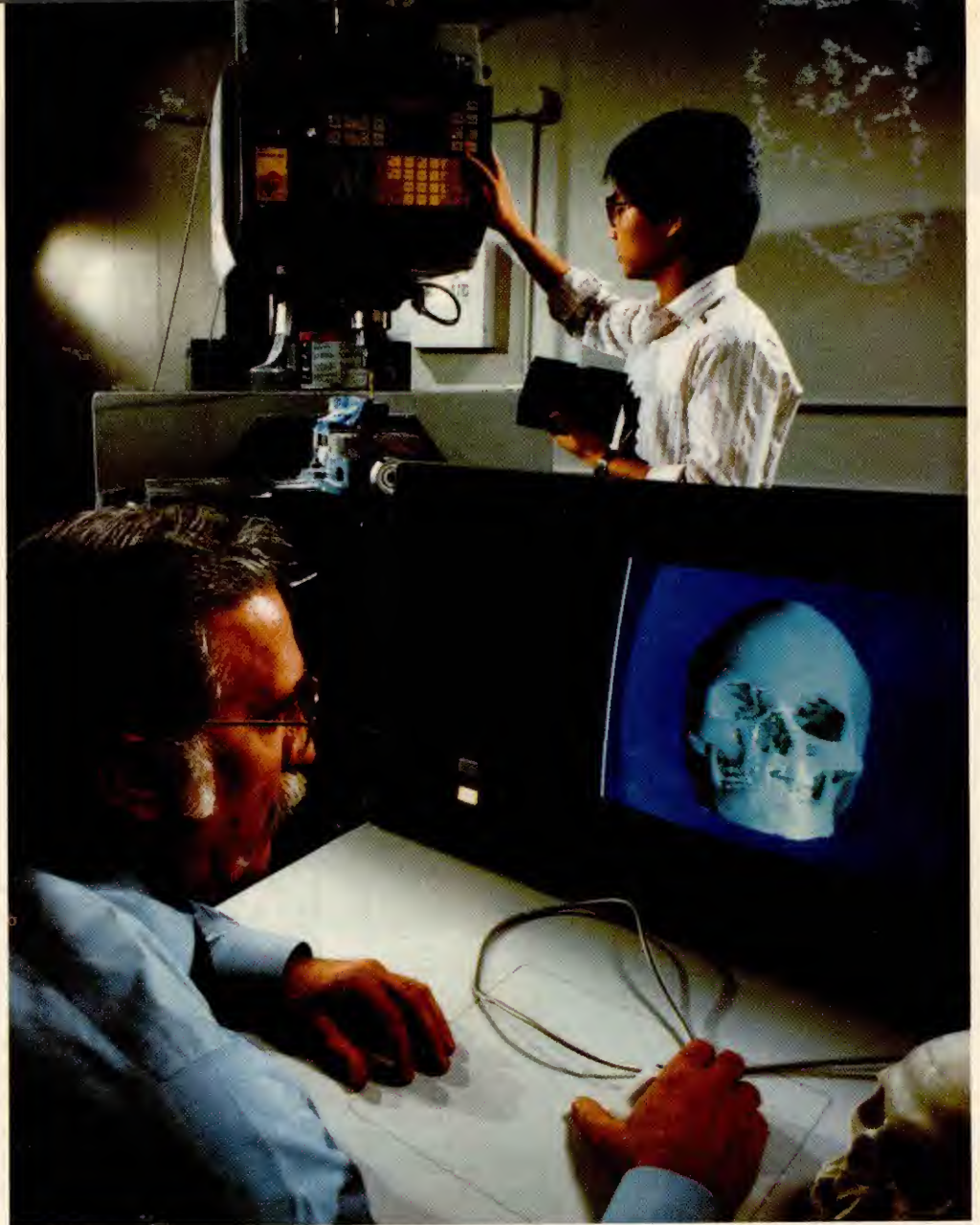
إعداد : عدنان عزيمة

تشهد تقنية (تكنولوجيا) صناعة الأدوات الطبية تطورات مثيرة، أدت حتى الآن إلى ابتكار آلات وتقنيات مذهشة، يمكنها أن تغور في أعماق الجسم البشري لتكشف أسرار علله، وتساعد الأطباء على نهج أفضل الأساليب لإنقاذ حياة المرضى الميؤوس من شفائهم. أصبحت الرعاية الصحية تحتل مكاناً بارزاً من اهتمامات أصحاب القرار ومراكز البحوث في الدول المتطورة. وخصصت العديد من هذه الدول إمكانيات مادية وعلمية هائلة لتطوير القدرة على التحكم بصحة الإنسان وتحدي العلل والأمراض. ولاشك أن بلوغ هذا المرام كان رهيناً بتطوير أساليب الكشف والتشخيص التي تعد أساساً للعلاج. واليوم، نشهد ابتكار عدد هائل من الآلات والتقنيات الطبية التي تعج بها المشافي الحديثة في دول العالم قاطبة. وعلى سبيل المثال، يستخدم أحد المشافي الأمريكية تقنية الطب النووي ضمن مشروع طموح يديره ٧٥ طبيباً ومتخصصاً، وتبلغ تكاليفه السنوية أربعة ملايين دولار، ويمثل تقنية عالية لتشخيص الأمراض القلبية وتعريفها حتى بالنسبة لأولئك الذين لا يُظهرون أية أعراض.

بالتجاوب المغناطيسي -MAG-
NETIC RASONANCE IM-
AGING. وهي تتميز بالإثارة
والتقدم السريع. وأثبتت الآلة
التي تحققها أنها لا تقل أهمية في
الطب الحديث عن الأهمية
التاريخية التي انطوت عليها تقنية
التصوير بأشعة «إكس» حين
اكتشفها ولهم كونراد رونتجن
عام ١٨٩٥م.

يستند مبدأ التصوير بالتجاوب
المغناطيسي على ظاهرة فيزيائية
تتلخص في أن ذرات
الهيدروجين تصطف كالجنود
عندما تتأثر بحقل مغناطيسي.
وإذا تم توجيه تواتر إشعاعي نحو
نوى (جمع نواة) هذه الذرات
فإنها تغير طريقة اصطفاها.
وعندما يتم إطفاء مصدر
الموجات الإشعاعية تعود النوى
لحالة اصطفاها السابقة مصدرة
إشارات كهربائية. مادام أن
الجسم يتألف بشكل أساس ١ من
ذرات الهيدروجين، فإن الصورة
يمكن أن تتشكل من النبضات
المرتدة لهذه الإشارات فتظهر
النسيج وغضروف العظام كما
لم يظهر من قبل.

إن التصوير بالتجاوب
المغناطيسي باهظ التكلفة.
فالجهاز يتألف من مغناطيس
كهربائي ضخم ومولد للتواتر
الإشعاعي -FRE- RADIO



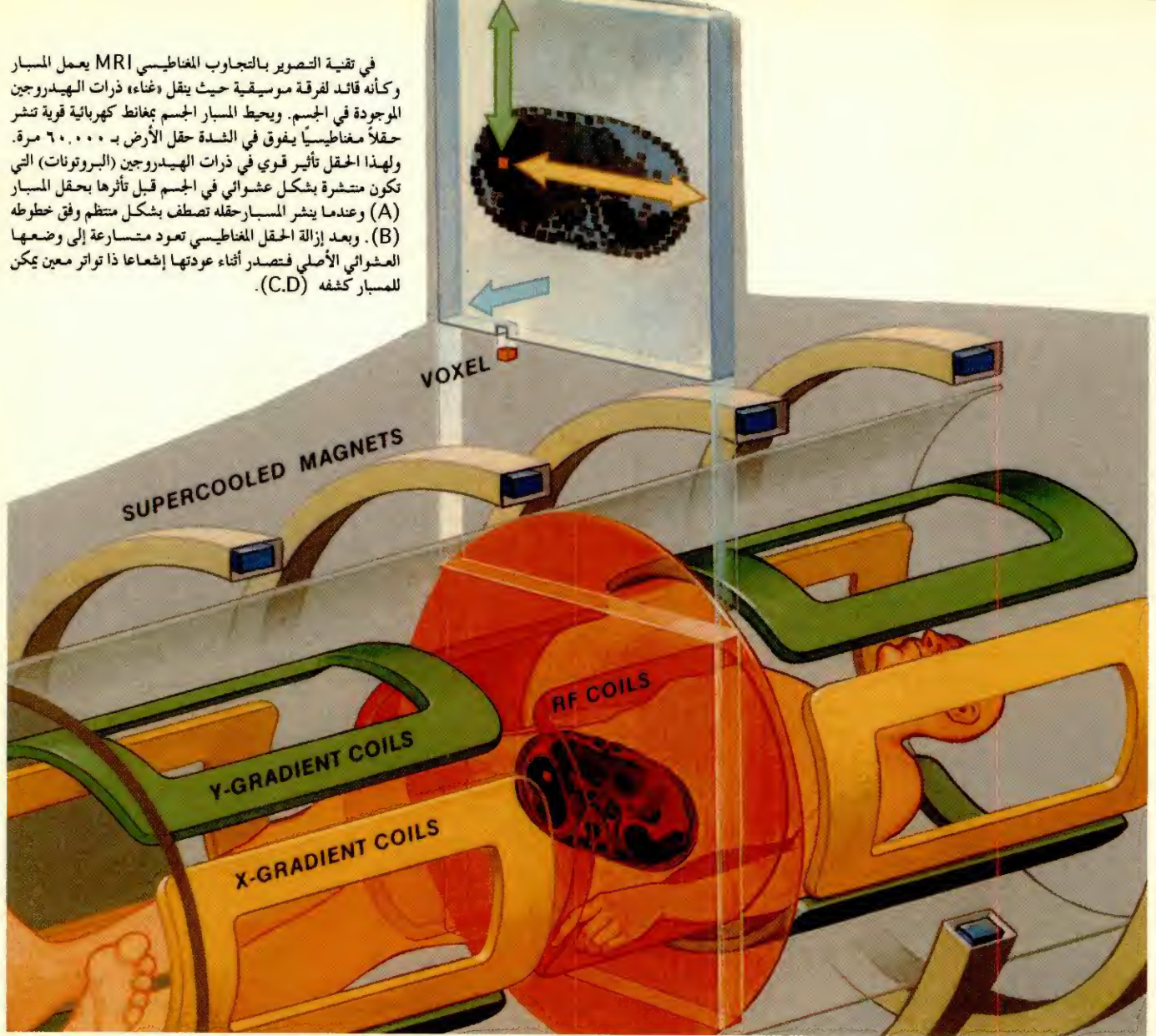
أصبح الحاسوب يؤدي دوراً كبيراً في معالجة البيانات الطبية وتشكيل صور عالية الوضوح لأعضاء الجسم اعتماداً عليها.

ساعة ونصف الساعة. ويعالج
الحاسوب هذه البيانات ليصوغ
منها صورة ملونة على شاشته،
تظهر حركة القلب ودرجة انتظام
إمداده بالدم الذي يدور في عضلته.
التصوير بالتجاوب المغناطيسي
ومن التقنيات الطبية الحديثة
التي فتحت آفاقاً رحبة في حقل
الطب العلاجي والاستشفائي
تلك التي تدعى التصوير

السريع والدقيق عن مواضع انسداد
الشرايين ونقص تروية القلب بالدم
بوساطة كواشف الإشعاع. ويقوم
الحاسوب باستقبال مقدار هائل من
البيانات العشرية التي يتلقاها من
الكواشف ومعالجتها. وفي عملية
القسطرة القلبية العادية يستقبل
الحاسوب أكثر من خمسة ملايين
رقم ثنائي في الثانية الواحدة خلال
مدة فحص القلب التي قد تدوم

وفي هذه التقنية يقوم الأطباء
بحقن مقدار من مادة منخفضة
المستوى الإشعاعي (للكشف عن
أمراض القلب، تستخدم مادة
النشادر NH3 التي تحتوي على
الآزوت ١٣) عبر القسطر
الوريدي. وبما أن للمادة المشعة
«فترة نصف حياة»، وهي الوقت
اللازم لها حتى تفقد نصف نشاطها
الإشعاعي، فإنها تسمح بالكشف

في تقنية التصوير بالتجاوب المغناطيسي MRI يعمل المسبار وكأنه قائد لفرقة موسيقية حيث ينقل «غناء» ذرات الهيدروجين الموجودة في الجسم. ويحيط المسبار الجسم بمغانط كهربائية قوية تشر حقلاً مغناطيسياً يفوق في الشدة حقل الأرض بـ ٦٠.٠٠٠ مرة. ولهذا الحقل تأثير قوي في ذرات الهيدروجين (البروتونات) التي تكون متشرة بشكل عشوائي في الجسم قبل تأثرها بحقل المسبار (A) وعندما ينشر المسبار حقله تصطف بشكل منتظم وفق خطوطه (B). وبعد إزالة الحقل المغناطيسي تعود متسارعة إلى وضعها العشوائي الأصلي فتصدر أثناء عودتها إشعاعاً ذا تواتر معين يمكن للمسبار كشفه (C.D).



الدماع. ويمكن استخدام التجاوب المغناطيسي لتصوير أعضاء الجسم البشري وأنسجته. وكان ما يؤرقني هو التساؤل عما إذا كان للحقول المغناطيسية القوية تأثير ضار في الذاكرة البشرية». وفي عام ١٩٧٧م، تم تجريب أول مسبار تصوير بالتجاوب المغناطيسي على الأنسجة البشرية لمعصم اليد. وعقب ذلك بعامين قرر عالم متطوع شجاع أن يقحم رأسه ضمن الحقل المغناطيسي لمسبار

بالتجاوب المغناطيسي تمت في المستشفى الجامعي لمدينة نوتينجهم في إنجلترا. ومنه يتحدث البروفسور برايان وورثينغتون أحد الباحثين في تطويرها عن الصور الأولى المحققة بهذه التقنية عندما اكتشفت للمرة الأولى عام ١٩٧٤م فيقول: «لقد كان لدينا مغناطيس صغير وكانت بصلة أول شيء سبرناه به! حيث رأينا حلقاتها الداخلية فملكتنا الشعور الطاعي

QUENCY GENERATOR وحاسوب لمعالجة البيانات. وتبلغ تكاليف هذه الأجهزة مجتمعة نحو مليوني دولار. كما يجب أن تكون العيادة المتخصصة للتصوير بالتجاوب المغناطيسي معزولة تماماً عن التواترات الإشعاعية الخارجية، وتكلف إجراءات عزل الغرفة الواحدة في العادة نحو ٧٥٠ ألف دولار. بعض الإنجازات الرائدة في مجال تطوير تقنية التصوير الفيصل العدد (٢٢٦) ص ١٠



وضعه تحت مسبار التصوير بالتجاوب المغناطيسي. وكان هذا المسبار قد وضع قيد العمل للمرة الأولى في شهر مايو من العام نفسه. وعندما أدخل ناثان ضمن النفق المغناطيسي للمسبار الذي يبلغ طوله ١٨٥ سنتيمتراً قال متسائلاً: «يا أماه هل هذه سفينة فضاء؟».

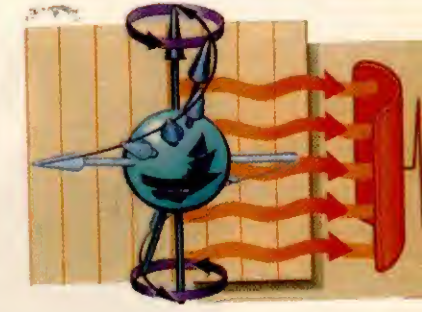
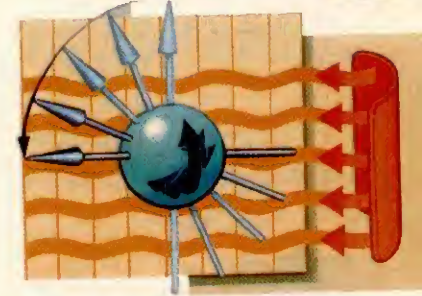
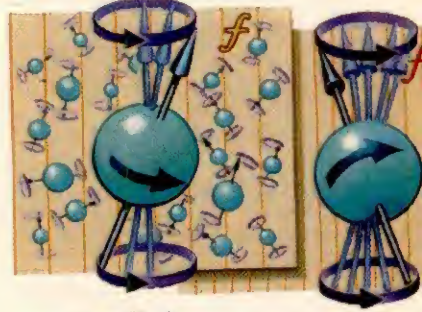
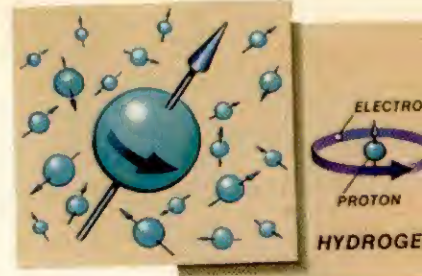
والحقل المغناطيسي العنيف الذي غمر فيه رأس ناثان قام

السيطرة على عضلات ساقه اليسرى. وأسرع به أبواه القلقان إلى أحد المشافي، فوقع الأطباء على بعض القرائن التي تدل على إصابته بورم خبيث في جذع الدماغ وقرروا استحالة إجراء عملية جراحية له. وفضل أبوا ناثان عرضه على خبراء معهد بارو لعلم الأعصاب التابع للمركز الطبي في مشفى سانت جوزيف في مدينة فوانيكس الأمريكية.

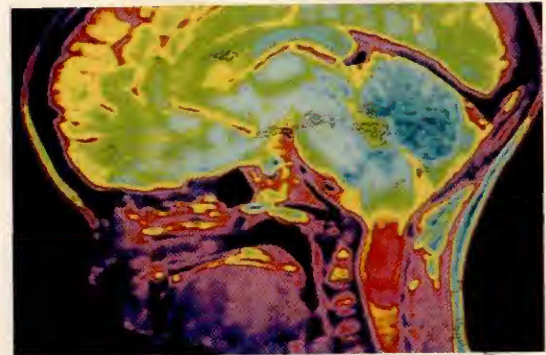
وبعد وصوله بيوم واحد في يوليو من عام ١٩٨٥م تقرر

من القصص المتداولة حول الفوائد التشخيصية لهذه التقنية وأكثرها ذيوغاً قصة الطفل الأمريكي الوسيم ناثان توير. فعندما كان في الثانية من عمره شعر بآلام شديدة في أذنه اليسرى مصحوبة بالتقيؤ المتكرر. وعندما حل عيد ميلاده الخامس أصبحت الآلام التي يحسها بأذنه مصحوبة بصدايح لا يَحتمل. وتوالت الليالي المؤلمة على ناثان حتى أصبحت آلامه لاتنقطع، ولم يعد الأسبرين يخفف منها شيئاً. وفي محاولة لمعرفة السبب، قامت والدته القلقة باستشارة أحد عشر طبيباً، فعزى معظمهم السبب إلى الإصابة بحالة نادرة من حالات الاضطراب العقلي تعرف بـ (الذهان).

وتداعت الحالة الصحية لناثان بسرعة حتى فقد القدرة على تحريك يده وذراعه اليسرى، كما ظهرت أعراض فقدان



المغناطيسي يعكس عظم النتائج التشخيصية التي حققتها هذه التقنية. قصة ناثان توير



الطفل ناثان توير عولج بتقنية التصوير بالتجاوب المغناطيسي MRI. وتبدو في الصورة التنظيرية الكتلة السرطانية المستقرة في جذع الدماغ قبل استئصالها «بالأزرق».



الإسقاط العشري للأوعية الدموية

لقد عزز الحاسوب من قدرة الإنسان على اكتشاف العلل والأمراض عندما جعل بالإمكان رؤية ما لم يكن يرى من أعضاء الجسم وأنسجته. ومن أهم التقنيات الطبية الحديثة التي تعتمد على قدرات الحاسوب وإمكاناته الرحبة تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية - DIGITAL SUBTRACTION ANGIOGRAPHY (DSA)، وهي تقنية للتصوير تنتج صوراً عالية النقاء والوضوح للدم المنساب أو المنحيس في الأوعية الدموية الضيقة.



الصورة اليسرى محققة بمسبار التصوير بالتجاوب المغناطيسي تظهر مجموعة من الكتل السرطانية المنتشرة بين الكلية والعمود الفقري للطفلة أشلي سلوتر البالغة من العمر سبعة أشهر (بالأزرق الداكن إلى اليسار). ويبدو الورم الخبيث في طور الانتشار ضمن القناة الشوكية والضغط على الحبل الشوكي مما جعل الطفلة تعيش ألماً لاينقطع. ولقد مكن وضوح الصورة الأطباء من معالجتها بدون جراحة حتى برئت تماماً. وتبدو أشلي في الصورة اليمى عندما بلغت الثانية من عمرها.

وتعتمد تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية على حقن عامل إظهار -CON- TRAST AGENT يحتوي

على عنصر اليود في الأوعية. ويتميز هذا العنصر بعدم القدرة على إمرار أشعة إكس، فتخلق عتامته صورة تسمح للأطباء برؤية تدفق الدم. وغالباً ما تستخدم تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية للوقوف على درجة إمداد القلب بالدم. وقبل حقن مادة الإظهار، يتم أخذ صورة أشعة إكس وتخزن في الحاسوب، وبعد الحقن تؤخذ صورة ثانية عالية الوضوح لتدفق

ماحدث قبل عشر سنوات لكتب له الموت المحقق». وهكذا كان قدر ناثان المخطوظ أن ييراً بفضل الله ثم بفضل تقنية التصوير بالتجاوب المغناطيسي، ويستعيد قدرته على تحريك ذراعه وساقه، وتذهب عنه آلام الرأس المبرحة. واعتراقاً من أبويه الميسورين بفضل هذه التقنية تبرعا بمبلغ كبير من المال لمركز تطوير التصوير بالتجاوب المغناطيسي في ولاية كولومبيا في أمريكا.

النخاعي MEDULLA بعملية معقدة دامت ثمان ساعات. وكان طول الكتلة النسيجية المتورمة حوالى أربعة سنتيمترات وقطر مقطعها سنتيمتران ونصف. وفي معرض تعليقه على هذه التقنية الجديدة يقول الدكتور ريكيت: «باستخدام التصوير بالتجاوب المغناطيسي يمكننا أن نرى تراكيب الدماغ بالوضوح الذي لم يكن تحقيقه ممكناً من قبل. ولو حدث لمثل هذا الطفل

بصف نوى الهيدروجين في دماغه ثم بُثَّت الصورة المتولدة عن الإشعاعات الصادرة عنها إلى أنبوب الأشعة المهبطية الذي يضيء شاشة الحاسوب الموصول إلى المسبار. وظهرت صورة بالغة الوضوح للورم الذي تبين أنه متركز في قاعدة الدماغ. وفي اليوم التالي تولى الدكتور هارولد ريكيت، رئيس قسم جراحة أعصاب الأطفال، استئصال الورم من الغمد

التقنية الطبية

الإجمالية لهذه العمليات نحو خمسة مليارات دولار.

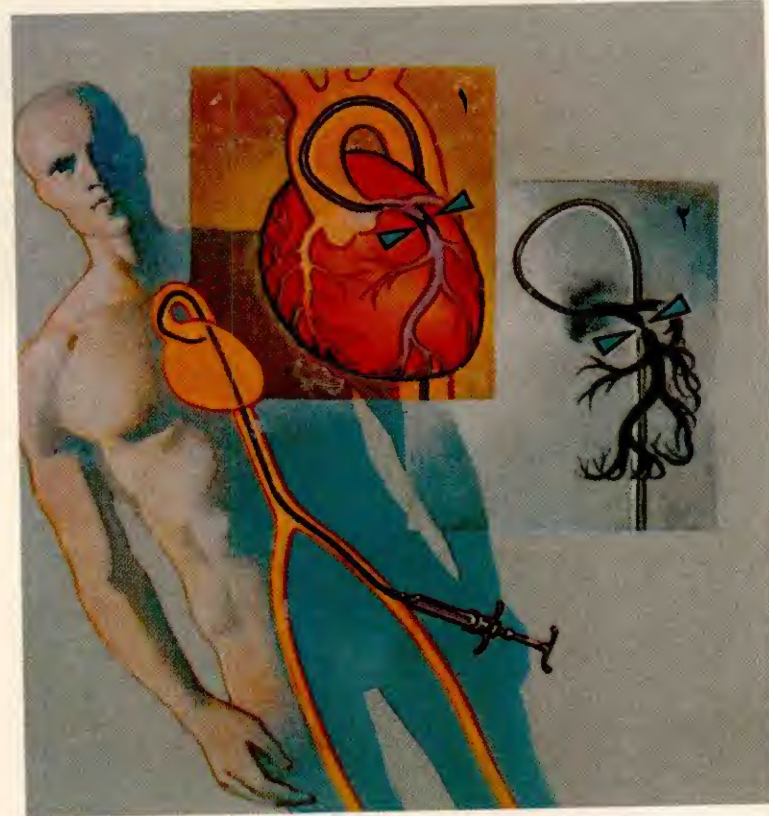
وبالاستعانة بتقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية والقسطرة أصبح بالإمكان الاستغناء عن معظم هذه العمليات.

وفي قسطرة الشريان التاجي يقوم الطبيب بإيلاج القسطر CATHETER - الذي هو أنبوب أرفع من عمود الجرافيت (الفحم) الذي يملأ قلم الرصاص - داخل

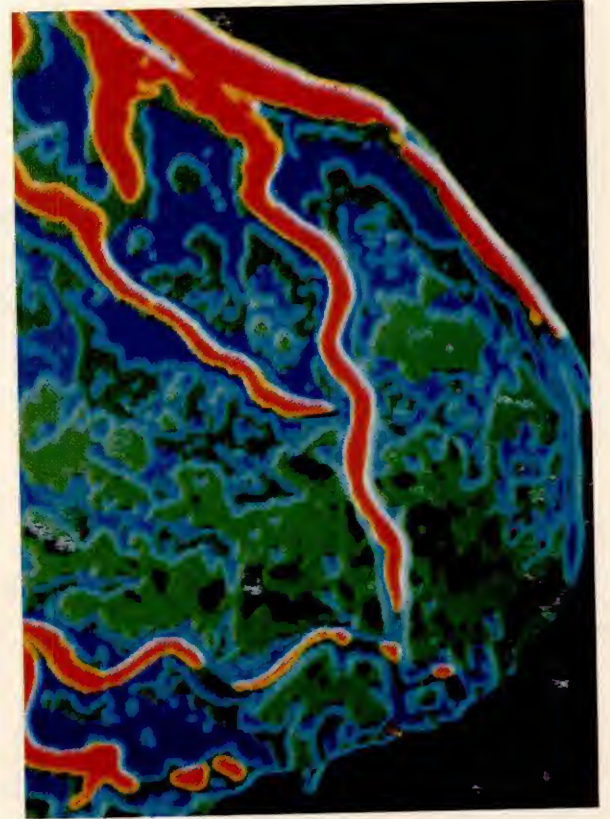
الأوعية الدموية التي يكون الدم قد تجلط فيها بسبب المواد الدهنية أو الكلسية باستعمال أوردة تعويضية تنتزع من أماكن أخرى من الجسم (من الساق خاصة) بعملية جراحية. وفي السنوات الأخيرة كان يتم إجراء مايزيد عن (٢٠٠٠٠٠) عملية من هذا النوع سنوياً في الولايات المتحدة بتكلفة متوسطة قدرت بـ (٢٥٠٠٠) دولار للعملية الواحدة؛ مما يجعل التكلفة

الدم تعكسها مادة الإظهار. ثم يقوم الحاسوب بإسقاط عناصر الصورة الأولى من عناصر الصورة الثانية تاركاً صورة واضحة للأوعية الدموية مثل الشريان التاجي الذي يعد الممول الرئيس للقلب بالدم.

وهناك طريقة جراحية شائعة في الولايات المتحدة تدعى جراحة الممر الجانبي للقلب BY-PASS HEART-SURGERY يتم فيها تركيب ممر إضافي يتجاوز



تستد تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية DSA على مبدأ ذكي يتمثل في الحصول على صورتين متعاقبتين للقلب يحقن عامل الإظهار خلال الفترة الفاصلة بين التقاط يانات الصورة الأولى (١) والثانية ثم يسقط الحاسوب مظهر الأجزاء غير المقصودة في التشخيص ويبقى على الأجزاء المقصودة. ويبدو في الصورة انسداد شرياني في الجانب الأيمن العلوي للقلب (٢).



صورة محققة بتقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية DSA تظهر الأوعية الدموية التي تغذي القلب. ويبدو الشريان التاجي الأيسر الذي يغذي باقي الأوعية والشعيرات الدموية بالدم (بلون أحمر فاتح) ويظهر إلى الأعلى انقطاع سيلان الدم عبر الشريان التاجي بسبب حالة انسداد. ومثل هذه الصورة ذات أهمية كبيرة في إنقاذ حياة المريض.

الدكتور جيمس كوين الذي يبلغ من العمر ٦٣ عامًا ويعمل أستاذًا محاضرًا في مدرسة طب الأسنان في ولاية لويزيانا.

كان كوين مثاليًا في المحافظة على صحته حيث كان يمارس رياضة العدو لمسافة ستة كيلو مترات يوميًا، ويراقب نسبة الكوليسترول بدمه، ولم يكن مدخنًا ولا مدمنًا على شرب الخمر وكان وزنه طبيعيًا. وفي عام ١٩٨٣م، أثبتت الفحوصات أن قلبه سليم تمامًا. وفي إحدى ليالي عام ١٩٨٦م استيقظ من سباته بعد أن أحس بألم مبرح في

يمكن استخدامها لمعالجة المرضى في بيوتهم».

وفي عام ١٩٨٥م سجل رقم قياسي في نجاح العلاج بهذه التقنية حيث طبقت على (١٠٠٠٠) مريض بنسبة نجاح بلغت ٩٩ بالمئة. وكما هو الحال بالنسبة للطفل ناثان توير الذي شفي باستخدام تقنية «التصوير بالتجاوب المغناطيسي» MRI فإن هناك كثيرًا من القصص المتواترة حول نجاح تقنية «الإسقاط العشري للأوعية الدموية» DSA في إنقاذ العديد من المرضى الميؤوس من حالاتهم، منها قصة

في اليوم الواحد: «يتصور عامة الناس بأن هذه الطرق تنطوي على الخطورة، ولكنها ليست كذلك في الحقيقة. فهي سريعة، خالية من الألم ولا تحتاج إلى فترة نقاهة طويلة. وبعد ابتكار القسطرات الحديثة وعوامل الإظهار غير السامة وابتداع طريقة إيلاج القسطر في الذراع بدلًا من الساق، فإننا سوف نتمكن من إجراء تطبيقات تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية بنجاح فائق. ونحن نحاول الآن تطوير هذه التقنية وتبسيطها حتى

للانسداد الشرياني، ثم يتم إيلاج قسطر آخر أكثر صغرًا ضمن أنبوب القسطر الأول وهو يحمل بالونا صغيرًا جدًا نحو البقعة المتجلطة. ثم ينفخ البالون حتى يضغط المواد المتجلطة في الشريان ويسمح للدم بالمرور من جديد لتغذية عضلة القلب.

يقول الدكتور جيفري بوير، مدير أحد مراكز علاج القلب في نيو أورليانز في ولاية لويزيانا الذي يعد من رواد تشغيل تقنية القسطرة والإسقاط العشري للأوعية الدموية، حيث ينجز نحو ثلاث عمليات نفخ بالون



صورتان للموازنة:
تظهر إلى اليسار أول صورة التقطها الفيزيائي الألماني ولهم كوراد رونتجن عام ١٨٩٥م بأشعة إكس ليد زوجته اليسرى، ويبدو فيها عظام الزواج. وفي الصورة اليمنى الحديثة تظهر عظام اليد اليسرى بوضوح فائق يعكس التطورات الكبيرة التي طرأت على تقنية التصوير بأشعة إكس.



وأرخصها. ويعود تطورها إلى أيام الحرب العالمية الثانية. وتم إنتاج أولى الصور الطبية الواضحة بهذه التقنية في بداية الخمسينيات. واليوم يقوم فريق طبي بتطوير تقنيات الاستظهار الحاسوبي COMPUTERIZED DISPLAY والأمواج فوق الصوتية لابتكار أجهزة تصوير طبية عالية الدقة.

وفي هذه التقنية المدهشة التي تعرف باسم التنظير الصوتي SONOGRAPHY يستعمل جهاز «مرسل - مستقبل» TRANSDUCER بحيث يوضع ملاصقاً للجسم من الجهة التي يراد تصويرها. وتخترق الموجات الصوتية ذات التواتر العالي الجسم حتى تصطدم بالعضو المراد تصويره، ثم ترتد عائدة إلى سطح الجسم فيمتصها «المرسل - المستقبل» الذي يعمل الآن كمستقبل. ويدل التأخر الزمني في عودة الإشارات على موضع الهدف الذي يجري تصويره وعلى حجمه وشكله، بل حتى على تركيبه النسيجي (القوام). ويقوم الحاسوب بنقل هذه البيانات إلى الشاشة. ويتحدث أحد رواد تطوير

الدموية أصبح يستخدم الآن القسطرات التي صممها بنفسه لحقن قطرات صغيرة من مادة شديدة الالتصاق لإيقاف إمداد الدم لخلايا سرطانية متنامية ولغلق الأوعية الدموية التي تغذيها. وكان أيضاً رائداً في استعمال هذه التقنية في حالات معقدة لإيقاف النزيف الدماغي.

تقنية التنظير

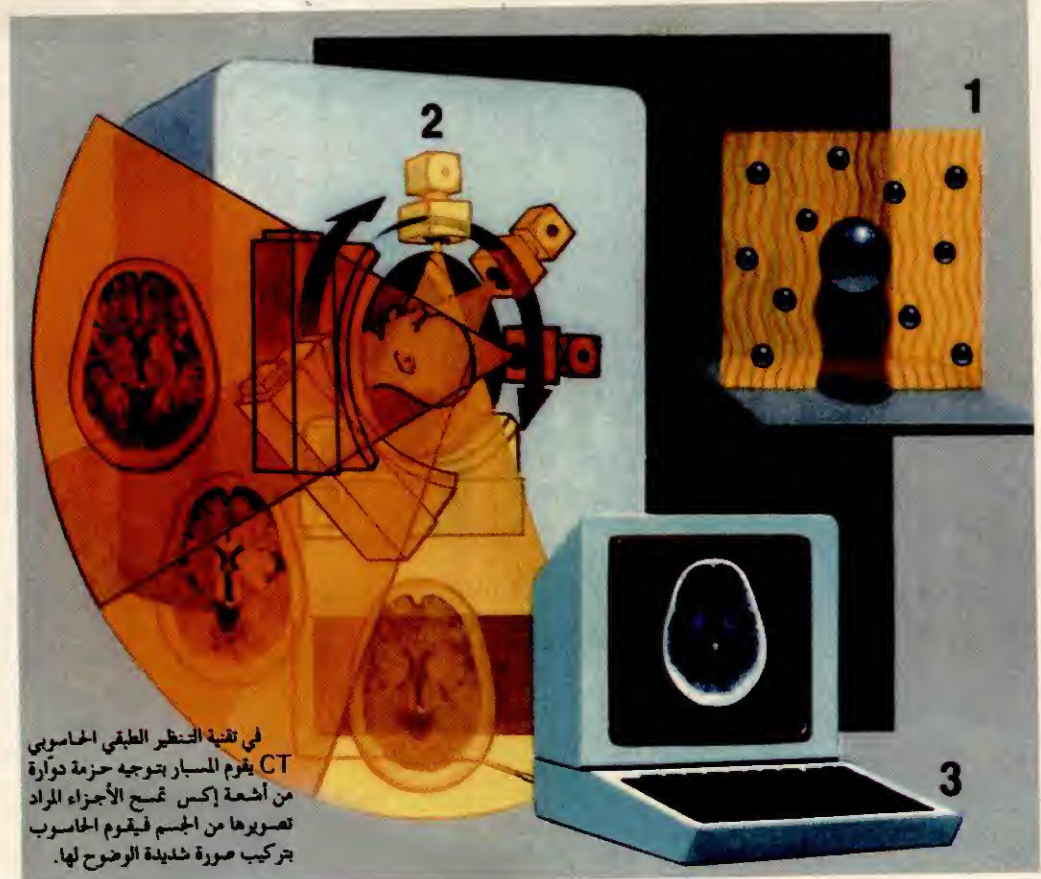
بالموجات الصوتية

تعد تقنية التنظير بالموجات الصوتية ECHOGRAPHY إحدى أبسط التقنيات المستخدمة في الطب الحديث

ويعتد الدكتور ألكس بيرنشتاين من المركز الطبي لجامعة نيويورك أحد رواد هذه الطريقة العلاجية. فعند زيارته لإحدى المزارع جذب انتباهه طريقة الري بالتنقيط التي ترمي أساساً إلى توفير المياه، فتساءل عما إذا كان بالإمكان تطبيق تقنية التروية بالتنقيط في الجراحة. وفي أحد الأيام استعمل كمية قليلة من رغوة الهلام GELFOAM (مادة مجلطة) لوقف النزيف في معدة مريض. وبالأستعانة بتقنية الإسقاط العشري للأوعية

صدره، وبعد ذلك بضع ساعات كانت الفحوصات التي أجريت له باستخدام تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية قد أثبتت أنه بلغ حالة الانسداد التام لأحد شرايين القلب. فأجريت له عملية قسطرة بالبالونات فتمكن من العودة إلى ممارسة الرياضة بعدها بثلاثة أيام.

وكما أن تقنية الإسقاط العشري للأوعية الدموية تستخدم في فتح الشرايين والأوردة المتغلقة فإنها تستخدم أيضاً في منع إمداد الأنسجة والأعضاء غير السليمة بالدم.



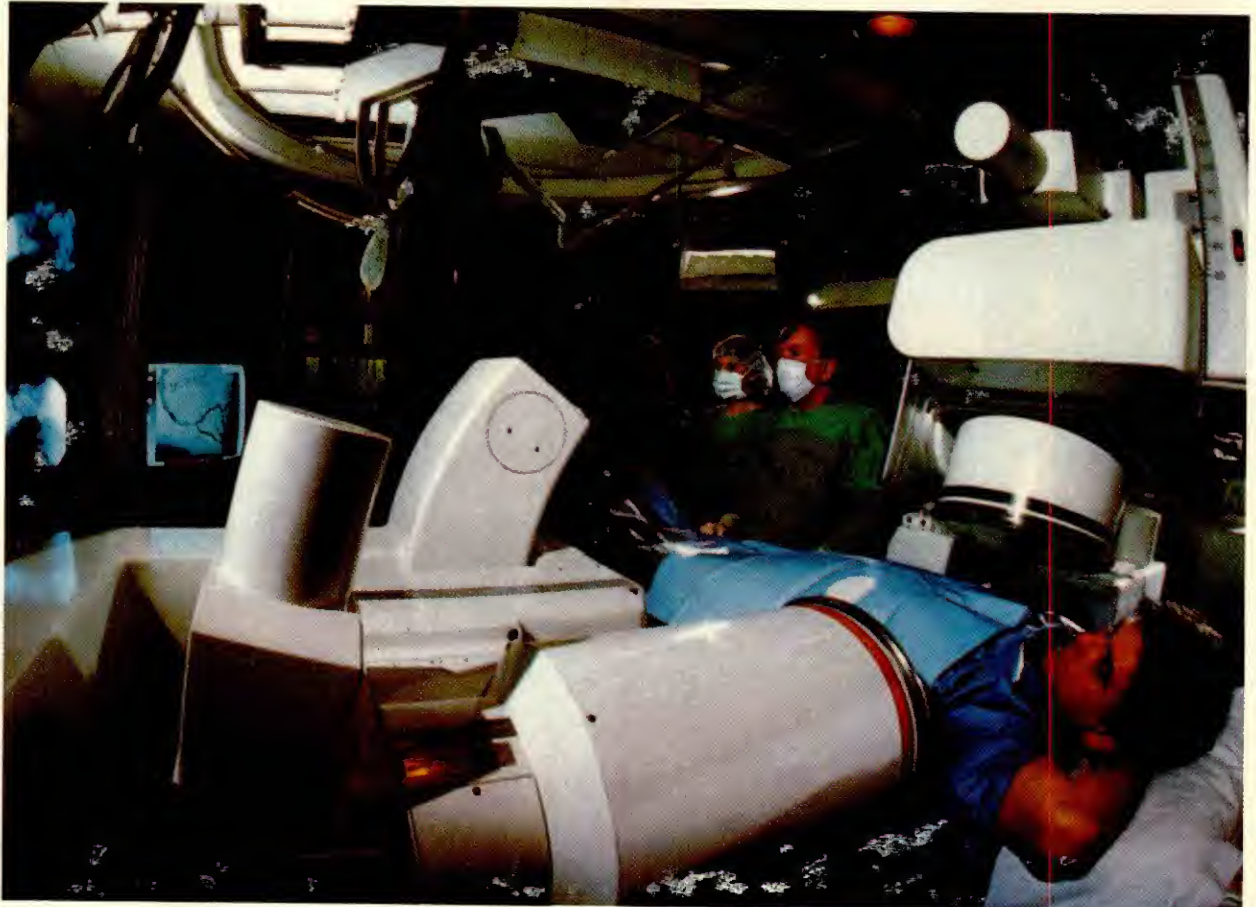
لتدفق الدم الذي يغذي القلب والأوردة والشرابين. وتعتمد تقنيته على ظاهرة فيزيائية معروفة تدعى المفعول الدبلري -DOP PLER EFFECT تعرف بأنها تغيير تواتر الموجات الصوتية (أو الضوئية أو الإشعاعية) الصادرة عن المصدر المتحرك عندما يقترب أو يبتعد عن نقطة معينة. وتخترق الموجات الصوتية عالية التواتر والمصوبة نحو المنطقة المراد تصويرها الأوردة والشرابين ثم ترتد نحو المستقبل، فإذا كان الدم يتدفق على نحو عادي، فإن الصوت المرتد يوضح حالة

عسر في التنفس. وأسرع الجراحون لفتح مجرى التنفس المسدود بالكتلة السرطانية. وبعد ذلك بعدة أيام عمده الجراحون إلى استئصال هذه الكتلة. واليوم يعيش هذا الطفل الذي يدعى جوزيف وورد حياة سعيدة بفضل الله ثم بفضل تقنية التنظير الصوتي.

وأحد المكاسب الطبية المحققة في تقنية التنظير الصوتي هي ابتكار «مسبر دبلر الملون» -DIG ITAL COLOR DOPPLER. وبمساعدة الحاسوب فإن هذا الجهاز يظهر صوراً عالية القيمة

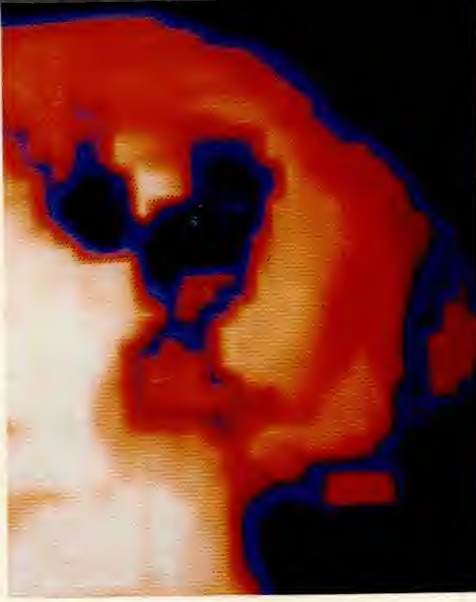
الأمم، وإجراء المزيد من السبر الصوتي الدقيق لاحظ الطبيب وجود ورم خبيث نام في الرقبة تحت الفك. وكان الجنين قد بدأ بابتلاع السوائل المحيطة به عندما كان في أسبوعه الرابع عشر مما أثر في وظائف أعضائه. وكان لهذه المعلومة المهمة التي اكتشفت بتطبيق تقنية التنظير الصوتي فضل كبير على سلامة الجنين حيث تولى طبيب متخصص بجراحة الحلق يساعده فريق من الجراحين بسحب الجنين بعملية قيصرية. وعندما ولد الطفل بدا أزرق اللون، يعاني من

هذه التقنية عن الفوائد المجنية من وراء تطبيقها فيتطرق لقصة معلمة كانت في أسبوعها الثامن والعشرين من الحمل عندما قصدت عيادة نسائية للاطمئنان على حملها، فلاحظ الطبيب أن جنينها كان منتفخاً على نحو غير عادي، وكشفت الفحوص الأولى وجود سائل غزير يحيط به. وأظهر السبر الصوتي بأن فم الطفل كان مفتوحاً، شديد الاتساع، يتدلى منه اللسان إلى



شهدت
تقنية صناعة
الأجهزة الطبية
مؤخراً تطوراً
مذهلاً. وتبدو
في الصورة
أحدث أنابيب
أشعة إكس
الموصولة إلى
الحواسيب.

التصوير بالتنظير
الإشعاعي - RADIO
ISOTOPE IMAGING
تظهر هذه الصورة بقعة داكنة
في دماغ مريض في السابعة
والخمس من عمره.
وتعكس هذه البقعة
نقص تروية الفص الجداري
للدماغ بالدم، وهو نقطة
وصول الأحاسيس الآتية من
العينين والأذنين إلى الذاكرة.
توافق هذه الحالة الإصابة
بمرض «الزائتر».



من القدرات القائمة للحاسوب
في تشكيل الصور التخطيطية
استناداً على البيانات المستخلصة
من وسائل السبر والتصوير من
أجل الحصول على معلومات
وصور تشخيصية بالغة الدقة
والأهمية في العلاج.

فما الاتجاهات التي ستتحوها
الاكتشافات القادمة في التصوير
التشخيصي؟

إن معظم الأطباء الباحثين
يتوقعون أن تؤدي هذه التطورات
التي سبق الحديث عنها إلى ثورة
حقيقية في حقول التشخيص
والعلاج، على أن المفرطين في
التفاؤل منهم يأملون أن تفتح
هذه التقنيات الباب واسعاً
لاكتشاف مسببات معظم
الأمراض التي بقيت أسرارها
مستعصية حتى الآن.. وعلى
رأسها السرطان.

هامش

• تتداول العرب ثلاثة مصطلحات مقابلة
لظاهرة التجارب RASONANCE هي:
التجاوب والرنين والطين.

التخطيط

الطبقي الحاسوبي

أصبحت أهمية الحاسوب في
الطب بارزة على نحو خاص من
خلال تقنية «التخطيط الطبقي
الحاسوبي» - COMPUTED TO-
MOGRAPHY، التي ابتدعت
قبل نحو عشرين عاماً، ولكنها
شهدت تطوراً كبيراً في الآونة
الأخيرة. وتستخدم هذه التقنية
أنبوباً مُصدراً لأشعة إكس وقابلاً
للدوران حول محوره بزاوية
كاملة (٣٦٠ درجة). وحواسيب
اليوم، التي تستخدم صور
التخطيط الطبقي الحاسوبي، تنتج
مشاهد مفصلة ثلاثية الأبعاد
للأنسجة اللينة كالدماع
والقلب.

وفي السبر النموذجي بطريقة
التخطيط الطبقي، تتحرك مئات
الكواشف البلورية المغلقة بمادة
يوديد السيزيوم حركة قوسية مع
أنبوب أشعة إكس لتفحص
الأنسجة. وتنقل هذه الكواشف
معلوماتها إلى الحاسوب العشري
لاستظهارها على الشاشة.
وأصبحت الحواسيب الحديثة
قادرة على معالجة مثل هذه
المعلومات وإنتاج صور ثلاثية
الأبعاد وبالغة الدقة للأنسجة.

وعلى أن عملية السبر الواحدة
بهذه الطريقة تستغرق أقل من
ثانيتين، كما أن الجرعات
الإشعاعية الخطيرة على الجسم

الانسياب الطبيعي على الشاشة.
أما إذا كان الدم يتدفق عبر أوعية
ضيقة أو غير منتظمة الاتساع فإنه
يصدر صوتاً غليظاً فتظهر صورة
التدفق غير العادي. ويكشف
التشخيص الدلري بهذه الطريقة
عن الصمامات والشرابين
والأوردة المسدودة التي تكون في
العادة سبباً رئيساً لحدوث
الأزمات القلبية القاتلة.

وفي تقنية التنظير الصوتي،
توضع مادة لزجة على سطح
الجلد فوق المنطقة المراد تصويرها
بهدف تسهيل حركة انزلاق
«المرسل - المستقبل» فوقه فتكشف
حركته الأعضاء والأنسجة على
شاشة الحاسوب. وعلى سبيل
المثال يمكن بهذه الطريقة رؤية
حركة القلب بكل وضوح. كما
تكون الحركة المستظهرة لحركة
الدم والقلب مصحوبة بالصوت
المعبر عن حالة القلب ومدى
اتساع الشرايين.

وتستخدم تقنية التنظير الصوتي
أيضاً في جراحة الدماغ. فبعد فتح
الجمجمة (الأمواج فوق الصوتية
لاتخترق العظام) يوضع «المرسل -
المستقبل» مواجهاً الدماغ لتحديد
موضع الأنسجة المتورمة، وحصر
حدودها تمهيداً لاستئصالها. وعادة
ما تظهر الأنسجة المتورمة على
شاشة الحاسوب بلون ومظهر
مختلفين عن الأنسجة المجاورة لها
نما يسهل تمييزها.



الوصف للربيع والزهور والرياح

الشيخ عثمان الصالح

أعتقد أن العرب برعوا أكثر من غيرهم في وصف الرياض والزهر وأنواع الأشجار كالآس والرياحان والجعد والعرار والروضات المعطرة والواحات المزهرة. وليس هذا بالشئ الجديد ولكنه من الجاهلية تجدها في آثارهم نثراً وشعراً، وارتحل معهم في كل أرض ملكوها، وأي مملكة عمروها، فليس أجمل من شعر أهل الأندلس وشعرائهم - الذين اخترت شذرات من روائعهم، وشعرائهم وشعراء العراق وأوصافهم، والشام وأقوالهم، وأبناء الجزيرة ونبغائهم. أولئك الذين يحسون بجمال الأرض إذا أخصبت، والواحات إذا أينعت

وطيورها إذا غنت، وشحاريرها إذا غرّدت، وتغنى من الأفنان رطيبتها، وتنقل من فنن إلى فنن عندليبها. اسمع مايقوله ابن عثمان الأصم في الورد والأفاح:

وغضيض من جنّ الور
د حكي الصبح انفجارا
وأكاليل أفاح
سي يخالسن حذارا
مُشَرَّبَات إلى الشمس
س بأحداق حيارى
إن سقاها الطل في السد
س تضاحكن جهارا
ومايقوله الشاعر الأندلسي الأديب عبدالملك بن سعيد المرادي الخازن يمدح

الناصر لدين الله:

كأن جنّي الورد أحْدق حوله
جنى سوسنٍ مستطرف اللونِ أزهرٍ
خددود العذارى المخجّلات تحفها
عوارضها مبيضة لم تخفّر
وأعين عقيانٍ بأجفانٍ لؤلؤٍ
على كل فرع كالزمرّد أخضرٍ
وللوليد ذي الوزارتين القاضي يصف
الياسمين، ويقول الأصمعي إنه - أي
الياسمين - فارسي معرب:
وياسمين حسن المنظر
يفوق في المرآي وفي الخبر
كأنه من فوق أغصانه

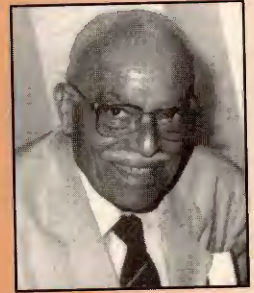
دراهم في مطرف أخضر
والياسمين منه الأبيض والأصفر
والأزرق والأبيض أطيبها رائحة.
وفي الربيع يقول أحد الأندلسيين:
ضحكت متون الأرض عند بكانه
عن أبيض يقق يروق وأصفر
وكذاك لم تكشف سريرة روضة
يوما بأفصح من غمام ممطرٍ
غيث أرائك نور ضاحكا

متطلعا منها بنور أنور
متبخر في مشيه فكأنه
ثاني لها عطفا وكاسر محجّر
وكأنما زهر الرياض كواكب
حسرت لنا عن كل أزهر مقمّر
(أبيض يقق: أي شديد البياض،
الأذفر والذفرة: شدة الرائحة. والعامّة
تستعمل هذه الكلمة فيقولون إن فلان
ذفر: أي رائحته كريهة.. وقد يصفون
بها آخر لسوء خلقه) وهذا الكاتب أبو
الإصبع عيسى قرمان يقول في الروض
وهو من كبار الأدباء والشعراء ومن
رجال الحديث:

كم ذا أكنّ ضميره من روضة
والغيث ملآن بنور زاهر
يخفي ويضمّره الحيا فكأنه
بحر تستر فيه نور جواهر
حتى إذا ما عانق الروض الثرى
طلعت أوائل نبتة المتظاهر
متخالفات في الربا فظائر
حسنا وفي الألوان غير نظائر
ترنو إليك جفونها عن أعين
أجلى وأملح من عيون جاذر
لا شيء أحسن منظرا إن قسته
أو مخبرا من حسن روض ناضر
إن جنته أعطاك أجمل منظر
أو غبت زادك في النسيم الحاضر
(المزهرة: مفعولة من الزهو ومعناه
متعجبة.. وترقرق الأجفان: امتلاؤها بالدمع)
وأختم هذه المختارات بقطعة لأبي
القاسم بن هاني الأندلسي في كمامة
نؤارة سقطت منه:
وبنت أليك كالشباب الطّير
كأنها بين الغصون الحضر
جنان باز أو جنان صفر
قد خلقت له قوة بوكر
لو نبتت في ترية من جمر
لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت بمثل النهد فوق الصدر
تفتّر عن مثل اللثات الحمر
في مثل طعم الوصل بعد الهجر
النؤارة: الزهرة، والكمامة: غطاء
النور، ووعاء الطلع.
(الجنان بالفتح القلب لاستتاره في
الصدر، من قولهم جن الشيء جنا إذا
ستره. الباز: نوع من الصقور، اللقوة: المرأة
السريعة اللقاح، كالناقة. اللثات: جمع
لثة، وهي ما حول الأسنان من اللحم)

المرأة اليهودية

خارج الشريعة



د. حسن ظاظا

«قدشتمو» أي «المخصّصة» لهذه الخدمة في المعبد. وكان اليونان القدماء يسمونها (ميموس) أي الراقصة التي تروي بحركاتها فقط أساطير الغرام عند آلهة اليونان. ومن هذه الكلمة جاءت في العبرية الفصحى لفظة «مومس»، وجاء منها في اللغات الأوربية الحديثة كلمة «بانتوميم» أي الرقص التعبيري العام («بانتوم» تعني «عام»). وكانت المومس في بابل وفينيقيا وعند الآراميين في سورية والكنعانيين في فلسطين وظيفه دينية محترمة! وكل هذا لم يكن إلا تحايلاً من النساء لتنجو من تستطيع منهن من وهدة الترقّ الرجالي الذي لم تكن له حدود ولا قيود. ومن راقصة المعبد إلى البغي السوقية لم تكن المسيرة طويلة ولا متعبة. فلا عجب إن لاحظنا أن الزنا في بني إسرائيل تفشّى من وقت مبكر جداً، على الأقل فيما حكاه رواتهم في نصوصهم المقدسة.

لا يعترف بها المعبد إلا وهي آتية تحمل القرايين، أو الزكاة للكهنة، أو الحطب لمطابخهم ومدافئهم، أو متهمّة من زوجها بالزنا من غير دليل أو شبهة؛ إذ كان يكفي أن تهبّ على قلبه (ريح غيرة) حتى يجبرها إلى الهيكل حيث يقوم الكاهن بطقوس سحرية رهيبية، أشرنا إليها في مقال سابق، وإلى ما كان يصاحبها من لعنات عليها، تردّ عليها بكلمة (آمين) إن كانت آثمة. وحملوها في شروجهن وتأويلاتهم مسؤولية طاعة الشيطان وإغراء آدم بالأكل من الشجرة المحرّمة، وطردهما معاً من الجنة إلى دنيانا هذه، دار العناء والفناء. حتى وصفها التلمود بأنّها «أمر من الموت»، مع بقائها في عيون البشر جميعاً، واليهود خاصة، في منتهى «الحلاوة»! يتهافتون على مفاتها دون خوف أو حذر، أو تقوى.

الحيلة وسيلة المرأة

وكان لابدّ أمام هذا الظلم من أن تستخدم المرأة الحيلة، فلجأت كثير من النساء اليهوديات إلى أقدم حرفة نسوية في العالم، وهي الدعارة. لاسيما وهي تحتاج دائماً إلى شريك من الذكور، بل كانت في بعض الظروف تتيح شركاء من الجنسين في هذا الجرم. وكانت هذه الجريمة في منطقة الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط - وغيرهما من بقاع الأرض - تجدد في ديانات الشرك القديمة غطاء وستاراً من العقائد الفوضوية الوثنية، سمحت بظهور «مومسات المعابد». وهن نساء يدخلن في طقوس الكفر ويستقبلن زوار تلك المعابد لتأمين (التحلل من الإحرام)، يأخذ أجراً كهنه هذه المعابد نظير القيام بإعاشتهن، وتربية من يلدن من الأولاد ليكونوا خدماً للمعبد، أو البنات ليحترفن صناعة أمهاتهن. وفي قانون حمورابي - من أوائل الألف الثاني قبل المسيح - عدد من المواد الخاصة بهن. وكانت الواحدة منهن تسمى باللغة البابلية

يشعر الباحث في الشريعة اليهودية، بقلة النصوص الواردة في التوراة التي بين أيديهم، واقتارها إلى التفصيل والتفسير، وميلها إلى إسقاط المرأة من الحساب في التشريعات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، ووضعها تحت السلطة المطلقة لوليّها من زوج أو أب أو أخ أو عم - لا خال في الشريعة اليهودية لأن الخال ليس بمحرم لها، ويحق له الزواج منها! - وباختصار تبدو المرأة (مظلومة) في هذه الشريعة، ملحقّة بالأطفال والعبيد، مع إضافة أخرى، هي أنها مخلوق نجس، ليس من حقّها أن تتلو التوراة باللغة العبرية، بل ليس من حقّها أن تلمس الثياب والأدوات التي يستعملها الذكور للصلاة والعبادة، حتى لو كانت تخص الأب والأخ والزوج والابن والحفيد. وكانت متهمّة دائماً في عقلها، وذكائها، وعفتها،

حقد وخيال مريض

ونحن نعرف ما قالوه عن نبي الله لوط، قريب سيدنا إبراهيم عليه السلام، من أنه بعد أن دمر الله مدينة سدوم وأهلك جميع سكانها باستثناء لوط وابنتيه، فكّرت هاتان البناتان في أن أباهما - وهما أيضاً - قد يدركه الموت بلا عقب، فاتفقتا على إسكرار أبيهما بالخمير ومضاجعته لتحملا منه!! ويقول الراوي إن هذا قد حدث بدليل قول التوراة: «وتطّلعت (أي سيدنا إبراهيم) إلى جهة سدوم وعمورة وسائر أرض البقعة، ونظر فإذا دخان الأرض صاعد، كدخان الأتون، ولما دمر الله مدن البقعة، ذكر الله إبراهيم، فأطلق لوطاً من قلب الحسّنف، حين قلب المدن التي كان لوط مقيماً بها. وصعد لوط من صوغر، وأقام في الجبل هو وابنتاه معه، لأنه خاف أن يقيم في صوغر، فأقام هو وابنتاه في المغارة، فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على

عادة الدنيا كلها. تعالي نسقي أبانا خمرًا، ونضاجه، فنقيم لأبنائنا نسلًا. وسقنا أباهما خمرًا تلك الليلة. وجاءت الكبرى فضاجعت أباهما، وهو لا يعلم متى نامت أو قامت. فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى.. الخ، فحملت ابنتا لوط من أبيهما، وولدت الكبرى ابناً وسمته (مؤاب) وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. وولدت الصغرى أيضاً ابناً وسمته (بن عمي) وهو أبو عمون إلى اليوم» (التوراة - التكوين ١٩: ١٨-٢٨). وكذب الراوية فيما كتبه في توراة موسى واضح، فالمؤابيون (سكان بوادي الأردن) كانوا على طول التاريخ أعداء لبني إسرائيل يعدونهم دخلاء في أرض كنعان المجاورة لهم (فلسطين)، وعمون (اسمها الآن عمان) عاصمة الإقليم كله، والحوادث المزرية التي يفترها ترجع إلى قرنين من الزمان على الأقل قبل أن يولد إسرائيل عليه السلام (يعقوب)، ولكنه الحق يدفع صاحبه إلى خيال مريض يصيب إبراهيم وإسرائيل، والمهم عند الراوية أن يزعم أن الأردنيين (أولاد حرام)! كما نسبوا الكنعانيين إلى حام لأنهم الأعداء المرشحون للإبادة من بني إسرائيل، مع أنهم ساميون أعرق في ذلك من اليهود، بشهادة لغتهم التي تشبه العبرية، وتقوفا في الفصاحة، وبشهادة الآثار التي تؤكد أن الكنعانيين كانت لهم إمارات وحضارات ونقوش ووثائق قبل العبريين بأزمان طويلة.

وإذا كانت هذه حالة زنا بالمحارم، فهناك أمثلة أخرى أشنع منها. منها ما جاء في التوراة أيضاً، وفي واحد من أبناء إسرائيل (يعقوب) هو (يهودا) أحد أعرق الأسباط الإثني عشر، الذي ينتسب إلى اسمه (اليهود) ويفخر داود وابنه سليمان وملوك المملكة التي أقامها في (حبرون/الخليل) أولاً، ثم في (أورشليم/القدس) ثانياً بانتمائهم إليه، ويسمونها (ملكة يهودا). قال الراوي: «ورأى هناك يهودا ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) فتزوجها (وهذا هو الزواج المختلط الذي حرّمته التوراة) ودخل بها. فحملت وولدت له ابناً اسمه (عير)، ثم حملت كذلك وولدت ابناً اسمه (أونان)، وحملت بعد ذلك وولدت ابناً اسمه (شيله)، وكانوا في «كازيب» حين ولدته. وأخذ يهودا زوجة لابنه البكر «عير» اسمها «تامار»، وكان (عير) بكر يهودا عاصياً للرب، فأماته الرب. فقال يهودا لأونان: ادخل بامرأة أخيك فتزوجها وأقم ذرية لأخيك (شريعة «اليوم» عند اليهود). ولما علم أونان أن النسل لن يكون له عزل عن امرأة أخيه حتى لا تحمله منه باسم أخيه. وساء فعله في عيني الرب فأماته هو أيضاً.....» (التوراة - التكوين ٣٨: ٢-١٠)

وطلب يهودا من تامار أن ترجع إلى بيت أبيها ولا تتزوج، حتى يكبر «شيله» ابنه فيتزوجها.. قال الراوي: «ولما طالت المدة، وكانت امرأة يهودا ابنة «شوع» قد ماتت، وتعزى يهودا عنها، وذهب بجز غنمه في جهة «تمنه» يصحبه «حيرة»، صديقة العدلامي. وأخبرت تامار وقيل لها إن حماك ذاهب إلى تمنه ليجز غنمه فتزعت عنها ملابس الأرملة، ووضعت الحمار والنقاب وجلست على طريق تمنه عند مجرى النبعين! إلا أنها رأت أن (شيله) قد كبر ولم تزوج به. وأبصرها يهودا فظن أنها إحدى البغايا لأنها كانت مغطية وجهها. فمال نحوها علي الطريق، وقال: هيا، أدخل عليك! لأنه لا يعلم أنها زوجة ابنه. فقالت له: ماذا تعطيني لتدخل علي؟ قال: أبعث بجدي ماعز من الماشية، قالت: أعطني رهناً إلى أن تبعث! قال: وما الرهن الذي أعطيك إياه؟ قالت: خاتمك، وعمامتك، وعصاك التي بيدك. فأعطاهما، ودخل عليها فحملت منه. وبعد ذلك قامت، ونزت خمارها، ولبست ثياب

لم يتخلص اليهود حتى الآن من عقدة الدونية، ولم يصلوا إلى الشفاء من داء الخوف من الأمم الأخرى

الأرملة، وبعث يهودا بجدي من الماعز مع صاحبه العدلامي ليسترد الرهن من يد المرأة فلم يجدها. فسأل أهل محلّتها وقال: أين البغي التي كانت عند النبعين على الطريق؟ قالوا: ما كانت هنا بغي قط! فرجع إلى يهودا وقال: لم أجدها. وأهل المحلة قالوا أيضاً إنه ما كانت هناك بغي قط! فقال يهودا: لتذهب بما عندها، فلما تصينا فضيحة، فإني قد أرسلت الجدي ولكنك لم تجدها. وبعد مضي نحو ثلاثة أشهر، أخبر يهودا وقيل له: قد زنت تامار أرملة ابنك! وأنها حامل من البغاء. فقال يهودا أخرجوها فتحرق! فبينما هي مخرجة بعثت إلى حميها فقالت: أنا حبلتي من الرجل الذي هذه الأشياء له! وقالت: اعترف! لمن هذا الخاتم والعمامة والعصا؟ فاعترف يهودا وقال: هي علي حق أكثر مني لأنني لم أزوجه لشيله ابني، وأيضاً ما عاد له أن يعاشرها. ولما كان موعد ولادتها جاءها توأمان، وأخرج أولهما يده فأخذت القابلة خيطاً قرمزياً فعقدته عليها قائلة: هذا خرج أولاً (من أجل حق

الميراث)، ولكنه سحب يده وأخرج أخوه فقالت: لماذا انقطع لأجلك السياج؟ (أي خيط الأولوية)، فسَمّي فارص (وصارت في لهجة الأشكناز ييرز أي المقتسم)، وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده خيط القرمز وسمّي زارح (أي المشرق) (التوراة - التكوين ٣٨). وإذا كانت جريمة الزنا من أركانها أن يرتكبها اثنان - فأكثر - من الذكور والإناث، فقد تبين لنا من هذه القصة أن البغايا كن يعرضن أنفسهن على قارعة الطريق، ويذهبن مع أول قادم يدفع الأجر. أما حرائر النساء فكن إذا زنين حكم عليهن بالقتل رجماً أو إحراقاً. لكن الشريك - الرجل - لا يمس من ذلك سوء. وظل الزنا عندهم من الأمور العادية على طول تاريخهم، حتى ادعوا أن ولادة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام كانت من زنا، ووصفوا السيدة العذراء بأنها بغي! ولم يقفوا في قصة يهودا لا عند زواجه من امرأة كنعانية، ولا عند ارتكابه الجرم المشهود مع واحدة من محارمه، ولا عند أمره بإحراقها، بل عندما تبين أنه هو صاحب العلاقة تغير كل شيء. وشكراً للذين كتبوا التوراة ونسبوا إلى موسى، على هذه الاعترافات البلهاء. وقد يقال لنا إننا نتجنى، لأن كل هذه القصص والسير جاءت في التوراة، وترجع إلى أزمان سحيقة قبل بعثة موسى عليه السلام. ولو رجعنا إلى سيرة خليفة موسى، وأعظم صحابته يوشع بن نون لوجدناه عندما قرر عبور نهر الأردن والاستيلاء - عسكرياً - على مدينة أريحا، أول مدينة يحتلها اليهود في فلسطين بعد موت موسى، نجد هذا القائد العظيم يبدأ بعملية تجسس على أريحا بعث فيها برجلين من حاشيته المدرّبين علي هذه الأعمال: «فانطلقا ودخلا بيت امرأة بغي اسمها راحاب وباتا هناك!! فقيل لملك أريحا: قد قدم إلى هنا هذه الليلة رجلان من بني إسرائيل ليتجسسا في الأرض، فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلاً: أخرجي الرجلين اللذين أتياك ودخلا بيتك، فقد جاء ليتجسسا على الأرض كلها، فأخذت المرأة الرجلين وأخفتهما وقالت: نعم، جاءني الرجلان، لكنني لم أعلم من أين هما، وكان عند إغلاق الباب وقت الظلام أن خرج الرجلان، ولا أدري أين ذهبا، فبادروا في إثرهما فإنكم تدركونهما. وكانت قد أصعدتهما إلى السطح، ووارتهما بين عيذان كنان لها منضدة على السطح، فجرى القوم في إثرهما في طريق الأردن إلى الخاوض» (سفر يوشع بن نون ٢: ٢٠-٧).

وكانت الفوضى الجنسية فاشية في بني إسرائيل لدرجة أن بعض أبطالهم الأسطوريين كان من أبناء الزانيات، وارتقوا بعد موسى

المرأة اليهودية خارج الشريعة

الصعاليك، وكيف يسمحون له بالاقتراب من الشريعة وهو ابن امرأة محترفة للزينة، وزيادة على ذلك أجنبية! وشاء الله تعالى أن يلقنه درساً فكان أول خارج من باب المدينة ابتسه هو، وهم بقتلها، ومع بكاء النساء وتذلل الرجال سمح لها بستة أشهر تغزل فيها كفنها وتنسجه، ثم ذبحها هذا الصعلوك المجنون، الجاهل حتى بأبسط أحكام الشريعة الموسوية.

وكان بنو إسرائيل يحاربون الفلسطينيين، وكان قائد الفلسطينيين (سيسرا) قد أذاقهم الويلات في موقعة دامت طيلة النهار: «وكانت دبورته النبوة، زوجة لقيدت، متولية قضاء بني إسرائيل في ذلك الزمان، وكانت دبورته تجلس تحت نخلة دبورته بين الرامة وبيت إيل (أي بين رام الله ونابلس) في جبل إفرايم، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها لتقضي لهم (أي لتكشف لهم عن الغيب)، فأرسلت ودعت باراق بن أبي نوع من قادش نفتالي، وقالت له: أما أمر الرب إله إسرائيل؟ فامض، وعسكر في جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتال ومن بني زبولون، وأنا أقاتد لك سيسرا قائد جيش يابين (الكتعاني) ومراكبه وجنده حتى نهر قيشون، وأسلمه إلى يدك. فقال لها باراق: إن أنت انطلقت معي انطلقت، وإن لم تنطلق فلا أنطلق. فقالت له: أنطلق معك، غير أنه لا يكون لك فخر في ما أنت أخذ فيه، فإن الرب، إلى يد امرأة، يسلم سيسرا! وقامت دبورته فانطلقت مع باراق إلى قادش» (سفر القضاة ٤: ٤ - ٩). وكان باراق يظن أن سيسرا سيقف في يد دبورته، في حين كانت نيته هذه قد دبرت مكيدة أخرى وأحكمتها، وأدخلت فيها امرأة أخرى هي (ياغيل) امرأة حابر القيني، إذ مر سيسرا بخيمة ياغيل، فهشّت له وبشت، وقدمت إليه لبناً ليشرب، ودعته إلى أن يستريح في ركن وثير من خيمتها، فاستغرق في نوم عميق، وأخذت ياغيل وتداً من أوتاد خيمتها فدفقته في رأس سيسرا، فمات دون أن تسمع له استغاثة! هذه هي نبوءة دبورته التي استوحت منها قصيدتها التي قالت فيها: بوركت بين النساء ياغيل، امرأة حابر القيني! بوركت أكثر من كل الساكنات في الحيام! طلب ماءً فقدمت له لبناً في إناء الأعراء، ومعه زبدة منحة إياها، ثم مدت كفها إلى وتد، ويميناها على مطرقة الصنّاع، وضربت سيسرا فشرخت رأسه تحطيمًا، وخرقت صدغه! خرّ لدى قدميها وسقط! عند قدميها هوى وانطح، وعلي وجهه ارتمي وانطرح! أشرفت أم سيسرا من الكوة، وأعولت خلف الشباك، لماذا أبطأت مراكبه ولم تهل؟ لماذا توانى مسير عرباته؟

ويوشع بن نون إلى قمة القيادة في قومهم، ومنهم «يفتاح» الجلعادي، وكان يفتاح الجلعادي من جبابرة الحرب، وهو ابن امرأة بغي ولدته لجلعاد. ثم ولدت لجلعاد زوجته الشرعية عددًا من البنين. فلما كبر أبناء هذه الزوجة، طردوا يفتاح وقالوا له: ليس لك ميراث في بيت أبينا لأنك ابن امرأة أجنبية. فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام في أرض (طوب)، فاجتمع إليه عصابة من الصعاليك، وكانوا يخرجون معه. ثم كان بعد زمان أن بني عمون حاربوا إسرائيل، فما أن هم بنو عمون بمحاربة إسرائيل، حتى انطلق شيوخ جلعاد ليأتوا يفتاح من أرض طوب. وقالوا ليفتاح: تعال، وكن لنا قائداً، فنحارب بني عمون! فقال يفتاح لشيوخ جلعاد: أما كنتم أبغضتموني وطرستموني من بيت أبي، فكيف جثتموني اليوم في شدتكم؟ فقال شيوخ جلعاد ليفتاح: لذلك جئناك الآن لتسير معنا ونحارب بني عمون وتكون رئيساً علينا وعلى جميع سكان جلعاد! (سفر القضاة ١١: ١ - ٨). والقضاة المذكورون في هذا السفر أكذوبة ضخمة، فلم يكونوا قضاة، لجهلهم التام بالشريعة الموسوية، وإنما كانوا جماعة من المحاربين الأشداء، تعاملوا مع أعداء قومهم بالقوة أو بالحيلة، وحازوا انتصارات إقليمية محلية فسارت بذكورهم الركبان، وتضخمت أساطيرهم وتورمت حتى يصل اليهود بذلك إلى تخويف الجيران: جدعون، شمشون، باراق بن أبي نوع، وامرأة شاعرة ومنجمة، اشتهرت عندهم بأنها (نبية)، وهي ثاني امرأة تحمل هذا اللقب بعد مريم أخت سيدنا موسى. وهذه النبوة تسمى «دبورته» وقصيدتها في الحماسة والفخر تصنف عند علماء اللغة العبرية على أنها أقدم نص لم يفقد كل مميزات اللغة القديمة، بعكس تورات موسى التي تناولتها أيدي التغيير والتبديل، ربما لأنها كانت من باب السرد التاريخي والتشريعي الثري الذي يندر فيه الشعر، وربما لطولها أيضاً، فكانت تحفظ بالمعنى لا باللفظ. فدبورته هذه كانت أيضاً (قاضية) في إسرائيل. ولم لا؟ إن كل أولئك الأبطال كانوا قضاة بلا شريعة ولا محكمة. ومثال بسيط «يفتاح» الذي ذكرته هنا. انتصر على بني عمون، وصد جيوشهم عن قومه، وفي طريق عودته إلى بلده منتصراً، نذر لله أن يذبح أول إنسان يخرج من باب المدينة للقائه، ومنذ أن اقتدى الله سبحانه وتعالى ابن إبراهيم بكيش الضحية أصبحت الضحايا البشرية محرمة ومسجلة بين جرائم القتل التي تستوجب القصاص، ولكن يفتاح لم يقض عمره في دراسة الشريعة، بل في قطع الطريق هو ومن معه من

فأجابتها أذكي نساءها، بل هي أجابت نفسها. لعلهم أصابوا غنيمة فهم يقتسمونها: فتاة.. فتاتان.. لكل بطل! - (فالنساء كانت من غنائم الحرب، كما هي اليوم في البوسنة والشيكان.. وغيرهما) - (القضاة ٥: ٢٤ - ٣٠). وإذا كانت دبورته قاضية، ومنجمة، ونبية، وحائكة مؤامرات سياسية وحرية، فذلك أحسن من الزنا. ومع ذلك نجد أبشع جرائم الزنا تواكب التاريخ اليهودي، وقد تحدثنا عن عشق داود للجميلة بتشبع زوجة قائده أوريا، وما كان من تحديد موقعة في جبهة قتال بحيث يسقط فيها قتيلاً دون أية فرصة للنجاة. وأسوأ من ذلك ارتكاب أمنون ابنه لجرمة الزنا مع أخته من أبيه تamar ثم طردها، حيث عادت بعارها إلى أخيها وشقيقها أبشالوم الذي دبر قتل أمنون ثاراً لأخته. وقصة هذه الجريمة مروية تفصيلاً في كتابهم (سفر صمويل الثاني: ١٣ - كل الفصل)، وكان اغتيال أمنون على هذه الصورة: «فصنع أبشالوم وليمة كما أدب الملوك، وأمر أبشالوم غلماناً وقال لهم: انظروا، إذا طاب قلب أمنون بالخمر، وقلت لكم اضربوا أمنون، فاقتلوه لاتخافوا! فأنا قد أمرتكم بذلك، فتشجعوا، وكونوا ذوي بأس! ففعل غلمان أبشالوم بأمنون كما أمرهم أبشالوم. فقام جميع أبناء الملك، وركب كل واحد منهم بغله، وهربوا» (الفصل نفسه: ٢٨، ٢٩). ولكن تجاوز الاستخفاف بالشريعة الموسوية كل الحدود، عندما كان السكر والزنا يرتكبان في المعابد. وتاريخ الانحلال الأخلاقي والدني قدیم جداً في بني إسرائيل، حتى وهم تحت قيادة موسى عليه السلام بعد عبورهم البحر ونجاتهم من فرعون. اتخذوا لهم صنماً من ذهب على شكل عجل، فعبيده. والمطلع على تواريخ ملوكهم وأنبيائهم يلاحظ هذا الانحراف بشكل يكاد يكون دائماً، وليس هذا من قبيل اللاسامية وكرهه اليهود، فكتاب هذه المقالات يبرأ إلى الله تعالى من الافتراء على عباده من اليهود وغيرهم. لكن حتى قبل داود - أي حوالي القرن العاشر قبل المسيح - كان يحكم اليهود الملك شاؤول. وكانت محاربة الفلسطينيين سياسة تقليدية من تلك الأزمان الموهلة في القدم، وإلى الآن.



وعندما تكون الحرب سجلاً فإن نتيجهما تكون دائماً جزئية للمنتصر وجزئية أيضاً للمنهزم، وكان شاؤول قد مُني بعده بهزائم مع خصومه، وبدأت أعصابه تلف، فأصبح يؤمن بما كان يحاربه من الخرافات. قال الراوي: فلما رأى شاؤول معسكر الفلسطينيين خاف، وإرتعد قلبه جداً، فاستخار شاؤول الرب، فلم يُجبه الرب، لا بالأحلام، ولا بالكهنة، ولا بالأنبياء (وكان النبي الذي أخذ له البيعة - صمويل - قد مات). فقال شاؤول لعبيده: التمسوا لي امرأة لها تابعة من الجن، فأذهب إليها، وأسأل عليّ لسانها! فقال له عبّيده: إن في «عين دور» امرأة مخاوية للجن فتتكر شاؤول وليس غير ثيابه، وانطلق هو ورجلان معه، وجاؤوا المرأة ليلاً. قال لها: تكهني لي بجنتيك، وأظهري لي من اسمي لك. فقالت له المرأة: قد علمت ما صنع شاؤول من استئصال أصحاب التوايع، والعرافين، من الأرض، فلماذا تنصب لي شركاً لتهلكني. فحلف لها شاؤول قائلاً «بِحياة الله إنه لا يلحقك جريرة في هذا الأمر»، فقالت المرأة من استحضر لك؟ قال: أظهري لي صمويل! فلما رأت المرأة صمويل صرخت بصوت عظيم، وكلمت المرأة شاؤول قائلة: لماذا خدعتني، وانت شاؤول؟ فقال لها الملك: لاتخافي! ما الذي رأيت؟ فقالت المرأة لشاؤول: رأيت كائناً سماوياً يصعد من الأرض! قال لها: ما هيئته؟ قالت: رجل شيخ صاعد، مرتدياً عباءة. فعرف شاؤول أنه صمويل، فخر بوجهه إلى الأرض ساجداً! فقال صمويل لشاؤول: لماذا أفلقتني وأصعدتني؟ فقال شاؤول: قد ضاق بي الأمر جداً، لأن الفلسطينيين يحاربونني. والله قد تركني، فلم يعد يجيئني بالأنبياء ولا بالأحلام، فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع. قال صمويل لماذا تسألني، والرب قد تركك، وصار عدوك؟ (سفر الملوك الأول ٢٨: ٥-١٦).

أما تفشي الرذيلة في المعابد، فإنها كانت تغص بالسحرة والعرافين والمتصلين بالجن والمتطيين عن غير معرفة بالطب، والباعة لكل ما يخطر بالبال من عروض التجارة، وبائعي الخمر، والطباكين والزمارين والصنّاجين والراقصات، وأصحاب الأحوال من المجاذيب والدرائش، وكان هذا كله يدر عائداً مالياً ضخماً على الكهنة، مثلاً: بعد موسى بنحو أربعة قرون كان إلقا بن يروحم يصحب إحدى زوجتيه - واسمها حنه - للحج. وكان زوجها يحبها - على الرغم من أنها عاقر - أكثر من ضربتها التي ملأت له البيت أولاداً، وملأت قلب حنه حزناً واكتئاباً لكثرة إغاضتها وكيدها. وكان كاهن المعبد

واسمه «علي» جالساً على كرسي أمام باب المعبد، يراقب كل داخل أو خارج. ورأى حنه تنصرع إلى الله من دون جهر، وتبكي بدموع غزيرة، وطال بكائها وصلاتها: وكان علي يراقب قاءاً، وحنه تتكلم في قلبها، وشفاتها تختلجان فقط ولكن لا يسمع صوتها. فظنها علي سكرى. فقال لها علي: إلى متى أنت سكرى؟ أفيقي من خمرك! فأجابت حنه وقالت: كلاً يا سيدي، ولكنني امرأة مكروبة النفس، ولم أشرب خمر ولا مسكراً ولكنني أسكب نفسي أمام الرب. فلا تضع أمتك في منزلة بنات الشيطان، لأنني إنما تكلمت إلى الآن من شدة ما بي من الحزن والانسكار. فأجابه علي قائلاً: انطلقني بسلام، وإله إسرائيل يعطيك بغيتك (صمويل الأول - ١٣: ١-١٧). وعلى ذكر تهمة السكر، فإن يهود العالم جميعاً يعظمون امرأة بارعة الجمال من بني إسرائيل كانت تعيش هي وخالها في إيران في عهد الإمبراطور الفارسي أرتاكسرسيث الثالث (أوخوس) من أسرة

شيوخ التلمود أفتوا بجواز تجنيد النساء وإشراكهن في الحرب في حالة الخطر المحدد بالأمة

الأكاسرة الأخمنشيين، وكان يحكم إيران من ٣٥٨ إلى ٣٣٨ قبل المسيح. ورأى هذه الفتاة اليهودية واسمها (هاداسا) واقفة تشاهد موكبه الإمبراطوري في عيد النيروز (الربيع) فوق وقع في حبها، واتخذ منها عشيقته في قصره في العاصمة «سوزة»، على الرغم من أنه كان متزوجاً من أميرة فارسية، وفي عيد النيروز أعدت له ليلة احتفال، أسكرته فيها حتى فقد عقله. وكانت قد اتفقت مع خالها «مردخاي» على أن يقف بباب القاعة التي يلهو فيها الإمبراطور معها، ويتخير لحظة من لحظات العريضة الحرجة فيعطي «هاداسا» التي سماها الإمبراطور «إستير» مرسوماً ملكياً بإعدام كل أعداء اليهود في إيران وعلى رأسهم «همايون» رئيس وزرائه - الذي خلط الكاتب اليهودي بينه وبين «هامان» رئيس وزراء فرعون - فكانت مذبحة انتقم فيها اليهود من جميع أعدائهم. وبسبب هذه الليلة عدت «إستير» نبية، وكتبت قصتها - يزعمون أنها ترجع إلى القرن الثاني قبل المسيح - وهي النص الوحيد

الذي أعطاه كهنة اليهود الحق في أن يوضع مع تورا موسى في خزنة واحدة، في محراب كل معبد يهودي في العالم حتى الآن. ويسمى عيدها «بوريم» أي عيد الأنصبة، ويتفنن اليهود فيه بأقنعة تمثل كسرى وهو سكران، وإستير الفاتنة، ورئيس وزراء قبيح المنظر ومقتولاً، وسمى المسلمون هذا اليوم «عيد المساخرة». وما يزال اليهود يعدون السكر فيه سنة! والذي كتب سفر إستير تجب أن يذكر فيه الله مرة واحدة، خوفاً من تدنيس ذاته عليه بقراءة السكاري.

وتقابلنا إستير أخرى أحدث عهداً بكثير، ففي بولنדה، في حكم الملك كازيمير الرابع الذي حكم هذه المملكة من ١٤٤٥ إلى ١٤٩٢ م. وكان شديد الأناقة في ملبسه، حتى لا يبدو أقل فخامة من قياصرة روسيا أو أباطرة المجر، أو ملوك فرنسا أو سلاطين آل عثمان الأتراك، وكلهم جيرانه. فاختار للباسه خياطاً يهودياً، أحضر معه ذات يوم ابنته الجميلة جداً إستير بحجة أنها تناولت المقاييس والدبايس. وفتن بها الملك، واتخذ منها عشيقته - وهو متزوج - وأنجبت له أولاداً. فغضب رجال الكنيسة الكاثوليكية من هذا التصرف الأرعن وهم بأن يتخلص من قساوسته أولئك، لولا أن الموقف الدولي كان يمثل خطراً على بولنדה لو حدثت فيها هزات سياسية عنيفة. وصار اليهود في أوروبا يجدون إستير هذه ويسموننها «الملكة إستيركا» بصيغة التذليل، وفتحت إستيركا بولنדה لكل اليهود الخائفين من الاضطهاد المسيحي لهم في روسيا القيصرية، وفي إسبانيا العاملة على تطهير البلاد من المسلمين واليهود، ومن حركات اللاسامية التي كانت تنشق هنا وهناك في أوروبا فتقذف بالقادرين إلى أمريكا وبغيرهم إلى بولنדה حيث الرعاية والحماية من ملكتهم «إستيركا» وهذا يفسر لنا وجود ملايين اليهود البولنديين الذين كانوا - وما زالوا - المادة الحية للصهيونية: منهم بن غوريون وإسحق رابين وشمعون بيريز والياهو بن إليسار وآلاف من العلماء والشعراء والفنانين والإعلاميين، لا يتسع المجال لجرد ذكر أسمائهم. ونحن نعرف أن هتلر جن جنونه أمامهم.

ونعود إلى التاريخ القديم لنشير بإيجاز إلى ملك صالح من ملوك اليهود، من سلالة داود هو يوشياهو، وقد جلس على عرش مملكة يهوذا، في اورشليم/القدس بعد اغتيال أبيه آمون عام ٦٤١ ق.م، وكان عمره ثماني سنوات. وكان أبوه ظالماً متجبراً. أما هو فقد نشأ تقياً متديناً مستقيماً. فنهاله انتشار الكفر والشرك وعبادة الأصنام في مملكته، فتصدى لكهنة الأصنام ومن يعبدونها وقتلهم وأحرق جثثهم على المذابح التي كانوا

المرأة اليهودية خارج الشريعة

ذلك أن الشريعة اليهودية قد فقدت كل مقوماتها ماعدا عطلة يوم السبت، وطقوس يوم الغفران وبعض الأعياد اليهودية الأخرى، ولم يبق محافظاً على قديمه إلا أفراد قلائل من اليهود المتحجرين الراضين للتطوير، الذين يقيمون في حي خاص بهم في القدس هو «مته شعاريم» بشبابهم التي ترجع إلى العصور الوسطى ولحاهم التي ترجع إلى عصور التلمود، والدولة الصهيونية - التي يعلنون تكفيرها - تحافظ عليهم كأثر سياحي طريف!

وهكذا جرى التشريع الصهيوني على مساواة المرأة بالرجل في جميع الحقوق السياسية والاجتماعية والمالية وفي جميع الواجبات أيضاً، حتى وأجب الخدمة العسكرية في الجيش الصهيوني. وعلموا ذلك بأن عدد الرجال الصالحين لحمل السلاح، وقتال الأعداء (يعني العرب والمسلمين) قليل جداً. وكان شيوخ التلمود قد أفنوا بجواز تجنيد النساء وإشراكهن في الحرب في حالة الخطر المحقق المحدث بالامة اليهودية. ولكن هذا استمر مع زوال الخطر وقبول الرأي العالمي كله حتى العرب، بحل المشكلات بالمفاوضة والمصالحة، ولكن اليهود لن يتخلصوا حتى الآن من عقدة الدونية، كما لم يصلوا إلى الشفاء من داء الخوف من جميع الأمم الأخرى، وإضمار العداء لها جميعاً.

ووجد نساء إسرائيل الفرصة سانحة فقام لهم اتحاد نسائي أقوى بكثير من كل ذوي اللحية الباسقة في حي «مته شعاريم»، وأصبح منهن نائبات - عفواً في الكلمة - في البرلمان (الكنيست) وأستاذات في الجامعات ومديرات لكثير من المرافق، وقادة في مختلف أسلحة الجيش، وأعضاء في قيادة أركان الحرب. والعدو اللدود للاتحاد النسائي الإسرائيلي يتألف من الرجعيين والمتزمتين في الشريعة، الذين يعدونه جميعاً (خارج الشريعة). خصوصاً لابسات السروال القصير في الحقل أو في الجيش، ولا حاجة بنا إلى ذكر فتيات الحانات والملاهي، ولا يسكتون إلا عن الساحرات والعرفات والكاشفات عن الحظوظ، ومؤاميات الشياطين وأرواح الموتى وأشباههم.

العبرية اليهودية للعهد القديم، ووصلتنا باللغة اليونانية - ويدور أن اللغة العبرية كانت قد ماتت ونسيها اليهود - حول ظهور المسيح. وخلاصة القصة - الخيالية على الأرجح - أن الإمبراطور البابلي بختنصر أرسل أحد قواده بقوة عسكرية لمحاصرة حصن يهودي في (بيت فلو)، فتزيت وتبرجت «يهوديت» ومرت تحت بصر القائد، فسقط في شرك فنتتها، وقضى ليلة معها بكل ما يمكن تصوره من السكر والفجور، حتى ارتدى القائد مستسلماً للنوم، فقامت يهوديت وحزت رأسه، مما أدى إلى تفرق جنوده. وهنا تنكرت - تقريباً - قصة يهوذا بن يعقوب مع تامار زوجة ابنه، وأمنون بن داود مع أخته من أبيه تامار، ثم إستير النبية، وإستيركا (الملكة) في بولنדה في القرن الخامس عشر الميلادي. وفي أزماننا المعاصرة نجد نسبة كبيرة من أخطر أعمال الجاسوسية والاعتقال تعود مظاهرها إلى يهوديات فانتات يخدمن أمتهن.

أما في ظل الصهيونية المعاصرة، فقد كان الصهاينة، ومايزالون، يشعرون بالضعف والقلة في خضم شعوب العالم، فليس كل اليهود، ولأنصفهم، صهاينة، حتى أولئك الموجودين في إسرائيل، يلح الكثير منهم على أنه ليس صهيونياً، وأنه وجد في هذا المجتمع بالمصادفة، أو ولد فيه، وليس هناك أرض أخرى تؤويه. وقد بدأ المشروع الصهيوني كمنظمة «خيرية» لجمع المشردين من اليهود. فكان لهذا رد فعل سيئ، إذ كان كبار الأثرياء اليهود يأنفون من الهجرة إلى فلسطين، ويكتفون بالتبرع من مالههم لمساعدة المهاجرين من فقراء اليهود والهاربين من مناطق في العالم انتشرت فيها أفكار اللاسامية، أو ارتفعت فيها الضرائب على اليهود، أو أثرت فيهم الدعاية الصهيونية عاطفياً أو دينياً. وفي فترة الانتداب البريطاني كان أول حاكم بريطاني لفلسطين هو السير هيرت صامويل الذي وضع ابنه مديراً للهجرة الجنسية في فلسطين واسمه إدوين صامويل، ورأى مفكرو الصهيونية أن يدخل يهود فلسطين إلى الحضارة الغربية الكاملة، وإلى الطراز البريطاني منها، في التشريع والقضاء والأمن، مع إضافات لأساليب روسية وبولندية، وبعد إعلان الدولة الصهيونية في ١٥ مايو ١٩٤٨ تقاطرت مئات الآلاف من بقايا معسكرات الاعتقال النازية على دولة اليهود الجديدة، وراحوا يطبقون فلسفة الاضطهاد العنصري التي كانوا فريستها في أوروبا على عرب فلسطين مع ابتكارات (حضارية) أخرى أوحى بها إليهم شيطان التقنية (التكنولوجيا) في النصف الثاني من هذا القرن العشرين. ومعنى

يقدمونها، وكان إذ ذاك في العشرين من عمره. وبعد ذلك بثلاث سنوات أمر بترميم الهيكل الأعظم الذي شيده سليمان. وأمر بأن يمنع الكهنة من اقتسام النذور التي يضعها الزوار في صندوق الهيكل، وأن تخصص للصيانة والتجميل والإضاءة. وتم العثور في جدران الهيكل المتداعية على كتاب عندما قرئ عليه بكى وقال لمن معه من الحاشية: اذهبوا فاستخبروا الرب لي وللشعب ولجميع يهوذا حول كلام هذا الكتاب الذي عثر عليه، لأنه عظيم، غضب الرب الذي اضطرم علينا، إذ لم يسمع أبائنا لكلام هذا السفر ليعملوا بكل ما كتب علينا. فذهب حلقيا الكاهن وأحيقاص وعكبور وشافان وعسايا إلى خلدة النبية (أي العرافة) امرأة شلوم بن تقوة بن حرحاس حافظ الثياب، وكانت مقيمة في اورشليم، في الحي الثاني، وناقشوها. (سفر الملوك الثاني ٢٢: ١٣ - ١٤) وكانت نبوءة هذه (النبية) تهديداً عاماً لهذه الأمة، باستثناء هذا الملك المؤمن. ثم ذهب الملك بنفسه إلى الهيكل وأمر المسؤولين بإخراج أصنام بعل وعشروت وما يلحق بها من أدوات للشرك والكفر إلى وادي قدرون (جنوب القدس) فأحرقها وحمل رمادها إلى بيت إل (معبد السامريين بالقرب من نابلس). وقبض على كهنة الكفر الذين كانوا يبخرون على المرتفعات بإذن ملوك يهوذا للصنم بعل، والشمس والقمر والبروج والنجوم، كما أخرج من الهيكل الخثثين والمومسات ومن يحيط بهم من الكهنة فأعدمهم جميعاً، وأحرق جثثهم وذرى رمادها على قبور اليهود (كأنه يحمل السلف مسؤولية هذه الجرائم). ودمر المذابح التي كان الكفار من الشعب يقدمون إليها الضحايا البشرية من الأطفال. وباختصار محاً كل أثر للكفر أو الشرك أو الفجور بالدعارة واللواط من كل مملكته، كما أباد النجسين والعرافين ومحضري الأرواح والجن وما كانوا يستعملونه من أدوات وأصنام. ولم يكن ملك لليهود مثله قبله ولا بعده (الفصل نفسه).

وكانت نهاية اليهود كما عرفوا ووصفوا من الذلة والمسكنة والشتات والسبي والنفي في جميع أرجاء العالم. ولو قرأنا تفاصيل جرائمهم التي أدت إلى تفكيك كل كياناتهم لوجدنا أنهم جروا هذا على أنفسهم وأن ادعاهم أنهم شعب الله المختار ربما صدق علي موسى وصحابته وبعض من جاء بعده من أنبياء، طرد اليهود معظمهم أو قتلهم، ويطول بنا الكلام إذا تتبعنا ما يرويه التلمود عما حل بهم من عذاب. وكدت أنسى بطله يهودية أخرى هي (يهوديت) النبية؛ وذلك لأنها غير مذكورة في المخطوطات

الحوار الحضاري

١

د. أحمد العسال

فإنه لمن الحسن في بداية تناولنا لهذا الموضوع المهم في هذه المرحلة التاريخية من حياة الأمة، أن نحدد بدقة المقصود بقولنا: «حوار الحضارات»، لننتقل منه إلى فهم أبعاد الموضوع وعناصره.

جاء في لسان العرب في توضيح كلمة حوار: «والاسم من المحاورة. الحوير تقول: سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة: المجاورة، والتحاوير التجاوب. وتقول: كلمته فما أثار جواباً، ومارجع إليّ حواراً، أي ما رد جواباً، واستحاره استنطقه، وفي حديث علي كرم الله وجهه: يرجع إليكما ابناكما بحور مابعثما به، أي بجواب ذلك» (١).

وفي التنزيل العزيز في قصة صاحب الجنتين: «قال له صاحبه وهو يحاوره» (الكهف: ٣٧) قال ابن كثير: أي يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويترأس «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً» (الكهف: ٣٤) أي أكثر خدماً وحشماً وولداً.

ومن الألفاظ التي استعملت في معنى الحوار أيضاً كلمة «الجدال»، قال الله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (النحل: ١٢٥) والجدل كما جاء في اللسان: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، وقد نهينا عن الجدل في الباطل، أما طلب المغالبة لإظهار الحق فإنه محمود لقوله عز وجل: «وجادلهم بالتي هي أحسن». وقال تعالى في موضع آخر: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن» (العنكبوت: ٤٦).

وقد سميت سورة في القرآن باسم «المجادلة» نسبة إلى المرأة التي جادلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شأن حلف زوجها بالظهار منها، قال الله تعالى: «قد سمع الله قول الذي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير» (المجادلة: ١)، وفي القرآن الكريم كلمات أخرى تدعو إلى الحوار من مثل قوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» (آل عمران: ٦٤)، وقوله جل شأنه: «قل هاتوا برهانكم» (البقرة: ١١١).

أما كلمة الحضارة فمعناها: الإقامة في الحضر. قال الشاعر:

ومن تكن الحضارة أعجبت

فأي رجال بادية ترانا

فالحضارة ضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي (٢).

وكلمة حضارة في اللغات الغربية (Culture) مأخوذة عن اللاتينية من فعل (Colere) بمعنى حرث وتما، وقد كانت في الأصل مقصورة على تنمية الأرض ومحصولاتها. وفي أوائل العصور الحديثة بدأت تنتقل بمبدولاتها إلى الجانبين العقلي والمادي، ثم غدت في القرن الثامن عشر تدل على تنمية العقل والذوق، واتسعت لتشمل المكاسب العقلية والأدبية والذوقية لتقابل عندنا لفظ الثقافة. ثم بدأ علماء الاجتماع والسياسات (الأنثروبولوجيا) يعنون بدراسة المجتمعات بدءاً من القرن التاسع عشر إلى أن أصبحت الكلمة تعني مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات (٣).

ولاشك في أن هذا التطور للكلمة وما أخذته من مراحل في الفكر الغربي يدلنا على سبق العلامة ابن خلدون في تعريفه للعلم الذي يبحث طبيعة العمران، والذي يعتبره حقيقة التاريخ، وأن هذا العمران: هو نمط الحياة بوجه عام وبمعنى وصفي غير تقييمي، فيشمل أحوال المجتمعات البدائية والمتحضرة على السواء، ولا يقتصر على الثانية منها فحسب. وانطلاقاً من هذا المعنى يحدد ابن خلدون بحثه في مقدمته في ستة فصول: الأول في العمران البشري عموماً وأصنافه وقسط من الأرض، والثاني في العمران وذكر القبائل والأمم الوحشية، والثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية، والرابع في العمران الحضري والبلدان والأصهار، والخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه،

والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها(٤).

وهذا يدل على شمولية النظرة الإسلامية إلى مناشط الحياة المختلفة، وهذا نابع من ذلك الدين القيم، دين الإسلام، عن ما سنعرض له بعد قليل عند الكلام على حضارة الإسلام بين الحضارات الأخرى.

الحضارات البشرية: واحدة أم متعددة

ويجدر بنا - قبل أن نخوض في تفاصيل موضوعنا هذا - أن نجيب عن سؤال مهم، ألا وهو: هل الحضارات البشرية واحدة أم متعددة؟

ويمكن أن نقرر أن الحضارات البشرية التي زخر بها تاريخ الإنسان كالحضارة المصرية والبابلية واليونانية والعربية والمكسيكية والصينية، وتركت آثارها في الفكر والفنون والآداب والمناحف والآثار وغير ذلك؛ ليست واحدة في ذاتها، وذلك لتمييز كل منها في اتجاهاتها وإنجازاتها واختلافها في الزمان والمكان. ولهذا رجح مؤرخو الحضارات وعلى رأسهم أوزوالد شبينجلر أن كلا منها مستقل عن الآخر، فيقول: إن الرأي القائل بحضارة إنسانية واحدة تسير في خط مستقيم، ينقسم إلى عهود قديمة ومتوسطة وحديثة، رأي صادر عن العقلية الأوروبية الغربية المحدودة ضمن أفقها المحدود، والمعجبة بإنجازاتها التي تحصر الحضارة في ذاتها، وتنصرف عن الحضارات الأخرى، وتنظر إلى تطورها وكأنه تطور الإنسانية بكاملها، وإلى عهدها الحديثة وكأنها أواخر مراحل التقدم أو خاتمتها.

فهو لا يقر بمرکز خاص للحضارة الأوروبية الغربية أو أية حضارة أخرى، فكل حضارة مستقلة عن سواها، ولكل منها حياتها الخاصة وفلكها الذي تدور فيه، ومميزاتها الذاتية المستمدة من جوهر كيانتها(٥). وتبعه في تقرير ذلك الرأي العديد من مؤرخي الحضارات المشهورين، وعلى رأسهم أرنولد توينبي(٦).

ثم يقول شبينجلر: ومن هنا كانت خصائص كل حضارة وانفصالها وتفردا عن سواها، فليس ثمة نظام سياسي واحد، ولا اقتصاد واحد أو اجتماع واحد، ولا عقائد أو سنن أو أخلاق إنسانية واحدة، ولا فنون أو آداب واحدة، حتى العلوم تكون تابعة للحضارات ومختلفة باختلافاتها، فلا يمكن أن نقول بنظام عددي واحد، أو علم رياضي واحد، وإنما نجد نظاماً عددياً، وعلماً رياضياً مطابقاً لكل حضارة من الحضارات ومنبثقا ككل نتاج من نتاجاتها عن رمزها الأولي الأصيل، كل شيء

نسبي والحقيقة كذلك نسبية.

والحضارة كائن عضوي، وكل كائن عضوي لها أدوارها المتتابعة. إنها كالإنسان تولد فتتمر بأدوار الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة. إنها تدور في أربعة فصول: لها ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، وصيفها الذي تتضح فيه، وخريفها الذي يسوده التحليل العقلي، وشتاؤها الذي تكون فيه قد استنفدت جميع إمكاناتها الداخلية، فتصرف إلى الاهتمامات المالية وإلى الفتوح الخارجية، ويكون هذا مقدمة لانحلالها وانهارها(٧).

هذا هو الخط البياني المعبر عن نشأة الحضارات ونموها وبلوغها مرحلة النضج ثم الكهولة ثم الانهيار، فماداً عن الإسلام بوصفه حركة حضارية عظيمة؟

الإسلام والحضارات

لقد جاء الإسلام خاتماً لرسالات الله جميعاً، مبيناً استخلاف الله - عز وجل - لبي آدم في الأرض ليعبدوه وليقوموا بتعميرها، وصحح كل الرؤى الخاطئة التي سبقتها، فأعطى البشرية رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان، وبين أن البشرية مضت في خطين وفي طريقين: أحدهما طريق النبوات والرسالات، والآخر طريق الوثنيات والحضارات التي بعدت عن نور الوحي وهداية الله، وتكبت طريق الفطرة السليمة، وتخبطت في الظلمات، وحاق بها عقاب الله في الدنيا، وتنتظر سوء المصير في الآخرة. وقد عرض القرآن الكريم لهذا النوع ببيان أخاذ وعرض مؤثر، وسنعود إليه بعد ذلك.

ولكننا نريد الآن أن نبين ما قدمه الإسلام للبشرية، فقد أرسل الله أنبياءه ورسله لتنفيذ حكمته ومشيبته في خلقه، ولتقوم الحجة وينقطع العذر، وأخبر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿رسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: ١٦٥)، ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (الرعد: ٧)، يبشرون المؤمنين الصالحين بالحياة الطيبة في الدارين، وينذرون الكافرين المكذبين بسوء العقابة واستحقاق العذاب ودخول جهنم وبئس المصير. وصدق الله العظيم: ﴿وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا﴾ (الإسراء: ١٥).

وجاءت الرسالات كلها متفقة في أصل المبدأ والمعاد والغاية من الخلق والعمل الصالح والخلق الحسن والأدب الفضل والثواب والعقاب: ﴿وما

أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٢٥)، ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى: ١٣)، وقوله سبحانه عند ذكر قصص الأنبياء في سورة (الأنبياء: ٩٢) ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾. وفي سورة (المؤمنون: ٥٢): ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾. وكان الفرق بين كل رسالة وأخرى الشرائع المنظمة للمجتمعات، فكانت كل شريعة تناسب ظروف وطبيعة القوم الذين أرسل فيهم الرسول، يقول الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ (المائدة: ٤٨).

وبيعث محمد - صلى الله عليه وسلم - ونزل القرآن ختمت النبوات وكملت الرسالات، وأصبحت البشرية مهياً للخطاب العالمي والرسالة النهائية، وصدق الله إذ يقول: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان: ١) ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (سبأ: ٢٨) ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (الأحزاب: ٤٠) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وفي الحديث الشريف: «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً إلا موضع لبنة فيه، فكان الناس يبرون بالبيت ويقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين» (رواه مسلم)، وفي مسند الإمام أحمد: أخبرنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت يارسول الله: ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بي، ورأت أمني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(٨).

صياغة الإسلام للبشرية

وفي ضوء ما سبق أعاد الإسلام صياغة العقل البشري بما يجعله قادراً على الفعل الحضاري من خلال نقلات أساسية ثلاث: نقلة تصورية اعتقادية، ونقلة معرفية، وثالثة منهجية.

أما النقلة الاعتقادية: فهي من تعدد المعبودات إلى توحيد الله وحده، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد عز وجل، ومن عشق الحجارة والأصنام إلى محبة الحق وكسر الحاجز المادي وجعله ينظر ويتطلع إلى عالم الغيب. وقد تحدث القرآن عن هذه النقلة أنها خروج بالناس من الظلمات إلى النور، وتجريد لهم من الأغلال والقيود وأوزار الجاهلية

وضلالاتها وعاداتها، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فقام هذا التصور على النظر الصحيح والطريق المستقيم، وانضبطت حركة الإنسان بالتوحيد والعدل والقيم الخالدة التصورية المنبثقة عن ذلك: الربانية، الشمولية، والتوازن، والثبات، والحركة والإيجابية والواقعية. وهذا النسق المحكم يمثل تطابقاً باهراً مع معطيات الفطرة البشرية (٩).

وأما النقلة المعرفية: فهي عمل في صميم العقل من أجل إعادة تشكيله بالصيغة التي تمكنه من التعامل مع الكون والوجود، فليس عبثاً أن تكون كلمة "أقرأ" هي الكلمة الأولى من كتاب الله وتكرر مرتين في آيات ثلاث، وليس عبثاً أن ترد كلمة "علم" ثلاث مرات، وأن يشار بالحرف إلى "القلم" الأداة التي يتعلم بها الإنسان.

وعبر المدى الزمني لتنزل القرآن ينهمر السيل، ويتعالى النداء المرة تلو المرة: أقرأ.. تفكر.. اعقل.. تدبر.. تفقه.. انظر.. تبصّر.. إلخ، وهذا جعل العقل يتشوق إلى المعرفة، ودفعه إلى البحث والتساؤل والجدل (١٠).

أما النقلة المنهجية فتشمل ثلاثة أمور:

أ - السببية: وهي رؤية تركيبة للكون والحياة والإنسان والوجود تربط - وهي تتأصل وتبحث وتعاين وتفكر - بين الأسباب والمسببات، فهذا الكون الذي تراه والذي سخره الله عز وجل لبني البشر هو تعبير عن إبداع الخالق تشده قوانين واحدة وأسباب واحدة، وتصدر عن إرادة واحدة. ولن يتحقق فهمه أبداً ما لم ينظر إليه من خلال رؤية عقائدية تعرف كيف تجمع وتلم وتوازن وتختزل وترتب وصولاً إلى الحقائق التي يبتغيها.

إن الكشف عن السببية والأخذ بشروطها المنهجية كسب كبير للعقل البشري، وإضافة قيمة تمكنه من إعادة التشكيل في صيغ أكثر قدرة على العطاء والإبداع فوق ماتمته من اليقين بقدرة الله عز وجل وعظمته (١١).

ب - القانونية التاريخية: إن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى على غير هدف، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء، فالقانون يحكم التاريخ ويشتمل على الظواهر الاجتماعية، ولا يكتسب التاريخ أهميته الإيجابية إلا بأن يتخذ ميداناً للدراسة والاختبار،

تستخلص منه القيم والقوانين التي لا تستقيم أية برمجة للحاضر والمستقبل إلا على هذا كما فعل ابن خلدون في مقدمته عن العمران البشري (١٢). ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران: ١٣٧).

ج - منهج البحث الحسي التجريبي: يمكن القول بأن الكشف عن السببية والقانونية التاريخية لا يعدلان الكسب المعرفي القيم الذي أحرزه المسلم خصوصاً، والعقل البشري عموماً، والذي تمثل في منهج البحث الحسي التجريبي الذي كشف النقاب عنه ونظمه وأكدوه ودعا إليه كتاب الله.

لقد دعا القرآن الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق "النظر الحسي" إلى ما حولهم ابتداءً من تحت أقدامهم وانتهاءً بأفئدة النفس والكون، وأعطى الحواس مسؤوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب، وناداه أن يمعن النظر إلى ما حوله.. إلى خلقه.. إلى طعامه وشرابه.. إلى الكون من حوله.. إلى التاريخ وحركة الإنسان في الأرض.. إلى خلائق الله وآياته المنبثقة في كل مكان.. إلى النواميس الاجتماعية.. إلى الطبيعة والعالم.. ودعاه أن يحرك سمعه باتجاه الأصوات لكي يعرف ويميز. وانتقل القرآن الكريم خطوة أخرى فدعا الناس إلى تحريك "بصائرهم" لتتحمل مسؤوليتها في تنسيق هذه المدركات وتمحيصها وموازنتها وفرزها من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخلقة.

وأكد القرآن الأسلوب الذي يعتمد البرهان والحجة والجدال الحسن للوصول إلى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقرار والموازنة والتمحيص، ولا يسعنا استعراض جل ما ورد من آيات في هذا المجال أو حتى الإشارة إليه، ويكفي أن نشير إلى أن مادة "علم" بتصرفاتها المختلفة وردت في عدد من الآيات جاوز الـ ٧٥٠ آية.

وهكذا فإن النقلة أو التحول الحضاري الكبير الذي نفذه المسلمون وتحققوا به عبر القرون إنما جاء ثمرة العقلية التي صاغها الإسلام، ودفعها للنقلة الخطيرة لتؤدي دورها الشامل في تكوين وإغناء الحضارة الإسلامية، ولم تكن هذه النقلة الحضارية بحال أقل خطورة من النقالات الثلاث التي مهدت لها وشقت أمامها الطريق.

نظرة القرآن الكريم للحضارات
قلنا إن من النقالات البعيدة التي أثرت في

العقل الإسلامي، ووضعت على سنن الحق وناموس الهدى؛ القانونية التاريخية التي بينت أن تاريخ البشرية ملحمة متصلة تضبط سيرها سنن ونواميس لا تتخلف ولا تتبدل، تنتفي عنها العتبية، ولا مجال فيها للمصادفة، فالخلق كله - كونه وبشره - محكوم منضبط لا لهو فيه ولا عبث. يقول الله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (الدخان: ٣٨، ٣٩)، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهما آتخذنانه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ (الأنبياء: ١٦، ١٧)، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار، كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ (ص: ٢٧-٢٩).

ولذا كان من إعجاز القرآن الكريم إخباره عن أنباء الأمم الغابرة والحضارات البائدة إخبار الحاضر المشاهد المعائن: يقول الله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (هود: ٤٩)، ويقول سبحانه: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ (طه: ٩٩). ويقول عز من قائل: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ (هود: ١٠٠).

والهدف العظيم من هذا القصص هو: مثول العبرة أمام أصحاب العقول الحية، قال الخليل: العبرة والاعتبار بما مضى: أي الاعتاض والتذكر. وتكون العبرة والاعتبار بمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم (١٣) وصدق الله: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (يوسف: ١١١)، والاعتبار الذي بينه القرآن ووضحه هو أن الله عز وجل ابتلى الإنسان بالاستخلاف في هذه الأرض ليعمرها بإصلاح العمل وإحسانه، يقول الله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾. (المالك: ١) ويقول: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ (الكهف: ٧).

ومن ثم فإن كلا من العمل الصالح والعمل السيئ له نتائجه وثمراته إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي

بطشتم جبارين، فاتقوا الله وأطيعون، واتقوا الذي أمركم بما تعلمون، أمركم بأنعام وينين وجنات وعيون، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، إن هذا إلا خلق الأولين ومناجن بمعدنين. فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (الشعراء: ١٢٣-١٣٩).

قصة فرعون

«ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم. أن أدوا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين. وأن لا تعلو على الله إني أتاكم بسلطان مبين. وإني عدتُ بربي وربكم أن ترجمون. وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون. فدعاه أن هؤلاء قوم مجرمون. فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون. واترك البحر رهواً إنهم جند مغرَقون. كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوموا آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين. من فرعون إنه كان عادياً من المسرفين. ولقد اخترناهم على علم على العالمين. وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين» (الدخان: ١٧-٣٣)

الهوامش:

- ١- لسان العرب: ٢: ١٤٠٣ - المعجم الوسيط: ١: ٢٥٥
- ٢- المعجم الوسيط: ١: ١٨١
- ٣- راجع معركة الحضارة من ٣٣-٣٧
- ٤- مقدمة ابن خلدون: ٦، ٧. ط دار الجيل، بيروت
- ٥- معركة الحضارة: ٦١: ٦٢ عن كتاب الحطاط الغرب (The decline of the west) مؤلفه الألمان الشهير wold spengler (١٨٨٠-١٩٣٦) ولقد انتشر انتشارا واسعا فأحدث دويًا هائلا في الأوساط العربية.
- ٦- وذلك كتابه (study of history) في الثاني عشر مجلدا (١٩٣٤-١٩٦٣م)
- ٧- معركة الحضارة: ٦٤ عن المصدر ذاته
- ٨- تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٤ عن السند ٢٦٢/٥
- ٩- مؤشرات الحضارة الإسلامية. د. عماد الدين خليل - دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
- ١٠- المصدر السابق ٩، ١٠.
- ١١- المصدر السابق يتصرف ١٢، ١٣
- ١٢- المصدر السابق ١٤
- ١٣- المصباح المير: مادة: عبر
- ١٤- ففسقوا فيها: أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة - ابن كثير ٥/٣
- ١٥- بطرت معيشتها: أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الأرزاق - ابن كثير ٣/٣٦٣

أنجزت من عمران وتشديد وبناء، ولكنه يبين أن الجانب القيمي والأخلاقي هو الذي يحفظ إنسان الحضارات ويجعل عنده المناعة والرشد الذي يقيه التدهور والفساد. ويعرض القرآن الكريم عرضا باهراً أخاذاً ومؤثراً، كيف أن الذي دمر حضارة الإنسان علي مر العصور والدهور هو الفساد في المعتقد والأخلاق والقيم والشرائع التي تحكم المجتمعات، وأن الفساد إذا دب في ناحية من نواحي أي مجتمع سرى في الجوانب الأخرى، فحياة المجتمعات والأفراد وحدة لا تتجزأ إذا أصاب العطب جزءا مضى إلى الأجزاء الأخرى، وكما قيل: الفساد ليس محايدا ولا عقيما.

ولهذا عرض القرآن العظيم قصة قوم لوط وكفرهم وفسادهم الخلقي، وقصة قوم عاد وكفرهم واغترارهم بقوتهم، وقصة قوم شعيب وكفرهم وتطفيفهم الكيل، وقصة سبأ وكفرهم وجحودهم وإعراضهم، وقصة فرعون وتألهه واستبداده وظلمه. والقرآن له فنه الفريد في العرض وطريقته المتميزة، فلا يسرد القصة سردا، وإنما يوردها هنا وهناك بأسلوبه المتفرد حسب سياق العبارة، وجرسه المؤثر، وتصريفه القول، وإليك نموذجاً مما عرض القرآن في ثلاث قصص: سبأ وعاد وفرعون.

قصة سبأ

«لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور. وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين. فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك على كل شيء حفيظ» (سبأ: ١٥-٢١).

قصة عاد

«كذبت عاد المرسلين، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين، أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم

خيث لا يخرج إلا نكدا كذلك تصرف الآيات لقوم يشكرون» (الأعراف: ٥٨)، «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» (النحل: ٩٧) «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (النحل: ١١٢)، «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (الأعراف: ٩٦).

ومن هنا فإن الذنوب والسيئات ليست محايدة، فهي تعمل في الحضارات والمجتمعات عمل الأمراض في الأجسام من الجهد والسقم والضعف والإفناء، بل هي أخطر فتكا وأشد أثرا، لأنها تقتل في الإنسان أشرف ما فيه، وهي المعنويات والفضائل والمكرّمات التي فضل الله بها الإنسان وميزه عن الحيوان الأعجم. يقول الله تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» (الإسراء: ٧٠).

والقرآن الكريم يعرض سير الأنبياء والمرسلين وكونهم حملة رسالة الحق إلى أقوامهم وأممهم، يبينون لهم سنن الحق والهدى، ويأخذون بيدهم إلى أخلاق الفطرة السوية، ويعلمون بينهم بالشرعية المستقيمة، يقول الله تعالى: «لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز» (الحديد: ٢٥).

فأي أمة أو حضارة أعرضت عن سنن الحق في النفس والحياة والعلاقات والأشياء، وأعرضت عن هدي الله فكفرت بأنعمه، وأشركت به سبحانه، واستعلت أولو الأمر فيها فتكبروا وتجبروا واتبعوا أهواءهم فتنكبوا الأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة، فظلموا أنفسهم، وتجبروا على قومهم، وشاعت فيهم منكرات الأخلاق والأفعال. إذا فعلوا ذلك نزل بهم عقاب الله لامحالة. يقول الله تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» (الإسراء: ١٦) ويقول: «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين» (القصص: ٥٨).

والقرآن الكريم لا يبخس الحضارات حقها فيما

الانزياح والجدالة

د. نعيم اليافي

يمكن دمجها في مقولة واحدة خلاصتها: أن المعيار في الانزياح هو اللغة العلمية العادية في قواعدها من جهة، وفي مباشرتها وتقريرها وحوافها المغلقة الصلدة من جهة أخرى.

أجل، اللغة هي المعيار شريطة أن ندرك أمرين أو نعي أمرين، أولهما: حركة المعيار واختلافه أو تطور مفهومه على الأقل من ثقافة إلى ثقافة ومن زمن إلى زمن، وثانيهما: حركة الأساليب اللغوية وتغيرها من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، وباجتماع هذين الأمرين ندعي بأن مفهوم الانزياح مفهوم متغير، ولا أدل على ذلك من موت الصور المجازية عبر اجترارها وتكرارها وتحولها من التعبير غير المباشر إلى التعبير المباشر، أي تحولها من المعنى الأدبي التشطّي ذي الأبعاد، إلى المعنى العلمي الواحد ذي البعد المعجمي الثابت.

الانزياح وأدبية النص

الانزياح هو مجلّي الأدبية وعلامتها، وموطن الشاعرية ودلالاتها، وكتلتها - أدبية النص وشعريته - لاتتم إلا به ومن خلاله. لن ندخل في الخلاف بين الأدبية والشعرية، أما بمعنى واحد أو بمعنىين. لقد استعمل المصطلحان بالوضعين، تارة يُفصل بينهما وتارة يتداخلان، حسبنا الآن أن نطلق الأدبية على ما هو خاص بحقل الأدب، وأن نطلق الشعرية على ما هو خاص بحقل الشعر، وعلى ذلك يكون الانزياح سمة الحقلين، ومعلما بارزا من أهم معالمهما؛ لأنه - كما قلنا - لأدبية ولا شعرية من دون انزياح.

سنبدأ بفهم دور الانزياح في الحقلين من التفريق الشهير الذي أقامه «دوسوسير» مع بداية القرن بين اللغة والكلام، فاللغة هي الثبات وهي النظام الجمعي/السلطة، وهي القانون المتعارف عليه، أما الكلام فهو التفرد والتغير والحركة والانظام. وضمن هذا التفريق فإن أدبية النص أو شعريته تنتمي إلى مجال الكلام لا إلى مجال اللغة، فكل منهما ظاهرة تتعلق بالنطق وينسق التعبير وبالتطور،

في المصطلح
الانزياح ظاهرة أسلوبية، ومكون من أخطر عناصرها ومكوناتها، لسبب بسيط هو أنه لا يستمد منزلته ولا تصوره شأن غيره من وضعه في الخطاب الأصغر - النص، بل يستمد هذه المنزلة من خلال علاقة الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر - اللغة، وهو الأهم.

يستعمل النقد الحديث للتعبير عن الانزياح أكثر من مصطلح (أحصى

الدكتور المسدي في الأسلوب والأسلوبية اثني عشر واحدا يمكن أن تمتد إلى ثمانية عشر) منها الانحراف والتجاوز والانتهاك وخيبة التوقع أو الانتظار.. إلخ، وقد آثرنا استخدام الانزياح Ecart ليس لأنه الأشيع والأكثر دورانا على الألسنة، وإنما لأنه بخلاف سواه يحمل دلالة توصيفية لا تمت إلى القيمة - ولا سيما الأخلاقية منها - بصلة، فالتشويه مثلا أو الخطأ أو الشناعة أو العصيان.

تحمل شيئا من ذلك وتشير إليه، ومن ثم فهي لاتسعنا في الدراسة ولاتبلي مطلبنا في حيادية المصطلح واستقراره.

ومن المعروف أن النقد العربي القديم استعمل مصطلح العدول للتعبير عن المعنى وقد رغبتنا عنه؛ لأنه لا يحمل ما يحمل الانزياح من فضاء دلالي أبعد وأوسع، إلا إذا ضمناه دلالاته وحملناه ما يحتمل وما لا يحتمل، وأعدنا إليه الحياة من جديد.

اللغة هي المعيار

الانزياح: إنه بكل بساطة خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياسا في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيبا.. إلخ وحين نقول الخروج لابد من نقطة هي الصفر يبدأ منها هذا الخروج، أو ينزاح عنها وينحرف، وبكلمات أخرى لابد من معيار تنزاح عنه وتخرج عليه، وقد اختلف الدارسون الأسلوبيون حول تحديد هذا المعيار، هل هو العادي من الكلام أو المؤلف، أو هو اللغة العلمية الجبرية التي لاتعني إلا ذاتها، أو هو لاهذا ولاذاك، اللغة بشكل عام بنظامها وقوانينها وبنيتها؟ ثلاث وجهات نظر

وبكلمات أوضح تتعلق بالانزياح وبالتحريف الذي يطرأ على الخطاب العادي حتى يصير خطاباً أدبياً أو شعرياً.

وقد تطور هذا التفريق وتعمق مع التحول الذي أصاب مناهج الدراسات الأدبية وانتقالها من التركيز على بيئة النص أو مؤلفه إلى التركيز على بنيته أولاً، وعلى علاقته بالمتلقي ثانياً لدى مختلف المدارس الشكلية أو الهيكلية بدءاً من الشكلانيين الروس — مروراً بالألسنيين والسيمائيين وأصحاب النقد الجديد الأنجلوسكسونيين والأسلوبيين على اختلافهم والبنويين. فكل هؤلاء أداروا مباحثهم على النص ومكوناته الرئيسية، واحتفلوا بالانزياح كعنصر مهم من عناصر توليد الأدبية أو الشعرية فيه.

في الشعر كما في النثر الفني يبدو الانزياح واضحاً وبيّناً، ولكنه في الشعر أوضح وأبين؛ لأن الشعر فن الانزياح الكامل عن التعبير الطبيعي العادي للغة، ويمكن أن تتصور العلاقة بين الشعر والنثر ودور الانزياح فيهما إذا تمثلنا حلقتين متداخلتين بينهما حيز مشترك، الحقل الأول: يستقر فيه الشعر، والحقل الثاني: يستقر فيه النثر، والحيز المشترك تستقر فيه جميع ضروب الكتابة الفنية. يؤدي الانزياح دوره ويعمق ويتسع كلما اتجهنا قدماً من حقل النثر إلى حقل الشعر حتى نصل إلى أقصى الأفق في نمط من الشعر يكون فيه الانزياح مغلقاً على نفسه.

وفي رأيي أن نتوسع في مفهوم الانزياح كما نتوسع في مفهوم الأدبية/الشعرية قرينته في التمثيل والتجلي، فكما أننا لانكتفي في مجاليهما بملاحظتهما في ميدان الأدب أو الشعر، بل نلاحظهما في السرد الحكائي والرسم والنحت ولوحات الطبيعة. كذلك علينا ألا نقصر الانزياح على مجال الضرب المجازي/الاستعاري كما هو شائع، بل نمده ليشمل جميع عناصر النص الأدبية والشعرية، وهذا ما سنبحثه في الفقرة التالية.

أنماط الانزياح

تعود الدارسون أن يحصروا الانزياح في صور التعبير البيانية/البلاغية المختلفة، وركزوا خاصة على المجاز وفي مقدمته الاستعارة، ومن ثم ذهبوا إلى أنه وبالذات نفسها هو جوهر الشعرية، مهملين بقية مكونات الشعرية أولاً، وحاصرين الانزياح في مفهومه الضيق ثانياً، وعندنا أن الانزياح يصيب سائر المكونات الشعرية/الأدبية، ولذا لا بد من توسيع مفهومه أو دلالة، إنه يتمثل أول ما يتمثل الانزياح المجازي، وهو أمر يكاد يكون مفروغاً منه، فجميع أنماط الصورة الفنية/البيانية بدءاً من التشبيه وانتهاء بالمجاز العقلي هي انزياحات ولا حاجة للتدليل.

وهو يتمثل ثانياً بالانزياح الإيقاعي، ولذلك ثلاث صور (أولاهها) الانحراف في الموازة بين موسيقى الأداء وتوزيع المفردات بحيث يخضع هذا التوزيع لأسلوب الصياغة الموسيقية وليس العكس، (ثانيتهما) الانحراف فيما يسمى بالنعمة النشاز التي تخرج على الإيقاع الأصل في تماثله وتناغمه وتوافقه، و(ثالثتهما) إيقاع الصمت الذي يمكن أن نتخيله في انقطاع اللحن أثناء عرض الفلم السينمائي، فهذا الانقطاع أو الصمت جزء من بنية اللحن وسيرورته موظف لغاية، ومثله في ذلك القطع المفاجئ أو النص الغائب في ميدان القصيدة. فحين يقول الشاعر (من أنت يا...؟ من أنت) يكون القطع أو الفراغ صمتاً موسيقياً ودلالياً وجزءاً محسوباً من اللحن ومن البنية معاً.

النمط الثالث من أنماط الانزياح بعد التوسع في دلالة هو الانزياح اللغوي بجميع ضروبه: انزياح الصفات عن موصوفاتها، وانزياح التضاد أو الإسناد، وانزياح التركيب، وانزياح التقديم والتأخير في نهايات الجمل، وانزياح حروف المعاني بتضمن بعضها معاني بعض، وانزياح الوقف، وانزياح النحو بتكسير قواعده أو تجاوزها أو عدم الالتفات إليها، وانزياح التناقض أو التضاد... إلخ، وكلها أنماط لغوية تنحرف عن وضعها الطبيعي في مستوى

التوزيع لتخضع إلى وضع آخر شعري يمليه مستوى الاختيار أو مستوى التوظيف.

وثمة نمط رابع من أنماط الانزياح هو الانزياح الدلالي مابين الصوت والمعنى، أو المحمول والوسيلة، أو الدال والمدلول، وجميعها مصطلحات ذات مفهوم واحد يشير في جملة ما يشير إلى عدم التطابق بين الحدين، فأحدهما ثابت هو (اللفظ، الدال...)، وثانيهما معوم طاف هو الدلالة، وغالباً ما يأتي سوء الفهم على صعيد التخاطب من هذا التباين بين الحدين المتقابلين، ومالم نلتفت إليه وهو صلب العملية في الشعرية/الأدبية فلن ندرك أسس (اللعبة الاستراتيجية) لبنية النص الإبداعي المنطوق.

مستويات الانزياح

عددنا نقطة الصفر في الكتابة العلمية/الجبرية العادية هي المعيار الذي تبدأ منه درجة الانزياح، وتستمر إلى نهايتها المفتوحة أو المغلقة، فالأمر هنا سيان مادامت النهاية تخرج عن الأفق المحدود، ويمكن للدارس أن يميز في الدرجتين درجة البداية ودرجة النهاية مستويات عدة للانزياح تختلف باختلاف حدي المتقابلات.

الثنائية: الوضوح/الغموض، السهولة/الصعوبة، التوصيل/عدم التوصيل، التلقي وإشكالية الاستجابة الشخصية للمرسل إليه، وطبيعة أدواته المعرفية والثقافية. وقد حدد بعض الدارسين هذه المستويات بثلاثة (الانزياح القريب والمتوسط والبعيد)، وعندنا أنها أكثر من ذلك، أربعة مستويات أو خمسة، وما يجعلها هذه أو تلك جملة من العوامل الذاتية والموضوعية في بنية النص وفي آلية تلقيه، وسنحاول من جانبنا أن نقن المستويات أو نميز بينها على النحو الآتي:

المستوى الأول، وهو المستوى القريب من درجة الصفر، المفردات تشف مباشرة عن مغزاها ولا تحتاج إلى عناء، ومثاله قول الشاعر (وشربت شاياً في الطريق/ ورتقت نعلي) هنا لا يضم الخطاب فيضا من المعاني ولا تكثر في

الدلالات، فمعناه - كما قال الجاحظ - في ظاهر لفظه.

المستوى الثاني، وهو المستوى الممكن والمقبول في الانزياح، ومعظم الشعر في قديمه وحديثه يلجأ إلى هذا النوع، ويستمد منه أدبيته أو شعريته، ومثاله قول الشاعر (عينك غابتا نخيل ساعة السحر / أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر) فالشاعر عبر عن مشاعره إزاء عيني الحبيبة بصورة فنية رائعة منحرفة عن الوضع الطبيعي للعينين، ولكن سرعان ما نصل إلى الدلالة المقصودة دون بذل جهد كبير، فبمجرد أن نخطو خطوة واحدة لأكثر في رحاب الخطاب (غابة النخيل وقت السحر) تتكشف أبعاد الصورة الجمالية.

المستوى الثالث وهو المستوى الذي يمكن تملّيه من خلال عنصرين أو بعددين: عنصر الإثارة وعنصر الثقافة، الأول يكمن في بنية النص والثاني يكمن في آلية التلقي، ومع ذلك لا بد أن نخطو فيه خطوات، وننعم النظر فيه طويلاً قبل أن نجد الإحساس الأخير أو الانطباع، ومثاله قول الشاعر: (ذاهب أتقياً بين البراعم والعشب، أبني جزيرة/ أصل الغصن بالشطوط، إذا ضاعت المرافئ واسودت الخطوط/ ألبس الدهشة الأسيرة/ في جناح الفراشة/ خلف حصن السنايل والضوء في موطن الهشاشة).

ولا نستطيع أن تضع يدك في هذا الشعر على دلالة واحدة أو معنى، فثمة العديد من الدلالات وأفياء المعاني وفيوضاتها، كل قارئ يقرأ القصيدة وفق ما يحسه أو يجده من التدايمات، يجلبها من خارجها أو يراها فيها، ويزعم أصحاب هذا المستوى أن الشعر مغامرة سريرية فكرية وفنية يجب أن نرتقي إليها ونعيشها ونتملاها عبر ما تثيره فينا من مشاعر ورؤى، وليس عبر ما توصله إلينا من معان ودلالات.

المستوى الرابع هو المستوى الأبعد في الانزياح، المستوى المستحيل واللامعقول؛ لأنه

مستوى الرؤية المنغلقة على صاحبها والمقيدة بما يطرحه فيها من موقف أو وجهة نظر، ومثاله قول الشاعر (ركبتي مقصورة في طرف الأفق ووجهي ازدحمت فيه/ الكتابات البروق في الورق الأخضر والماء/ الحروف/ أمة من الأمم، مخاطبون ومكلفون" الطيور انفجرت في قبة الريح كما تنفجر البثر). من المستحيل في هذا النص أن تضع يدك على كوى أو معالم أو مفاتيح تضيء لك دهاليز المتن أو تفتح مغاليقه، كل شيء مفكك ومشوش ومتزاح عن مكانه حتى لكأن عملية الانزياح/ الانحراف مقصودة لذاتها، أو كأن رائيها وصانعها يعكس حالة من البلبلة بين بنية الحلم النائم وبنية الحلم اليقظان، هي انعكاس ليس للتجربة الغامضة بل للنفسية المبعثرة الشاردة، من دون أن تصل بك هذه الحالة إلى ميناء ترسو عنده أو شاطئ.

هذه المستويات الأربعة من الانزياح، ويمكن أن نضم إليها أو نفرع عنها مستويات أخرى يستطيع الدارس أن يربط دوافعها بالبيئة الاجتماعية القائمة وهامش الحرية المتاح للتعبير، مثلما يستطيع أن يربطها بطبيعة الرؤى التي ينهض بها الشعراء أو بطبيعة البنيات النصية التي ينشئونها ويصرون عليها ويرونها الصورة الأتم للشعرية، بيد أنها في جميع درجاتها وتجلياتها تعد خروقات لنظام اللغة الأصيل تنزاح بها لتحقيق خطاب النص الأدبي حظاً وافراً من الانحراف والتفرد والأسلوب الخاص في الخلق والأداء.

الانزياح والتلقي

لا يدرك الانزياح على اختلاف دروبه ومستوياته كاملاً أو شبه كامل إلا من خلال الاستجابة الواعية أو عملية التلقي النشطة والفاعلة، وعندما نقول بالتلقي النشط والفاعل فإنما نلميز بين نوعين من قراءة النص: قراءة سكونية سلبية تتلقى القصيدة في سطحها الظاهر، وتفهمها وتفسرها وفق مرجعيتها القابعة مسبقاً في الذهن، وقد تنفعل بها أو لا تنفعل، وليس هذا بالمهم بقدر ما يهم أن رد

فعلها سيكون قياساً إلى ما تعرفه، أي قياساً إلى تجارب مخزونة في الذاكرة هي خلاصة الماضي بكل سطوته، أما القراءة الثانية فهي القراءة الفاعلة المتحركة، ووصفناها بالنشطة؛ لأنها تعمل عملها في النص، تتأمله وتنعم النظر فيه أو تجول، تفككه وتحلله، وتنقده وتعيد إنتاجه أو تأليفه من جديد، وربما تتبنى أطروحاته أو تعارضها، وليس هذا هو الآخر بالمهم بقدر ما يهم أنها تحاوره قياساً إلى عناصر بنيته ومكوناته الأساسية في الرؤية والتصور والأداء، ولعلها تسرب إلى مفاصله ودهاليزه الجوانبية لترينا مبلغ ما فيها من علاقات متشابكة وأسرار، ولن يتسنى لهذه القراءة النشطة أن تحقق ذلك إلا إذا كابدت نوعاً من التأويل.

مالفرق بين التفسير والتأويل؟ فرق كبير، إن التفسير يعلل الظواهر البينة بشرحها أو إيضاحها، ويحكم عليها بالسلب أو بالإيجاب، في حين يميّط التأويل اللثام عن الداخل، ويطلع أو يسعى نحو هذا الداخل، يتملاه ويستسره ويكشفه، أي إن مرجعيته تكمن فيه ولا تجلب إليه من خارجه، باللغة نؤول لغة النص، ومن هنا وفرة التأويلات ووفرة الاحتمالات، ولا أظن أن هذه التعددية على المستويين - مستوى التأويلات ومستوى الاحتمالات - ناتجة عن بنية المتن وإنما هي إلى جانب ذلك ناتجة عن طاقة التلقي وقدرتها على الاستجابة والإدراك مثل قدرتها على رؤية الكثرة وكثرة الرؤية، وفي اندماج البينيتين معا - النص والتلقي - وتلاقيهما في نقطة التقاطع يكمن جوهر الإبداع الأصيل.

وحيث ندعي بأن رصد الانزياح وتفكيكه وتبين أبعاده وتجلياته ووظائفه يتوقف إلى حد كبير على التلقي، فإنما نعي أنه يتوقف على التأويل، فكلاهما - التلقي والتأويل - رائر للانزياح، لأنه رائر للقوة المبدعة لدى المبدع - الإنسان - مرسل ومرسلاً إليه، مؤلفاً وقارئاً.

الانزياح بين الدال والدلالة

رأينا أن الانزياح هو تشويش لنظام اللغة يبدأ بالفصل بين الدال والمدلول بتثبيت شكل الأول

والأحادية، والعلائقية/النسقية والانعزالية، وعناصر الائتلاف والاختلاف، والثبات والتطور. كذلك نقول عن الانزياح إنه سمة أسلوبية تجمع بين الاختراق والتوازن، الصدور والتلقي، مبدأ الاستبدال ومبدأ الاختيار، جمالية المماثلة وجمالية المعارضة، بنية اللغة المحايدة وبنية اللغة المشحونة المحايثة.

ولعل الذين نظروا إليه كما نظروا إلى الشعرية باعتبارهما يملكان معيارا خارجيا بالنسبة إلى مجاليهما مخطفون، فالشعرية تنبع من شعرية النص الشعري، وليست شيئا آخر مجلوبا من خارج البنية، شيئا يضاف إليها حتى يضحى القول شعريا، كذلك الانزياح ليس أمرا خارجيا يجلب إلى النص الشعري فيضحي منحرفا، وما فعله جان كوهن أو سواه في اعتبار الشعر نشراً يضاف إليه الانزياح فيصبح شعراً أمر في غاية الخطورة، يكفي أنه أصبح اليوم من الماضي، فمعظم الدراسات الدلالية (السيمائية) تذهب مع ريفاتير المتحول إليها من البنية من أن الانزياح أصل في بنية الشعرية/الأدبية، ومكون لها من داخلها، وشرط من شروط وجودها، ويجب أن ينظر إليه أو يدرس كذلك.

على أن مانستطيع أن نضيفه إلى مافعله كلاهما كوهن وريفاتير في تقويم الانزياح ونهني به هذه الدراسة الزعم بأنه مفهوم معقد وفضفاض ومتغير، قابل لأن يدرك إدراكين في آن واحد، صحيحاً ومغلوطاً، وهو يرتبط بالوعي الحضاري والوعي المتخلف، الوعي الجمالي والوعي الفردي، وهو مشروط في كل هذه الارتباطات بوظيفته العامة والخاصة، الاجتماعية والجمالية، وماسمي بمعيار الخروج أو الانحراف يخضع مثلاً يخضع الانزياح لهذه المشروطة في الثبات والتحريك، وما عُد معياراً في زمان قد لا يُعد كذلك في زمان آخر.

يتعارض مع بنائها كأصوات، وهذه هي السمة الازدواجية للكلمة التي لامفر منها، إنها صوت يعد رمزاً للمعنى، وهي في الوقت نفسه رمز للمعنى يعد صوتاً، ونحن لانستطيع أن نستعملها في إحدى هاتين الصفتين دون أن نستعملها في الصفة الأخرى. لقد كانت محاولة الرمز من تلاهم من السرياليين في حمل الكلمات على الإثارة والتلميح بكل شيء ماعدا أفكارها ضرباً من الغامرة ما كان قادراً على البقاء، أو لنقل مجرد حلم لم يدم سوابه ولن يدم، فسرعان ماعاد المعنى يشق طريقه إلى الظهور كعنصر جوهري في فن يتوسل بالكلمات.

قد نقول إن الانزياح بطبيعته خرق للغة وتشويه لها وهدم، وإخلال في نظامها وتشويه، وهذا في حد ذاته صحيح، بيد أن الأصح أن هذا الاختراق يعقبه توازن وتماسك ونظام وبناء يحل محل الزعزعة والبلبل والتجاوز في إبلاغ الرسالة، وتلك لعمري ميزة اللغة - الخطاب الكبير، كما هي ميزة النص - الخطاب الصغير، ميزة اللغة، لأنها تسمح بالابتعاد عن الاستعمال المؤلف بوساطة الاضطراب، ثم ما يلبث هذا الاضطراب أو الاختراق أن يصبح هو نفسه انتظاماً جديداً، وميزة النص، لأنه تأليف هو الآخر لحقلي الأطروحات والنقائص في بنية لغوية يجمع فيها ما بين التعارض والائتلاف، الضغط التنازلي والدفع المتعالي، وبتصالح هاتين الميزتين، ميزة اللغة وميزة النص نزعاً من أن الانزياح ليس هدفاً نهائياً للشعرية، وإنما هو وسيلة إلى هدف، وحين يتجاوز حداً معيناً فإن اللغة الشعرية تفقد مسوغ وجودها لسبب بسيط هو أنها ككل لغات الخطاب محكومة بقانون التواصل، قانون الإبلاغ.

تقويم الانزياح

إذا كانت الصلة قوية بين الشعرية/الأدبية والانزياح، فإن ما يحكم أحدهما ينطبق على ثانيهما، وفي دراسة لنا سابقة عن الأولى بينا أنها علم يجمع بين النسبية والمطلق، والتعددية

وتعوم معنى الثاني، وليست الشعرية في أحد مفهوماتها بأكثر من ذلك، إنها هي الأخرى بمختلف تقنياتها وعناصرها انحراف عن قواعد اللغة وترميزاتها وعصيان، من هنا تلتقي الشعرية مع الانزياح ليكون هو أحد تجلياتها، وقد وجد شعراء الحداثة في هذا الفصل مجالاً رحباً للتعبير والتجاوز فأوغلوا فيه بدعوى شتى، منها استقلالية الفن وخصوصيته وصعوبته وانعدام إمكان تطابق العلامات فيه مع الموجودات، وتحت تأثير الرمزية أولاً والسريالية بعد ذلك، راحوا يخترقون بنية اللغة ويرفضون فيها كل توجه نحو التوصل والإبداع، وبلغوا في ذلك الذروة حتى جأ بالشكوى كثيرون.

والسؤال الذي نود أن نسأله: إلى أي مدى يمكن للشاعر أن ينزاح أو ينحرف في بنية نصية لغوية، وهو يتوسل بوسائل من المفردات والكلمات أهم ما تتميز به هو أنها تحمل - شئنا أم أئينا - دلالات تتوجه بها عبر التخاطب إلى جمهور صغر أم كبر، وتريد أن تقول له - شعرياً - شيئاً ما مباشرة أو مداورة؟ أو يمكن لهذا الشاعر أو أي حق له أن يكتفي بلعبة الدوال لينحي جانباً كل دلالة؟

لقد حاولت الرمزية كما حاولت السريالية أن ترفض كل منهما مدلولات الكلمات الإشارية المباشرة، واتكأت على نغمات الأصوات وتدايعات الألفاظ وماتوحيه كلتاهما من معان، وماتستدعيه وتثيره من طاقات تعبيرية، ولكن هل تستطيع الأفكار أياً كان نوعها أن توجد بمعزل عن المدلولات؟ أو هل يمكن للأصوات أن توجد مستقلة عما تحمله من معنى مهما كان لونه أو كانت درجته.

إن الواقعة الشعرية تؤكد أن الأوجه السابقة وسواها من الأوجه حلقات متداخلة ومتشابكة، وليس من السهولة فصم بعضها عن بعض، وإذا كان «الملازمية» الحق في تفسير قصائده التي يكتبها كما يحلو له فيسمي معانيها مثلاً سرايا داخلها لجرسها، فإن مما لاشك فيه أن بناء الكلمات كمعان يجب ألا



دراسة في المفاهيم

التفافه والناحية والفن في منظور علي عزت بيغوفيتش

وتؤكد لنا العشائر القديمة (قبل التاريخية في تعبير بيغوفيتش الذي لا نوافقه عليه، لأننا نرى أنه لا توجد مجتمعات قبل التاريخية حتى ولو عجز التاريخ المكتوب عن رصدها). تُقدِّم لنا هذه المجتمعات القديمة صورا من التحضر (مثل عشائر "أروكيز" Iroquis بأمریکا الشمالية) التي جعلت (أنجلز) يهتف مندهشا: «يا لها من تركيبة رائعة». هذه التركيبة العشائرية في كل بساطتها الطفولية: لاجنود ولا شرطة ولا نبلاء ولا ملوك ولا أوصياء ولا حكام ولايات، ولا قضاة ولا سجون ولا قضايا، وكل شيء يسير في طريقه المعتاد (٤).

وبالإضافة إلى الشواهد والأدلة التي قدمها «بيغوفيتش» من تحليلات (لويس مورجان)، وأفكار مواطنه الآخر الروائي «فيكتور كوبر»، و«إمرسون» في حديثه عن الهنود الحمر في أمريكا «وتولستوي» - الروسي - في أفكاره الاجتماعية عن الفلاحين الروس البسطاء الذين لم تفسدهم الدنيا.

بالإضافة إلى هذه الشواهد فإننا نذكر أن القرآن الكريم الذي استقى منه بيغوفيتش - يقيّن - نسيج أفكاره، قد أكد أن الله سبحانه وتعالى قد زود آدم قبل الهبوط إلى الأرض بحصيلة علمية كافية حين علمه الأسماء كلها، وحين أعطاه منهج الهداية. قال تعالى: ﴿فقال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو، فإذا يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (طه: ١٢٣). بل إن آدم نفسه نزل مزودا بمنهج سماوي: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ (طه: ١٢٢)، وبينما

كانت معالم التفسير الإسلامي للتاريخ واضحة في فكره، متألفة بين سطوره وهو يحاور الفكر الإنساني بعامة، والفكر الأدبي بخاصة.

إن جوهر المنهجية الإسلامية، وسرّها الذي لا يصلح التحليل الموضوعي إلا بفقهه، قد وصل إليه علي عزت بيغوفيتش في كتابه الرائع «الإسلام بين الشرق والغرب» حين وصل إلى أن طبيعة الإسلام في بنائه الرباني تقوم على فكرة «الوحدة الثنائية القطب التي تضم في مركب جديد القضيتين المتصادمتين المنفصلتين في

العقل الغربي ألهما: الروح والمادة، السماوي والأرضي، الإنساني والحيواني، الدين والدنيا (١)». «وهما لا يوجدان معا وجود تجاور وإلا كان جمعا متعسفا، وإنما هو وجود تفاعل وتزواج تنتج عنه كائنات جديدة متكاملة العناصر منسجمة (٢)».

إن استيعاب هذه الفكرة الجوهرية استيعابا علميا من شأنه أن يوفر للباحث الآليات الصحيحة والضرورية - التي تمكنه من التعامل مع الإسلام في مستوياته العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية.

للتاريخ يقرر الباحث (بيغوفيتش) - برؤيته الإسلامية - أن الإنسانية الأولى لم تواجه الطبيعة أو أعباء بقائها وتطورها بفقر كامل - من نقطة الصفر - بل «دخل الإنسان التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل لم يرثه من آباءه المزعومين من الحيوانات» (٣).

وفي كتابه الذي يقترب من أربعمئة صفحة، ويعالج قضايا كثيرة وشائكة كانت هذه الفكرة - وآلياتها - حاضرة وفاعلة، ولم تكن مجرد تنظير عجز عن الارتباط بالتحليل والتطبيق. وعلى العكس من التفسيرات المادية والعقلانية



د. عبدالحليم عريس

أخفق «لويس مورجان» الذي استقى منه بيجوفيتش بعض الشواهد حول المستوى الحضاري لبعض العشائر القديمة - فإن رؤية بيجوفيتش الإسلامية المتحضرة تأتي بواسطة الخبرة والعقل والعلم (٥)، والمجتمعات البدائية التي كانت أكثر منا حرية وإخاءً ومساواة لم يكن لديها الخبرة والعقل والتعلم، بينما تقدم لنا تجربة الحضارة الأوربية، كما قدمت لنا تجربة غزو الأوربيين للقارة الأمريكية - إسبانيا كانوا أو إنجليزاً - أن هذه الثلاثة (الخبرة والعقل والعلم) لم تجعلهم يحترموا الحرية والمساواة والإخاء، بل قاموا بأعمال بربرية يندى لها الجبين. «أليس المستوطنون البيض (المتحضرون!) هم الذين دمروا بطرق منظمة القبائل الهندية والعشائر التي كتب عنها «مورجان»، واستخدموا في ذلك أساليب لم يسبقهم إليها أحد في التاريخ الحديث؟ لقد كانت الحكومة الأمريكية - حتى منتصف القرن التاسع عشر - تدفع مبلغاً من المال لمن يأتي بفرو رأس هندي. وخلال ثلاثة قرون من الزمن، استمرت التجارة الشائنة في العبيد السود عبر الأطلنطي جنباً إلى جنب مع نمو الحضارة الأوربية - الأمريكية، وكجزء لا يتجزأ من هذه الحضارة. ولم تنته هذه التجارة قبل سنة ١٨٦٥ م. وقُدِّر عدد الذين وقعوا في الأسر فريسة للصيد البشري - بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة - خلال هذه الحقبة بين ١٣ إلى ١٥ مليون إنسان حر - علماً بأن العدد الحقيقي لن يُعرف أبداً» (٦).

ولماذا نتحدث عن وحشية (الخبرة والعقل والعلم) في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وبين أيدينا تجربة البشرية مع (الإمبريالية) الحديثة. فهذه (الإمبريالية) الأوربية تُفصح عن وجهها البشع في كل مكان بعنفها وخداعها ونفاقها واستعبادها، كما تبدو في تدمير جميع القيم المادية والثقافية والأخلاقية للشعوب البدائية الضعيفة (٧).

ويأتي النظام الدولي بوجه أكثر بشاعة وأثانية وبربرية مثلاً في اتفاقية الجات، وفي مؤتمر السكان الذي لم يقدم للعالم غير الأبيض أية مساعدات في مجال التنمية، وكان هدفه المحدد القضاء على النمو السكاني للعالم الإسلامي والعالم الثالث بعامه.

وهنا، يظهر لنا بيجوفيتش، رصانة منهجه الذي يرفض الاستسلام للأحكام العامة الشائعة، بل يسير أعماق الحقائق، فيرفض ذلك الحكم العام الجائر الذي يظلم العصور الوسطى، ويجعلها - حتى من ظلال المصطلح نفسه، تبدو وكأنها مجردة من الحسنات. إنه هنا يدين المنهج المادي والكمي والشيئي في تفسير التاريخ، ويُعلي من شأن المنهج الحضاري الروحي، الذي

هو - عندما يكون شاملاً لشتى العناصر الفاعلة وموازناً بينها - المرادف للمنهج الإسلامي. فبالرغم من سيادة الفقر والشقاء وسوء الأحوال الصحية، فإن مجتمعات العصور الوسطى كانت تتمتع بصحة باطنية، كان هذا العصر عصر قوة الروح التي من دونها ما كنا لنفهم القوى والإلهامات التي حملت الإنسان الغربي إلى عصره الحديث. هذا العصر، دون تقدم علمي أو تقني استطاع أن يُدع شيئاً وصفه (الفريد نورث هوبنهايم) بأنه «تقدم كيني» (٣). وبالطبع فإن بيجوفيتش يتكلم عن المحيط الأوربي ولم يمد الطرف هنا للمحيط الإسلامي الذي كان يعيش في عصر آخر، في الحقبة التاريخية نفسها. فالتران لا يعني التعاصر، وليس هناك أحادية حضارية، كما يروج باعة الحضارة الأوربية المتجولون في الصحافة العربية!

الفن والتاريخ

وإذا ما أقلعنا من مَحَاط الحديث عن (الإنسانية الأولى) ونحن بصدد الحديث عن (الثقافة والتاريخ) في فكر علي بيجوفيتش. فإننا نجد أنفسنا في مواجهة قضية (الفن والتاريخ).

ولو أننا استجبنا للإيحاءات الأولى لحديث بيجوفيتش لتصورنا أنه لا توجد علاقة بين الفن والتاريخ؛ إذ إن الفن بمعنى من المعاني خارج عن الزمن والتاريخ، وليس له تطور ولا تاريخ بالمعنى العادي للمصطلح (٨)، ومعنى كلامه هذا أن ما يسمى بتاريخ الفن - كمصطلح وعلم - لا وجود له، بل هو تلفيق لتناقضين لا يلتقيان.

ومع أننا نغرد الفن من التراكم المعرفي، وتأثير التطور العلمي، على النحو الذي يذهب إليه الباحث، ونرى أن يخضع لومضات روحية لا ترتبط بعصر، ولا تحررها العوامل التي تحرك التقدم العلمي والآلي.

إلا أننا مع ذلك - نرى أن الفن يحمل في طياته روح عصره، وأنه يرتبط - بمعان كثيرة - بالتاريخ، وإن كان التاريخ (الزمن) لا يحكمه كما يحكم العلم والمدينة والمادية والشيئية.

إن الفن لا يخضع للتطور، كما لا تطور في حياة الفنان، وكل فنان يبدأ من جديد كأنه لم يسبقه أحد بإبداع أي شيء قبله، وهو لا يستخدم خبرة أحد، عكس العلم فإن تراكم الخبرة افترض سابق.

هكذا يرى بيجوفيتش أن الفن المبدع لا يخضع للخبرة ولا للتاريخ، بل هو على العكس من العلم لا يخضع لمقاييس الطفولة والرجولة، فالأطفال في الفن مثل الكبار. ويقول بيجوفيتش: إن ييكاسو بدأ الرسم وهو في الثانية من عمره، وكان تولستوي يناقش مع الأطفال

أعمق المسائل الدينية والأخلاقية. ففهم الفن والدين والأخلاق لا يأتي من الذكاء والمنطق، وإنما يأتي من الحياة الجوانية للإنسان.

وهكذا تقف الثقافة الإنسانية على أرض غير الأرض التي يقف عليها العلم المحتاج دائماً إلى الخبرة والعقل. وكذلك يبدو لنا أن الإنسان - بجانيبه الوجداني والروحي - عنصر ثابت في التاريخ.

إننا نؤيد المؤلف في كثير مما قاله، وفي أن فنون العصر الحجري القديم أرقى من فنون العصر الحجري الحديث، وأن تاريخ الثقافة لا يمضي متوازياً مع تاريخ المدينة، فلكل طريقة.

وجدير بالذكر هنا أننا نستعمل مصطلح (المدينة) من عندنا، فالمؤلف لم يستعمله أبداً، وإنما استعمل مصطلح الحضارة، ونحن نقدمه بديلاً لمصطلح الحضارة الذي يستعمله المؤلف الذي نظن - وقد نكون مخطئين - أنه هو المصطلح الذي يقصده بيجوفيتش، وأن الترجمة هي التي استخدمت مصطلح الحضارة هذا، ولها عذرها، فمصطلحا (الحضارة والمدينة) في اللغات الأوربية الشائعة مصطلح واحد تقريباً (Civilization) حسب علمنا المحدود!! بل نحن نرى أنه على امتداد صفحات الكتاب يجب أن يحل مصطلح المدينة محل مصطلح الحضارة. فالتحديد الاصطلاحي الذي يلتزمه الباحث لمصطلح الحضارة لا يتفق مع ما تميل إليه البحوث الإسلامية الحضارية في الأعم الأغلب. إنه يرى الحضارة «استمراراً» للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، التبادل المادي بين الإنسان والطبيعة (٩)، وهي - عنده - عكس الثقافة التي «تبدأ بالتمهيد السماوي بما اشتمل عليه من دين وفن وأخلاق» (١٠) والحضارة - عنده أيضاً - استمرار للتقدم التقني لا الروحي (١١)، «أي استمرار للعناصر الآلية غير الواعية» (١٢). إنها تعبير عن الضرورة وعن النقص في حريتنا (١٣)، وكل هذه النعوت - في رأيي - تنطبق على المدينة، و(الثقافة) هي الضد للمدينة أو المكمل لها، أما الحضارة - بمعناها في المحيط الإسلامي - فهي ما يشمل الثقافة والمدينة معاً.

ومن هنا يحق لنا أن نقدم اقتراحاً عند إعادة طبع هذا السفر الكبير «الإسلام بين الشرق والغرب» أن تستبدل بكلمة الحضارة كلمة المدينة على امتداد الكتاب، ونحن على يقين أن هذا الكتاب قد وُلد ليبقى، وليؤثر في حركة تاريخنا الحديث بإذن الله.

وإذا ما عدنا إلى المؤلف - بعد هذه الجملة الاعتراضية - فإننا نوافقه ونسير معه في انقسام العلاقة بين الفن والمدينة، فلعل فنون الفراعنة والدراما والتراجيديا الهلنستية

دراسة في المفاهيم الثقافة والتاريخ والفن في منظور علي عزت بيغوفتش

أعظم من الإنجازات الفنية في عصرنا الحديث. عصر الطائفة والصاروخ. بل إننا نؤيده في أن تقدم الفن، بل والعقل والروح قد يمضي في طريق معاكس لتطور المدنية، ففي فترة الهبوط المدني والسياسي يرتفع الفن إلى قمته. ويرى هيجل أن اليونان القديمة كانت العصر الذهبي للفلسفة، وفي القرن العاشر الميلادي الذي يسمونه «قلب الليل المظلم» (لأنه قلب العصور الوسطى) بلغ الفن ذروته، فأبدع أعمالاً ذات جمال وانسجام لا يبرزه جمال أو انسجام آخر (١٤).

العلوم الإنسانية أثبتت من العلوم الطبيعية

وقد بقيت فلسفة أرسطو ومنطقه. لكن ماذا بقي من طبيعياته أو من فلك بطليموس أو من طب جالينوس؟ (١٥) ولعل المؤلف هنا قد استعان كثيراً بما كتبه «ول ديورانت» في كتابه «مباهج الفلسفة» عندما أشار إلى أن الثبات في العلوم الإنسانية أكبر من الثبات في العلوم الطبيعية، على العكس مما يعتقده الكثيرون. وأياً كان الأمر، فإن الباحث هنا يريد أن يفرق - وهو صادق - بين خط الثقافة، بفنونها، وأخلاقياتها، ومبادئها، والمدنية (أو الجانب المادي من الحضارة)، وما يقوله هنا بعد رسالة إلى الحضارة الأوربية التي تريد الزعم بتفوقها في كل شيء، وتريد أن تجعل العلم والخبرة والعقل هي مقاييس التقدم الحضاري متجاوزة القوانين الداخلية للفن والإبداع الخالد. بل إن المؤلف ليصرح بأن الغزو الإفريقي الفني هو الذي يؤثر في الحضارة الأوربية والأمريكية المعاصرة. بل يمكن اعتبار الفن الإفريقي من مصادر الحركة الثورية في الفن الغربي. بينما لانستطيع في الوقت نفسه أن نعقد موازنة جادة بين أوروبا وإفريقيا فيما يتعلق بالعلم والاقتصاد والتكنولوجيا والتنظيم (١٦).

إن الحضارة - كما قدمها ابن خلدون ومالك بن نبي ومدرسة التفسير الإسلامي للتاريخ - تنظيم الجوانب المعنوية والروحية والثقافية، وهي تقدم التسييرات المختلفة التي من شأنها أن تقدم السعادة للإنسانية في جوانبها المتعددة المتقابلة المتكاملة جسدية وعقلية ونفسية وروحية.

وهكذا تشمل الحضارة النشاط الإنساني في شتى مجالات الآداب والعلوم والفنون، كما تشمل أيضاً صور الإنتاج المادي من عمائر وطرق وجسور

وقناطر وغيرها (٢).

ومن هنا يؤكد بحق المفكر الهندي (فيهاري داس) أستاذ الفلسفة بجامعة سوجار بالهند أن «الحضارة في جوهرها تقوم على الكائن البشري لا على الأشياء المادية، والناس هم متحضرون أو غير متحضرين وفقاً لبعض مزاياهم الروحية». وهذه الأصول الفكرية النفسية الروحية في الكيان الحضاري ضرورية لتكتمل الحضارة وتكون حضارة بحق. ويحرص المفكرون المسلمون المعاصرون على تأكيد هذه الحقيقة؛ فبناء الكيان الحضاري يقوم على أربع قواعد: الإيمانية الأخلاقية، والجمالية الفنية، والتقنية الصناعية، والثقافية العرفانية. وباختلاف كل هذه العناصر وترتيب قواعد الكيان الحضاري تختلف الحضارات الإنسانية ويكون تميزها عن سواها (١٧).

وإذا كانت «المدنية» هي الجانب المادي أو الثقافي (التكنولوجي) في الحضارة فإن أساس الحضارة المعنوي الفكري الذي تقوم عليه الحضارة بمعناه الشامل الجامع Culture هو وجود نظرة إلى العالم أو نظرة جامعة Weltanschauung كما يقول الألمان (١٨).

الشعراء والفنانون: انتماء لجميع العصور باختصار: إن العلماء ينتمون إلى عصرهم فقط، أما الشعراء - والفنانون جميعاً - فينتمون إلى كل العصور، وهذا ما ترفض الحضارة الأوربية الاعتراف به، وهي تحاول سحق كل الثقافات، وإلغاء حوار الحضارات.

في المخطط الثالث فيما يتعلق بعلاقة الثقافة بالتاريخ يعالج (بيغوفتش) علاقة الأخلاق بالتاريخ، وهو ماضٍ في استعمال مصطلح الحضارة، ولهذا فهو يرى الحضارة خطاً صاعداً على الدوام منذ اكتشاف النار إلى الحديد إلى الكتابة والآلة، وهذا في الحقيقة هو خط المدنية، أما خط الحضارة ففيه كثير من التراجعات، بل والنهائيات التي تعقبها بدايات أخرى.

وإذا تجاوزنا هذه النقطة الاصطلاحية، فإننا نوافق الباحث في كثير مما يراه حول علاقة الأخلاق بالتاريخ. فالمقدمة السماوية التي تلد الأخلاق الحقة ثابتة في التاريخ البشري لا تتعلق بأية رؤية نسبية، وجوهر مقدمه الأنبياء والمصلحون في التاريخ كله واحد لا يتبدل، ولم يكن كل هؤلاء في حاجة إلى الخبرة والعقل والعلم، وهم يقررون أخلاقاً ذات جوهر واحد، وكأنها وصايا عشر أو عشرون. واحدة دون تغيير!

إن الوصايا الأخلاقية الجوهرية لا تتأثر بالزمان والمكان أو الظروف الاجتماعية والسياسية فعلى عكس مناره في النظم الاجتماعية والسياسية من اختلافات

كبيرة في درجات تطورها - وحتى في رموزها الدينية وعقائدها - نجد تماثلاً عجيبياً للمبادئ الأخلاقية في أنحاء العالم (١٩).

إن هذا الجوهر الأخلاقي يتحقق عند «كانت» في مبدئه المشهور «الالتزام المطلق» وهو مبدأ موجود عند المفكرين الأقدمين أيضاً. وقد عرفه «كانت» لأول مرة في كتابه «أسس ميتافيزيقيا الأخلاق» كما يلي: «اعمل فقط وفقاً لمبدأ تريد أن يكون قانوناً عاماً، ثم عرّفه بعد ذلك في كتابه «نقد العقل الخالص» فقال: «اعمل بطريقة يكون فيها المبدأ الذي أردته صالحاً لأن يكون مبدأ لتشريع عام» وعندما سئل طالس وهو أحد الحكماء الإغريق السبعة (ولد في ٦٢٤ ق.م): كيف نحقق حياة أكثر استقامة فأجاب: عندما لاتفعل ماتستهجن فعله من جانب الآخرين (٢٠).

وأخير - لتذكر - أننا في ختام هذا العرض الوجيز - قد تحدثنا فقط عن رؤية علي عزت بيغوفتش في قضية واحدة محددة هي علاقة الثقافة بالتاريخ والحضارة. ولقد حاولنا تقديم الأفكار الأساس، وقدمنا بعض النقد، واحتلفنا في استعمال بعض المصطلحات. لكننا نؤمن بأن كلماته هي الأعمق والأقدر على تقديم أفكاره. وبأن كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب» يبشر بعصر جديد ذي أعماق ثقافية موسوعية عالمية في الكتابة الإسلامية، وفي أسلوب الحوار مع الآخرين بعامة ومع الحضارات بخاصة.

الهوامش:

- ١ - علي عزت بيغوفتش: الإسلام بين الشرق والغرب، طبع مجلة النور، ومؤسسة بافاريا ص ١٨ (المقدمة بقلم الأستاذ محمد يوسف عدس)
- ٢ - المكان السابق وانظر صفحات: ٢٧، ٣٣ وما بعدها.
- ٣ - المصدر السابق ص ٢١٩
- ٤ - المصدر السابق ص ٢٢٠
- ٥ - المصدر السابق ص ٢٢٢
- ٦ - المصدر السابق ص ٢٢٣
- ٧ - المصدر السابق ص ٢٢٣
- ٨ - المصدر السابق ص ٢٣٥
- ٩ - المصدر السابق ص ٩٤
- ١٠ - المكان السابق
- ١١ - ١٣، ١٤، ١٥ - المكان السابق
- ١٢ - المصدر السابق ص ٢٢٩
- ١٣ - المصدر السابق ص ٢٣٠
- ١٤ - انظر: د/محمد فتحي عثمان - القيم الحضارية في رسالة الإسلام - المدار السعودية للنشر ط ١٤٠٢/١ هـ ص ١٦، ١٧
- ١٥ - المرجع السابق ص ٢٠
- ١٦ - المرجع السابق ص ٣١
- ١٧ - المصدر السابق ص ٢٣٣
- ١٨ - المصدر السابق ص ٢٣٤

مع الموسوي الرُّسِّي في رحلته (٤)

نزهة الجليس ومدينة الأديب الأندلسي

« ٤ »



حلقات يكتبها:
حمد الجاسر

منية العميد، غزَّيلٌ صاد ماصيد

رئم في (العقيق) حكي البدرين تحقيق

كيف أنا أفيق وسكري....

وساق مقطوعات كثيرة من نوع هذا

الكلام الفج الممجوج استغرق من الرحلة

ثلاث صفحات ولكن كما يقال:

لكل ساقطة في الكون لاقطة

وكل باثرة يوما لها سوق

حول الشعر العامي

من المدرك بداهة أن بلاغة الكلام وتأثيره

في السامع وأداءه المعاني المتوخاة من ذلك لا

يتوقف على كونه فصيحاً، مطابقاً للأساليب

العربية الصحيحة، صرفاً ونحواً وصحة

مفردات، بل في الكلام العامي من شعر

وأمثال وحكم ما يكون له أبلغ التأثير، إذ

البلاغة والفصاحة ووضوح الكلام مما

لا يختص بما كان جارياً منه على الأساليب

العربية الفصيحة، وهذا مما لا يحتاج إلى

تفصيل، إلا أنه يحسن إيراد كلام العلامة ابن

خلدون حوله في الفصل الذي خصصه في

مقدمته بعنوان «فصل في أشعار العرب وأهل

والموسوي المكي لا يكتفي بإيراد تراجم

الولاة والعلماء والشعراء، بل قد يترجم بعض

شعراء العامية، ومن ذلك ما كتبه عن السيد

شُبَيْر بن مبارك بن فضل بن مسعود بن

الشريف حسن، ومع أنه وصفه بأنه طرّة تاج

بني الحسن، وباقعة ذوي البلاغة واللسن،

أديب لانت له المعاني الصعاب، إلى آخر

ما أضفي عليه من عبارات المدح والثناء من

وصفه بالشجاعة والكرم، والبلاغة، وأن

العفاة كانت تقصده من كل مكان، وكان

مقيماً في الطائف (١) وأنه توفي في مكة

المشرقة ثالث وعشرين جمادى الأولى سنة

١١٣٨هـ، ولكنه لم يورد له سوى موشحات

وصفها بالركة والأناقة، وكلها باللغة العامية،

بأسلوب ركيك، ومعانٍ مبتذلة منها:

صاحب الزمام، أبوستة مشالي

في الورش إمام، لربأت الحجال

حالي الوشام، نشرفي الحب أعلام

قد حوى نظام، ييارز كل من رام

حاني الجعيد، صدوده والرضا عيد

الأمصار لهذا العهد). فبعد أن أوضح أن الشعر موجود في طبيعة أهل كل لسان، مع الاختلاف في الموازين بالنسبة للمتحرّكات والسواكن في الكلمات، وتقابلها مما هو موجود في طباع البشر، قال عن شعر ذلك العهد (٢): «ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة، وفيهم الفحول والمتأخرون عن ذلك، والكثير من المتحليين للعلوم لهذا العهد، وخصوصا علم اللسان، يستنكر هذه الفنون التي لهم، إذا أسمعوها، ويمجّ نظمهم إذا أنشد، ويُعتَقَد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها، وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له ذوقه وطبعه ببلاغتها، إن كان سليما من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود، ولتقتضى الحال من الوجود فيه، سواء كان الرفع دالاً على الفاعل، والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس، وإنما يدلُّ على ذلك قرائنُ الكلام، كما هو في لغتهم هذه، فالدلالة بحسب ما يسطّح عليه أهل الملكة، فإذا عُرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة، وإذا طابقت الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك» انتهى.

وحقا ما قال هذا العالم فإن في أشعار العامة من أبناء البادية وغيرهم ما كان أسمى مقاماً في معانيه وبلاغته من الأشعار التقليدية الفصيحة التي كانت معروفة إلى عهد ليس ببعيد، كما تحدث عن هذا بتفصيل الدكتور طه حسين في محاضرة له

عن «الحياة الأدبية في جزيرة العرب»، وأشار إلى أنه يستلذ بسماع بعض الأشعار العامية بينما يمجّ سماع قصائد من النظم الفصيح لشعراء سمامهم.

وتدعوني المناسبة لأن أشير إلى أن بعض الإخوة زعم فيما نشر في إحدى الصحف أنني لأستلذ سماع الشعر العامي، ولأرتاح له، وهذا الزعم ناشئ عن خطأ فهم، فالشعر أيا كان وبأي أسلوب نُظم، حسنه حسن ترتاح له ذوو الطباع السليمة، وسيئه مكروه مرذول أيا كان قائله، ومهما كان الأسلوب الذي نُظم به، ولقد كنت أستشهد بالشعر العامي في أثناء تحديدي للمواضع الجغرافية، وكتبت مقدمة ضافية عنه في الجزء الأول من كتاب «شاعرات من البادية» ذكرت فيها بعض خصائصه، ولكن تكشف لي فيما بعد أن هذا النوع من الشعر دخله التزييف والتحريف، منذ ما يقرب من نصف القرن الماضي فما بعده، ومن هنا رأيته فقد الكثير من خصائصه وميزاته، بما لاداعي للإفاضة في تفصيله، إلا أنني أكرر القول بأنني أحفظ منه مختارات، وأستلذ لسماعه، وأجد في معانيه وأخيلته وتصويره لجوانب من حياتنا ما يرغبني في الاستدلال بالجيد الصحيح منه كالمحاورة المنسوبة إلى محمد بن هادي بن قرملة شيخ قحطان وراكبان بن فلاح بن حثلين شيخ قبيلة (العجمان) التي منها ما ينسب إلى ابن هادي:

لي لآبة حدرتها من (تهامة)

وسلاحها صنع الفرخي والأروام (٣)

لا بد من يوم يثور قتامة

أما علي (المطران) وأما علي (يام) (٤)

يا ذا البهْم بالعون تباري الجهامه

حتى تجي من بين (صفوا) و (الأوجام) (٥)

ومما ينسب إلى راكان قوله في الرد عليه:

ياراكب حرّ تشدّر سنامه

نيه جديد وزادنيّه من العام (٦)

ملّفاك ابن هادي كبير العمامه

راعي البويضا اللي على الحرب عزام (٧)

أهديت لك نور السلف والجهامه

أنغيك ذخري في مقادير الأيام (٨)

غديت انا وأياك مثل النعامه

جاها بلاها من ثقلات الاقدام (٩)

إن كان تبغي سابقك والسّلامه

فلاتحدّر بـ (الجحادر) على (يام) (١٠)

حُرّم عليك النوط فكّة بلامه

مادام فيها واحد من ضنا يام (١١)

في هذه المحاورة بين شيخين من شيوخ البادية ما كان يوضح جوانب من الصراع بين القبائل العربية على الانتشار في هذه الجزيرة، قبل أن يمين الله عليها بتوحيد أجزائها والقضاء على جميع أسباب العداء والشقاق والاختلاف بين سكانها من بادية وحاضرة، وانتشار الأمن والرخاء والعدل في مختلف ربوعها - منذ عهد موحدّها - رحمه الله - إلى عهدنا الذي ننعّم فيه بالنعّم، ممّا لا يقدرها حق قدرها، إلا من أدرك أو تصور أو عرف ما كانت تضطرم به أرجاء هذه البلاد من فتن وحروب، وشرور، ومحن، فالحمد لله على زوال جميع ذلك وشمول الأمن والطمأنينة والراحة لجميع العباد والبلاد.

وتحسن العودة إلى ماسجله الرحالة من أنباء رحلاته ما له صلة بهذه البلاد، لقد ذكر أنه عاد من بلاد الشرق (إيران)، و (الهند) إلى

وقد عبّدت الخيزران (١٤) زوجة الخليفة المهدي العباس، وأم ابنه الهادي وهارون الرشيد المتوفاة سنة ١٧٣ هـ عبّدت الطريق فيما بينها وبين (أباله) وأصلحته، وهبأت فيه حياضاً وبركا تجمع مياه السيول، وكان الحاج العراقي يمر ببلية في بعض الأزمان، وفي ليلة حدثت وقعة في أول القرن السادس الهجري بين حاكم الأحساء محمد بن أحمد بن عبد الله العيوني وبين رؤساء بني ربيعة من طيء، فكان النصر لحاكم الأحساء على قبائل طيء كما أوضح ذلك ابن مقرب في شعره.

الهوامش:

- ١ - ج ١ ص ٢٢٦.
- ٢ - ص ٦٥٨ «مقدمة ابن خلدن» الدار التونسية للنشر.
- ٣ - لابة: جماعة وهو لا يقصد أن قبيلته فحطان من تهامة، وإنما يقصد أنهم من السراة المطلة على تهامة. صنع الفرجي: يقصد بصنع الفرجي: البنادق.
- ٤ - القاتم: الغبار الذي يغطي الجو إثر غارات الحرب. المطران: قبيلة مطير. بام: يقصد العُجْمان فهم بطن من بام.
- ٥ - البهم: صغار الغنم من الضأن والمعر. الجهامة: مجموعة من البادية حين يرملون بأنعامهم. صفوا والأوجام: قربان بقرب القطيف على مقربة من خليج البحر، تحدثت عنهما في قسم المنطقة الشرقية، من «المعجم» وهو يقصد إغراقهم في البحر. يتوعدهم بهذا.
- ٦ - الحر: التجيب من الإبل. تشذر: أي ارتفع وصار ذا شذرة من السمن. نه: شجعة.
- ٧ - ملفاك: مقصدك. كبير العمامة: كان ابن هادي متدياً بلبس العمامة الكبيرة. البويضا: ابله التي يعتز بها. اللي: الذي.
- ٨ - نور السلف والجهامة: خيار إبله.
- ٩ - غديت: أصبحت. جاها بلاها من ثقبيلات الأقدام: أي أتاها الضر من حيث ترجو النفع، فالعمامة ترجو أن أقدمها أن تساعدها على الطيران ولكنها بالعكس.
- ١٠ - الجحادر: فرع من فحطان قوم ابن هادي.
- ١١ - النوط: هو جلة النمر (القلة). فكة بلامة: فتح فمه. والبلاد عود بوضع في فم ابن الناقة لئلا يرضعها.
- ١٢ - ج ١ ص ٢٢٢.
- ١٣ - انظر رسم (القرزة) في «معجم البلدان».
- ١٤ - أصلها جارية بنية الأصل، من جوازي المهدي فأعقبها وتزوجها، ولما مات وولي ابنها الهادي انفردت بتصريف كثير من الأمور حتى توعدتها، فساعدت على قتله وهو مريض، وقد حجت فأصلحت كثيرا من طرق الحج بعمل البرك وتسهيل العقبات، وأنفقت أموالا كثيرة في ذلك، وفي الصدقات ومختلف وجوه البر.

خضراء آبار كثيرة، وماؤها كان عذبا ينقل إلى الثعلبية منهل الحجاج القديم المعروف، وكانت حديثا من مناهل قبيلة عبْد من شمر، ويقع المنهلان شرق مدينة حائل بمسافة تقارب ٢٥٠ كيلا، تقع لينة في الطرف الشمالي الشرقي من نوازي الدُغم التي هي امتداد للدَّهْناء بقرب طريق الحج الكوفي (على خط الطول: ٤٥/٤٣ وخط العرض: ٢٨/٤٣) وهي من أشهر موارد البادية يتبعها عدد من المناهل في تلك الجهة، وانظر للتوسع عنها قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

ومنذ القدم والعامية ينسبون صنعة كل شيء خارجا عن مقدرتهم ينسبونه إلى الجن، والواقع أنه من عمل أناس من الإنس أوتوا قوة ومقدرة ومعرفة فاستطاعوا فعل ذلك، وكذا يقال في اسم (لينة) إذ العامية تعلق الأسماء التي تجهل معناها تعليلًا يقرب من أذهانهم، وقد يلجئهم هذا إلى أن يغيروا الأسماء القديمة كما فعلوا في اسم (أسنان بلالة)، وهي شناخيب في جبل العارض (العَرْمَة) يدعها المتجه من الرياض إلى الخرج يساره فسموها (ثنايا بلال) (١٣)، وقد كانت لينة من أعظم مياه تلك الناحية، إذ وصفها صاحب كتاب «بلاد العرب» بأنها ماء عظيمة، من أعظم مياه بني أسد، أكثره أفواها، وأعظمه نطفة، وأغزره جمًا وأوسمه أعطانا، وقال فيها زهير بن أبي سلمى المزني:

كَأَنَّ رِقَّتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اغْتَبَتْ

مِنْ طَيْبِ الرَّاحِ لَمَّا يَعْدُ أَنْ عَتَقَا

شَحَّ السَّقَاةَ عَلَى نَاجِدِهَا شِمَا

مِنْ مَاءِ لَيْنَةٍ لَا طَرَقًا وَلَا رِنَقَا

مكة المكرمة التي غادرها في آخر ذي الحجة عام ١١٣١ هـ، عاد في شهر رمضان من السنة المذكورة، فكانه أمضى في تلك البلاد نحو تسعة شهور، وتحدث عن عودته من مدينة (أصفهان) بإيجاز، وأنه سار مع أمير الحاج من دون أن يُفصل أنباء تلك العودة، بل اكتفى بالقول: (فعدنا إلى مكة من الطريق التي أتينا منها، ولم نزل في حطّ وشيلّ آناء النهار وأطراف الليل إلى أن أتينا أرضاً (لينة) وهي من أراضي نجد الأمينة، وبها آبار كثيرة بالعذوبة مشهورة، وكلها من الصخر منقورة، سمعت من بعض الأجواد أنها من عمل قوم عاد، فتنزل كل فرقة من الحجاج على بئر منها» (١٢). إلى آخر ما ذكر.

وقد تحدثت بتوسع عن (لينة)، وأوردت أقوالاً للمتقدمين عنها، وأنها كانت قديماً من مياه بني أسد، وأن من المتقدمين من ذكر أن شياطين سليمان احتفروا آبارها حين خرج من أرض بيت المقدس يريد اليمن، فتغدّى ببلية وهي أرض خشناء، فعطش الناس وعزّ عليهم الماء فضحك شيطان كان واقفاً على رأس سليمان، فقال له: ما الذي يضحكك، فقال: أضحك لعطش الناس وهم على لجة البحر! فأمرهم سليمان أن يضربوا بعصيتهم فأنبطوا الماء.

لا يعنينا هذا، ولكن إirاده ناسب الإشارة إلى خرافة لاتزال العامة تتناقلها وهي: أن آبار لينة وخضراء حفرهما الشياطين لسليمان، وكان الواحد منهم يفرك الصخر بأليتيه قائلا: (خضراء ليني !! خضراء ليني !!) متغنيا بهذا أي أيتها الصخرة القاسية الخضراء اللون كوني لينة، ومن هذا سمي المنهلان (خضراء)، و(لينة)، وهما متقاربان، وكان في

قصيدة

غريب الألفاظ

(١) أَخْلَقْتُ: بَلَيْتُ.

(٢) العميد: الَّذِي هَذِهِ الْعَشَقُ وَالْغَرَامُ.

(٣) النواصي: جَمْعُ نَاصِيَةٍ، وَيَقْصَدُ بِهَا

الضغينة مِنَ الشَّعْرِ، وَالتَّرَاقِي: أَعْلَى الصَّدْرِ.

(٤) الحفريات: مِنَ الْحَفْرِ وَهُوَ الْحِجْلُ

وَالْحَيَاءُ، وَالْأَحْدُوثة: مَا يُتَحَدَّثُ بِهِ.

(٥) حزازات الشوق: أَوْجَاعُ الْقَلْبِ،

أَذْوَدَهَا: أَدْفَعَهَا وَأَدَارِيهَا.

(٦) الجوى: نَارُ الشَّوْقِ وَشِدَّةُ الْوَجْدِ.

كَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ عَمَلِي

الوظيفي، عِنْدَمَا عَيَّنْتُ مُرَاقِبًا فِي مَدْرَسَةِ

دَاخِلِيَّةٍ، وَكَانَ عَمَلِي يَبْدَأُ عِنْدَمَا يَعُودُ الطُّلَابُ

إِلَى الْقِسْمِ الدَّاخِلِيِّ مَسَاءً، يَسْتَرِيحُونَ قَلِيلًا مِنْ

عَنَاءِ تَلَقِّي الدَّرُوسِ فِي النَّهَارِ، ثُمَّ يَخْضَعُونَ

لِبَرْنَامَجٍ يَوْمِيٍّ مِنَ الْمَطَالَعَةِ يَسْتَمِرُّ حَتَّى السَّاعَةِ

الْعَاشِرَةِ لَيْلًا، ثُمَّ يَأْوِي الطُّلَابُ إِلَى مَهَاجِعِهِمْ،

أَمَّا أَنَا فَتَفَرُّضُ عَلَيَّ طَبِيعَةُ وَظِيفَتِي أَنِ أَسْتَمِرَّ

سَاهِرًا حَتَّى الصَّبَاحِ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ

هَذِهِ الْأَجْهَزةُ الَّتِي تَسْرِقُ مِنَ النَّاسِ أَوْقَاتَهُمْ

وَأَيَّامَهُمْ وَلِيَالِيَهُمْ وَالسَّاعَاتِ الْخَصِيصَةَ مِنْ

حَيَاتِهِمْ، هَذِهِ الْأَجْهَزةُ الْمُسَمَّاةُ بِالتَّلْفَازِ

وَالْفِيدْيُو، وَجِهَازُ الاسْتِقْبَالِ، وَمَاتَقَدَّمَهُ مِنْ

مَسَلْسَلَاتٍ وَأَفْلَامٍ وَأَغَانٍ وَرَقَصٍ وَأَلْوَانٍ مِنْ

عَبَثِ الشَّبَابِ تَسْتَهْلِكُ الْوَقْتَ وَالْجِسْمَ وَالْفِكْرَ،

وَتَحْبِبُ إِلَى الْمَرْءِ حَيَاةَ الدَّعَةِ وَالْفَتُورَ، وَتَبْعِدُهُ عَنْ

الْحَيَاةِ الْجَادَةِ الْفَاعِلَةِ، وَكَانَ الْبَدِيلُ لِكُلِّ هَذَا

الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي أَيْمَانِنَا هُوَ الْانْصِرَافُ إِلَى

الْقِرَاءَةِ وَالْمَطَالَعَةِ وَمَعَاشِرَةِ الْكُتُبِ. وَأَنَا مَدِينٌ

بِثِقَافَتِي لِتِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنْ حَيَاتِي، فَقَدْ وَجَدْتُ فِي

مَكْتَبَةِ الْقِسْمِ الدَّاخِلِيِّ الْجَمَّ الْغَفِيرِ مِنَ الْكُتُبِ،

فَرُحْتُ أَطَالَعُهَا فَتَعَمَّقْتُ فِي هَوَايَةِ الْقِرَاءَةِ،

وَكُنْتُ امْرَأَةً نَهَمًا بِالْقِرَاءَةِ، وَشَجَعَتْ فِي نَفْسِي

هَذَا النِّهَمَ الْفِكْرِي، وَاهْتَدَيْتُ إِلَى تَنْظِيمِهِ،

وَكَانَ التَّنْظِيمُ يَقْتَضِرُ عَلَى دَعَامَتَيْنِ: مَاذَا أَقْرَأُ؟

وَكَيْفَ أَقْرَأُ؟

أَخَذْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى مَكْتَبَةِ الْقِسْمِ الدَّاخِلِيِّ

لَيْلًا وَنَهَارًا، وَأَصْبَحَ لِي بَيْنَ الْكُتُبِ أَصْدِقَاءُ؛

ليلة المريضة في العراق

د. محمود جبر الربداوي

قال الشاعر:

وُخِبْتُ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيَرُ بَعْدَنَا
وَهَلْ أَخْلَقْتُ (١) أَثْوَابُهَا بَعْدَ جَدَةِ
خَلِيلِي، ثُمًّا بِالْعِمَامَةِ وَاعْصَبَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي
فَسُودَ نَوَاصِيَهَا (٢)، وَحُمِرَ أَكْفُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلِي أَزُورُهَا
مِنَ الْحَفَرَاتِ (٣) الْبَيْضِ، وَدَّ جَلِيسُهَا
مُخَصَّصَةَ الْأَوْسَاطِ، زَانَتْ عَقُودَهَا
يَمِينِنَا حَتَّى تَرَفَّ قُلُوبُنَا
خَلِيلِي، إِنِّي الْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكُمَا
حَزَازَاتِ (٤) شَوْقٍ فِي الْفُؤَادِ وَعَبْرَةٍ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسْرُنِي
إِذَا جِئْتُهَا وَسَطَ النَّسَاءِ مَنَحَتْهَا
وَلِي نَظْرَةً بَعْدَ الصَّدُودِ مِنَ الْجَوَى (٥)
رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَجْهِهَا

فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا
أُبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
مَلَا حَاجَةً عَيْنِي أَمْ يَحْيَى وَجِيدُهَا؟
أَلَا حَبِذَا خَلْقَانُهَا وَجَدِيدُهَا
عَلَى كَبَدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَمِيدُهَا (٦)
إِذَا قَدُمْتُ آيَاتُهَا وَعَهْدُهَا
وَصَفَرُ تَرَاقِيهَا، وَبَيْضُ خَدُودِهَا
أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدُنِي بَعِيدُهَا
إِذَا مَا قَضَتْ أَحْدُوثةً لَوْ تَعِيدُهَا
بِأَحْسَنَ مَا زَيَّنَتْهَا عَقُودُهَا
رَفِيفَ الْحُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا
وَهَلْ تَنْفَعُ الشُّكْرَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا؟
أَظِلُّ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذْوَدُهَا
بِهَا حُمُرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا
صَدُودًا كَأَنَّ النَّفْسَ لَيْسَ تَرِيدُهَا
كَنْظَرَةٍ تُكَلِّي قَدْ أَصِيبَ وَحِيدُهَا
فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَزِيدُهَا

بعضهم شعراء، وبعضهم كتّاب، وبعضهم نقاد، وبعضهم فلاسفة، وبعضهم من ذوي المواهب المتعددة، وأذكر من هذه الفئة الأخيرة أديباً شدّني بكتاباتهِ وبحيويته فيما يكتبه، هو الدكتور زكي مبارك، وكان يُطلق عليه لقب (الدكاترة) محمد زكي مبارك، لأنه كان متعدد المعارف، يخوض في جوانب مختلفة من ميادين الأدب والفكر والأخلاق والدين والتصوف وعلم الاجتماع والقانون والطب، يسعفه في ذلك تمكّنه من بعض اللغات الأجنبية التي يحلو له أن يترجم روائعها أو يترجم روائع الأدب العربي إليها، فقرأت له من كتبه: «الموازنة بين الشعراء» و«المذائح النبوية» و«النثر الفني في القرن الرابع» و«مدام العشاق» ثم «ليلي المريضة في العراق».

وعندما بدأت بقراءة كتابه الأخير، وأنا في الثامنة عشرة من عمري، كنت أظن أن الكتاب قصة حب (رومانسية) قد تلاقي قبولاً في نفس فتى في مثل عمري، ما إن مضيت في قراءة الكتاب حتى خاب ظني في المضمون الذي كنت أتوقع، وأدخلني الدكتور زكي في قضايا سياسية كانت تشغل بال الأمة العربية في الثلاثينيات، وفتى في مثل عمري حينذاك لا يطرِب كثيراً لأحاديث السياسة التي مر عليها عشرون عاماً أو أكثر، ولكن ظل يشدني أسلوب الدكتور زكي مبارك، ففرغت من قراءة الكتاب وعيناي تبحثان عن «ليلي المريضة في العراق» فما وجدت (ليلي المريضة) ولا (ليلي السليمة) ولست أدري لماذا تركت مؤلفات الدكتور زكي مبارك وعراقه، وأصبح البحث عن ليلي هاجسي ومبتغاي، وكنت ألتمس العذر لنفسِي فأقول: ربما لأنني فتى في الثامنة عشرة من عمره يحلو له أن يبحث أو يتخيل أنه يبحث عن ليلي المريضة في العراق، وهو يعلم أنه فضول فكري.

وصعدت ميولي ومشاعري - كما يقول علماء النفس - وأبعدت شخصي من الموضوع، وظل تساؤلي: من أين جاء الدكتور زكي مبارك

بعنوان الكتاب؟ من ليلي هذه؟ وما أكثر (الليلات) في الأدب العربي! ولكن أشهرهن ليلي بنت مهدي العامرية صاحبة المجنون: قيس ابن الملوّح. وقد تعاصر هذان الإنسانان وتعارفا في جبل التوباد فشكلاً أشهر قصة حب في تاريخ الأدب العربي، وفي الأدب الفارسي أيضاً، وذهب ظني إلى أن ليلي بنت مهدي هي التي استعار الدكتور زكي مبارك اسمها عنواناً لقصته مستغلاً بيتاً من الشعر يُنسب للمجنون العامري يقول فيه:

يقولون ليلي في العراق مريضة

فيا ليتني كنت الطبيب المداويا
فأوحى هذا البيت للدكتور زكي مبارك بعنوان القصة فجعله عنواناً (درامياً). أما المضمون فقد صال فيه الدكتور وجال في ميادين السياسة والاجتماع والتربية والأدب والطب دون التقيد بالعنوان الذي اختاره. وظل هاجس العنوان يشغلني فلم تطمئن نفسي لبيت المجنون في ليلاه؛ لأن رواة الشعر كلما وجدوا بيتاً فيه (ليلي) نسبوه لمجنون بني عامر. وشاء الله أن يُحلّ هذا اللغز الغامض عن القائل الأول للبيت ومعه جملة أبيات في غاية الروعة والرقّة هي التي أثبت بعضاً منها في صدر حلقة هذا الشهر من (قصة قصيدة)، والقصيدة أطول وأكثر أبياتاً من الأبيات التي ذكرتُها آنفاً، وقد تتبعها فوجدتها متفرقة في ما يزيد على عشرين مصدرًا، وتختلف هذه المصادر في نسبتها أو نسبة بعض الأبيات لشعراء مختلفين، كما تختلف روايات البيت الواحد وألفاظه، ولكن اضطراب النسبة لم يقلل من إعجابي بجمال القصيدة وبروعة الأبيات؛ لأن القصيدة الرائعة يكثر مدعوها، والبيت الشرود يكثر نزاع الشعراء حوله، وتتعدد نسبته لأكثر من شاعر، إما لجودته، أو لغفلة الرواة وضعف ذواكرهم، فيدخلون أبياتاً من قصيدة في أبيات أخرى، وبخاصة إذا اتحدتا في الوزن والقافية والغرض، وبالأخص إذا اتحدتا في القاسم المشترك الأعظم فيهما وهو (ليلي). وتذهب أكثر الروايات -

وإن كانت كثرتها ليست بدليل على صحة نسبتها - إلى أن القصيدة للعوام بن عقبة (١) حفيد الشاعر الإسلامي المشهور كعب بن زهير ابن أبي سلمى، قالها في صاحبته ليلي وكانت تلقب بـ (سوداء الغميم) والغميم موضع من بلاد غطفان، علق الشاعر ليلي وأحبها حباً جمّاً ثم خرج إلى مصر في ميرة (٢) لأهله، فلما وصل مصر لحقه خبر مفاده أن ليلي مريضة بالغميم، فترك ميرته وكرّ نحوها وقال:

وخبرت سوداء الغميم مريضة... إلخ. (٣)

ولم يزل العوام يلطف حتى رآته ورآها، فأومأت إليه: أن ماجاء بك؟ فقال: جئت حين علمت علتك، فأشارت إليه: أن ارجع، فإني في عافية، فرجع لميرته، ولكنها اشتد بها المرض حتى ماتت، فبلغه الخبر فقال:

فقلت لقلبي: لا تبك، فإنه

كذاك الليالي طولها وقصيرها

فإني لبك مابقيت، وإنه

لأسوأ عبرات الرجال كثيرها

هذه قصة القصيدة التي قيلت في ليلي المريضة في الغميم - على رأي التبريزي (٤) - أو المريضة في العراق - على رأي الرواة والدكتور زكي مبارك، ولكن دع عنك الهاجس الذي أحشى أن يقلقك كما أقلقني وأنا أبحث عن ليلي، وهل هي مريضة بالغميم أم بالعراق؟ وعد إلى قراءة الأبيات بأنة وتؤدة، وتمتع بجميل معانيها التي تعبر عن الحب العذري ذلك الحب العفيف الشريف، وارك كلاً يغني عن ليلاه، عاقلاً كان أم مجنوناً، ولاتنس أن بعض الحب شعبة من الجنون، ألم يقل الشاعر:

وكل الناس مجنون، ولكن

على قدر الهوى اختلف الجنون

الهوامش

(١) وتنب أيضاً لعبة نفسه في الحماسة البصرية ١٩١/٢ - ٩٣.

(٢) البيرة: جلب الطعام للعيال. شعر مزينة في الإسلام ٦٠٧.

(٣) شعر مزينة في الإسلام حتى نهاية القرن الثاني الهجري لعبد الحميد الإسداوي ٦٠٧.

(٤) في هامش التبريزي على الحماسة ٣٤٤/٢.

مكانة اللغة العربية في التنافس حول:

قضية اللغة السامية المحلية في نيجيريا

عبد الرحيم عيسى الأول

وفي نيجيريا على سبيل المثال، تعتبر لغة هوسا ويوربا وغيرهما من اللغات المحلية اللغة الأم. كما أن اللغة الانجليزية الاستعمارية هي اللغة الثانية. أما اللغة الفرنسية في هذا الوطن فهي اللغة الأجنبية (٢).

ومهما يكن من أمر فإن التي تهمنا في هذا الموضوع هي اللغة الثانية أو الرسمية. والجدير بالذكر أن جميع البلدان المستقلة قد أدركت أن استقلالها لا يتم إلا بعد الاستغناء عن لغة الاستعمار بوصفها اللغة الرسمية للبلاد. ولكن الوضع في هذه البلدان يختلف ويتفاوت من وطن إلى آخر. فاللغة المحلية هي السائدة المقبولة لدى الجمهور، فتعين هذه اللغة لغة رسمية لهذه البلاد يكون أمراً هيناً وفي منتهى السهولة، خلافاً لما إذا كان في البلاد عدد من اللغات السائدة تنافس بعضها مع بعض، فعملية اتخاذ لغة من هذه اللغات المحلية اللغة الرسمية أمر في غاية الصعوبة وفي منتهى الخطورة، وهذه هي الحالة التي عليها نيجيريا حالياً.

التنافس بين اللغات المحلية

يبلغ عدد اللغات المحلية في نيجيريا حوالي

اللغة ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضروريات الحياة انفرد بها الإنسان دون غيره من سائر المخلوقات، وهي أهم وسائل التفاهم بين أفراد المجتمع، يستعينون بها في شؤونهم، بل هي أساس كل أنواع النشاط الثقافي، وتؤدي دوراً ذا أهمية أساسية في كل مجتمع، لذا تعد من أقوى الروابط بين أعضاء المجتمع. وقد عُرِفَت اللغة بعدة تعريفات، ولكن الذي يتمشى وموضوع هذا المقال هو تعريف العالم اللغوي الذي يقول: «اللغة عبارة عن نظام من رموز ملفوظة عرفية بواسطتها تتعاون وتتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة» (١).

فاللغة تختلف في مستواها بين مجتمع ومجتمع آخر. حسب ما يظفر به المجتمع من نهضة وتقدم، أو لما يبقى عليه من تأخر وتخلف. ومن اللغات ما اكتسب قوة وشهرة على نطاق واسع محلياً ودولياً. ومنها ما كان مستواه وشهرته لا يتعدى حدود النشاطات المحلية كتابة ونطقاً، ومنها أيضاً ما لا يتعدى حدود القبائل التي تتكلم بها. ويمكن تقسيم اللغات في كل بلد إلى ثلاثة أقسام أساسية: اللغة الأم، واللغة الثانية، واللغة الأجنبية. أما اللغة الأم فهي اللغة الطبيعية التي اكتسبها الطفل من والديه. واللغة الثانية هي اللغة التي فرضها المستعمرون على المواطنين في أغلب الأحيان وجعلوها لغة رسمية على رغم أنفسهم. واللغة الأجنبية هي تلك اللغة التي ليست من لغات المواطنين، وفي الوقت نفسه لم تكن لغة الاستعمار لتلك البلاد، ولكن بسبب أهميتها في العالم أصبحت تُدرّس في البلاد.

٤٠٠ لغة. وهناك تباين واضح بين هذه اللغات سواء من حيث الارتقاء والنضج، أو في الأدوار التي تقوم بها هذه اللغات. فمنها ما يؤدي أدواراً لا يستهان بها في المجتمع، وإن كانت هذه الأدوار لا تتعدى الحدود المحلية كلغة هوسا ويوريا وإيسو(٣)، ومنها ما تقل أهميتها عن هذه اللغات الثلاث إما بسبب ضعف تلك اللغة أو لقلّة عدد المتكلمين بها، وهي التي تعرف بلغة الأقلية. وبطبيعة الحال، والحالة هذه، لا بد من التنافس بين هذه اللغات الكثيرة حول قضية اللغة الرسمية للبلاد ولاسيما بين اللغات الثلاث المذكورة. وقد زاد الطين بلة التعصب القبلي الذي دفع أصحاب كل لغة من هذه اللغات الثلاث إلى أن يدّعي بأن لغة قبيلته أرقى وأنضج من غيرها، وسبب هذا التنافس السقيم يرجع إلى ماعرف عن اللغة الرسمية من أهمية فائقة، إذ بها يتحقق للوطن أهدافه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فلن تجد إذن من يريد أن يضحي بلغته ولو كانت أدنى اللغات نضجاً. ومنذ الاستقلال لم ينجح حاكم في إيجاد الوسائل الممكنة لسد تيار هذه المنافسة الجارفة بين المواطنين أو الحصول على حل وسط للقضية. في أول الأمر اقتضت المنافسة على اللغات الثلاث لكثرة شيوعتها، لذلك جعلت الحكومة اللغات الثلاث لغات رسمية محلية يُدرّسُ بها في المدارس الابتدائية في مناطق المتكلمين بكل منها. وبين عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٩م اكتسبت هذه اللغات الثلاث قوة قانونية عندما أصدرت الحكومة قراراً ينص على وجوب تدريسها في المدارس الثانوية (٤). وفقاً لهذا الاتجاه الجديد أعلن قانون نيجيريا (١٩٧٩م) مبدئياً إباحة استعمال اللغة الإنجليزية جنباً إلى جنب مع اللغات الثلاث في المجلس القومي. وبذلك أصبحت لنيجيريا أربع لغات رسمية معترف بها لدى الحكومة، ولو كان ذلك حبراً على ورق فقط، لأننا لم نر لهذه اللغات دوراً أكبر

مما كان لها قبل هذا القرار. ولعل سائلاً يسأل عن السبب فنجيب: بأن السبب بسيط وقريب المنال وهو "الشعور بالنقص والعقلية الاستعمارية"، والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لا تختص بنيجيريا بل هي ظاهرة شائعة في جميع البلدان التي ابتليت بالاستعمار بما فيها بعض البلدان العربية (٥). ولاغرو أن أغلبية ساحقة من مواطني نيجيريا اليوم يعتقدون - والاعتقاد خاطيء - أن شرفهم وفخرهم في عادات وتقاليد المستعمرين بل وفي لغتهم. لذا نرى هؤلاء يحيون حياة المستعمرين، يفضلون أطعمتهم وملبسهم ويعتزون بلغتهم، حتى أصبح أبناؤهم لا يفهمون لغات آبائهم إلا بصعوبة.

أما فيما يخص اختيار اللغة الرسمية المحلية، فالسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: أي لغة من هذه اللغات العديدة أجدر بالاختيار لهذه الوظيفة الكبرى وهذه الأهمية العظمى؟ هل هي إحدى اللغات الثلاث المذكورة آنفاً، أم لغة من لغات الأقليات (٦)؟ ويجدر بنا أن نذكر الحقيقة التي أثبتتها بعض الباحثين قبل محاولة الإجابة عن هذا السؤال. فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن نيجيريا ليست في احتياج إلى أكثر من لغة واحدة كلغة رسمية محلية (٧). ونظراً لتنوعية الوظائف التي سوف تؤديها هذه اللغة لابد أن تكون لغة ناضجة تصلح لقضاء الحوائج المحلية والدولية معاً. ياترى ماهذه اللغة؟

للباحثين أقوال متضاربة منهم من رأى أن لغة هوسا هي الأجدر بذلك، وقد بنى هؤلاء رأيهم على كثرة انتشار اللغة في داخل البلاد وخارجها (٨). وقد ذكر بنبوشي - Bamgbose أن عدد المتكلمين بهذه اللغة من أنبائها يبلغ حوالي ١٢ مليوناً، ومن غير أنبائها يبلغ حوالي ٨ ملايين (٩). وقد زاد بران Brann على ذلك عندما قال بأن عدد متعلمي لغة هوسا يفوق غيرها من اللغات

المحلية إذ يزيد عدد دارسيها على ٢١٪ من السكان (١٠). ومن الباحثين من يتعصب للغة يوريا، وأنها أجدر بالمكان من غيرها، وكانت حجتهم حجة المتعصبين للغة هوسا نفسها. أما لغة إيسو، وإن كان أصحابها أيضاً لا يريدون لها بدلاً، إلا أن فرصتها وحجة المتعصبين لها لا يقارنان باللغتين السابقتين وخاصة من حيث الانتشار.

وفي عام ١٩٦١م قدمت لغة هوسا إلى مجلس النواب لإعادة النظر في أمرها ومناقشتها بغرض أن تكون اللغة الرسمية المحلية الوحيدة، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل (١١). والسبب كالمعتاد "التعصب القبلي" إذ إن كل واحد يتعصب للغته الأم، يدلّ على ذلك مقالته بيلي أحمد Babale Ahmad: إن اتخاذ اللغة الرسمية المحلية في نيجيريا أمر في غاية الصعوبة؛ لأن أصحاب اللغات المحلية المشهورة الثلاث غير مستعدين لتأييد بعضهم بعضاً. (١٢) وقد أدى الأمر إلى أن يقول بعض الباحثين بأنه مادام قد فشلت لغة هوسا فستفشل اللغتان الأخريان حتماً. لهذا نرى هؤلاء في محاولتهم طلب الحل الوسط والدائم للقضية يقترحون إحدى لغات الأقلية (١٣)، ونحن معهم في ذلك إذ إن ذلك هو السبيل الوحيد الذي ينهي المنافسة السقيمة بين أصحاب اللغات الثلاث. ولكن أين هذه الأقلية التي تستطيع لغتها أن تتحمل العبء الثقيل، وتؤدي الأدوار الفعالة التي تطلب من اللغة الرسمية؟ وهذا السؤال الذي نود أن نجيب عنه فيما يلي من النقاط.

اللغة الإنجليزية في نيجيريا

إضافة إلى العدد الكبير من اللغات المحلية الموجودة في نيجيريا هناك ثلاث لغات أخرى تنافس هذه اللغات المحلية، وهي العربية والإنجليزية والفرنسية. أما العربية فسوف نتحدث عنها بالتفصيل في النقطة التالية. وأما الفرنسية فهي لغة أجنبية وجدت في نيجيريا



بصفتها لغة عالمية، ولم يكن لها أثر يذكر إذا وُزنت باللغتين الآخرين. أما اللغة الإنجليزية فهي اللغة الثانية والرسمية في نيجيريا. وقد دخلت مع احتلال البريطانيين عام ١٩٠٣م (١٤). ولم يكد ينتهي الاحتلال حتى بدأ المستعمرون السابقون بتشجيع تعلم ثقافتهم عن طريق المنصرين، وذلك طبعاً على حساب الثقافة العربية السائدة وقتئذ. وقد أدرك المستعمرون من أول الأمر أن أهدافهم الاستعمارية لا تتم بدون تبديل الأفكار العربية الإسلامية الراسخة في نفوس أكثر السكان بأفكارهم وثقافتهم. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف بدؤوا بإضعاف اللغة العربية بكل ما لهم من إمكانات وسلطة. ويجدر أن نذكر مآلقه من مقاومة شديدة من الشماليين الذين رسخت أقدامهم في الثقافة العربية الإسلامية قبل دخول المستعمرين، إلا أن المقاومة لم تصمد طويلاً. وبذلك أصبحت اللغة

الإنجليزية لغة رسمية في نيجيريا منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

وظلت الحكومة البريطانية تولي عناية كبيرة لهذه اللغة ومدرسيها

سواء في نيجيريا أو في غيرها من

البلدان، إلى أن أصبحت لغة يعتز بها عدد لا يستهان به من المواطنين النيجيريين. وقد بلغ الأمر بهم إلى حد أن بعضهم يحارب فكرة إلغاء اللغة الإنجليزية كلغة رسمية، والتي يدعو إليها بعض الباحثين والمفكرين. وحجتهم التي يستندون إليها هي عدم انحيازها إلى أي لغة من اللغات المحلية، وبصفتها لغة عالمية، وبعدم وجود لغة محلية تبلغ في نضجها مستوى اللغة الرسمية (١٥). ولعل هؤلاء وأمثالهم لا يدركون الخطورة البالغة في اتخاذ اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية. فما هي إلا لغة أجنبية استعمارية خالصة، وهي تعكر صفو تقدم وطننا وتدفعه إلى الوراء في شتى المجالات. والحقيقة التي يجب أن نصرح بها أن أكثر

المشكلات التي نكابدها وتكابدها أغلب الدول الإفريقية محدثها ومُسببها هم المستعمرون؛ لأنها نتيجة تخطيطهم، إذ إنهم بعد أن أيقنوا أن لافمر من استغلال دول أفريقيا، عزموا على جمع عدد كبير من قبائل ذات لغات وثقافات وحضارات متباينة تحت راية سياسية واحدة، ومع ذلك أرغموهم على دين وتقاليد ولغة لم يكن لهم بها عهد. وأصبحت أفكارهم بذلك مشتتة ومضطربة. والأثر السيء الذي خلفه هذا التخطيط مانشاهده اليوم في أفريقيا بصفة عامة، وفي نيجيريا بصفة خاصة من اضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وغير ذلك، ولاغروا إذن أن أكثر الدول الأفريقية إن لم تكن كلها لم تعرف الاستقرار منذ استقلالها. وما زاد الأمر سوءاً أن المستعمرين قبل مغادرتهم جعلوا لأنفسهم خلفاء من المواطنين يقومون بإرواء بذور ذلك التخطيط. والدليل

العربية هي أرقى اللغات السامية، ولديها من المقومات ما يكفي لتصبح اللغة الرسمية في نيجيريا.

على ذلك أن سياستنا ونظامنا التعليمي والاقتصادي منذ الاستقلال لا تختلف اختلافا جذريا عما في بريطانيا.

وقد افتتن النيجيريون باللغة الإنجليزية حتى استطاعوا أن يوجدوا منها لهجة إنجليزية تعرف بـ Pidgin English، وقد انتشر هذا النوع من الإنجليزية على نطاق واسع حتى أصبحت تستعمل في الأسواق والمحاكم والمستشفيات وغير ذلك من المراكز المهمة. وقد ادعى بعض الباحثين أن هذه اللهجة قد أصبحت اللغة الأم لبعض المواطنين كسكان مدينة سبيلي Sapele ووري Warri (١٦). ولاغروا أن بعض الباحثين يدعون إلى أن تجعل الحكومة هذه اللهجة المصطنعة لغة

رسمية (١٧).

مكانة اللغة العربية في نيجيريا

كُنّا قد ذكرنا اللغة العربية، ونحن نتحدث عن مشكلة اللغة الرسمية المحلية في نيجيريا. والسؤال الذي يتبادر إلى أذهان بعض المواطنين - حتى المثقفين منهم - هو: ما مناسبة اللغة العربية في هذه القضية؟ هل اللغة العربية من اللغات المحلية؟ وهذا طبعاً سؤال مهم. وأنا على يقين أننا لو وجهنا هذا السؤال إلى المواطنين فإن جواب الأكثرية سوف يكون بالنفي إما جهلاً وإما تجاهلاً، بيد أن الجواب الصحيح أن اللغة العربية من اللغات المحلية لما يأتي:

أولاً: لغة العربية في نيجيريا تاريخ طويل وعريق. أكد المؤرخون أن العلاقة التجارية التي بدأت بين العرب من شمال أفريقيا وسكان غرب أفريقيا بما فيها نيجيريا في القرن السابع الميلادي هي نقطة مهمة لأولية اللغة

العربية في نيجيريا (١٨). ثم

جاء الإسلام في القرن

الحادي عشر وقوى ما

أسسته العلاقة التجارية.

ومنذ ذلك العهد البعيد

أصبحت اللغة العربية تعيش بين ظهرائي النيجيريين إلى هذا اليوم، بيد أن حالتها في غضون تلك الفترة لم تستقر، بل تقلبت من حال إلى آخر. كانت بالأمس لغة رسمية في خلافتي بنو وسكنو حيناً من الدهر (١٩). ثم أرغمت على النزول إلى الدرجة الثالثة بمؤامرة الاستعمار الذي أحلّ لغته الإنجليزية محلها، وبرغم ذلك فهي لا تزال تؤدي دوراً مهماً في حياة الأفراد والمجتمع. لقد عاشت هنا أحقاباً عديدة، وقامت ولا تزال تقوم بأدوار مختلفة، وقد تركت في اللغات الكثيرة أثراً واضحاً (٢٠). وهل يصح أن يقال لمثل هذه اللغة إنها أجنبية؟

ثانياً: لعل السؤال الذي يجدر بنا أن

قضية اللغة السامية المحلية في نيجيريا

- مدى انتشار اللغة والفرصة السانحة لتعلمها.
- مستوى نضج اللغة وقدرتها على التعبير عن جميع متطلبات المجتمع.
- مدى صلاحية اللغة للكتابة .
- قبول اللغة عند الأغلبية الساحقة من المواطنين.

مدى انتشار اللغة والفرصة السانحة لتعلمها

انتشرت اللغة العربية على نطاق واسع لا في نيجيريا فحسب بل وفي قارتي أفريقيا وآسيا. وليس أدل على ذلك من أنها اللغة الأم والرسمية لحوالي ٢٢ دولة و ٩ من هذه الدول في قارة أفريقيا (٣٠). وقد أكد الباحثون أنها أكثر اللغات انتشاراً في أفريقيا. أما فيما يخص نيجيريا فقد انتشرت العربية في المناطق المختلفة على نطاق واسع منذ القرن التاسع عشر، وخاصة في برنو وبلاد هوسا وبلاد يربا. أما في كل من برنو وبلاد هوسا، حيث كانت اللغة العربية لغة رسمية قبل الاحتلال، فقد بلغ الانتشار غايته بسبب الاهتمام البالغ بالثقافة العربية ولاسيما بعد قيام خلافة سكوتية، إذ غيرت لغة الثقافة والإدارة، وكتبت بها اللوائح والقرارات والرسائل الرسمية في هذه الخلافة. إن المؤلفات والمخطوطات التي كتبها علماء سكوتو ومازالوا يكتبونها تكفي حجة وبرهاناً على مدى انتشار العربية (٣١). أما بلاد يوربا وإن لم تقم فيها الخلافة الإسلامية كما في برنو وسكوتو، فإن وجود عدد كبير من العلماء في المنطقة قبل الاحتلال وبعده دليل واضح على انتشار اللغة العربية، وإضافة إلى ذلك فإن

فودي إذ قال بأن جددهم الأعلى عربي، وهو عقبة بن نافع الصحابي الجليل! وأن الأم العليا لهم هي رومية تدعى بح مغ والتي أنجبت أربعة أولاد لعقبة، وهم الذين أصبحوا فيما بعد أجداد الفولانيين (٢٦). وإضافة إلى ذلك فقد قيل إن أبناء أبي يزيد الذي تحدثنا عنه أنفا هم مؤسسو ولايات هوسا السبع (٢٧). وأن مؤسس مملكة برنو من أبناء أحد ملوك مكة (٢٨). وفضلاً عن هذه الاعتبارات كلها فإن لبعض لغات الأقليات المحلية علاقة متينة بهذه اللغة المهمة مما يوحي أنها من أصل واحد.

صلاحية اللغة العربية لوظيفة اللغة الرسمية

المنطق يقتضي الاقتناع بالحجج والبراهين السابقة، وبالتالي قبول اللغة العربية كإحدى

لايكتمل استقلال الأمة إلا بعد الاستغناء عن لغة المستعمر بوصفها اللغة الرسمية للبلاد.

اللغات المحلية. ولكن بعد هذا الموقف العادل ينبغي أن نتساءل: هل استطاعت اللغة العربية أن تتحمل الأعباء الكبيرة التي تتطلب في اللغة الرسمية؟ فالجواب، وإن كان واضحاً وجلياً لأنها قد أدت الدور نفسه في نيجيريا سابقاً، ولاتزال تقوم به الآن في بعض أقطار العالم، وبرغم ذلك يجب أن يكون الجواب مبنياً على الحقائق العلمية ليكون مقبولاً لدى الجميع وخالياً من التعصب والشكوك، لهذا يجدر بنا هنا أن نذكر ما اقترحه بعض الباحثين من الأمور التي يلزم النظر فيها عند عملية اختيار اللغة الرسمية لوطن من الأوطان، وبالتالي أن ننظر إلى اللغة العربية بمنظار هذه الأمور لتأكد من صلاحيتها. والأمور هي (٢٩):

نظره أولاً هو: ما المعيار الذي يميز اللغة المحلية من غيرها؟ إذا كان وجود قبيلة من قبائل نيجيريا تتكلم باللغة كلغتها الأم هو المعيار أو أهم معيار لمعرفة اللغة المحلية، إذن فاللغة العربية حتماً من اللغات المحلية، لأن في نيجيريا قبيلة تعرف بقبيلة "شوا" وهي قاطنة في ولاية برنو على حدود تشاد، وهذه القبيلة لغتها الأم هي اللغة العربية (٢١). ومن المحتمل أن هذه القبيلة من بقايا أتباع ذلك العربي المسلم المسمى بأبي يزيد، والذي قيل إنه جاء إلى منطقة برنو مع أصحابه في القرن الثامن الميلادي من بغداد، ثم خرج من برنو إلى قرية غايا القريبة من كنو تاركاً في برنو بعض أصحابه (٢٢). ومهما يكن من أمر فإنني لأعتقد أن هناك من يشك في نيجيريا في هذه القبيلة. وإذا كان الأمر كذلك والمنطق يقتضي أن تكون اللغة الأم لهذه القبيلة من اللغات المحلية، علماً بأن التاريخ قد أكد أن أكثر قبائل نيجيريا اليوم قد جاؤوا من أماكن أخرى، واستوطنوا المكان، وأصبحوا فيما بعد من المواطنين، كما أصبحت لغاتهم من اللغات المحلية.

ثالثاً: أرجع المؤرخون أصل

عدد من القبائل الرئيسية في هذا الوطن إلى مناطق الوطن العربي، مما يوحي بارتباط وثيق بين لغات هذه القبائل واللغة العربية، ومن أهم هذه القبائل قبيلة يوربا وقبيلة فولاني. أما قبيلة يوربا فمن المؤرخين من ذهب إلى أنهم من مكة وأن (أوددوا) الذي هو الجد الأعلى لليوروبين من أبناء أحد ملوك مكة (٢٣). ومنهم من رأي أنهم من العراق، وأنهم من بقايا بني كنعان الذين هم عشيرة نمرو، وأن يعرب بن قحطان هو الذي طردهم من العراق (٢٤). وذهب بعضهم إلى أنهم من مصر (٢٥). وإلى غير ذلك من الآراء. أما أصل الفولانيين فهناك أقوال، ولكن أشهرها أنهم من العرب، وهو رأي منسوب إلى آل

بعض المدن الرئيسية في بلاد يوربا قد عرفت بمراكز الثقافة العربية الإسلامية قبل الاحتلال (٣٢). والجدير بالذكر أن اللغة استطاعت أن تنمو وتخطو خطوات إلى الامام بعد أن أخذ الاستعمار عصاه ورحل.

أما بالنسبة إلى الفرصة السانحة لتعلم اللغة العربية فهي واضحة جلية، وبرغم عدم تشجيع الحكومة على تعلمها في المراحل الأولية، فإن المواطنين أنفسهم يشجعون على تعلمها تشجيعاً بالغاً عبر العصور. فالعلمون الأكفيا متوفرون لتحمل عبء التعليم وأداء واجباته. ومنهم من تعلم في الأزهر والمغرب وتبكتو وغير ذلك. والجدير بالذكر أن أبواب علماء العربية مفتوحة دائماً للمتعلمين، مما ساعد على سهولة تحصيل الثقافة العربية في نيجيريا قبل الاحتلال وإلى اليوم. وبعد مغادرة المستعمرين بدأت المدارس العصرية على اختلاف مراحلها في الانبثاق تقليداً للمدارس الإنجليزية. وقد ذكر الدكتور علي أبوبكر أسماء بعض هذه المدارس في كتابه (٣٣). هذا بالإضافة إلى بعض المدارس الحكومية التي تُعنى بتدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية وفي بعض المعاهد العليا والجامعات (٣٤).

مستوى نضج اللغة وقدرتها

على التعبير عن احتياجات المجتمع

أكد الباحثون أن اللغة العربية هي أرقى اللغات السامية، ومن أرقى لغات العالم بأسرها (٣٥). والدليل على نضجها وقدرتها على التعبير عن جميع متطلبات المجتمع مايلي:

١ - تعد اللغة العربية وعاء حضارة واسعة النطاق عميقة الأثر ممتدة التاريخ، وقد حفلت بعوامل التقدم في العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك والطب وغير ذلك، كما حملت اللغة

ثلاثة معايير تحدد

مكانة اللغة

بين «المحلية»،

و «الرسمية»،

و «التهميش».

أمانه نقل علوم اليونان والفرس والهند وفلسفتها إلى العالم أجمع في العصور الوسطى (٣٦).

٢ - الحقائق التاريخية وغير التاريخية في قارة أفريقية بصفة عامة ونيجيريا بصفة خاصة مسجلة باللغة العربية قبل الاحتلال، وجانب كبير من هذه الأعمال موجود في المكتبات والجامعات والمتاحف وغير ذلك في داخل نيجيريا وخارجها.

٣ - اعتراف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية بنضجها وارتقائها مما أدى إلى قبولها كإحدى اللغات المستعملة في المنظمين.

٤ - كونها لغة رسمية في عدد كبير من الدول الأفريقية والآسيوية.

٥ - كونها لغة الدين السماوي الذي هو الإسلام.

٦ - قدرتها على التأثير في كثير من اللغات، وخاصة لغات أفريقيا بما فيها نيجيريا.

مما لا يحوم حوله أدنى شك أن الأدوار المذكورة لا تضطلع بها إلا اللغة التي هي في منتهى النضج والارتقاء. وقد صدق شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته التي قالها على لسان اللغة العربية حين كانت تهب عاصفة العامية ضد العربية الفصحى بمؤامرة المستعمرين:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتي

عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائسي

رجالاً وأكفاء وأدت بناتي

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية

وماضقت عن أي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله

وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامنٌ

فهل ساءلوا الغواص عن صدقاتي؟

مدى صلاحية اللغة للكتابة

لاجدال في أن اللغة العربية صالحة للكتابة، بل هي من أجود اللغات كتابة. ولو أنها غير صالحة للكتابة لما كانت قادرة أن تؤدي الأدوار المذكورة آنفاً. وقد أكد المؤرخون أن بداية الكتابة العربية ترجع إلى ما قبل الإسلام إذ إن الأمة العربية من الأمم المثقفة وقتئذ، لكن تلك الكتابة لم تكن كما هي بعد الإسلام، وقد كان الخط النبطي هو الخط المنتشر في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد تطورت تطوراً ملحوظاً بعد الإسلام إلى أن أصبح كما هو الآن (٣٧). وكفى لكتابة العربية فخراً أن كانت أول كتابة عرفت قارة أفريقيا بأسرها قبل مجيء المستعمرين.

قبول اللغة

عند الأغلبية الساحقة من المواطنين

بلا أدنى شك فإن اللغة العربية مقبولة لدى جمع غفير من أفراد المجتمع النيجيري، والدليل على ذلك أن جل سكان هذا الوطن الكبير مسلمون، واللغة العربية جزء لا يتجزأ من الإسلام. وقد أشار إلى هذا شيخ الأزهر عبدالحليم محمود - رحمه الله - عندما قال: "تعلم اللغة العربية ضروري لكل مسلم .." ومهما يكن من أمر، فعلى كل مسلم أن يلفظ بالعربية على الأقل خمس مرات يومياً، بيد أن مستوى فهم العربية والتحدث بها يتفاوت من شخص لآخر. والجدير بالذكر أن غير المسلمين قد بدؤوا يقبلون على تعلم اللغة العربية وخاصة بعد الأزمة الاقتصادية التي وجدت نيجيريا نفسها فيها. وليس أدل على قبول الجميع للغة العربية أكثر من وجود الأساتذة والدكاترة المسيحيين النيجيريين في حقل اللغة العربية. (٣٨)

حاولنا خلال السطور السابقة أن نبين حاجة

قضية اللغة السامية المحلية في نيجيريا

الهوامش

- أبو بكر، نفس المرجع، ص. ٣٧٢. وآدم عبدالله الآلوري، أصل قبائل يوريا.
- ٢١- وإن كانت العربية هي الدارجة كما هي الحالة في جميع البلاد العربية، إذ العربية الفصحى تعرف بالتعليم فقط. لمزيد من المعلومات انظر شيخو أحمد غلادنت، نفس المرجع، ص. ٨٠. ثم انظر: دراسات عربية (١٩٧٥م) كلية عبدالله بايرو، ص. ١٠٢.
- ٢٢- وقيل إن أبا يزيد هذا كان أول من جاء بالإسلام إلى ولاية برنو وهوسا. انظر: آدم عبدالله الآلوري (١٩٧٨م)، ص. ٣١.
- ٢٣- انظر:
- Adam Abdullah al-Illori "The origin of Yoruba Translated by S.U. Balogun p. 21.
- ٢٤- محمد بل، إنفاق المسور، الناشر: طن اغي سكونو، ص. ٤٤.
- ٢٥- مصطفى زغلول (١٩٨٧م)، أزهار الربا في اخبار بلاد يوريا، الطبعة الأولى، بيروت، ص. ٣٢.
- ٢٦- لمزيد من التفاصيل انظر: الشيخ عبدالله بن فودي: تزيين الورقات. والشيخ آدم عبدالله الآلوري: الإسلام في نيجيريا، ص. ٩٢.
- ٢٧- انظر: C.C. Ifemesia "State of the Central Sudan in: J.F.A. Ajayi and Ian Espie eds. A Thousand Years of West African History (Ibadan 1965). p 91. Trimung-ham J.S. (1962) A History of Islam in West Africa O.U.P. London p. 126.
- ٢٨- انظر: C.K. Meek, The Northern Tribes of Bigeria, Frank Cass Co Ltd. Vol. 1 (1971) p. 69.
- ٢٩- للتفصيل انظر: A. Omoteyo and T. Odumoso, Towards a Geographical Framework for Selection of a Nigerian Lingua-franca in A. E. Eruvbetine (Ed.) 1990. op. cit pp. 129-134.
- ٣٠- انظر: Ahmad El. Ayed, Research on the Relation ship between Arabic and African Languages, Arab Journal of languages Studies, Vol. 3, No. 1, p. 9.
- ٣١- تفصيل انتشار اللغة العربية في كل من برنو وسكونو انظر: شيخو أحمد غلادنت وعلي أبو بكر نفس المرجع.
- ٣٢- ومن هذه المدن مدينة إسين Iseyin وإيوو Iwo وإيسي Epe وإبادن Ibadan وإيوكوتا Abeokuta. لمزيد من ذلك انظر: T.G.O. Ga-badamosi (1978) The Growth of Islam Among the Yoruba, London p. 64.
- ٣٣- لهذه المدارس المذكورة انظر: علي أبوبكر نفس المرجع ص. ١٤٧-٢٠٠. وقيل إن عدد المراكز العربية في الشمال وحده يبلغ ٢٠٠٠ مركز في عام ١٩٥٨م، وأن في هذه المدارس حوالي ١٥٠,٠٠٠ تلميذ. انظر: علي ناثي سويد، خواطر حول تطوير اللغة العربية نائس، الجزء الثاني، رقم ٢، ص. ٩٣.
- ٣٤- يبلغ عدد الجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية حالياً حوالي ٨ جامعات.
- ٣٥- أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الأول، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص. ٢٨٩.
- ٣٦- رشيد أحمد طعيمة، الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. مكة المكرمة ١٩٨٢م، ص. ١٦-١٧، ثم انظر: أحمد أمين، المرجع السابق، ص. ٢٩١.
- ٣٧- انظر: R.B. Serjeant, Early Arabic Prose in The Cambridge History of Arabic Literature A.F.L. Beeston and others (Eds) 1983, p. 114.
- ٣٨- عبدالحاميد شبيب آغا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري، رسالة الماجستير (١٩٨٣م)، ص. ١٤.

- ١- طه عبدالحاميد طه، فقه اللغة (١٩٦٨م) الجزء الأول، مطبعة التأليف بالجمالية، مصر، ص. ١١.
- ٢- انظر:
- Niyi Akinnsaso (1987) Language Opportunities: In Nigerian Schools. PapEr presented at Seminar Series of Dept. of Languages & Linguistics LASU P.5.
- ٣- هذه اللغات المحلية اكتسبت شهرتها في البلاد بسبب كثرة المتكلمين بها
- ٤- انظر:
- V. O. Awonusi (1990) Planning for a National (Nigerian) Language, in A.E. Eruvbetine (Ed.) Aesthetics and Utilitarianism in Languages and Literature. p. 116.
- ٥- وليس أدل على ذلك من افتخار الذين يفهمون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية من العرب على غيرهم من الذين لا يفهمونها.
- ٦- ومن أهم اللغات للأقليات لغة فولان (Fulfude) إيدو (Edo) إيفك (Efik) أدوما (Idoma) إغاللا (Igalala) إيجو (Ijaw) نفي (Nupe) تف (Tiv).
- ٧- انظر:
- Banjo A. (1985) " On Citizenship in a Multilingual State" in asian S.O. (Ed.) Review of English and Literary Studies Vol. 2 No. 2 pp. 179-186.
- ٨- وقد جاوزت لغة هوسا حدود نيجيريا إلى النيجر وتوغو وغانا وبوركينا فاسو وغيرها.
- 9 - Bamgbosa a. (1985) Language and Nation Building in Asian, S.O. (Ed.) Review of English and literary Studies. Vol. 2, No. 2, pp. 95-108.
- 10 - Brann C.M.B. (1977) " Language Planning for Education in Nigeria: Some demographic, Linguistics and other factors" in Language Education in Nigeria Vol. 1, pp. 47-58.
- 11 - Oru O. Ebam (1990) "On Search for: a Lingua-Franca in Nigeria: A case for Minority Language Option in A.E. Eruvbetine op. cit. p. 109.
- 12 - Babqle Ahmed (1961) quoted in ajeigbe O. (1987). The Language Situation in Nigeria and the choice of Lingua-franca in Studies in English Language. Vol. 1, Nos. 1 & 2.
- ١٣- ومن هؤلاء Oru O. Ebam في مقاله السابق صفحة ١١١.
- ١٤- شيخو أحمد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف بالقاهرة، ص. ٨٩.
- ١٥- لمزيد من التفاصيل انظر:
- Ajeigbe O. (1987) The Language Situation in Nigerian and the Choice of Lingua-franca, Studies in English Language. Op. cit.
- ١٦- انظر: Niyi Akinnsaso Dp. cit. p. 18.
- ١٧- انظر: Oru O. Ebam Op. cit. p. 108.
- ١٨- شيخو أحمد غلادنت، نفس المرجع، ص. ١٩٠.
- ١٩- علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، لبنان، ص. ٤٧٠.
- ٢٠- وعلى سبيل المثال: أثبتت الدراسة أن كلاً من لغة هوسا وفولاني قد استعارتا من العربية ما لا يقل عن خمس ألفاظها، واستعارتا منها يوريا أقل من ذلك بقليل. ولمزيد من التفاصيل في ذلك انظر: علي

نيجيريا إلى اللغة الرسمية المحلية، وقدمنا بعض ما يدور حول القضية من المناقشات السقيمة نتيجة التعصب القبلي. ويبدو أن هذا التعصب القبلي لا يسمح لإحدى اللغات الثلاث الرئيسة أن تبرز كلغة رسمية، وهذا مادفع بعض الباحثين إلى اقتراح إحدى لغات الأقليات. والعربية طبقاً لما وصلنا إليه آنفاً من لغات الأقلية المحلية، ونحن بصفتنا رواد الثقافة العربية في نيجيريا، والحالة هذه يجب أن نقدم اللغة العربية على اللغات الأخرى ولا سيما أنها قد أدت الدور نفسه في العصور السابقة في هذا الوطن - نيجيريا - وأرى أن توحيد الصفوف والكلمة حول هذه القضية مما يبشر بخير كثير لهذا الوطن وللإسلام والمسلمين. ويجدر بنا أن ننظر إلى الأمر بالاهتمام الذي يستحقه، ونخطط له قبل أن تفوتنا هذه الفرصة الغالية، ومن الدرر الكامنة في أحشاء هذا الهدف السامي مايلي:

- ١ - ينهي المنافسة السقيمة بين أصحاب اللغات الرئيسة الثلاث، ويشتر بتعميم الأمن والسلام لجميع المواطنين.
- ٢ - يساعد على توجيه هممتنا إلى لغة واحدة بدلاً من اللغات الأربع التي نحن بصدها حالياً؛ إذ إن العربية هي اللغة المحلية الوحيدة التي تصلح للتعامل بها في داخل الوطن وخارجه.
- ٣ - ينقذ الوطن من النفقة الباهظة التي قد تلزمها لو اتخذت لغة أخرى لم يكتمل نضجها؛ لأن العربية هي اللغة الوحيدة التي لا تحتاج إلى أدنى مجهودات مادية كانت أو معنوية لنضجها وارتقاها.
- ٤ - يسلم الوطن من قيود المستعمرين ويخلص المواطنين من أفكاره الفاسدة.
- ٥ - يساعد على توطيد العلاقات الدبلوماسية مع البلدان العربية.
- ٦ - يساعد على توحيد صفوف المسلمين ويربطهم بإخوانهم في البلدان الإسلامية.

الشاعر الفيكتوري اللورد تينيسون ونجد الحياة

د. توفيق علي منصور

خلق الله تعالى الكون بنظام يكفل استمرار الحياة وتجدها إلى أن يرث الأرض ومن عليها. ثم خلق آدم وعلمه كيف يتدبر هذا النظام، وكيف يحمل أمانة التجدد. ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ (البقرة: ٣١) كما علم سليمان ﴿منطق الطير﴾ (النمل: ١٦)، وضرب للناس في القرآن ﴿من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (الزمر: ٢٧).

جعل سبحانه الليل يموت ويولد منه النهار، وجعل الرجل يموت ويرثه أبناؤه وحفدته، جعل الفصول تتعاقب بنظام لا تحيد عنه: الشتاء ينصرم فيبدأ الربيع ثم يتلوّه الصيف فالخريف. دورة فصلية سنوية منتظمة.

نظمي وترجمتي:

1st Stanza:

Full knee - deep lies the winter snow,
And the winter winds are wearily sighing:

Tall ye the church - bell sad and slow,
And tread softly and speak low,

For the old year lies a - dying

وقد ترجمته نظماً كما يلي :

جليد الشتاء يغطي البقاع بعمق الركب

وقد تدبرها الإنسان البدائي فاتخذ منها رمزا لتجدد الحياة، وأنشأ عليها قصصاً وروايات لا تخلو من الحكمة والموعظة الحسنة، منها أسطورة «تعاقب الفصول»، وأسطورة «السنة الكبيرة»، وهما الأصل الذي بنى عليه الشاعر البريطاني اللورد ألفريد تينيسون (١٨٠٩ - ١٨٩٢م) قصيدته «موت السنة القديمة» (١) التي نورد نصاً بالإنجليزية للمقطع الأول والمقطع الرابع منها، يلي كلا منهما ترجمة شعرية (من

وربح الشتاء زفير شديد يثير الفزع
هَلْمي نواقيس تلك المعابد دوي ببطء
وحزن عميق!

وَبُني بأنغامك الناعمات حديثاً بطيئاً!
ليعلن عن موت تلك السنة!

Fourth Stanza:
He was full of joke and jest,
But all his merry quips are
o'er,
To see him die, across the
waste,
His son and heir doth ride
past-haste,
But he'll be dead before

وتَأني ترجمته شعراً حراً كما يلي:
وكان سعيداً مليئاً بكل معاني الفرح
ولكن كل ملامهي الحياة انتهت عندما
رأى ذا المورثَ فارق حد العدم
وينقض ذاك الوريث على متن ميراثه
ولكن بعيداً التأكد من موته.

تلك صورة من الصور الرمزية الجميلة
التي أبدعها أمير الشعراء الإنجليزي في العصر
الفيكتوري في القرن التاسع عشر. أوردها
الشاعر بمناسبة انصرام السنة القديمة (أي
موتها)، ثم ميلاد السنة الجديدة. وهي في
الواقع شكل من أشكال تجدد الحياة.
وفي المقطوعة الثانية يورد صورة تجدد
الحياة بين البشر:

الأب يموت ويرثه من يخلفه ناقلاً
للأجيال القادمة صفاته الموروثة معبراً بذلك
عن طبيعة التوازن بين بني آدم. وهي صورة
رومانسية ورثها هذا الشاعر عن سلفه وليام
وردزويرث William Wordsworth
حيث يقول في قصيدته نظرات في الخلود
Intimations of Immortality
مايلي:

The Child is Father of the

Man "أي إن «الطفل أب للإنسان» (٢) بما
يحمل من صفات وراثية يورثها لمن يأتي من
بعده من الأجيال.

لقد ورث الشاعر تنيسون مكانة أسلافه
من الشعراء الرومانسيين (الخياليين) من أمثال
وردزويرث ويرون وكميتس، وكتب عن
طبيعة الإنسان ومصيره في الكون، فأبدع في
ذلك وتفوق على أقرانه من الشعراء. فهو أول
شاعر بريطاني كبير يتدبر صورة الإنسان في
الكون في ظل العلم الحديث، ويتناول به شكل
لم يسبق له مثيل. والسبب في ذلك يرجع
إلى نشأته وللظروف الصعبة التي أمضى فيها
سني شبابه، حيث أكسبته خبرته في الحياة
أبعاداً صبغت شعره بالرصانة والعمق واتساع
الأفق.

تلقى الشاعر في طفولته تربية كريمة
ناعمة رغم أنه كان الابن الرابع بين اثني عشر
ولداً وابنة، فانبجست عنده ينابيع الشعر،
وهو لم يتخط العاشرة من عمره، واطلع على
أعمال الكسندر بوب Alexander Pope
وسكوت Scott وميلتون Milton
وقلدهم فتوسعت مداركه، وتلقى تعليمًا أدبيًا
واسع النطاق حتى التحق بجامعة كامبردج
ولكنه لم يتم دراسته فيها نظراً لوفاة والده
وتراكم الديون التي ظهرت بعد وفاته؛ فتأثر
بذلك كثيراً وأدمن التدخين واتصف
بالعصبية، في الوقت الذي أصيب فيه ثلاثة
من إخوانه الذكور باختلال عقلي. وفي تلك
الفترة مات صديق عمره الحميم آرثر هلام
Arthur Hallam.

وفي خضم هذه الأمواج العاتية والرياح
الهوجاء أنشد عدة قصائد منها «أفكار عن
الانتحار»، و«يوليسيس»، و«موت آرثر»،
و«ذكريات» و«الحكيم العريق عيريزيوس»
و«ديميتر»، و«موت أونرنا» ومعظمها يستمد

جذوره من الأساطير الإغريقية. فهي بهذا
صور متجددة لتلك الأساطير القديمة.

وقد وصفه صديقه توماس كارليل بأنه
«رجل وحيد حزين يسكنه الحزن وتزفه
الفوضى والضياع، رغم أنه كان جميل
الطلة يشبه الهنود إلى حد كبير» (٣) وكاد
التدخين والديون والعصبية تقضي عليه لولا
أن بصيصاً من الأمل بدأ يلوح له؛ فقد
انتشله الزواج من حبيبته إميلي Emily
Sellwood في عام ١٨٥٠م بعد فراق
دام أكثر من عشرين عاماً من حياة اليأس
والشقاء. فكان زواجه هذا تجديداً لحياته بعد
ضياع، وأملاً لعمره من بعد يأس. تنافس
معه فحول الشعراء في عصره من أمثال
برادنبخ وسونبيرج، ولكن اتساع أفقه وعمق
تجربته وتنوع أسلوبه أهله ليتفوق عليهم
ويحرز إمارة الشعر.

وقد وصف النقاد شعره بأنه متأثر جداً
بالحياة الريفية في لنكو تشاير، حيث المروج
الخضراء والتلال الرملية والملاحات الشاسعة
تحيط بمنزله، فأبدع في وصفها.
وهكذا تتجدد حياة المرء ويتحول من
حال إلى حال، كما يتجدد عمر الآباء بمولد
أبنائهم، ويتجدد الربيع بنهاية الشتاء والسنة
القديمة بقدم السنة الجديدة.

الهوامش:

1 - Alfred Tennyson, poems, (London: the Scolar Press, 1976) PP. 172, 73.

2 - Brion Martin, ed., "William words worth: Ode, Intimations of Immortality from recollections of Early childhood. "Macmillan Anthologies of english Literature: The nineteenth century: 1780-1900, (London: Macmillan education Limited, 1989) PP. 43-49.

3 - W.W.R., "Tennyson, Alfred, Lord," Encyclopaedia Britannica, Vol. 18, (Chicago: Encyclopaedia Britannica, inc., 1975) PP. 140-42.



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

محمد التمهود من الشيطان الرجيم

كثيرة ليس معناها الفرض والحتم، وكذلك قوله: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ معناه التذلل والإرشاد ليس على الفرض والحتم.

وقال أبو بكر الجصاص (٣٧٠هـ) في كتابه «أحكام القرآن»: «والاستعاذة ليست بفرض؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها الأعرابي حين علمه الصلاة، ولو كانت فرضاً لم يخله من تعليمها».

وقال أبو محمد ابن حزم (٤٥٦هـ) في كتابه المحلى: «وفرض على كل مصل أن يقول إذا قرأ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. لا بد له في كل ركعة من ذلك لقول الله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾».

وعزا إلى أبي حنيفة والشافعي أنهما لم يريا ذلك فرضاً، وقال: قال مالك: لا يتعوذ في شيء من الفريضة ولا التطوع إلا في صلاة القيام في رمضان، فإنه يبدأ في أول ليلة بالتعوذ فقط ثم لا يعود.

ثم قال أبو محمد: «ومن الخطأ أن يأمر الله تعالى بأمر ثم يقول قائل بغير برهان من قرآن ولا سنة: هذا الأمر ليس فرضاً لاسيما أمره بالدعاء في أن يعيذنا من كيد الشيطان، فهذا أمر متيقن أنه فرض، لأن اجتناب الشيطان والفرار منه وطلب النجاة منه لا يختلف اثنان في أنه فرض؛ ثم وضع الله تعالى ذلك علينا عند قراءة القرآن».

ولم يوجب أبو محمد التعوذ في قراءة آيات لم يقصد بها التلاوة.

ثم ساق أبو محمد أقوال من يرى أنه وافقهم من الصحابة والتابعين، والواقع أن تلك الأقوال التي ساقها تدل على مشروعية التعوذ في الصلاة، وليس فيها ما يدل على أن قائلها يرون الوجوب إلا نصّ عطاء فقط، حيث أوجبها في الركعة الأولى.

قال أبو محمد ابن حزم في محله: «فمن نسي التعوذ حتى ركب أعاد متى ذكر فيها، وسجد للسهو إن كان إماماً أو فذاً، فإن كان مأموماً ألقى ما قد نسي إلى أن ذكر، وإذا أتم الإمام قام يقضي ما كان ألقى ثم سجد للسهو».

وذكر شمس الدين السرخسي في المبسوط مذهب عطاء عن وجوب التعوذ، ثم عقب بقوله: «وهو مخالف لإجماع السلف فقد كانوا مجمعين على أنه سنة».

وقال ابن عطية عن الاستعاذة في غير الصلاة: «وأجمعوا استحسان ذلك والتزامه في كل قراءة في غير الصلاة، ثم نقل قول الزهري عن الحسن: نزلت الآية في الصلاة وتدبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة، وليس بفرض».

ونقل أبو إسحاق الشيرازي قول الشافعي في «الأم»: «يقول في أول ركعة، وقد قيل إن قاله في كل ركعة حسن ولا أمر به أمري في أول كل ركعة».

وبناء على هذا الكلام اختلف أصحاب الشافعي فمنهم من قال: يستحب التعوذ في كل ركعة وهو في الأولى أشد استحباباً.

ومنهم من قال: يستحب في الأولى ولا يستحب فيما عدا ذلك.

وجزم النووي في المجموع أن مذهب الشافعي استحباب

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: نسيت الاستعاذة؟ قال: لا أعوذ ولا أسجد سجدتي السهو، فسوف أستعبد.

قلت: فقد أمرنا بالاستعاذة كما أمرنا بالوضوء؟ قال: ليس ذلك كالوضوء.. كلام سوف أقوله إذا ذكرت في صلاتي.

قلت: فلم أذكر حتى فرغت؟ قال: فحسن.. أفرغ أستعبد.

قال أبو عبد الرحمن: ومن هذه النصوص عن عطاء - رحمه الله - يتلخص لنا أنه مذهبه وجوب الاستعاذة في الصلاة، والتلاوة؛ لأنه أخذ بظاهر الأمر في قوله تعالى: ﴿فاستعذ﴾.

ومذهبه تكرير التعوذ؛ لأنه يتعوذ في الافتتاح للصلاة ثناء، ويتعوذ قبل القراءة في الصلاة لأجل التلاوة.

ومذهبه أن من نسي التعوذ في الصلاة لا يسجد سجدة السهو، وإنما يتعوذ متى ما ذكر.

ومذهبه أن وجوب الاستعاذة لعموم الصلاة سواء أكانت فرضاً أم نفلًا. ومذهبه أن الاستعاذة في أول ركعة يجزئ عن الاستعاذة لبقية الركعات وبقية الصلوات بعدها، وأن الاستعاذة فيما عدا الركعة الأولى مستحبة.

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن إبراهيم النخعي أنه قال: يجزئك التعوذ في أول شيء.

وروى عبد الرزاق بإسناده إلى الحسن أنه كان يستعبد مرة واحدة في الصلاة.

وقال ابن جرير (٣١٠هـ) في تفسيره «وليس قوله: ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وتذلل، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها: أنه لم يرضح فرضاً واجباً، وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا، ثم ساق بإسناده إلى ابن زيد قوله: فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه».

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب (٣٥٥ - ٤٣٧هـ) في كتابه الكشف: «لفظ الأمر في القرآن يأتي على وجوه

أخرج عبد الرزاق (١٢٦ - ٢١١هـ) في المصنف بإسناده إلى عطاء قال: الاستعاذة واجبة لكل قراءة للصلاة أو غيرها. قال ابن جريج: قلت له: من أجل ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾؟

قال: نعم. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: أرأيت لو استدركي آيات فقرأتها عليك أستعبد؟

قال: لا.. إن شئت، ولكن إن عرضت قرأتها، وابتغيت في صلاة أو غيرها عرضاً قراءة تقرأها فاستعذ بالله. قلت: أرأيت لو صليت ركعتين خفيفتين أستعبد لهما؟

قال: نعم. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: أرأيت لو أني دخلت قبل الصلاة فاستنحت، فاستعذت، فقرأت حتى أقيمت الصلاة: أستعبد للمكتوبة أيضاً؟

ثم أنصرف من المكتوبة ثم صليت بعدها.. لها أستعبد أيضاً؟ قال يجزئ عنك الاستعاذة الأولى، فإن استعذت لذلك فحسن.

وقال عطاء أيضاً كما أسنده إليه عبد الرزاق: يجزئ عنك التعوذ في كل شيء، وإن زدت فلا بأس.

وروى عبد الرزاق في مصنفه بإسناده إلى ابن جريج قال: قلت لعطاء: فاستعذت بركعتين ثم أخرى ثم أخرى: فاستعبد لكل صلاة؟

قال: يجزئ عنك الأولى، فإن استعذت أيضاً فحسن. قلت: صليت فبيناً أنا أصلي جساءني إنسان لحاجة، فانصرفت إليه، ففقت حاجته، ثم قمت أصلي مرة أخرى؟

قال: يجزئ عنك الأولى، فإن استعذت أيضاً فحسن. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: فرغت من القول قبل القراءة؟

قال: نعم استعذت فأقرأ بسم الله الرحمن الرحيم.. أعوذ بالله السميع العليم الرحمن الرحيم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك أن يحضروني، ويدخلوا بيتي الذي يؤويني.

التعوذ في كل ركعة، وذكر أن ذلك تصحيح كل من أبي الطيب الطبري، وإمام الحرمين والغزالي في البسيط والروائي والشافعي والرافعي.

قال النووي: «ولو ترك التعوذ في الأولى عمدًا أو سهوًا استحب في الثانية بلا خلاف».

قال أصحابنا: والفرق بين التعوذ والاستفتاح: أن الاستفتاح مشروع في أول الصلاة، وقد فات فصار كالفرغ من الصلاة، وأما التعوذ فمشروع في أول القراءة، والركعة الثانية وما بعدها فيها قراءة.

وذكر قول الشافعي في «الأم»: إن من ترك التعوذ عمدًا أو سهوًا فليس عليه شيء.

قال النووي: «قال الشافعي والأصحاب: يستحب التعوذ في كل صلاة فريضة أو نافلة أو مندورة لكل مصل من إمام ومأموم ومنفرد ومضطجع ورجل وامرأة وصبي وحاضر ومسافر وقائم وقاعد ومحارب إلا المسبوق الذي يخاف فوت بعض الفاتحة لو اشتغل به فتركه ويشترع في الفاتحة ويتعوذ في الركعة الأخرى».

ثم ذكر خلافاً للشافعية في التعوذ لصلاة الكسوف وصلاة الجنازة نظرًا: لأن الأخيرة مبنية على التخفيف.

ثم قال النووي: «وأما أصله فاستحب للمصلي جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ومنهم ابن عمر وأبو هريرة وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وابن سيرين والنخعي والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وسائر أصحاب الرأي وأحمد وإسحاق وداود».

وقال مالك: لا يتعوذ أصلاً لحديث المسيء صلته، ودليل الجمهور الآية: واستدلوا بأحاديث ليست ثابتة، فالآية أولى.

ثم ذكر أن استحباب التعوذ في كل ركعة هو الأصح في مذهب الشافعية، وبه قال ابن سيرين.

وقال عطاء والحسن والنخعي والثوري وأبو حنيفة: يختص التعوذ بالركعة الأولى.

وأما استحبابه للمأموم فمذهبنا أنه يستحب له كما يستحب للإمام والمنفرد.

وقال الثوري وأبو حنيفة: لا يتعوذ المأموم؛ لأنه لا قراءة عليه عندهما. وأما حكمه فمستحب ليس بواجب.. هذا مذهبنا ومذهب الجمهور.. ونقل العبدري عن عطاء والثوري أنهما أوجباه.

قال العبدري: وعن داود روايتان إحداهما وجوبه قبل القراءة، ودليله ظاهر الآية، ودليلاً حديث المسيء صلته.

وقال القرطبي في تفسيره: «هذا الأمر على الندب، وقول الجمهور في كل قراءة في غير الصلاة».

وذكر الخازن احتجاجاً من أوجبها بمواظبة الرسول صلى الله عليه وسلم عليها، فكانت واجبة لذلك.. ورد هذا الاحتجاج بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأطب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة.

ونقل الخازن والجليل عن ابن سيرين أن الرجل إذا تعوذ في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب.

وقال ابن حبان عن آية ﴿فاستعذ﴾: «والظاهر طلب الاستعاذة عند القراءة مطلقاً».

وقال ابن كثير: «فاستعذ أمر ظاهره الوجوب، وبمواظبة

الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولأنها تدرأ الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب».

وذكر النيسابوري مذهب من لم ير الوجوب مستدلاً بعدم تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم الاستعاذة للأعرابي، ثم ناقشه بقوله: «ورُفِي بأن الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلاة، فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها».

ومن المناقشات التي قيلت: «أن الاستعاذة من واجبات التلاوة في الصلاة وليست من واجبات الصلاة نفسها، أو أن قول الاستعاذة للقراءة في الصلاة كان ظاهراً معهوداً فاستغنى عن ذكرها في تعليم الأعرابي.. ذكر ذلك الألوسي».

ويرى الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي أن الأمر بالاستعاذة للندب لما روي من ترك النبي صلى الله عليه وسلم لها.. وإذا ثبت هذا كفى صارفاً.

وقال القاضي الشوكاني في «نيل الأوطار»: «لا شك أن الآية تدل على مشروعية الاستعاذة قبل قراءة القرآن، وهي أعم من أن يكون القارئ خارج الصلاة أو داخلها».

وأحاديث النهي عن الكلام في الصلاة تدل على المنع منه حال الصلاة من غير فرق بين الاستعاذة وغيرها ما لم يرد به دليل يخصه ولا وقع الإذن بجنسه، فالأحوط الاقتصار على ماوردت به السنة وهو الاستعاذة قبل قراءة الركعة الأولى فقط.

وعلى الألوسي في «روح المعاني» قول أبي حنيفة بمشروعيتها للركعة الأولى فقط بقوله: لأن قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة، وقيل إنها عند أبي حنيفة للصلاة، ولذا لا تكرر.

والمذكور في الهداية وغيرها أنها عند محمد للقراءة دون الناء حتى يأتي بها المسبوق دون المقتدي.

وقال أبو يوسف: إنها للثناء.

وفي الخلاصة أنه الأصح.

قال الألوسي: «مذهب ابن سيرين والنخعي وهو أحد قول الشافعي أنها مشروعة في القراءة في كل ركعة، لأن الأمر معلق على شرط فيتكرر بتكرره، وأيضاً حيث كانت مشروعة في الركعة الأولى فهي مشروعة في غيرها من الركعات قياساً للاشتراك في العلة».

وهناك من علل عدم الوجوب؛ لأنها شرعت لدفع الوسوسة فأجاب الألوسي عن ذلك بأن هذا التعليل لا يصرف الوجوب عن ظاهره، وأنه يصح الوجوب مع التعليل بدفع الوسوسة.

وكان الألوسي لم يجد وجهاً لدعوى الجمهور أن الأمر ليس على ظاهر الوجوب فقال: فالله تعالى أعلم بالصواب على قول الجمهور.

والحمل على الندب هو مذهب جمهور القراء كما في الإرشادات الجلية، والبدور الزاهرة.

قال أبو عبد الرحمن: هذه هي مذاهب العلماء في حكم الاستعاذة، واختار أن كل أمر ورد بالاستعاذة فهو على الوجوب، ففرض على من أراد دخول الحلاء أن يتعوذ، وفرض على من أراد الإقضاء إلى أهله أن يتعوذ، وفرض على

من أراد القراءة أن يتعوذ؛ لأن أصل الأوامر الوجوب والعموم والقصور.. هذا هو الظاهر القوي والشرعي، ولا يجوز صرف الأمر عن ظاهره إلا ببرهان، ولم نجد برهاناً على صرف أوامر الاستعاذة عن الوجوب.

والتعوذ فعلة الرسول صلى الله عليه وسلم في صلته، وواظب عليه، وعلمه أصحابه، ولم يصح قط أنه تركه.. وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ها هنا للوجوب؛ لأنه تأول وأمثال لقوله تعالى: ﴿فاستعذ﴾.. وهو أمثال من مبلغ الشرع صلى الله عليه وسلم المعصوم في بلاغه، والبرهان على ذلك أن القراءة تلي التعوذ في الصلاة مباشرة، فعلمنا يقيناً أن التعوذ مشروع لتلاوة الصلاة.

ولانزال على دعوى الوجوب لكل تلاوة تتكرر في الصلاة إلا أن يقوم برهان على استثناء بعض الركعات.

ولا نقول: إن من ترك التعوذ في الصلاة سهواً يسجد للسهو، ولا نقول: يعيد صلاته.. لأن كل واجب في صلاة أو غيرها لا يُبطل العبادة تركه سهواً، ولا يوجب سجوداً أو كفارة إلا بدليل ينص على ذلك، والبرهان على هذا الأصل في الشرع العفو عن السهو والخطأ، فلا نزال على هذا الأصل حتى يرد برهان يستثني من هذا الأصل شيئاً بوجوب سجود سهو أو كفارة.

أما من ترك التعوذ عمدًا في صلاته سواء أكانت صلاة تطوع أم فرض فلا يخلو من إحدى ثلاث حالات:

فأما أن يكون جاهلاً بالحكم فهذا لا إثم عليه وصلاته تامة.

وأما أن يكون من أهل العلم وقد ترجح في اجتهاده أن الاستعاذة غير واجبة، وكان صادقاً في اجتهاده بمعنى أنه لم يحصل له يقين أو رجحان بأن الاستعاذة واجبة، فهذا مجتهد مأجور فلا حرج عليه وصلاته تامة.

وأما أن يتركها عمدًا مع عقيدته بوجوب الاستعاذة فهذا آثم وصلاته باطلة؛ لأنه تعمد ترك ما اعتقد وجوبه، فعمل عملاً ليس عليه أمر الشرع. ولا أخال يفعل ذلك إلا المستهزئ بالشرع.

وأما ما سلف من كلام العلماء فيحتاج إلى الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: أن عطاء - رحمه الله -، فيما أسنده إليه عبد الرزاق جعل دليلاً على وجوب الاستعاذة للتلاوة والصلاة قوله تعالى ﴿فاستعذ﴾ فحسب، والواقع أن الآية دليل على وجوب الاستعاذة للتلاوة، وأما شمول الحكم لتلاوة الصلاة فمحل نزاع بين الأصوليين، فلما استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم انكشف البيان بفعله، فعلمنا أن الاستعاذة لتلاوة الصلاة أيضاً، وإذن فالدليل للاستعاذة للصلاة يكون بالآية والأحاديث معاً.

الوقفة الثانية: أن عطاء - رحمه الله - ذهب إلى إجزاء الاستعاذة في صلاة ما عمأ يليها من صلوات.

والمنقطع به أن الأصل مشروعية الاستعاذة لكل صلاة بموجب الآية والأحاديث، فلا ننصرف عن هذا الأصل إلا بدليل.

أما الاستعاذة لكل ركعة، وأما الاستعاذة لقراءة لا يقصد بها التلاوة فلذلك مسألتان مستقلتان.

حُزْمُ التَّعَوُّذِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عَمُومًا وَلِلصَّلَاةِ

الوقفه الثامنة: أن عطاء - رحمه الله - قال باستعاذة ثانية في الصلاة تكون بعد استعاذة الاستفتاح وقبل القراءة.

وهذا القول لا أعلم له دليلاً نقلياً.. أما من جهة النظر ففعل عطاء ففهم من استعاذة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها للثناء ضمن الاستفتاح، وفهم من الآية استعاذة التلاوة في الصلاة، وهذا النظر مدفوع؛ لأن الأصل في الصلاة أن لا يقال فيها إلا ما شرع لها، فلما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذة واحدة وجب أن نقف عند ذلك ولا نزيد، ومن ثم علمنا علم اليقين أن استعاذة الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة إنما هي للتلاوة وليست من جملة الاستفتاح. ولو كانت استفتاحاً لقدمها أولاً.

الوقفه الرابعة: أن عطاء - رحمه الله - لم يذكر الفرق بين الأمر بالاستعاذة والأمر بالوضوء، والفارق أن الوضوء شرط لصحة الصلاة بموجب براهين ليس هذا مجالها، أما الاستعاذة فقد ثبت وجوبها ولم يقدّم برهان على شرطيتها.

القول بأن من صلى ولم يتعوذ عمداً وقد قام له البرهان على وجوب التعوذ واعتقد ذلك فصلاته باطلة: ليس معناه أن الاستعاذة شرط لصحة الصلاة، بل معني ذلك أنه تعمّد ترك واجب من الصلاة دون برهان فلم يصل كما أمر، ولا محمل له إلا العبث والاستهزاء، فلا صلاة له، بل يتوب ثم يصلي كما أمره الله.

الوقفه الخامسة: أن الإمام ابن جرير - رحمه الله - لم يذكر دليلاً على صرف الأمر عن ظاهر الوجوب غير دعوى الإجماع، وهي دعوى سهلة.. ثم أي دعوى للإجماع مع وجود الخلاف من عطاء والثوري ودأود في إحدى الروايتين والشافعي كما في أحكام البيهقي.

وقول ابن زيد عن الأمر بالاستعاذة: «فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه» لا يعني أن الأمر ليس بواجب؛ لأن كل ما أوجبه الله دليل من الله.

الوقفه السادسة: أن الإمام مكّي بن أبي طالب لم يأت بدليل على عدم الوجوب إلا ما ذكره من ورود بعض الأوامر وهي ليست للوجوب، وهذا لا يصلح دليلاً؛ لأن الخلاف لم يكن حول صيغ الأوامر وأنها تأتي لغير الوجوب، وإنما الخلاف في أمر من الأوامر وهو الأمر بالاستعاذة لم يقدّم برهان على أنه لا يبراهن بالوجوب، فلا نزال على الأصل الذي هو الوجوب حتى يقوم برهان على خلافه.

الوقفه السابعة: أن من لم يَرُوجِب الاستعاذة استدلل بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُعَلِّم الاستعاذة المسببة لصلاته.

قال أبو عبد الرحمن: إن ما لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينفي ما بينه في موضع آخر، وكثير من الواجبات لم يبينه للأعرابي، وإنما بين له بقدر ما رآه من إخلال الأعرابي بصلاته.

الوقفه الثامنة: أن جمهور الشافعية ذهبوا إلى أن القول بالاستحباب هو مذهب الشافعي، والذي ظهر لي من نص الشافعي في «الأم» أنه يقول بالوجوب، لأنه لمح إلى مذهب عطاء فأخذ يشق منه وترك شقاً، وما أخذه هو الوجوب.

إلا أنه لما قال: «إن تارك التعوذ عمداً لا شيء عليه» علم أن مذهبه الاستحباب، وربما كان مذهبه الوجوب، وإنما قال لا شيء على العائد بمعنى أن صلاته صحيحة، وهذا هو الأرجح؛ لأن البيهقي أسند إليه نصاً صريحاً بالوجوب.

الوقفه التاسعة: أن الاحتجاج على الوجوب بمواظبة الرسول صلى الله عليه وسلم احتجاج جيد، ولا يدفع هذا الاحتجاج القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم واطب على أشياء غير واجبة.

بل نقول إن هذه المواظبة مقترنة بالأمر في الآية الكريمة وهي قوله تعالى: «فاستعذ». والوقفه العاشرة: أن بعضهم احتج على عدم الوجوب بأنه روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك التعوذ بعض المرات.

والواقع أنه لم يَرُوجِب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ترك الاستعاذة، وإنما هي ظنوا من بعض النصوص. والوقفه الحادية عشرة: أنه روي عن ابن سيرين - رحمه الله - أن الرجل إذا تعوذ في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب.

وأرجو أن لا يصح ذلك عن ابن سيرين - فإن صح فهو اجتهد لا يخلو من أجر واحد إن شاء الله.

ويكفي لرد هذا الرأي أن قوله تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» بمعنى: كلما أردت القراءة فاستعذ؛ لأن الله علق الأمر بالإرادة، والإرادة ليست مرة في العمر، فصح أن الأمر يتكرر بتكرر الإرادة.

الوقفه الثانية عشرة: أن استدلال ابن كثير على الوجوب بأن الاستعاذة تدرك الشيطان استدلال جيد. ويبان ذلك أن البراءة من الشيطان ومعاداته والتحرز منه مطلب شرعي بنصوص قطعية الوجوب.

ثم وجدنا الاستعاذة تكون في حالتين: أولاهما: التعوذ من الشيطان حين الإحساس بكيده لقوله: «إما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله».

وأخرى الحاليتين: التعوذ منه ابتداء في حالات معينة وأوقات معينة كحالة إرادة القراءة، فالأمر بالاستعاذة حال القراءة تأكيد لعموم الأمر بالتحرز من الشيطان.

الوقفه الثالثة عشرة: استدلال ابن كثير على الوجوب بأن الاستعاذة أحوط، وأن ذلك من مسالك الوجوب، احتجاج جيد، ويبانه أن المصلي واجب عليه أن يخشع ويتجرد للعبادة، والشيطان حريص على اختلاس عبادته، ولهذا أمر الله عباده بالتعوذ من الشيطان الرجيم.

فلما كان الخشوع واجباً وجب أيضاً ما يكون سبباً للخشوع.

وهذا معنى قولهم: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. والوقفه الرابعة عشرة: ذكر الرازي في تفسيره أن القراءة في الصلاة أكد.

فإن كان الرازي نظر إلى المعنى ففعل الصلاة أولى بالتعوذ؛ لأنها تلاوة وزيادة؛ ولأنها ركن، ولأنها أفضل الأعمال؛ ولأنها صلة العبد بربه.

وإن أراد الرازي مفاهيم النصوص فلا يظهر لي أن التعوذ في الصلاة أكد؛ لأن الأمر نص في التلاوة، ولم تشمل به الصلاة إلا بعد ورود البيان من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

الوقفه الخامسة عشرة: أننا جعلنا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بتعوذه في الصلاة دليلاً على الوجوب؛ لأنه امتثال لأمر الله إياه وأمنه بالتعوذ، فلما دام عليه الصلاة والسلام على التعوذ علمنا أن فعله بيان للوجوب وامتثال به.

الوقفه السادسة عشرة: أن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم: حال الشيطان بيني وبين قراءتي.

فاستدل ابن حزم بهذا الحديث على وجوب التعوذ للقراءة، وهذا الاستدلال غير ظاهر؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل له: لماذا لم تتعوذ عندما أردت التلاوة؟

وإنما قال له: ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ، فهذا الحديث موافق لآية: «فإذا ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله»، وليس موافقاً لقوله تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ».

الوقفه السابعة عشرة: أن ابن حزم ذكر من كان يتعوذ في الصلاة من الصحابة والتابعين، واستدركت عليه أن فعلهم لا يدل على أنهم يرون ذلك واجباً، وإنما يدل على أنهم يتعوذون فقط.

وكما استدركت هذا على ابن حزم فإنني مستدرك عكسه على الجمهور فلا يستدلوا على عدم الوجوب بالإجماع.

بل نقول الأرجح في الظن أن كل من روي عنه التعوذ فإنه يرى ذلك واجباً حتى يصح عنه نقل آخر بأنه ترك التعوذ في إحدى المرات.

الوقفه الثامنة عشرة: أن الثعلبي - رحمه الله - قال: لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعوذ في صلاة. وأقول: هذا زعم عجيب، فإن النصوص في ذلك كثيرة.

الوقفه التاسعة عشرة: نقل أبو الليث السمرقندي - كما في تفسير القرطبي - عن بعض المفسرين: أن فرض القرآن التعوذ، فإذا نسيه القارئ وذكره في بعض الحزب قطع وتعوذ ثم ابتداء من أوله، وبعضهم يقول: يستعيذ ثم يرجع إلى موضعه الذي وقف فيه.

وبالاول قال أساتيد الحجاز والعراق، وبالتالي قال أساتيد الشام ومصر.

قال أبو عبد الرحمن: الصواب - إن شاء الله - أن يتعوذ إذا ذكر، ويبدأ التلاوة من حيث وقف فلا يعيدها.

برهان ذلك حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه، فلم يأمره الرسول صلى الله عليه وسلم بإعادة التلاوة، وإنما أمره بالتعوذ.

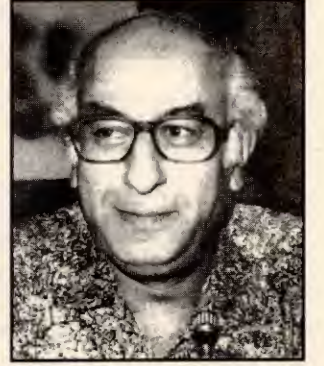
الباحث والناقد الألسني منذر عياشي

حوار مع

اللغة

هي الوجه الأبرز لـ"السينة النص"

أجراه: أحمد خيرى



ومعاشي الغربي.
إذا أردنا أن نوازن بين واقعنا الأدبي
هنا والأدب هناك في الغرب فما أوجه
المقاربة بين الأدبين؟

أولاً: لامجال للمقاربة بين الأدبين
العربي والغربي، ذلك لأن الأدب الغربي
ينطلق من مبدأ اتساقه مع الحضارة التي
يكتب بها ومن أجلها. وأما الأدب العربي
المعاصر فإنه لا يقوم على أساس مساوق
للأدب العربي، بمعنى أنه لا يبحث عن
الاتساق مع الحضارة التي يكتب فيها ومن
أجلها، ولكنه يلهث وراء تقليد باهت
ومشوه للأدب الغربي.

ثانياً: يمكن أن نقف على حالات قليلة
من الأدب العربي المعاصر تعد تمثيلاً حقيقياً
لروح الشرق وانتماء الشرقي إلى حضارته،
ولكن هذه الأمثلة لا تشكل ظاهرة، لذلك
لا يصح الكلام عنها، ولا يجوز موازنتها
بالنسق الغربي للأدب.

النص الإبداعي، هل هو حالة مرضية أم أنه يمثل لحالة اجتماعية. أم أنه تعبير عن
صراع بين الطبقات؟ كيف يمكن تفسير النص تفسيراً صحيحاً؟ هذان السؤالان
وأئلة أخرى عديدة حاولت المذاهب النقدية الحديثة كالبنوية والألسنية الإجابة عنها،
وكان البون شاسعاً بينها.

الدكتور محمد منذر عياشي من النقاد البارزين في الدراسات الألسنية، قدم في
هذا الحوار رؤيته الذاتية للمناهج النقدية الحديثة وكان انخيازه واضحاً للمنهج
الألسني، وحدد مسوغاته في ذلك.

فهي غربة جغرافية. بمعنى أنني غادرت فيها
الوطن الذي ولدت فيه وترعرعت إلى وطن
آخر أعاد ولادتي من جديد.

وهنا أيضاً عشت نوعاً من الصراع،
أبرز ما كان فيه الصدمة الحضارية، فأنا
سليل نسق حضاري روحاني، والمكان
الذي وجدت نفسي فيه إنما كان سليل
نسق حضاري مادي. كان من الصعب
علي أن أوفق روحياً بين نسبي الشرقي

أولاً نتحدث عن رحلتك مع الغربة
وعن بداياتك

لقد عشت غريبتين، الأولى داخل الوطن
والثانية خارجه، أما الأولى فقد كانت غربة
ثقافية ومعرفية وحضارية، وفي هذه الغربة
كنت أصطدم على الدوام مع الشععارات
المطروحة التي كنت أرى فيها تزييفاً لما أؤمن
به ولما هي عليه حضارة الكائن الشرقي
(أقصد حضارة النص). وأما الغربة الثانية

لكينونة النص، ولكن اللسانيات تدرس اللغة أيضا في إطارها الاجتماعي، وجانبها الفلسفي والنفسي. والنص يبرز في بعض وجوهه حاملا لحالات نفسية، وهكذا يمكننا أن نعدد المجالات المعرفية والعلمية التي تدرسها اللسانيات وتبدعها في دراسة اللغة، وهذا ما يجعلني أتكى على اللسانيات في مقارنة النص.

في المناهج النقدية الحديثة كيف تنظر إلى شخصية البطل في النص؟

هل هي اللغة، أم الأسلوب، أم البيئة؟ الشخصية هي النص، والنص كما أسلفنا كائن لغوي والبطل إنما هو صيغة لغوية يخلقها النص لكي يقول نفسه فيها. وبهذا المعنى يختلف البطل في النص خلقا عن الشخص في الواقع خلقا، إنه في النص كائن لغوي وهو في الواقع كائن شخصي، واختلاف هذين الكائنين هو الذي يعطي للأدب مكانته، ليس بوصفه محاكاة للواقع، ولكن بوصفه إبداعا جديدا للواقع، وخلقاً مغايراً له. ولذا لا يصح أن نتعامل مع

د. محمد منذر عياشي

- من مواليد حلب، سورية ١٩٤٥ م.
- دكتوراه في اللسانيات، أكس بروفانس، فرنسا.
- عمل مدرسا للغة العربية، والفرنسية.
- من مؤلفاته: قضايا لسانية وحضارية، مقالات في الأسلوبية، وله تحت الطبع: النقد والمعمار، من فلسفة اللغة إلى ممارسة النص، الإسلام وصراع الأفكار، الإسلام وإنتاج الأفكار، جنون اللغة، دراسات في علم اللغة.
- كما ترجم: مفهوم الأدب (تودروف)، علم الدلالة، علم الإشارات، الأسلوبية والأسلوب، دولان بارت (لذة النص)، المدخل إلى التحليل البنيوي للعقل، نقد الحقيقة.

الشخص في النص على أنه شخص الواقع، ولكن يجب أن نتعامل معه على أنه مخلوق من مخلوقات النص.

البنوية تعاملت مع النص بوصفه جملا. هل تعتقد أن المعيارية ضرورية في النص النقدي الحديث؟

لقد تعاملت البنوية مع اللغة في مرحلتها الأولى تعاملًا وقفت به عند حدود الجملة، ولكن البنوية بعد أن أعلن بنائها موتها تحولت من إطار الجملة إلى إطار النص، وبهذا تمكنت من الدخول إلى عالم الأدب بشكل فاقته به حدود النظر إلى البنية المغلقة. وتجاوزت نفسها، مما أدى بها إلى الدخول إلى النص بوصفه بنية مفتوحة تقبل التأويل والتعدد.

النقد الحديث . ماذا يريد من النص؟

إبداعه أم مبدعه؟

إن النقد اللغوي الجديد لا يبحث في دائرة النص عن كاتب النص، فبارت قد أعلن موت الكاتب، ولذا نجد أن النقاد المشتغلين في هذا الاتجاه قد عَنُوا بالنص في ذاتيته النصية، وبحثوا عن اللحظات الإبداعية فيه وذلك عبر تركيبه اللغوي من جهة، وما يعكسه هذا التركيب من بنية حضارية وثقافية واجتماعية من جهة أخرى.

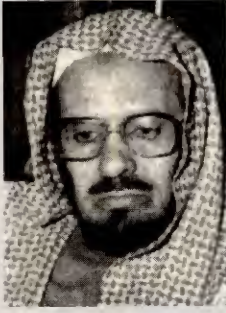
ثم إنهم لم يقفوا عند هذا الحد، فكما أنهم تجاوزوا المؤلف نجد أنهم أيضا قد تجاوزوا الناقد وأحلوا محله القارئ، وأسسوا لعلاقة يقوم طرفاها بين نص من جهة وقارئ مستقبل لهذا النص من جهة أخرى. وهكذا فقد حل النص محل الكاتب، وحل القارئ محل الناقد، وحلت قوانين النص محل المعايير السابقة، وحل التأويل محل وجهات نظر الناقد.

بوصفكم ناقدا، كيف ترى السبيل لاختيار النهج النقدي المناسب؟ وما مفهومك للنص النقدي؟

النص كائن لغوي، وعلى الناقد أن يأتي النص من باب هذا، وليس من الأطروحات السابقة عليه والمعدة سلفا. والناقد، لكي يبنى نصه النقدي، عليه أن يفكر أولا بالنص الأول أي بالنص الإبداعي الذي يكتب عنه، وعليه أن يبحث من ثم عن القوانين الداخلية التي يُبنى بها هذا النص، وأنه من غير إجراء هاتين العمليتين فكرا وبحثا لا يستطيع أن يأتي بنص نقدي. وإنما هو في أحسن الأحوال سيكون بلاغيا، وفي أسوأها، وهذا هو السائد، سيكون مذهبيا (أيديولوجيا).

أي المناهج النقدية تعتقد أنها قادرة على القيام بالعمل النقدي؟

لكي نتكلم عن منهج نقدي يجب أن نتكلم عن نص إبداعي، ذلك لأن النقد بعض من النص في إبداعه وشيء من أشتائه، ومادمتنا قد بدأنا القول إننا لا نملك نصا يستلهم الشرق وحضارته، فإننا بالمقابل مانزال لا نملك نصا أو منهجا نقديا بالمعنى الدقيق، ومع ذلك إذا تجاوزنا هذه المعضلة أو لنقل هذه الأزمة، ولكي نتكلم عن منهج نقدي، فأنا أرى أن اللسانيات هي المنهج الأقدر والأنسب على مقارنة النص الأدبي. لا شيء إلا لأن اللسانيات أصبحت مولدا لشتى المعارف ولعدد من العلوم التي يحتاج إليها النص، سواء في مقارنته أو في تحليله ونقده. فاللسانيات منهج يدرس اللغة، واللغة هي الوجه الأبرز



الشباب والفكر المحموم

د. محمد بن سعد الشويعر

عليهم، سواء كان اجتماعياً، أو مالياً، وسواء كان عقدياً أو تربوياً. أو غير ذلك من الأفكار الكثيرة، والتي يحصر الخصوم على طرحها أمام الشباب المسلم، رغبة في بلبلة أفكارهم، وتشكيكهم في دينهم.

وتبرز هذه النقطة واضحة في نظرة أصحاب تلك المبادئ والأفكار المعادية للإسلام، حيث يرونها صلباً أمام ما يدعون إليه، ولذا جابهوه بالعداء، واستعملوا ما يستطيعونه في محاولة لإسكات صوت الحق: بالتشكيك الكلامي، وبالشبهات والمغريات، وبغير هذا من الأساليب التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم بأنها طريق من طرق الهلاك، حيث قال: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

وبعض الشباب المسلم، ممن ضعفت الحصانة عندهم - عند احتكاكهم بالأفكار الأخرى: دراسة وثقافة وعملاً - قد يغترون بتلك الأفكار فيجرفون معها، إما تطلعاً للشاء، أو رغبة في البروز الاجتماعي، أو رغبة في تقليد من يسلك بالدفة في الأدب والفن وغيرهما، أو بغير هذا من الطرق الموصلة للشهرة التي يقود إليها المثل القاتل: «خالف تعرف».

ودور الشباب المؤمن بربه في أي مكان، أن يحسن بأهمية دينه في توجيهه ورعايته، ليجد في الأمور التي انبهر بها تنبيهاً لما كان غافلاً عنه، وتوضيحاً يدرك به ما يراد به من خطر يوجه إليه، ضمن الأفكار الوافدة، والتي لا تجد لها مجالاً للانتشار في البيئة الإسلامية، إلا مع قصور الوعي الديني.

ولا ينبو من هذه الشراك - بعد توفيق الله - إلا من تشبع بفكر الإسلام ودلالات نصوصه؛ لأن في تعاليم الإسلام حلاً لكل معضلة تعترض، وحلاً لكل مشكلة تطرح، ألم يقل سبحانه وقوله الحق: ﴿وما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: ٣٨).

ولأنجاة من الأفكار الرديئة إلا بالاهتمام والحرص على فهم ما تنبئ عنه نصوص دين الإسلام، فكراً وعملاً كما روى الإمام مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. والعلماء قالوا في هذا: أول هذه الأمة صلح بالإسلام وفهم شرع الله قولاً وعملاً، وآخرها لن يصلح إلا الإسلام والاهتمام بشرع الله قولاً وعملاً.

إن الناشئة وهم يتطلعون إلى المعرفة، عندما يقع في أيديهم كتاب سيئ أو مقال رديء، أو تعرض أمامهم شبهة تدخل الشك وتبيل الفكر بعرضها المادي، أو مناقشتها التعسفية، فإنهم يقعون في حيرة، إذ لم يتحصنوا أو يتشبعوا معرفياً.

هذه الحيرة قد تقودهم عقلياً للشك فيتصارع في نفوسهم: شك مبعثه فكر مسموم من أي مصدر من مصادر الثقافة، ومن أي جهة قصدتهم به، فإن بعضهم يأخذ على أنه تعليم وتربية من تعاليم الإسلام دون إمعان النظر في المغزى.

وما أكثر الأفكار في عصرنا الذي تقاربت فيه الثقافات، فهي تُعرض - على كثرة مصادرها - بأسلوب شائق تحوطه النظريات المادية، كما تُعرض البضاعة في أغلفة جميلة وبراقة، فتجذب الأنظار بلونها وطريقة عرضها.

تأتي خطورة هذه الأفكار إذا غرست في عقول الشباب والشباب باسم المعرفة والتطور، قبل أن تنتزع أفكارهم، وتتحصن عقولهم، مما يؤدي بهم إلى الشك الذي يتصارع مع سلامة الفطرة. وأساس العقيدة الذي كان للأبوين، واجتمع الصالح لهما دور في توجيه الفكر، وميل القلب إليه.

هذا الشك ينتج عنه أحد أمرين: إما الاستسلام لهذا الفكر المسموم، وإما البلبلة التي ينشأ عنها حب السؤال والإحاح في طلب استجلاء الحقيقة. ويمكن قطع الشك باليقين، وإزالة الشبهة بالبرهان. وهذه الحالة: هي الطريق السليم الذي يقود فكر الشباب المسلم، إلى مرفأ السلامة وبر الأمان.

ومحض الإيمان الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم، ماضٍ إلا مدخل من مداخل الشك يأتي للمسلم فيوقفه الله لطرده بما ترشد إليه تعاليم الإسلام، من توجيه ورعاية، ومباعدة لأي فكر شرقي أو غربي، عن منهج الإسلام السليم، الذي دل عليه مصدرا التشريع فيه: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بدليل نقلي، وما يرشد إليهما من دليل عقلي؛ لأن العقل السليم لا يتعارض مع النقل الشرعي ولا يخالفه.

وهذا هو الأسلوب السليم الذي يجب أن يتجهه الشباب في التفاعل مع أي فكر يعرض

المناهج النقدية أوجدت لنفسها مدارس خاصة بها بحيث إنها ابتعدت عن النص المنقود، وصارت هي ذاتها نصوصاً، فأين أصبحت النصوص الإبداعية؟

نحن حينما نتكلم عن النقد غالباً ما نتكلم عنه بصيغة المفرد، غير أن الواقع يبين أن النقد إنما هو صيغة جمع لمناهج عديدة، ولقد تعامل كل منهج قبل الثورة اللسانية مع النص ليس لصالح النص الخاص ولكن لصالح المنهج النقدي.

ويمكننا أن نضرب على ذلك أمثلة: فالمنهج النفسي تعامل مع النص الإبداعي على أنه حالة مرضية أخذ المنهج النفسي يقرأ النص من خلالها.

والمنهج الاجتماعي راح هو الآخر يتعامل مع النص الإبداعي بوصفه ممثلاً لحالة اجتماعية، ولقد تعامل معه على هذا الأساس.

والمنهج المذهبي (الأيديولوجي) تعامل مع النص بوصفه صراعاً بين طبقات، وقد تعامل معه أيضاً على هذا الأساس.

وإننا إذا ألقينا نظرة فاحصة إلى هذه المناهج فسنجد أنها لاتتعامل مع النصوص بوصفها ممثلة لإبداعها، وكحالات جمالية، ولكن بوصفها ممثلة لمقولات سابقة عليها، بحثت المناهج النقدية على سبيل المثال لانطباقها عليها. وهذا يعني أن هذه المناهج قد غادرت البحث في النصوص إلى البحث في مناهجها هي وجعلت من النصوص شواهد، على صحة مقولاتها.

ولما حدثت الثورة اللسانية على يد سوسيو في بداية هذا القرن أخذ بعض النقاد يتعاملون مع النص من داخله، وينطلقون من بناء الخاصة التي يتكون بها.

وبذلك دخلوا النص من باب النص، ولم يأخذوا النص إلى خارج النص ليمنحوه تفسيراً، أو ليعطوه كلمة تعبر عن سبب وجوده.

مَصْنَعُ الْإِسْلَامِ

وكيف نفيد منها؟

د. أبو اليزيد العجمي

منذ اشتد إحساس علماء الأمة ومثقفها بالمأزق الفكري والحضاري الذي تعيشه الآن ثقافتنا العربية والإسلامية، وهم يحاولون البحث عن مخرج يعيد لهذه الثقافة إسهامها الحضاري فضلا عن ريادتها كأمل يعيد للذاكرة فترات ازدهار حضارتنا نظرا وتطبيقا. ولعل أبرز سمة تميز هذا البحث عن المخرج هي الحديث عن وصل الحاضر بالماضي، والاستفادة من الماضي - أصولا ومناهج - للحاضر، الأمر الذي أوجد البحوث العديدة فيما يتصل بالتراث والمصادر.

والمسلمين؛ الأمر الذي دعا البعض إلى أن يقدم التجديد في الفكر عن طريق إحياء روح الثقافة الإسلامية بشقيها النظري والتجريبي. ولعل الفيلسوف المسلم محمد إقبال (توفي عام ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) من أبرز من تحدث عن التراث في سياق التجديد، حيث وازن بين الفكر اليوناني الشكلي النظري والروح الواقعية التجريبية التي غرسها القرآن الكريم في أتباعه عن طريق دعوتهم إلى تأمل الكون، والإفادة من تسخير ماسخر الله لنا، وفق منهاج عقلي منضبط، كما أشار إقبال إلى أن لعلمائنا سبقا في المنهج، وأن كثيرين من علماء الغرب - وبخاصة من اشتهروا بين مثقفي الأمة بابتكارهم للمناهج العلمية - قد أخذوا عن علمائنا رؤيتهم المنهجية، وينقل إقبال شهادة بعض منصفين الغرب وإقرارهم بهذه الحقيقة فيقول: «وفي كتاب «التقريب في حدود المنطق» يؤكد ابن حزم أن الحس أصل من أصول العلم، وابن تيمية يبين في كتابه المسمى «نقض المنطق» أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين، وهكذا قام المنهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله لا التفكير النظري المجرد. فالزعم بأن أوروبا هي التي استحدثت المنهج التجريبي زعم خاطئ، يقول دوهرنج Duhring: إن آراء روجر بيكون Roger Bacon في العلوم أصدق من آراء (سميه المشهور) (٣).

ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله في العلوم؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس، والقسم الخامس من كتابه الذي خصصه للبحث في

المخرج يلجأ إلى مثل هذا المنهج، ويسوغ أهمية بحثنا في التراث بحثا عن المنهج والأصول والمصطلحات ظروف تخلفنا الحضاري وحالة التراجع والانحزام النفسي الذي يسيطر على كثير من معالجات الفكر الإسلامي الحديث نظرا لسيطرة النموذج الغربي أو وجود آثار له بشكل أو بآخر (٢).

وقد تقترن بهذه الدعوة في هذا السياق دعوة أخرى إلى ضرورة فرز التراث والتمييز فيه بين ما يفيدنا بشكل أو بآخر، وبين ما كان صدى لعصره دون أن يكتسب صفة العموم والاتساع، وبعبارة أخرى، لا بد أن يفيد الحاضر من المفيد في الماضي أخذا بمبدأ التراكم المعرفي.

ثانيا - يأتي الحديث عن التراث كذلك في سياق الحديث عن التجديد باعتباره مخرجا من أزمة التبعية الفكرية، ومحاولة لبعث ذاتية الأمة وإحساسها بها من جديد، بعد أن ألفت ظلال التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي أثرها على الفكر والمفكرين، فصارت نعمة الإحباط تسري في طروحات ومعالجات كثير من مفكري العرب

تعدد الزوايا والسياقات

وجاءت هذه البحوث تعالج المسألة من زوايا متعددة وفي مناسبات وسياقات مختلفة، نذكر منها مايلي:

أولا - يأتي الحديث عن التراث ومصادر العلم في سياق الصلة بين فكر حضارة ما وفلسفتها في عصرها الحاضر، وجذور الثقافة في هذه الحضارة، وكيف أفادت هذه الحضارة من ميراثها في الأصول، والمصطلحات، والمنهج، وربما في بعض القضايا التي تشابه في الحاضر والماضي، ولا يمنع هذا من أن يرفض الفكر المعاصر جزءا أو أجزاء من الفكر القديم لعدم جدواها في القضايا المعاصرة، لكنه في الغالب يبقى على كثير من جذور ثقافته، وإن سمح لنفسه أن يطورها بشكل أو بآخر.

ولعل دحض الفلسفة الأوربية للمنطق الأرسطي وثورتها عليه، مع تطوير كثير من قضايا الفلسفة اليونانية كالشك ومفهوم اللذة وغيرها (١) دليل على صدق مانهذه إليه.

والفكر الإسلامي المعاصر في حركة بحثه عن

البصريات هو في حقيقة الأمر نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم (توفي نحو: ٤٣٠هـ)، وكتاب يكون في جملته شاهد ناطق على تأثيره بآبن حزم(٣).

وهكذا يأتي الحديث عن التراث محاولة لانتشال البعض من وهدة عدم الثقة بالنفس، أو الارتقاء في أحضان الإعجاب بفكر الغير.

ولم يكن إقبال وحده هو صاحب هذه المحاولة، وإن كان من السابقين إليها، فهناك في الفكر الإسلامي المعاصر من بحث قضية إسهام علماء المسلمين في باب مناهج البحث بشكل أفاد منه الكثيرون(٥)، كما كان من المفكرين من اقتراب من طرح إقبال وهو يتحدث عن رؤيته في بناء مجتمع إسلامي متقدم(٦).

ثالثاً - يأتي الحديث كذلك عن التراث في سياق الحديث عن الاحتكاك الثقافي وضرورته، فإذا كان من المقرر أن الفكر الغربي الحديث قد غزا بلاد المسلمين وأثر أثراً بالغاً؛ الأمر الذي جعل البحث في الغزو الفكري ومظاهره يأخذ مكاناً بارزاً عند الكثيرين من المصلحين والدعاة؛ أقول إذا كانت هذه حقيقة فإن هناك حقيقة أخرى تفرض وجودها وهي عدم إمكان تجنب الاحتكاك الثقافي، خاصة بعد أن أصبح العالم قرية إعلامية، ولهذا أثره في اتصال الأفكار.

الاتصال دون الخوف من التأثير

وأبرزت هاتان الحقيقتان إشكالية مؤداها كيف تتصل ثقافتنا الإسلامية المعاصرة بثقافات أهل العصر دون أن نخشى تأثيرها فينا؟ وهنا يأتي الحديث عن التراث باعتباره مقويًا للذاتية العربية والإسلامية، ومحصناً ضد الأثر الوافد. ودراسة التراث هنا تفيد في جانبين مهمين:

١ - إن الذي يتكون فكره من أصول ثقافته، وتحدد معالم شخصيته التي تميزه من غيره؛ يصبح قادراً على الاتصال بالثقافات الأخرى، غير مخوف عليه؛ لأنه يملك الضوابط ومقومات التعاضد مع الرأي، كما يملك التمييز بين ما يمكن أن يكون مشاعاً إنسانياً فلا بأس من الأخذ به، وما يتعارض مع ذاتيته التي كونتها أصول ثقافته، وهنا يلاحظ ويعقب، فيغيد نفسه ويحمي الآخرين.

٢ - جانب نقل تجربة تاريخية للاحتكاك بين الثقافة الإسلامية وغيرها من ثقافات الفرس واليونان، وكيف أن الثقافة الإسلامية هضمت هذه

الثقافات، فأخرجت منها شيئاً جديداً ومغايراً للثقافة اليونانية أو الفارسية أو الهندية وغيرها، بل وأفادت حضارة العالم حين نقلت إليها هذه الثقافات في شكلها الجديد.

وكأن الحديث عن التراث في هذا السياق هو حديث عن شرط لازم للاحتكاك بحضارة العالم الذي نعيشه، لنعلم أن أسلافنا في مجموعهم لم يرفضوا الأخذ من القاسم الإنساني المشترك في الحضارات الأخرى، وما أمر الترجمة وبيت الحكمة في عصر المأمون، واستجلاب كتب الفلك والكيمياء والفلسفة عما تشير إليه بعيد، وكذلك لنعلم أنهم أخذوا دون أن يفقدوا ذواتهم؛ لأن ارتباط هذه الذوات بأصولها وتكونها من خلالها كان سبباً حامياً من عدوى الفتنة والإعجاب بكل ماهو مغاير لما عندنا(٧).

كيف نقيّد من مصادرنا؟

من خلال ماتقدم نلمح أن الاهتمام بالمصادر في سياقاته المختلفة موضع اتفاق بين عقلاء الأمة، وبصرف النظر عن التفريق بين المصدر والمرجع عند فريق من الباحثين أو اتحادهما عند فريق آخر(٨)، فإن من المقرر أن المصادر والمراجع تشكل جزءاً مهماً في عملية البحث العلمي، ولكي لا يكون تعامل الباحث مع المصدر عشوائياً، ينبغي أن نعرف كيف يُقوّم المصدر الذي نرجع أو نحاول تحقيقه ودرسه أو تعريفه وتكشيفه، وذلك لنعرف ماذا يتطلبه هذا المصدر منا من العناية، أو من التصويب إن اقتضى الأمر ذلك، طلباً للحقيقة، واستفادة من تراثنا وخاصة في ظروفنا الراهنة.

وقبل أن نحدد مآزاه ضرورياً لتقويم مصدر ما ينبغي أن نذكر الحقائق التالية:

أولاً: إن علماءنا كانوا يكتبون بطريقة شمولية، فقد يكون الكتاب في الطب وما يتصل به، ولكن الشيخ يرى أن نقطة ما في مجال آخر ينبغي أن تعالج فيعالجها، وربما ضمن عنوان المبحث السابق، وقد يكون عنوان الكتاب موحياً بتضمنه لنقاط معينة، فإذا أنت عند قراءته تعثر على كثير من النقاط غيرها، ففي كتاب (تدبير الحبال) يتعرض مؤلفه - وهو بصدد الحديث عما يلزم الحامل من أمور صحية - لبحث عن التنشئة الاجتماعية تخاله فيه كأن الكتاب محض لهذا الغرض، والراغب الأصفهاني في كتابه (الذريعة إلى مكارم الشريعة) يتعرض لكثير من قضايا علم الاجتماع مثل تعدد الصناعات والحاجة إلى

ذلك، وكون الإنسان مدنياً بطبعه ونحو ذلك(٩). وهذه الخاصية في الكتابة عند علمائنا تجعل من الضروري تعرّف كل محتوى الكتاب؛ لأن النظرة إلى عنوانه وحده، أو الحدس بموضوعه قد يفوت على الباحث فائدة علمية مطلوبة.

ثانياً: إن جزءاً كبيراً من تراثنا الذي نراه في شكل كتب ورسائل كان في أصله إملاءات من الشيخ، أو مناقشات، أو إجابات عن أسئلة دارت في مجالس العلم، ثم جمعها التلاميذ بعد فترة طالت أو قصرت وأخذت شكلها الذي نراها عليه، لذا قد نجد كتاباً واحداً يحمل عنوانين وربما أكثر، ونجد كذلك تكراراً لا يليق بمؤلف في درجة علمائنا(١٠)، وبالتالي نجد ما نتوقعه من عدم الفهرسة الدقيقة للموضوعات، كما نفتقد شيئاً مهماً في كثير من كتبنا هو أن يشير المؤلف إلى الدراسات التي سبقته في الموضوع ذاته، وهذا راجع إلى ظروف جمع هذه الكتب وظهورها بهذه الصورة، وهذا كله يستلزم دقة في تقديم المصدر ومحاولة وضعه في موضعه أهمية أو ترتيباً تاريخياً ونحو ذلك.

ثالثاً: إذا أضفنا إلى ما سبق أمراً ترتب عليه وهو عدم دقة الفهرسة في مكتبتنا، لأن الأمر يبنى على عنوان الكتاب من جهة، وعلى الحدس بموضوعه من جهة أخرى، وهذا وذاك قد لا يصيبان الهدف الحقيقي فيجئ الكتاب في غير مكانه الحقيقي، فيخسر الباحث بذلك مصدراً قد يكون مفيداً له في موضوعه. أقول إذا أضفنا هذا إلى ما سبق تبين لنا أهمية ضبط خطوات تقديم المصدر ووضعه في موضعه الصحيح، خدمة للعلم وتيسيراً على الباحثين.

خطوات لازمة لتقويم المصدر

الكتاب في باب العلم جزء من إسهامات صاحبه في حضارة أمته وثقافتها، وهو كذلك وثيقة تنضم إلى غيرها لتمثل مرحلة ما من مراحل الموضوع أو الفن الذي ينتمي إليه، وهو صفحة تتجلى فيها اتجاهات صاحبه ومبادئ فكره، ثم هو أثر للفكر قبله ورافد للفكر بعده، ووفق هذه الرؤية وما يتصل بها من مباحث نرى ضرورة أن نتعرف الكتاب من خلال مؤلفه ثم من خلال موضوعه، وما يتصل به من مسائل، ومع إدراكنا للصلة الوثيقة بين المؤلف والكتاب فإننا نرى أن من الأوفق أن نشير إلى أهم ما ينبغي الاهتمام به في جانب تعرف المؤلف، وأيضاً في جانب الكتاب ذاته، كطريق إلى تقويم المصدر،

ذلك أن مصادر العلوم وقيمتها دليل مهم في تقويم الحركة العلمية في أية حضارة.

أولاً: المؤلف ودراسة حياته

لعل من المفيد أن يتعرف الدارس جوانب حياة المؤلف؛ لأن الوعي بالمؤثرات في شخصية المؤلف يفيد الباحث في تفسير كثير من توجهات فكره، ولذا فنحن نعني بالدرجة الأولى بما يتصل بالفكر، ويصلح عاملاً بين الدلالة في فكر المؤلف ومواقفه، وإن بدا على أنه جزء من النشأة أو مرحلة من تاريخ حياة المؤلف، فإذا عرفنا مثلاً ما تحلى به أبو حنيفة من الخلق عبادة وورعاً، كما يُجمع على ذلك جل معاصريه وكل معاصريه، فهمنا لماذا امتنع عن قبول القضاء مما كان سبباً في محنته، وعرفنا كيف كان يعلم تلاميذه الموقف الورع من هذا الأمر. فإن دفعته ضرورة إلى الدخول فيه (أي في القضاء) فلا يحتاجين عن الناس، وليصل الخمس في مسجده وينادي عند كل صلاة: من له حاجة؟ فإذا صلى العشاء نادى ثلاثة أصوات: من له حاجة؟ ثم دخل إلى منزله، فإن مرض مرضاً لا يستطيع الجلوس معه أسقط من رزقه بقدر مرضه، وأيماً إمام غلّ أو جار في حكم بطلت إمامته ولم يجز حكمه (١١).

وإذا عرفنا شيوخه أدر كنا اعتزازه باجتهاده، ونبله ثقة الشفقات حتى قال الإمام الذهبي «هو عندنا من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب (في الحديث)» (١٢)، «دخل الإمام أبو حنيفة على المنصور وعنده عيسى بن موسى، فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا اليوم. فقال له: يا نعمان: عمن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن أصحاب علي عن علي، وعن أصحاب عبدالله ابن مسعود، عن عبدالله، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه. قال: لقد استوثقت لنفسك (١٣)، وبالمثل لو عرفنا أن مالك ابن أنس يقول عن بداية مراحل تعلمه: «كانت أُمّي تعلمني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه» (١٤) أدر كنا أثر البيئة في شخصية مالك وخلق، بل واختياره منهجه، فضلاً عن دلالة هذا على معرفة أم مالك قدراً غير يسير عن علماء المدينة (١٥)، وكذلك تفيدنا المعلومات الدقيقة عن تكوين الشافعي حفظاً للقرآن، وحفظاً لموطأ مالك وهو دون العشرين، وتعلمه العربية من البادية، وجمعه كتب محمد بن الحسن الشيباني، وتعلمه الفراسة، وغير هذا يفيدنا في تفسير أصوليته

ومنهجيته، ثم قدرته على المناظرة إلى حد لا يبارى فيه (١٦). وعرفنا بتكوين الإمام أحمد وعلمه يرفع اللبس الذي يلبسه على الناس أعداء الحق حين يدعون أن أحمد بن حنبل اشتهر بسبب محنته فقط متجاهلين حقيقة علمه وتراثه الخصب (١٧)، وكذلك شاه ولي الله الدهلوي تفعم كتبه ورسائله بالمنهج السلفي وما ذاك إلا أثر من تربيته، ورحلاته وإفادته من علماء الحرمين (١٨)، وكذا إقبال وموقفه من الحضارة الغربية نقداً، ودعوته أمته إلى البحث عن الذات في مصادرنا وتراثنا إنما هو كذلك أثر من التربية الأولى التي علم فيها أن يقرأ القرآن كأنه نزل عليه هو (١٩).

معرفة الاتجاه الفكري

أقول إن التعرف إلى المؤلف يقود إلى تعرف سمات فكره، ويقاس على مآثرنا ما يفيدنا من حيث معرفة اتجاهه الفكري، وأرى أن ذلك يتمثل في أمور لعل أهمها مايلي:

أ - المذهبية وأثرها فيما يعرض له من قضايا:

أعني أن علماءنا دانوا بمذاهب فقهية، وانخرطوا في اتجاهات فكرية كان لها تأثيرها في كتاباتهم وإملاءاتهم، فإذا عرف الباحث الاتجاه الفكري أو المذهبي الذي دان به هذا العالم أو ذاك بناء على اجتهاد ودليل، سهل عليه أن يفسر كثيراً من محتويات كتاب هذا العالم أو ذاك، فمثلاً لو عرف الباحث أن أبا القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) مؤرخ التصوف الشهير كان أشعري العقيدة، إلى جانب صوفيته، وأن ذلك كان له تأثيره في توجهه في الحديث عن معتقد الصوفية، وإذا عرف الباحث كذلك أن ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) كان سلفي العقيدة وله على معتقد الأشاعرة ملاحظات، أقول إذا عرف الباحث هاتين الحقيقتين أمكنه أن يدرك لماذا حاول القشيري أن يجعل الصوفية أشاعرة في العقيدة، ويدرك كذلك لماذا رد عليه ابن تيمية رافضاً جعل الصوفية أشاعرة، «فصل فيما ذكره الشيخ أبو القاسم القشيري في رسالته المشهورة من اعتقاد مشايخ الصوفية» فإنه ذكر من متفرقات كلامهم ما يستدل به على أنهم كانوا يوافقون اعتقاد كثير من المتكلمين الأشعرية، وذلك هو اعتقاد أبي القاسم الذي تلقاه عن أبي بكر بن فورك (٤٠٦هـ)، وأبي اسحاق الأسفرياني (ت: ٤١٨هـ). والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف، وهو الذي كان يجب أن يذكر، فإن في

الصحيح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ)، وأبي سليمان الداراني (ت: ٢١٥هـ)، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي، ومعروف الكرخي (ت: ٢٠٠هـ)، إلى الجنيد بن محمد (ت: ٢٩٧هـ)، وسهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ)، وأمثال هؤلاء مابين حقيقة مقالات المشايخ (٢٠).

ب - موقفه من قضايا فكرية مثارة

يتصل بما سبق معرفة الباحث بموقف المؤلف من القضايا الفكرية في عصره، إذ من المعلوم أن تاريخنا الفكري شهد اختلافات في مواقف العلماء تجاه قضايا فكرية، وأخذ كل بناحية من الموضوع، وكان لذلك تأثيره في كتاباتهم بل في اختيارهم لموضوعات الإملاءات أو الكتب، فإذا عرفنا من تاريخ حياة ابن خزيمة (ت: ٣١١هـ) أنه كان لا يحب الكلام وجدله، ويرى أن في ذلك مضیعة للوقت وقسوة تصيب القلب، وتضعف اليقين، إذا عرفنا هذا أدر كنا لماذا حرص على أن يذكر في بداية كتابه «التوحيد» سبب تأليفه في قضايا كلامية وإن نهج منهجا آخر، وكأنه يشير إلى أن الضرورة هي التي ألجأته إلى هذا، وإلا فما كان أفضل لديه من بقاءه في نطاق الحديث النبوي وعلموه، لقد ذكر أنه وجمعا من العلماء مكثوا زمناً يتكلمون في الفقه والحديث ولا يشتغلون في مسائل علم الكلام كما هي عند الفرق، «ظنا منا أن ما يدور بيننا وبينهم من المناظرات كاف لبيان وجه الحق فيما فيه تناظر» (٢١)، ثم يذكر أن بعض طلبة العلم ممن كانوا يجالسون أهل الكلام أخذوا في إثارة بعض الأسئلة مما يفهم أنهم تأثروا بكلام الجهمية والمعتزلة ومن شابههم؛ الأمر الذي دعا إلى الكتابة في قضايا العقيدة لكن وفق منهج آخر، «و غاية هذا أن يدرك طلاب الحق صحة مذهب أهل الآثار، وبطلان مذهب أهل الأهواء والبدع الذين هم في ريسهم وضلالانهم يعمهون» (٢٢).

كذلك إذا عرف الباحث من تاريخ حياة التاج السبكي (ت: ٧٧١هـ) صاحب «طبقات الشافعية الكبرى» حرصه على الربط بين الأشعرية والصوفية والشافعية، استطاع أن يفسر روايته التي تثبت امتداح الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) وقوله بعد سماعه متخفياً: ما أعلم أنني رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت مثل كلام هذا الرجل، ومع هذا فلا أرى لك صحبتهم،

ومعرفة الباحث بالسياق التاريخي للكتاب في العلم الذي ينتمي إليه على سعة موضوعاتها، يساعد في دقة التقويم لهذا المصدر أو ذاك، في موضوعاته أو في مصطلحات العلم، كما يساعد في تحديد المهمة التي يمكن أن يؤديها هذا المصدر أو ذاك في النقطة موضوع البحث، فالكتاب الذي يمثل مرحلة ازدهار علم ما لا يصلح للتأريخ لنشأة العلم والعكس صحيح، ووعي هذه الفروق ينتج البحث العلمي الرصين، ويربي الحس الدقيق تجاه المصادر وتصنيفها.

ب - موقع الكتاب في موضوعه:

ونعني به أن كل علم له موضوعات متعددة، ينتظم كل موضوع عددا من النقاط والمباحث، ويهتم بعض العلماء بموضوعات داخل العلم الواحد قد يهتم غيرهم بغيرها، فنحن مثلا داخل علم الأخلاق نجد من كتبوا في عمل اليوم والليلة أمثال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) في "فرائض الإسلام"، والنسائي (ت: ٣٠٣هـ) في عمل اليوم والليلة، ونجد كذلك من اهتم بموضوع أخلاق العلماء والمتعلمين، فإذا عرفنا مثلاً أن "أخلاق العلماء" للأجري (ت: ٣٦٠هـ) سبق "أدب الدنيا والدين" للماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، و"الذريعة إلى مكارم الشريعة" للراغب الأصفهاني (ت: نحو: ٥٠٢هـ) و"الإحياء" للإمام الغزالي، و"جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) وغير هذا أمكننا أن نعرف موقف كل كتاب من هذه في موضوع آداب العلم أو أخلاق العلماء والمتعلمين، وأمكننا أن نتبين كثيرا من الخصائص العلمية للكتاب في موضوعه، جده أو توسعا أو إيجازا، ونحو هذا مما يهم الباحث، وهو يعرف موقع مصدره في موضوعه أصالة أو تقليدا لغيره. وقد اهتم بهذا الجانب ورصده كثير من علمائنا، فنجد صاحب "كشف الظنون" يذكر مثلا تحت غريب القرآن قوله: «أقر بالتأليف فيه جماعة منهم أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت: ٢١٥هـ) على الأرجح»، والنضر بن شميل البصري المتوفي ٢٠٣هـ، ومرثد بن الحارث السدوسي (ت: ١٩٥هـ)، وأبو بكر بن كامل (ت: ٣٥٠هـ) (٣٣).

ولعل هذا يوحى للباحث بالتزام منهج معين مؤداه ألا يبدأ في بحثه بالدراسات الحديثة، أو الكتب المتأخرة في موضوعه، بل يحاول أن يرصد بدايات

النظر عن مقدار النجاح في هذه المحاولة (٢٦). قلت إن الوقوف على الجوانب المتصلة بالفكر من حياة المؤلف أمر ضروري إذا ما أردنا أن نقوم مصادرنا، وأن نفيد منها بطريقة واعية بصيرة، تميز بين المصدر الضارب في أعماق الثقافة الإسلامية، وغيره مما ليس على هذا القدر من الأصالة.

ماسبق كان فيما يخص المؤلف، ويكملة ما ينبغي معرفته عن الكتاب ذاته.

ثانيا - الكتاب

الكتاب بالنسبة للباحث هو نقطة انطلاق يبنى عليها ويناقش في ضوءها، بل ويمكنه أن يؤرخ لفكرته التي يطرحها من خلالها؛ الأمر الذي يفرض على الباحث أن يتعرف بدقة مصدره من جوانب شتى، تمكنه من الحكم على هذا المصدر، أو اعتماده أساسا لبحثه، وإذا كنا قد أشرنا إلى بعض ما ينبغي معرفته عن المؤلف، فإننا نشير هنا إلى أبرز ما ينبغي الإمام به بالنسبة للكتاب ذاته، ولعل ذلك يتمثل فيما يلي:

أ - السياق التاريخي للكتاب في العلم الذي ينتمي إليه:

ذلك أن كل علم يمر بمراحل تبدأ بنشأته، وتتابع تطورا يؤدي إلى ازدهاره، واستقرار المصطلحات والأفكار، وما يتبع هذا من دخوله مرحلة التأريخ له، والتصنيف في رجاله ومدارسه، وما يتصل بهذا من نقده أو الاستدراك عليه.

وتتصل هذه المراحل بعضها ببعض تأثرا أو تأثيرا، وإن اختلفت سمات بعض المراحل عن بعض، إذ مرحلة النشأة غير مرحلة النضج، وهما غير مرحلة الازدهار في السمات والخصائص، لكن ذلك كله لا ينفي وجود الصلات القوية بين هذه المراحل في تشكيلها لتاريخ العلم الذي تنتمي إليه، فرسائل الإمام أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ) في العقائد (٢٧) مرحلة لها وثيق الصلة بما كتبه الإمام أحمد في الموضوع ذاته (٢٨)، وبما كتبه الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) (٢٩) وابن خزيمة (ت: ٣١١هـ) وغيرهم، وإن بدت بعض الفروق في المناهج أو تناول ونحوه. وكتابات المحاسبي (٣٠) في التصوف مرحلة لها وثيق الصلة بكتابات الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) (٣١) وبما كتبه الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٦١هـ) (٣٢) وإن كان كل في مرحلة من مراحل العلم. ومثل هذا يقال في كتابات الكندي والفارابي وابن سينا في مجال الفلسفة الإسلامية وموقفها من الفلسفة اليونانية.

ويروى أنه قال: لا أنكر من ذلك شيئا. بل روي أن الإمام أحمد بن حنبل يكي لكلام المحاسبي حتى غشي عليه (٢٣).

أقول هكذا يمكن للباحث أن يفهم سر هذا التحمس لبيان أثر الصوفية في غيرهم من العلماء، وعلى هذا القرار يستطيع الباحث أن يفهم من خلال معرفته لموقف السيوطي (ت: ٩١١هـ) من المنطق وعلم الكلام، لماذا اختار عنوان كتابه «صون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام» فضلا عما حشده داخل هذا الكتاب من آراء وفتاوى تظهر موقفه من المنطق والكلام، فالأمر مسوغ من موقفه الفكري، وإن رأى غيره غير هذا.

ج - موقفه من الفكر الوافد

أعني أن الفكر الإسلامي أتيح له أن يحتك بثقافات أخرى، لها ظروفها ولها طبيعتها، وكان للعلماء من هذه الثقافات مواقف، إذ أعجب البعض بها وافتن، ورفضها البعض رفضا قاطعا، وهناك من توسط فأخذ منها ورد عليها، ووفق هذا بدأ أثر هذه الثقافات في كتابات بعضهم كما اختفى لدى آخرين.

أقول معرفتنا بالروافد المكونة لفكر هذا العالم أو ذاك تسهم في معرفة قيمة المصدر الذي نريد الأخذ منه أو الحكم عليه، فمعرفة بحياة الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) تفيد في بيان خطه في رسالته المسماة «فرائض الإسلام»، والتي هي من بواكير الكتابات الأخلاقية، حيث لا نجد فيها أثرا لفكر غير إسلامي، فهي عبارة عن بيان واجبات أخلاقية على المسلم أن يؤديها كل يوم وليلة، أو خلال حياته، مستندنا النص القرآني والحديث الشريف، وليس بها أدنى شبه بالتقسيم اليوناني للفضائل أو نحو ذلك (٢٤).

ولكنك حين تعرف احتكاك الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) بالفكر الوافد وفحصه له، وكذا الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) تفهم من خلال موقفهما لماذا تأثرا بالتقسيم اليوناني للأخلاق في جعل الفضائل أربعة، وإن حرصا على أن يملأ هذا الشكل بمضمون إسلامي (٢٥).

أما موقف الفارابي (ت: ٣٣٩هـ) وابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) فمن خلال معرفتنا لموقفهما من الفلسفة اليونانية إعجابا وامتدادا، يمكننا تفسير كتابات كليهما شرحا لآراء الحكيمين أفلاطون وأرسطو، وتوفيقا بين هذه الفلسفة والإسلام بصرف

مصادرنا وكيف نفيد منها؟

الكتابات في موضوعه في تراثنا، بحثا متضمنا في كتاب، أو كتابا مستقلا، حتى لا يقع في أحكام تُجافي حقائق العلم الذي ينتمي إليه موضوع بحثه، فضلا عن مجافاتها - أحيانا - لحقائق تاريخ الفكر بعامه، كما حدث مثلا حين اعتبر البعض أن البحث الأخلاقي في الإسلام يمثل مسكوتيه من جهة، والغزالي من جهة أخرى، متجاهلا أربعة قرون ملأى بالبحث الأخلاقي لدى الفقهاء ولدى المحدثين ولدى الصوفية (٣٤).

ج - أثر الكتاب فيما بعده

وهذه نقطة تنبثق من سابقتها إذ معرفتنا بموقع الكتاب في موضوعه يحدد لنا أثره فيمن بعده، كما يحدد لنا تأثيره بمن سبقه، دون أن يعني هذا فقدانه الأصالة أو حرمانه من الإضافة العلمية، فابن القيم (ت: ٧٥١هـ) في "مدارج السالكين" تأثر بكثير من الكتابات الصوفية في المقامات وآداب الطريق، لكن معالجة ابن القيم - كما وضع من اسم كتابه - حرصت على أن تظل في دائرة "إياك نعبد وإياك نستعين"، وكتابات ابن جماعة في "آداب السامع والمتكلم" تأثرت بابن عبد البر، وتأثرت بالخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، لكن تنظيم ابن جماعة جاء جديدا، بل أضاف بعض النقاط التي لم تُمسَّ عند سابقه، أقول: معرفة الباحث موقع الكتاب في موضوعه يمهده بمعرفة أثر هذا المصدر في الموضوع وإن اختلفت طرائق العرض، أو وجدت بعض الإضافات على الأصل السابق في الكتاب المؤثر. ولاضير في هذا فالتراكم المعرفي ضروري لكي يتقدم الفكر البشري يوما بعد يوم، وإلا فهل يتصور أن يبدأ كل الناس في موضوعاتهم من نقطة الصفر؟!

د - موقع الكتاب بين كتب المؤلف

فعلماؤنا كثر إنتاج الكثيرين منهم، ربما في الموضوع الواحد من الإيجاز إلى التفصيل وربما في موضوعات وثيقة الصلة بعضها ببعض، وربما في موضوعات مختلفة النسبة إلى ميادين العلم، وفي كل يلقى المؤلف بأرائه ويثبت اجتهاداته التي قد يوجد بينها في بعض الأحيان نوع من التضارب حتى ولو كان ظاهريا، أو التكرار حتى ولو لم يكن كاملا، هذا وغيره يجعل من الضروري أن

يحاول الباحث تعرف موقع الكتاب بين كتب المؤلف، ليتمكن من معرفة تطور فكر المؤلف أو تغير اجتهاداته، وهذا ما يحاول بعض الدارسين أن يسميه بالنسق المنطقي لفكر عالم ما، سواء كان ذلك في موضوع واحد، أو في موضوعات، بل وعلوم مختلفة، وهذا بالطبع يساعد في دقة تقييم المصدر ذاته.

ومع إدراكنا لصعوبة هذه المهمة فإننا نرى ضرورة المحاولة الجادة في هذا الصدد، ولذلك أثره في النظر إلى المصدر الذي بين أيدينا.

فابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) يشن حملة قاسية على المتصوفة في كتابه "تليس إبليس"، وترى فيه كثيرا من الأحكام التي تأخذ طابع التعميم، بينما في كتابه "صفة الصفوة" يترجم لعدد كبير من متقدميهم وينصفهم في بيان علمهم وخلقهم، وهنا لابد للباحث أن يسأل أي الكتائين كان أولا؟ وبناء على الإجابة يمكنه الاجتهاد في تفسير هذا الموقف. وكذلك الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) يتناول بالتفصيل في كتابه "الذريعة إلى مكارم الشريعة" موضوعات تتصل بالإنسان، وهي ذات الموضوعات التي عالجهما بإجمال في "تفصيل الشائئين" مما يجعلنا نسأل: هل كان الأول تفصيلا أجمل في الثاني أو العكس، ثم ماصلة كليهما بالدراسات القرآنية للراغب مثل "تحقيق البيان في تأويل القرآن"، و"المفردات في غريب القرآن" نظرا لما في الذريعة وتفصيل الشائئين من أثر لهذه الدراسات القرآنية المشار إليها.

ولعل هذه الملاحظات تقنع الباحث بأهمية الترتيب للمصدر بين إنتاج المؤلف.

هـ - تكشف أبرز موضوعات الكتاب

من المعلوم أن الباحث يلتقي في مصادره بأفكار محورية لهذا المصدر أو ذاك، ويتفرع منها بعد ذلك كثير من المباحث والمطالب، فإذا أراد أن يتعرف أو يكشف مصدرا ما فإن عليه أن يركز على الأفكار الأساسية ليعرف مقدار صلتها بموضوع بحثه، وليتمكن من التقويم الدقيق للمصدر حسبما أشرنا إليه آنفا.

بقيت كلمة ينبغي أن ننوه بها وهي أن ما قدمناه من إشارات هو اجتهاد ناتج عن تأمل وممارسة، وأنه ليس من المحتم أن يؤخذ بهذا الترتيب بل ولا التحديد، فقد يتمكن الباحث من تعريف مصدره موجزا هذه الخطوات أو دمجها لها، ولاضير، لكن المهم هو أنه يمكنه أن يسترشد بهذه التجربة وليدة التأمل والممارسة، وله أن

يضيف أو يعدل وفوق كل ذي علم عليم.
الهوامش:

- ١ - أبو الزيد العجمي - نظرات في المعرفة الإنسانية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية - ص ١٠٥ - ط ١ - عام ١٩٩٣م.
- ٢ - أكرم العمري - التراث والمعاصرة - ص ٣١، وكتاب الأمة - قطر - شعبان ١٤٠٥هـ.
- ٣ - يقصد فرنسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي الشهير (١٥٦١ - ١٦٢٦م).
- ٤ - محمد إقبال - تجديد الفكر الديني - ص ١٤٥ - ترجمة عباس محمود - طبة ١٩٦٨م.
- ٥ - علي سامي النشار - مناهج البحث عند مفكري الإسلام - ص ١٧٧ - الطبعة الأولى.
- ٦ - مالك بن نبي - تأملات - ص ٢١٢، وانظر أكرم العمري - التراث والمعاصرة - ص ١١٣، ومحمد الهي - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار - ص ٩٥.
- ٧ - عبد الحميد مذكور - دراسات في الفلسفة - ص ٤٩ - طبة ١٩٨٩م دار الثقافة العربية.
- ٨ - عجاج الخطيب - غات في المكتبة والبحث والمصادر - ص ١٢٧ - مؤسسة الرسالة - طبة ١٩٨٢م، وعبد الرحمن عميرة - أضواء على البحث والمصادر - ص ١٠٠ - دار الجليل بيروت - ١٩٨٨م.
- ٩ - الذريعة إلى مكارم الشريعة - تحقيق أبو الزيد العجمي - دار الصوحة - ١٩٨٤م.
- ١٠ - نجد هذا بشكل واضح في مجموع فتاوى ابن تيمية حيث إن معظم إجابات عن أسئلة.
- ١١ - الذهبي - مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبه - ص ١٧ - تحقيق محمد زاهد الكوثري وآخر - طبة حيدر آباد - ١٣٦٦هـ.
- ١٢ - الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٣٩٥/٦ مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٣٤٤/١٤.
- ١٣ - الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - طبة ١٣٠١.
- ١٤ - القاضي عياض - ترتيب المدارك - ١٣٠/١ - طبة وزارة الأوقاف المغربية.
- ١٥ - أمين الخولي - مالك بن أنس ترجمة محررة - ص ٦٤ - القاهرة دار الكتب الحديثة د.
- ١٦ - أبو الزيد العجمي - فقه العقيدة عند الشافعي وأحمد - ص ١١٢ - دار الصوحة - مصر ١٩٨٧م.
- ١٧ - السابق - ص ١٨٢، ١٩١.
- ١٨ - محمد بشير السالكوني - الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوه - ص ٣١ - دار العلم، إسلام آباد - باكستان ١٩٩٣م.
- ١٩ - عبد الحميد مذكور - دراسات في الفكر الإسلامي - ص ٨٥.
- ٢٠ - ابن تيمية - الاستقامة - ٨٢/١، ١١٠ - تحقيق محمد رشاد سالم - ١٩٨٣م - جامعة الإمام، الرياض، وقارن - القشيري - الرسالة القشيرية - ص ٥ - مكتبة صبيح.
- ٢١ - ابن خزيمة - كتاب التوحيد ولبات صفات الرب جل وعلا - ص ٤، ٥ - دار الكتب العلمية د.
- ٢٢ - السبكي - طبقات الشافعية - ص ٢٧٩.
- ٢٣ - الحسن البصري - فرائض الإسلام - ص ٦٥ - تحقيق د. أبو اليزيد العجمي - دار الأرقم ١٩٩٢م.
- ٢٤ - انظر الأصفهاني - الذريعة إلى مكارم الشريعة بتحقيقنا - ص ٨٥ - صفحات أخرى كثيرة، والغزالي - إحياء علوم الدين، وانظر دراسات في الفكر الإسلامي - د. أبو اليزيد العجمي - ص ٦٤ - طبة أولى ١٩٩١م.
- ٢٥ - عبد الحميد مذكور - في الفلسفة الإسلامية مقومات وقضايا - ٦٥ - طبة ١٩٩٣م.
- ٢٦ - مثل الفقه الأكبر، والعالم والمعلم وغيرهما.
- ٢٧ - مثل الرد على الجهمية.
- ٢٨ - أفعال العباد للبخاري، وكتاب التوحيد لابن خزيمة.
- ٢٩ - مثل الرعاية لحقوق الله، ورسالة المسترشدين وغيرهما.
- ٣٠ - انظر إحياء علوم الدين.
- ٣١ - الغنية لطائفي طريق الحق جل وعلا.
- ٣٢ - كشف الظنون - ١٢٠٢.
- ٣٣ - انظر توفيق الطويل - الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها - ص ٤٣٩ - طبة ١٩٦٧م، وانظر د. أبو اليزيد العجمي - دراسات في الفكر

مسايرة الآخرين: متى - ولماذا - وكيف؟

د. محمد مهدي محمود الجوفي

في أحد الأيام قفز أحد تلاميذ المرحلة الإعدادية من فوق السياج العالي للمدرسة بعد الدرس الثاني، وعندما سقط على الأرض خارج المدرسة، وبادر إلى النهوض كانت المفاجأة، حيث وجد مدير المدرسة منتصباً أمامه، والمفاجأة لم تصب التلميذ فقط، وإنما أصابت مدير المدرسة أيضاً، عندما رأى تلميذاً يعرفه باجتهاده وتفوقه وسمعته الطيبة بين المدرسين، وكذلك معرفته الشخصية بطبيعة تنشئته البيئية التي تؤكد التزام الأنظمة والقوانين، لذلك بادره باندھاش: لماذا يا فلان؟ وكانت إجابة التلميذ أسرع "إن التلاميذ الآخرين قفزوا قبلي".

المقدم في الولايم؛ لأن هذا هو ما يقوم به الناس، وليس ما يكفي حاجة المدعويين، ونحن نشترى حاجياتنا من ماركات معينة؛ لأن الآخرين - وليست تجربتنا - يعتقدون أنها جيدة، والغريب أن بعضنا يضحك ويصفق مع الآخرين دون أن يعرف السبب، والأكثر خطورة عندما ينسحب الأمر على الأفكار والمعتقدات.

يعتقد بعض علماء النفس الاجتماعي أن مفهوم المسايرة يعني موافقة الأغلبية، والحقيقة أن المسايرة أكثر من ذلك، حيث تشمل تغييرا

وإذا تفحصنا سلوك الأفراد يامعان نجد أن جزءاً كبيراً منه هو مسايرة للآخرين، فهذا الطالب يؤجل امتحانه؛ لأن باقي الطلبة في صفه يرغبون في ذلك، رغم استعداده لأدائه في الوقت المقرر له، وهذا الشاب يرتدي ملابس (الجنين) لأن أقرانه يلبسونها، رغم أنه يفضل أن يكون أنيقاً، وهو يتحيز لفريق رياضي دون غيره؛ لأن أصدقاءه يعتقدون أنه الأفضل بين الفرق، وهذه المرأة تشتري ثوبها باللون البنفسجي، وتجعله طويلاً أو قصيراً لتساير التجديد، رغم أن هذا اللون لم يعجبها في السابق، ونحن نبالغ في كمية الطعام

في السلوك ليطابق معياراً اجتماعياً، ويصبح هذا السلوك في غياب المعيار متسقاً مع التوقعات الاجتماعية لجماعة معينة، وهي تتطلب التخلي عن بعض القيم التي تعد مهمة للفرد، والهدف هو التوحد مع الجماعة وبالاتجاه الذي تريده نتيجة لوجود ضغط حقيقي أو متخيل.

كما أن المسايرة لا تعني نمطاً واحداً، إذ قد نرى في أي موقف للتأثير الاجتماعي أحد أربعة أنماط مختلفة للمسايرة. الأول: أن الفرد يساير سلوك الآخرين، واتجاهه الشخصي مؤيدٌ لذلك. فبعضنا يختار ملابسه وفق التقليلات الحديثة التي يرغب في ارتداؤها أصدقائه وهو راغب في ذلك، ونحن ندوم على شراء الصحف اليومية كما يفعل عدد كبير من الناس ونتمتع بقراءتها. أما النمط الثاني للمسايرة، فإن الفرد يساير الآخرين واتجاهه الداخلي يعارض ذلك، فقد نجد بعض الناس يرص أمهات الكتب في مكتبته لأن هذا هو المرغوب من قبل الآخرين، ولكنه في حقيقة الأمر قد لا يرغب في قراءتها. والشكل الثالث هو أن يكون الفرد مغايراً في سلوكه، أي غير مدعٍن حتى إذا كان اتجاهه مؤيداً أو راغباً في المسايرة، فبعض الشباب لا يسعى إلى الإنجاب بعد الزواج، رغم أن لديه الرغبة الداخلية في مسايرة الآخرين فيه. أما النمط الرابع فهو أن يكون سلوك الفرد مغايراً - غير مساير - واتجاهه الداخلي رافض. فبعضهم لا يقوم بالزيارات التي تستدعيها المناسبات الاجتماعية، أي لا يساير الناس في هذا السلوك وليس لديه الرغبة في ذلك.

مفاهيم مرتبطة بالمسايرة

عندما نضع ربطة العنق في المواقف الرسمية ودون رغبة منا، فإن هذا النوع من المسايرة نطلق عليه الانصياع Compliance، وهو الموافقة العلنية مع الضغط الاجتماعي دون وجود موافقة داخلية. أما إذا كان الانصياع نتيجة لسيطرة واضحة من جهة معلومة، كرموز السلطة المعروفة مثل الأب، المعلم، رئيس

الحلات التجارية الكبيرة بانتقاء بائعيها ممن يملكون هذه الصفات أو تُدرّبهم على بعضها. كما أننا نساير الآخرين عندما نحتاج إليهم كمصدر للمعلومات عن العالم الخارجي، باعتبار أن الجماعة لديها معلومات أفضل، وبالتالي فإن الفرد يكتفٍ استجابته لتكون قريبة من استجابات الآخرين، مدفوعين برغبة أن تكون قراراتنا صحيحة، وهذا ما يسمى بالمسايرة المعلوماتية؛ وتحدث هذه المسايرة بصورة أكبر عادة عندما يكون الموقف غامضاً غير واضح، أو غير منظم وليس للفرد خبرة سابقة فيه، أو يتطلب مهمات صعبة التنفيذ مما يشعره بعدم الكفاءة وقلة الثقة بالنفس، فعلى سبيل المثال نحن نقبل آراء الأفراد الذين يفتقون لمساعدتنا عندما تعطل سيارتنا في الطريق

لنا، خاصة إذا كان هؤلاء الآخرون هم أكثرية المجتمع، وهذا ما يسمى بالمسايرة المعيارية. وقد يكون هذا النوع من المسايرة غاية بحد ذاتها، لأنها أيضاً تقود إلى الاحترام والتكريم. وعادة ما يكون سلوك المسايرة متأثراً بالأفراد الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية أو مركز له سمعة السيطرة أو السلطة سواء كانت معنوية أو قانونية، فالتلاميذ من الأطفال قد يحافظون على الهدوء داخل الصف ليس بسبب اقتناعهم بهذا السلوك، وإنما للفوز باستحسان معلمهم، ونحن نقوم بالكثير من الأعمال التي لا نرغب القيام بها لكسب رضا الأهل، فقد تصل مسايرة الوالدين إلى الحد الذي نوافقهم فيه على اختيار الزوجة المناسبة من وجهة نظرهم، وقد يوافق بعضهم الزوجة في مطالبها حتى تصل به إلى الابتعاد عن الوالدين، وقد تضطرهم مطالب الأطفال والأسرة إلى التخلي عن الكثير من الالتزامات الاجتماعية.

وتزداد مسايرتنا للأفراد الذين نكن لهم الحب، أو الذين نعجب بسماتهم الشخصية، وفي الغالب أولئك الذين يتمتعون بالوسامة أو الجاذبية الجسمانية، وأيضاً الذين يماثلوننا في الصفات، أو الذين يُثنون على سلوكنا حتى لو كان ذلك تلقائياً، فعلى سبيل المثال كثيراً ما يختار الطلبة تخصصهم الدراسي مسايرة لما يختاره أصدقاؤهم المقربون، ويحب بعض الناس أن تكون ملابسهم مشابهة لما يرتديه الأشخاص الواسمون والجذابون. لذلك تختار دور الأزياء العارضات من الفتيات الجميلات الرشيقات والشباب الذين يتمتعون بالحياة والوسامة. وكثير من الأفراد يشترون الأشياء التي لم يكونوا يبنون شراءها عندما ينفقون وراء لباقة البائع في الحديث وقدرته على الإقناع وروح المجاملة التي يتمتع بها ووسامته وأناقته. لذلك تهتم

العمل... إلخ، كذهابنا لزيارة أفراد لا نودهم لأن علينا مرافقة الأهل في ذلك، وينكب الطالب الجامعي على قراءة مقرر دراسي لا يحبه لأنه مطلوب منه في الامتحان، وقد يضطر لاعب كرة القدم إلى اللعب بخشونة لا يقبلها؛ لأن المدرب أوصى بذلك. ونطلق على المسايرة هنا الطاعة Obedience. أما مصطلح القبول Ac-ceptance فيعني أننا نعتقد ما يعتقد الناس الآخرون؛ لأننا مقتنعون بفائدة هذه المسايرة الداخلية. كما يرد مفهوم التماثل Uni-formity الذي يشابه المسايرة من حيث النتيجة، ولكنه يختلف عنها في الأساس، فهو يدل على وجود اتفاق عام في المجتمع على الحقائق والمعتقدات دون وجود ضغوط اجتماعية، فعلى سبيل المثال نحن نستخدم معجون الأسنان الذي يحتوي على "الفلورايد". إن التماثل في السلوك يحدث نتيجة أسباب غير محكومة بتأثيرات الجماعة، كوجود قناعة بمنطق علمي. كما يقترب مفهوم التقاليدية Conventionality من المسايرة. وهو السلوك بالأسلوب الاجتماعي المعتاد كالبداية بعبارة "السلام عليكم" في بداية كل لقاء وعبارة "مع السلامة" عند المغادرة، وهذا السلوك يقوم به الفرد بشكل آلي تقريباً.

وعلى النقيض من المسايرة التي تعتبر مشبعة بالإذعان للضغط الاجتماعي، هناك الاستقلالية independence التي تعني أن يحتفظ الفرد بأفكاره الخاصة والتعبير عنها والإبقاء عليها في وجه الضغوط. أما المغايرة Anticonformity فتعني مخالفة الأغلبية، وقد تكون الاستقلالية في الرأي نوعاً من المغايرة، إلا أنها ليست كل مغايرة هي شكل من الاستقلالية، فالمفهوم الأخير يتضمن شيئاً إيجابياً، حيث الرأي يستند إلى وجهة نظر يحكمها المنطق، في حين قد تكون المغايرة نوعاً من العناد، وحسب مبدأ "تحالف تعرف".

متى نساير الآخرين؟

نحن نساير الآخرين ونحاول الاتفاق معهم في السلوك والآراء والمعتقدات لنيل استحسانهم وكسب قبولهم، والأكثر أهمية تجنب رفضهم



يرتدون الجينز لأن أقرانهم يلبسونه

مسايرة الآخرين: متى - ولماذا - وكيف؟

وبالتالي يكون أقل ميلا لمسايرة الجماعة. كما وجدت هذه الدراسات علاقة بين الحاجة للقبول الاجتماعي والمسايرة، فكلما زادت حاجة الأفراد للقبول الاجتماعي زادت مسايرتهم للآخرين.

تقويم المسايرة

للمسايرة جانب إيجابي باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه التقاليد والأعراف والقوانين؛ لأنه بدونها لا يمكن لهذه النظم أن تأخذ طريقها للتطبيق. ويتم من خلالها نقل حضارة الماضي، كما أنه لولاها لن يحصل التماسك الاجتماعي الذي يحدد الهوية القومية أو الدينية لأي مجتمع. وتأييداً لذلك وجدت الدراسات أن الأفراد يشعرون بعدم الارتياح إذا كانوا من دون معايير، فعند وضعهم في مواقف جديدة لا توجد فيها معايير، نجد أنهم يبدؤون في خلق قواعد لأنفسهم، وتمثل هذه القواعد الرسوخ والثبات. وهناك جانب سلبي فيها عندما يتحول الفرد إلى مجرد خاضع مستكين، ولا يحاكم الموضوع الذي يساير فيه محاكمة عقلية ويخضعه إلى معايير اجتماعية أعم وأشمل. إن الخضوع والاستكانة تنتهي بالفرد إلى الموافقة على الخطأ، وهذا بطبيعة الحال سوف يمسخ شخصيته ويلغي استقلاله. ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أسوأوا أسأت. ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أسأوا أن تحتبوا إساءتهم».

إذن تقويمنا للمسايرة لا يقوم على أساس أن نساير أو لا نساير، وإنما كيف نساير؟ وهل الأساس في هذه المسايرة هو الفهم والإدراك واللجوء إلى المعايير المثالية الإنسانية مثل الحق والعدل... إلخ أم أنه يقوم على أساس الخضوع الأعمى بهدف الحصول على المنافع الشخصية؟

ومقدماً لما يقومون به. والأمر ينطبق على الموقف الغامض. وتلعب كفاءة الفرد وقدراته في استخدامه أيًا من الأسلوبين في التعلم، فكلما كان الفرد أكثر كفاءة، كانت أساليبه أقوى في التعليم، ولهذا تكون مسايرته أقل. كما ترتبط المسايرة بالمكافأة، فكلما كانت مكافأة الفرد في الماضي كبيرة لجهوده في حل مشكلة معينة أو لسلوكه الإبداعي، كان أكثر ميلاً لمقاومة التأثير الاجتماعي.

وتربط وجهة نظر أخرى، تعلم المسايرة بالاتجاهات المتبناة من قبل الفرد والجماعات المرجعية، ومقدار الإثابة. وترى أن المسايرة تكون في أقصاها متى ما كانت كفاءة الجماعة عالية نسبياً، ومتى ما تبني الفرد اتجاهها مرناً، وكانت الإثابات المقدمة له أكبر، تكون استجابته متفقة أو منسجمة مع الجماعة.

أما نظرية التبادل الاجتماعي التي تفترض أن الأفراد خلال تفاعلهم الاجتماعي يبحثون عن زيادة الملذات إلى أعلى حد ممكن، وتقلل من خفض التكاليف إلى أدنى حد ممكن. والتي ترى أيضاً أن الأفراد لا يتبادلون الأشياء والمنافع المادية فقط، وإنما المنافع الاجتماعية أيضاً كالحب والخدمات والمعلومات. ففي الوسط الاجتماعي تكون المسايرة هي البضاعة، والاستحسان الاجتماعي هو المال المدفوع لها، والمرء يتبادل سلوكه في المسايرة للحصول على مكافآت الاستحسان الاجتماعي أو تجنب الرفض الاجتماعي أو عدم الاعتراف.

وقد توصلت الدراسات التي تناولت فروض هذه النظرية إلى أن عدم المسايرة مؤلمة ومكلفة؛ لأنها تضع الفرد في حالة غير مريحة، بينما يمكن للمسايرة أن تكون أقل كلفة وأكثر مكافأة، وقيمة مكافأتها هو استحقاقها للاستحسان الاجتماعي. إلا أنه في الوقت ذاته هناك فروق فردية، فالفرد الذي يشعر بأنه قليل الحيلة وأقل ذكاء من الآخرين، من الممكن أن يجد الخضوع أكثر مكافأة، أما الفرد الذي يفخر بكونه مستقلاً، ويشعر بكفاءة عالية في أداء المهمات الاستثنائية، فإنه سوف يعتبر الخضوع لتأثير الآخرين سلوكاً مكلفاً جداً،

خاصة إذا كانت معرفتنا في هذا المجال قليلة. وتزداد مسايرتنا للآخرين بشكل ساذج في المواقف الصعبة. فمدرسو الرياضيات يعرفون الكثير من الأخطاء الغبية في أوراق الطلبة الذين يغشون في الامتحانات، حيث يصل بعض هؤلاء إلى نتائج صحيحة بعمليات حسابية خاطئة. كما تزداد مسايرتنا للأفراد من ذوي الخبرة الذين أثبتوا كفاءتهم في مجال من المجالات أو كانت لهم خبرة متخصصة، لذلك تلجأ الشركات المنتجة للمواد المنزلية في أحيان كثيرة لهؤلاء للدعاية لمنتجاتهم، حيث نرى بعض كبار الأطباء يروجون لمعاجين الأسنان أو (الشامبو)... إلخ. وتحدث المسايرة في كثير من الأحيان بشكل أعمى عندما تدعم الأغلبية سلوكاً معيناً، فعلى سبيل المثال ينساق الفرد إلى العبور من غير الأماكن المخصصة إذا خرقت جمهرة من الناس هذا النظام، رغم معرفتهم بأن هذا السلوك يعاقب عليه القانون أو يهدد حياة الفرد بالخطر. وتكرر مثل هذه المسايرة في المواقف الغامضة، وهذا واضح عندما ندخل بناية لأول مرة، خاصة إذا كانت كبيرة فإن الفرد ينتبه إلى اتجاه حركة الناس الآخرين ويتبعهم، رغم أنه لا يعرف إلى أين هم متجهون.

تفسير المسايرة

تشير إحدى وجهات النظر إلى أن انفصال الطفل عن أمه عند الولادة وفي الحياة التالية، يؤدي إلى خلق الخوف من البقاء وحيداً عن الآخرين، وهذا الخوف يدفع الفرد لأن يرتد باتجاه مجاميع الناس، وبالذات الأقوى منه، والاعتماد عليهم ومسايرتهم، وتبدأ أولاً بالخضوع لإرادة الوالدين؛ ليس لأن ذلك عمل مناسب من وجهة نظره، وإنما لدمج إرادته بهما، ثم بعد ذلك بإرادة الجماعة الأكبر.

وترى وجهة نظر أخرى أننا نتعلم السلوك، إما من خلال الأسلوب الشخصي كالمحاولة والخطأ. أو من خلال الأسلوب الاجتماعي، وذلك بمسايرة الآخرين. وكلما كان موضوع التعلم صعباً وغير مألوف فإن الفرد يعتمد على الأسلوب الاجتماعي ويكون مسائراً للآخرين

دراسات في أدب الجزيرة العربية (١٦)

جعفر البيتي يبكي المدينة المنورة سنة (١١٥٥هـ/١٧٤٢م)



د. عبدالله أبو داهش

الواقعة عليهم من جماعة أغوات الحرم، ومن في طرفهم من أهل المدينة وبني حرب وشيخ الحرم» (١)
سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، والتي بلغت أبياتها ثلاثة وستين ومائة بيت، ومنها:

وجرَّ حُكَّامُهَا فِيهَا أَعَادِيهَا
وراعِهَا بِكَلَابِ الْبَرِّ رَاعِيهَا
عنها وكانوا قديماً هاجروا فيها
واها لجائعِهَا واها لعاديهَا
الدار أطبق أخراش على فيها
وألست من ثياب الغل باقيهَا
أعجب على جلدي أني أعزبها
علي من لعيوني من يواسيها
ولا تُصَبِّرَ نَفْسِي لَا تَسْلِيهَا
من الأسى فبمن ترجو تأسيها
دنيا، وما صنعت فيها لياليها
لو كان ينفعها أني أفديها
حتى تجف دموعي في مآقيها
واليوم قد كثرت فيها مرآيها
كسيرة غاب عنها اليوم حامياها
محروقة فاسقها إن كنت تسقيها
أقل من أدمعي فيها ترؤيها

بكى على الدار لما غاب حامياها
بكى لطيبة إذ ضاعت رعيثها
بكى لمن هاجروا بالكرو واحتملوا
واها لكريثها واها لغريثها
واها لحالي لما قُمت أنشدتها
يادمنة سلبت منها بشاشتها
وقفت فيها أعزبها لكريثها
فمن مُعيني بأحزان يضاعفها
يا صاح ناد البواكي وإبك أنت معي
من مثل طيبة ما مثل الذي لقيت
حاشا تختلف الأملاك من غير الـ
يأبى الفداء لها من كل حادثة
وغاية الجهد أن أبكي لها أسفا
كان التغزل في جيران ذي سلم
هي المدينة أمست بعد عزتها
ملهوفة كبدها حرى مقطعة
ما قمت في نصرها حق القيام فلا

ظل تاريخ الأدب في الجزيرة العربية عبر القرون الأخيرة الماضية بعيداً عن اهتمام الدارسين وعنايتهم، وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، إذ كان من العدل أن تسعى الجامعات في بلادنا لدرسه والتأريخ له، وفق خطة مدروسة شاملة، ولكنه ترك في سعته لهما الأفراد من باحثين وكتاب، مما أفضى إلى عدم شموليته وإهماله. قلت: لو نهضت الجامعات ومراكز البحوث بهذا الشأن لكان ذلك أخرى بفائدة علمية مرجوة، كأن يؤرخ له بالقرون أو بالفواصل الزمنية المعهودة في النظرية المدرسية المعروفة، أو عن طريق الموضوعات، أو الشخصيات الأدبية، أو عن طريق المراكز الفكرية، كل ذلك سيكشف عن حقيقة هذه الحياة الفكرية والأدبية المخهولة.

ومهما يكن فإن من النصوص الأدبية المهمة في القرن الثاني عشر الهجري قصيدة السيد جعفر البيتي العلوي (١١١٠ - ١١٨٢هـ) التي أنشأها: «في فتنة أهل المدينة

ما في الحياة ولا في العيش من أرب
عشنا إلى أن رأينا ما يصدعها

من للمدينة إن غصت بريققتها
ما أفقر الصيد إلا بعد مسلمة
عادت لنا سيرة التيمور في حلب
ويومه وهو في بغداد يهتكها

يا آل عثمان عيني في ممالككم
عين لدولتكم عين لدينكم
أمتموها فضاعت عنده سفها
نتم ولانوم عبود الذي ذكروا
هنا عليكم وهانت بعد عزتها
أحوالنا علمتها الصين واعجبا

سأوا عن العهد عما كان سبته
غضضتم الطرف عن أشياء أبدعها
سوسوا البلاد بعين من نفوسكم
ما أبعد الورد إن بات العطاش على

يقول أحد الباحثين المعاصرين: «يبدو من خلال المقدمة التوضيحية التي كتبها مؤلف: «الأخبار الغريبة فيما وقع بطيبة الحبيبة» لقصيدة السيد البيتي المذكورة: وجود سلطين رئيسين تتنازعان إدارة شؤون المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، إحداهما: السلطة العسكرية بقيادة قائد عسكري يسمّى الآغا، وتتبع هذا الآغا قوة عسكرية كان مقرها القلعة التي كانت تقوم في المنطقة التي تعرف باسم: باب الشامي.

أما السلطة الأخرى فهي السلطة المدنية. وكان يتولى شؤونها صاحب الوظيفة المعروف باسم مشيخة الحرم. كما تشير المقدمة التوضيحية نفسها إلى حدوث مفاصد مالية من قبل بعض رجال القوة العسكرية، مما دفع بالسلطة المدنية أن تتدخل في البحث عن المشاكل المترتبة على مثل هذه المفاصد، مطالبة بإبعاد الشخصيات المتوسطة، وكانت هذه المطالب سبباً في نشوب القتال بين الفريقين،

من منعم بوفاة منه يسديها
عشنا إلى أن رأينا ما ينكئها

ومن يجيب نداها من يلبسها
أعطت محاسنها الدنيا لماضيها
أيام صبياتها شابت نواصيها
ويوم جنكيز بالتاتار يرميها

مطروفة لطمتها كف واليها
قد كاد لولا دفاع الله يعميها
ويل الأمانة ممن لا يؤديها
عن المدينة حتى قام ناعيتها
وأصبح الكل جافينا وجافيتها
من كان يمنعها عنكم ويشيها

فليس ذا أول الشكوى وثانيها
بشيريك فجأ هذا يسويها
دعوا الأجانب أعطوا القوس باريتها
وادي الغضا وبوادي الرمل ساقيتها» (٢)

وتوسعت دائرة هذا القتال لتشمل في المرحلة الأولى: الأفراد العاديين في المجتمع، ثم في مرحلة ثانية قبيلة حرب التي تقطن بعض المناطق المحيطة بالمدينة، وقد اتخذت هذه القبيلة موقفاً محدداً من الطائفتين المتقاتلتين» (٣)

وإزاء هذا النص يمكن القول: إنه يعد من بواكير الشعر السياسي في العصر الحديث، وإنه يمكن عدّ هذه القصيدة من القصائد الجيدة التي أحسن فيها الشاعر المعالجة المعنوية المطلوبة، فلقد بكى حال المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وادّكر تاريخها المجيد حين استقبلت المهاجرين رضوان الله عليهم في شرف سامق رفيع، واتصل فيها فلاح الإسلام عبر تاريخها الطويل، وحين أخذ أعداؤها في ضيمها، ثارت في ربوعها الفتن واستحكمت المشكلات، إذ بدأ العصر الحديث يارهاصاته الخطيرة يفسد جو تلك الرحاب الآمنة، مما دعا هذا الشاعر إلى نظم هذه القصيدة السياسية

بغيرة إسلامية جادة.

ويحسن هذا الشاعر المدني حين أفضى في آخر قصيدته الطويلة إلى معان صادقة بينة يوازن حالتها فيها بحال غيرها من البلدان الإسلامية التي انتهكت حرمانها في وقت سابق بعيد، وبرؤية الشاعر المنصف الغيور نادى بألم وحرقة من هم أهل النداء والحماسة: يا آل عثمان عيني في ممالككم

مطروفة لطمتها كف واليها
ولكن حال هذه الخلافة بدأ في الضعف والوهن مما جعل هذه الصيحات لا تغنى شيئاً أمام كيد المترصين. لم يتورع هذا الشاعر عن وصف هذه الولاية بالغفلة، وإنما بسط هذا المعنى في أبياته السابقة واللاحقة، وأسّر لذوي الشأن بنصيحة مفادها:

سوسوا البلاد بعين من نفوسكم
دعوا الأجانب أعطوا القوس باريتها
إنها دعوات صادقة منصفة لو صاحبها شعور باليقظة والانتباه، إذ الواقع يستوجب هذا التنبيه ويغنيه، ولكن إحساس الشعور بالقصور وعدم الاستجابة أفضى به إلى هذا القول الجميل المنصف: ما أبعد الورد إن بات العطاش على

وادي الغضا وبوادي الرمل ساقيتها
لإنها سنن تجري بتقدير الحكيم العليم، وليس للبيتي سوى النصيح لو نفع النصيح! لقد فاق معنى هذه القصيدة أسلوبها، وغير شيئاً في مسار حياة الأدب في الحجاز، إذ الواقع الأدبي عندئذ غير هذا الحال، من حيث غفلة الأدباء وحرصهم على التكلف، ناهيك عن الترف الذي أصاب الأدب عندئذ بكثرة أغراضه ووفرته، وما اتصل بها من العبث، والضعف المعنوي، ولاغربة في ذلك فالحجاز آنذاك صورة للأدب في الشام ومصر فضلاً عما انطوت عليه البيئة الحجازية يومذاك من المعاني والأفكار.

الحواشي

(١) مقدمة القصيدة المخطوطة.

(٢) توجد لدى الباحث صورة مخطوطة من هذه القصيدة.

(٣) د. عاصم حمدان، «المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ»، ٢٢، ٢١، ط ١، مطابع دار العلم، جدة (١٤١٢هـ/١٩٩١م) من منشورات نادي المدينة الأدبي.

أحمد أبوادي

نجم في الكرة ونجم في إسلامه

مآذنها الشامخة، معانقة ضفاف النيل،
تروي تاريخ مدينة لم تعرف ديناً سوى
الإسلام، منذ أنشئت قبل مايزيد على
ألف عام، وإلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها إن شاء الله.

حفاوة وتكريم

لم يكن صعبا على اللاعب القادم
من مجاهل أفريقيا التأقلم مع أهل
القاهرة وجوها العليل، فالطبيعة السمحة
التي طبع بها الإسلام قلوب المصريين،
جعلتهم شعبا يحترم ضيوفه ويقدرهم،
وبخاصة إذا كان الضيف يتميز بروح
شفافة ونفس صافية، كما هو الحال مع
فيلكس أبوادي، الذي استغرقت القاهرة
وأهلها تماما، فنسي اغترابه، وأحس أن
شيئا ما يربطه بهذا الشعب.

كان اللاعب الغاني قبل قدومه إلى
قاهرة المعز يعرف الكثير عن مصر شعبا
وتاريخا، إلا أنه لم يكن يتوقع أن يُعامل
بمثل هذه الحفاوة التي لاقاها، والتي
تعكس سلوكا إسلاميا أصيلا.

وبدأ الوافد الجديد يتعرف على مصر
أكثر من خلال زملائه في الملعب،
وكثيرا ما تأثر وجدانه وهو يرى زملاءه
في الفريق يتجمعون قبل المباراة ليؤدوا
الصلاة جماعة في مشهد يجسد أروع
صور العبودية والمساواة بين البشر.

بمستقبل باهر، وبخاصه مع صغر سنه،
حيث كان - آنذاك - دون العشرين.
وشاءت عناية الخالق - عز وجل - أن
تكون موهبة فيلكس أبوادي الرياضية
سببا في اهتدائه إلى دين الحق، وانتقاله
من عالم الشرك إلى دنيا التوحيد، إذ
كان النادي الأهلي المصري يبحث عن
مهاجم أفريقي هداف، ليطلع به هجوم
فريقه الكروي الأول، واجتذبت
مهارات فيلكس عيون السماسرة
والكشافين الخبيرة، وبعد مشاورات
ومناظرات بين فيلكس ومندوبي النادي،
تم توقيع عقد احتراف، يلعب بموجبه في
النادي الأهلي المصري.

في مدينة الألف متذنة

حين وطئت قدما فيلكس أبوادي
القاهرة للمرة الأولى، استغرقه منظر

وُلد في غانا، تلك الدولة الأفريقية
التي عرفت بتعدد ديانات شعبها، وروح
التسامح التي تحكم علاقات أبناء
الشعب الواحد، على اختلاف عقائدهم
وتنوعها.

وفي طفولته لم يكن الهاجس الديني
يشغله كثيرا، إذ عشق كرة القدم منذ
طفولته المبكرة، وكثيرا ما حلم أن يصير
يوما ما أحد نجوم بلاده الكبار في مجال
الكرة.

موهبة رياضية

وحين كبر قليلا بدأ يعرف طريقه
إلى المرمى، إذ اشتهر بمهارته في مراوغة
الخصم، وسرعة تهديفه في الزاوية
الصعبة التي يعجز حراس المرمى عن
تغطيتها، وبدأ نجمه يلمع في سماء
الرياضة، وتنبأ له النقاد والمعلقون

فالجميع حين يؤذن المؤذن للصلاة، يصطفون في خشوع كبارا وصغارا متجاورين يؤدون نسكهم كأنهم رجل واحد، ساجدين للخالق - جل وعلا - مسبحين بحمده، شاكرين إياه على نعمائه.

تعرف الإسلام

كان مشهد صلاة الجماعة المهيبة من الأمور التي علقت في ذهن اللاعب الغاني، فأخذ يسعى لمعرفة دين الإسلام، مستعينا بزملائه من أبناء النادي الأهلي، وبخاصة مدرب الفريق القائد (الكابتن) شوقي عبدالشافى، وقائد (كابتن) الفريق الحارس المعروف بتدينه وأدائه أحمد شوبير، اللذين وقفا إلى جواره مباركين سعيه للوصول إلى الحقيقة، وحين بلغ ذلك باقي زملائه أهداه زميلاه أسامة عرابي ومصطفى كمال مجموعة من الكتب الدينية الإسلامية، باللغة الإنجليزية، نظرا لعدم إجادته اللغة العربية.

صام رمضان قبل إسلامه

حين دخل رمضان ١٤١٤ هـ، كان فيليكس لم يعتنق الإسلام بعد، ومع وجود مسلمين في بلاده إلا أنه لم يكن يدرك أي معنى يمثله حلول هذا الشهر المبارك لملايين المسلمين، لذلك كانت

دهشته كبيرة حين رأى جميع زملائه في الفريق - حتى غير المتدينين منهم - يصومون عن الطعام والشراب، ويؤدون تدريباتهم بحماسة وهم صائمون، وأحس بشيء من الحجل حين وجد نفسه الوحيد بينهم غير صائم، فلم يلبث بعد أيام قليلة من شهر رمضان أن قلدهم، وصام مثلهم، مع أنه لم يسلم بعد.

مثلما وجد فيليكس في الصلاة تغذية لروح الجماعة في قلوب المسلمين، وجد في الصيام نوعا من المشاركة الوجدانية، إذ يتساوى الجميع - أغنياء وفقراء - في الإحساس بمعاناة الحرمان من الطعام والشراب ولذات الدنيا ومتاعها، ولكنه نوع من الحرمان المشروع، الذي يهذب النفوس، ويسمو بها، ويبعث فيها رحمة من الله، ويوجد فيها نوعا من الخشوع لرب العالمين، الذي بيده ملكوت كل شيء.

إسلامه

وزاد إعجابه بالإسلام حين علم من زملائه أن الخالق عز وجل قد جعل أعمال ابن آدم كلها لنفسه إلا الصوم اختص به ذاته الكريمة، يجزي به عباده على طاعتهم له. حين انتهى رمضان ١٤١٤ هـ لم

يكن صعبا أن يكتشف فيليكس أبوادي من خلال اختلاطه بالمسلمين، وقراءته التي تنوعت عن الإسلام، أن في العقيدة الإسلامية من القيم الرفيعة أشياء كثيرة يفتقدها غيرها من الديانات، ففيها من الصدق مع الذات والطهارة والتسامح ما يكفي لو قسم على أهل الديانات الأخرى أن يملأ الأرض عدلا وحباً، لأنه يتناسب مع كل إنسان.

لهذا لم يكن صعبا عليه أن يتخذ قراره باعتراف الدين الإسلامي، وتغيير اسمه إلى «أحمد أبوادي»، لينضم إلى الصفوة التي اختارت الإسلام ديناً.

حياته اليوم

وقد تزوج أحمد أبوادي فتاة مسلمة من بلاده تقيم في القاهرة، كما أرسل إلى أسرته يخبرها بأمر إسلامه، ويدعوها إلى دين الله، ولاقت دعوته استجابة مبدئية بطلبهم منه إرسال بعض الكتب الدينية ليقروا عن الإسلام.

وأحمد أبوادي يحيا اليوم أجمل أيامه بدخوله دين الله، ولا يمل من السجود لله شاكرا أن هداه إلى الإسلام، وأن أنعم عليه بالزوجة المؤمنة الصالحة، ويجد سعادته الحقيقية في المواظبة على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها.

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

ابن المتوفى يحجبهم

توفي رجل عن زوجتين وعم وخالتين وخالة وابن واحد صغير، فكيف يأخذ كل نصيبه من تركته المتوفى؟

داود ج، جدة.
تأخذ الزوجتان الثمن فيكون بينهما. ويأخذ الابن
الباقى كله. ولا يرث الباقيون شيئاً لأن ابن التوفى
يحجبهم.

الدين والقسمة

هل يُقضى الدين قبل تقسيم التركة؟

سعد بن قاسم حدادي، الكويت.
 إن الدين، وكذا الوصية - إن كان المتوفى قد
 أوصى - كلاهما يُخرج قبل قسم التركة «مال المتوفى»،
 ثم بعد ذلك يقسم الباقي على الورثة على ماورد في
 الشريعة.

الظلم الذكى

رجل يملك عمارة كبيرة سبق أن اعتصب أرضها بطريقة ذكية، وأرضى صاحبها «إرضاء المكره» لكون الثاني أقوى، والآل توفي المظلوم، وندم المعتصب ندمًا شديدًا، فماذا يعمل؟

س.ل.أ، أفريقيا.

هذا جيد، ولكن المشكلة هي وحي النفس
وماتورده من مسوغات، وتعليلات لظلم المعتصب،
وبهذا ينتشر الظلم الذكي لكن عاقبته وخيمة. على
المعتصب أن يختار أحد هذه الأمور إذا أراد التكفير:

- أن يذهب للورثة ولا يخبرهم أنه احتال وأخذها
بظلم قوي ذكي لكن يقول لهم إنه اشتراها منه - رحمه
الله - مثلاً بمئة ألف دولار، لكن بقي له مئة ألف دولار
أخرى هي القيمة الفعلية للأرض.

- أن يخير الورثة بين هذا، وبين أخذ العمارة ودفع التكاليف إليه، وهذا شديد عليه، لكنه فعل عظيم لأن

فيه راحة الضمير.

بما يرون، وعليه أن يتوب بعد تنفيذ أحد هذه الخيارات، إذ لاتصح التوبة قبل هذا.

بيع المجلات

لديّ مكان لبيع المجلات فقط، فهل يجوز هذا؟

س.ل. القاهرة - ج.م.ع.
هذا يعود إلى منهج تلك المجلات وبينانتهما،
فالحلال بين والحرام بين، ولعلك تستبرئ لديك
وعرضك.

رسول ونبی

هل يوسف نبى أم رسول؟

داود بن حسين بن سلم العتيبي، قطر.
يوسف بن يعقوب رسول مكرم، وهو نبي، قال
نعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل
موسى عليهما وعلى الأنبياء جميعاً الصلاة والسلام
فكيف هنا لا تؤمنون بموسى، والأنبياء جميعاً يدعون
إلى: عبادة الله وحده لا شريك له، وتحكيم شرعه في
مناحي الحياة كافة؟ ولهذا قال سبحانه بعدها
﴿بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا
هَلَكَ قُلُوبُكُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (غافر: ٣٤)
فهم أقروا بالرسالة بالنطق بها لكنهم كفروا بغياً وظلماً
وأخذوا للضعيف بالخيال والكيد، فهو هنا سبحانه يقرر
رسالة يوسف عليه السلام. وعد إلى سور: يوسف
والقصص، والشعراء.

الإثابة والتجارة

إذا أراد الإنسان سفرًا ما للتجارة مثلاً هل يثاب؟

ردینی. ج.م، الإمارات العربية.

لعل كثيراً من الناس قد يغيب عن بالهم ما يسمى عملية الاستحضار، أي النية. والاستحضار عملية: «نفسية ذهنية إرادية»، والعجلة سبب عدم هذا الاستحضار، وقد يكون التردد والتساؤل: هل هذا العمل لله؟ وبعضهم يتساهل، والبعض الآخر يتكلم على سبق حضور النية مادام هذا العمل حسناً، وحلالاً ومباحاً.

هل يقع الطلاق

ماحكم من قال عليّ الطلاق ما أدخل هذا البيت؟

سعيد. ل. ج، أبها.

مثل هذا اللفظ لا يجوز قوله عند إرادة المنع أو الحث، لكن يتمتع إن كان هناك سبب لعدم الدخول بقوة وإرادة - لكن مادام قد تلفظ هذا الشخص بمثل هذا اللفظ فيسأل عن قصده، فإن كان يقصد الطلاق فيقع طلاق واحدة، وإن كان يقصد منع نفسه وهذه نيته فيقع في حقه كفارة يمين إن حث ودخل، أو أراد الدخول والله أعلم.

من حب فَعَفٌ

هل صح حديث «من حب ففء فكم فمات
مات شهيداً»؟

محمد بن ناصر. أ، الخرج، المملكة العربية
السعودية.

لم يصح، وهناك من جعل له طرقاً ليجعله حسناً
بتعدد طرقه، لكن الصواب حسب علمي أنه لم يصح.

صحیح..ولکن!

هل صح حديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم
ولكن إلى قلوبكم»؟

ع.ع.ع، الصويدة، المدينة المنورة.

لم يصح بهذا اللفظ، والصحيح «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

تقسيم التركة

توفي رجل عن أم، وأب، وزوجة وثلاثة إخوة
وابنين ودين قليل؟

حمود - ل، الدوحة. قطر.

يكون حالها حسب ماهو موضح: الأب: له
سدس التركة، والأم: لها سدس التركة، والإخوة:
لا يرثون شيئاً؛ لأنهم محجوبون بوجود الأب والأين،
والزوجة: لها الثمن، والأينان لهما باقي التركة، بعد
استيفاء من سبق، ويُخرج الدين قبل قسمة التركة، ثم
تقسم بعد ذلك.

موقف الشعراء من الحسد

د. نورة الشملان

الحسد لغة : تمنى زوال النعمة
عن الغير
وذكر النووي في شرح صحيح
مسلم أن الحسد قسمان : قسم
حقيقي، وهو تمنى زوال النعمة عن
صاحبها، وهذا حرام بإجماع
الأئمة. ومجازي وهو أن يتمنى
الإنسان مثل النعمة التي عند أخيه
دون أن يتمنى زوالها عنه، فإن

كانت هذه النعمة من نعم الدنيا كان تمنيه هذا مباحاً، وإن كانت طاعة أو عبادة كان تمنيه مستحجاً.
والحسد المجازي الذي ذكره النووي هو الغبطة التي جعلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - مباحة للمؤمن، وفرق
بينها وبين الحسد حين قال: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد».

والحسد يأتي من الأقارب في الغالب، ولعل أبرز صور الحسد في التاريخ الإسلامي موقف قريش من النبي - صلى الله
عليه وسلم - حين نزلت عليه رسالة الحق. لقد تمنوا نزولها على رجل منهم، وقد صور القرآن حسدهم هذا بقوله تعالى
﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ (الزخرف: ٣١)

فمزجوا المدح بالحديث عن الحسد كما قال
نصر بن سيار لممدوحه:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد

ياذا المعارج لانتقص لهم أحدا

إن يحسدوني على ماقد بنيت لهم

فمثل حسن بلائي جر لي الحساد

إن عدد الحساد يتناسب تناسباً طردياً مع
النعم وكثرتها، وقد فطن إلى ذلك أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حين قال: «مأحدث الله بعد نعمة قط إلا
وجدت عليها حاسداً، ولو أن امرأ أقوم من
القدح لوجدت عليه غامزاً».

وكثيراً ما تحدث الشعراء عن الحساد،
وأعلنوا عدم الخوف منهم من ذلك ما قاله
مروان بن أبي حفصة عن حساده:

ماضرنى حسد اللئام ولم يزل

ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

ويبدو أن أبا تمام تأثر بهذا البيت حين

بالعداوة، ومن هنا فقد ألف الجاحظ رسالة
ب عنوان «فصل ما بين العداوة والحسد»
يقول: «العداوة تخلق وتبلى وتمل، والحسد
غض جديد، حرم أو أعطى لا يبيد، فكل
حاسد عدو وليس كل عدو بحاسد».

ويرى أن الحسد لا يبلى إلا يبلى
المحسود أو الحاسد، والعداوة جمر يوقده
الغضب ويطفئه الرضا فهو مؤمل الرجوع
مَرَجُوْا الإنابة، والحسد جوهر والعداوة
اكتساب.

ويدلل الجاحظ على أن الحسد أغبن من
العداوة بأن المَلَل كلَّها ذمت الحسد ولم
تفعل ذلك مع العداوة، بل إن العداوة
مطلوبة أحياناً وقد تردد المثل القائل: عاد
مَن عاداك وقارع بالعداوة أهلها.

والحسد لا يكون إلا مع النعمة، ولذا
نجد الشعراء يفخرون بكثرة حسادهم، وإذا
وقفوا أمام ممدوحيههم تمثل أمامهم الحساد

وقصة يوسف عليه السلام تجسد
الحسد الإنساني، فقد كان عليه السلام
محسوداً من إخوته بسبب المكانة الرفيعة
الخاصة التي احتلها في قلب أبيه مما أثار
حسد إخوته فكادوا له. وقد فصل القرآن
الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿إذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن
عصية إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ اقتتلوا
يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه
أيكم ﴿يوسف: ٨ - ٩﴾.

وأكد القرآن تحاسد الناس فقال تعالى:
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٥٤).

لقد أدرك الرسول - صلى الله عليه وسلم -
خطر الحسد على أمته، فحذر منه
في أحاديث كثيرة منها قوله - صلى الله
عليه وسلم - «الحسد يأكل الحسنات كما
تأكل النار الحطب»، والحسد يختلط

موقف الشعراء من الحسد

تحدث عن ممدوحه وما أحيط به من الأعداء الحاسدين إذ قال:

لقد أسف الأعداء فضل ابن يوسف
وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولع
ولعل المتنبي وقف عند البيتين السابقين
قبل أن يقول بيته المشهور:

وإذا أتت مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل
والبحثري يدعو الحساد إلى تقليد
المحسود بدلا من حسدهم له فيقول:

لا تحسدوا فضل رتبته التي
أعيت عليه وافعلوا كفعاله
واهتم الشعراء بتصوير أحاسيس
الحساد والتغلغل في مشاعرهم المريضة،
فقال أبو تمام مصورا تلك الأحاسيس:

يتنفسون فتشتي لهواتهم
عن جمرة الحسد التي لم تبرد
على حين يصور البحثري أحاسيس
الإنسان الذي دفع عن الحسد وقنع بما
لديه، فيقول:

مستريح الأحشاء من كل ضغن
بارد الصدر من غليل الحسود
واختلفت مواقف الشعراء من الحساد
فأبو تمام يفسف الحسد لصالح المحسود،
وكأنه بهذه الفلسفة يحاول أن يخرس
ألسنة الحساد، فكلما تبادوا في حسدهم
شاعت نعم المحسود فهم ينفعونه بدلا من
أن يضره يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيبُ عَرَفُ العود
أما المتنبي فيقف أمامهم مواقف متعددة
لعل أبرزها موقف التحدي كقوله:

إني وإن لُمتُ حاسدي فما
أنكرُ أني عقوبة لهم
وكيف لا يحسد امرؤ علم
له على كل هامة قدم
أو موقف السخرية وتأكيد التفوق
كقوله:

وما كمدُ الحساد شيئا قصدته
ولكنه من يزحم البحر يغرق
ويتظامن أمامهم أحيانا معلنا عدم
حصوله على ما يمكن أن يحسد عليه
فيقول:

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبه
أنى بما أنا شاك منه محسود
ويعلن أن الحسد داء وخيم لا يمكن
الشفاء منه ولا يمكن تجنبه بالحلب أو
الصفح، فيقول:

سوى وجع الحساد داء فإنه
إذا حلّ في قلب فليس يحول
ويحذر من الثقة بالحساد فيقول:
ولا تظمعن من حاسد في مودة
وإن كنت تبديها له وتثيل
ويبدو أن الحساد قد تكاثروا حول أبي
فراس، فأعلن شكه في جميع الناس وتجاوز
إلى مالا يعقل، فقال:

رمتي عيون الناس حتى أظنها
ستحسدني في الحاسدين الكواكب
ويمزج جزعه من كثرة الحساد بالفخر
فيقول:

ألم ير هذا الناس غيري فاضلا
ولم يظفر الحساد قبلي بما جدد؟
ويحاول أن يخفف من حدة حساده
بتذكيرهم بعقاب الله سبحانه وتعالى حين يقول:

ألا قل لمن كان لي حاسدا
أندري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حاله
إذا أنت لم ترض لي ما وهبُ

وأحيانا يعلن ترفعه عن الحساد وعدم
معاملتهم بالمثل، والإيمان بالله وبقوته،
وأنهم لن يستطيعوا مهما فعلوا أن يؤذوه إذا
لم يرد به الله أذى فيقول:

رفعتُ على الحساد نفسي وهل هم
وما جمعوا لو شئت إلا فرائس
أيدرك ما أدركت إلا ابن همة
يمارس في كسب العلا ما أمارس
وعلى الرغم من إحساس الشعراء
والناس عموما بالحسد، فكثرة الحساد من
القيم التي افتخروا بها؛ لأنها تدل على
التفوق، فهذا أبو تمام يقرن النعمة بالحسد
في رحاب الممدوح، فيقول:

وإذا سرحت الطرف نحو قبابه
لم تلق إلا نعمة وحسودا
ويعلن عن العطايا التي حصل عليها من
الممدوح ليغيط الحاسدين، فيقول مخاطبا ممدوحه:

كم نعمة زيتتي بسموطها
كالعقد في عنق الكعاب الناهد
غادرتها كالسور حولي سمكه
مضروبة بيني وبين الحاسد
ويجعل الحسد ضريبة يدفعها المحسود
مقابل ما يتمتع به من النعم فيقول:

واعذر حسودك فيما قد خصصت به
إن العلى حسن في مثلها الحسد
وكما قرن النعمة بالحسد فقد قرن
الطموح بالحسد حين قال عن ممدوحه:

شمر ما يكُل في طلب العد
ياء والحاسدون في طلبه
ويعجب ابن المعتز من سلوك الحاسدين
الذين يحسدونه على النعم التي أنعم بها
عليه الخالق عز وجل فيقول:

ومن عجب الأيام بغي معاشر
غضاب على سبقي إذا أنا حاربتُ
يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم
كأنى قسمتُ الحظوظ فحايبتُ

تيهي دلالاً

عبد المنعم عواد يوسف

تيهي دلالاً، فكلُّ الناسِ عشاقُ
طافت بهم في مجالي الحسنِ أحداقُ
في لمحِ لحظكِ سرٌّ عزَّ مطلبُهُ
وكلُّنا لاكتناهِ السرِّ سباقُ
يامنِّعَ النور، نور السحرِ مُنبعثُ
من خلفِ هُديكِ، إنَّ الومضَ ألاقُ
كنَّا بليلاً، فولَّى الليلُ مُنْسَجِباً
لَمَّا تفجَّرَ من عينيكِ إشراقُ
هو الرحيقُ الذي ساغت مشاربُهُ
للنفسِ ريُّ، وللأرواحِ تريقُ
ما أعذبَ النِّبعَ من عينيكِ مُنْسَكِباً
إلى الفؤادِ، فتندى فيه أعماقُ
يا ربةَ السحرِ تدعونا لساحتها
نحن الحيارى أحاسيسُ وأشواقُ
مُكَبِّلِينَ بَقِيدِ الأرضِ تجذبنا
إلى سماءكِ أبعادٌ وآفاقُ
لنستظلَّ بعَرْشِ الحسنِ في زمنٍ
كم مسناً فيه حرمانٌ وإخفاقُ
فإنَّ سَمَوْنَا إلى عَليَاكِ ننشدها
فكم ظللنا لهذا الأوجِ نشفاقُ

والعرب تعدُّ البعد عن الحسد من
مكارم الأخلاق، يعزز ذلك ما ذكر عن
الأحنف بن قيس حين رثى الحارث بن
معاوية إذ قال: «رحمك الله كنت لا تحقر
ضعيفاً ولا تحسد شريفاً».

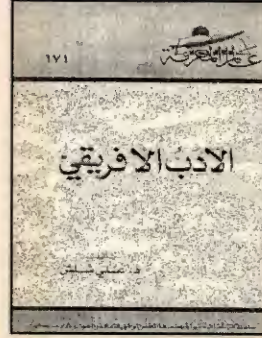
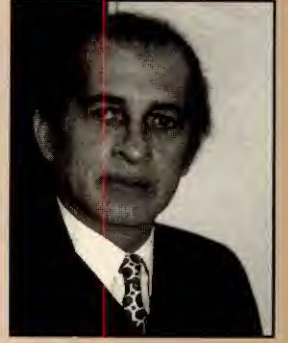
وإذا كنا قد لمسنا من الأمثلة السابقة أن
الشعراء، وإن ألمهم الحسد، فهم يعدونه
دليلاً على النعمة فيتباهون بكثرة حسادهم،
فإننا نلمس ألمهم الشديد الموجه من تحول
الحاسد إلى راحم، وقد عبر عن هذا المعنى
أحد الشعراء، حين قال:

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ
تري حاسديه له راحميناً
وحين يصاب الإنسان بنكسة في حياته
فإن أول ما يخطر بباله شماتة الحساد، وقد
عبر عن ذلك ابن أبي عيَّنه، حين قال:
كل المصائب قد تمر على الفتى
وتزول غير شماتة الحساد
وكان أحد الأعراب يدعو لولديه
فيقول: «اللهم اجعل ولدي محسودين ولا
تجعلهما مرحومين».

وقانا الله وإياكم شرَّ الحاسدين وطهر قلوبنا
بالإيمان وأقنعنا بما آتانا، إنه سميع مجيب.

المراجع

- ١ - القرآن الكريم سورة النساء ويوسف والزخرف
- ٢ - رياض الصالحين للنووي ص ٤٣٤
- ٣ - لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٣٨ مادة حسد.
- ٤ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني ط: بيروت ص ١٠٣ - ١٠٧
- ٥ - رسالة مابين العداوة والحسد للجاحظ ص ٣٤٦ (ضمن رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون).
- ٦ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام ط: دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م. ج ١ ص ١٤٠، ص ٤٠٠، ص ٤١٨ ج ٢ ص ٢١، ص ١٤٠ ص ٣٢٥.
- ٧ - ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح عبد الرحمن البرقوقي ط: بيروت ج ١ - ص ٣٢٣ ج ٢، ص ٢٤٨، ص ١٤٢، ج ٣ ص ٢٢٦، ص ١٨٠.
- ٨ - ديوان أبي فراس الحمداني - نشر سامي الدهان، بيروت ١٣٦٣ هـ - ج ١ ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٣١، ص ٣٣، ص ٢٣٥، ص ٤٠٣.



عليّ نتلش . . . ذلك الطائر المحلق

صبري عبد الله قنديل

الكتابة هي حالة مستمرة، تستعصي على الامتناع عن استنزاف العقل، ولا تتوقف بالأمها الممتعة إلا مع توقف الحياة النابضة، خاصة إذا اختار الكاتب أن يكتب بحير القلم ووهج النفس وصدق الضمير، هكذا كان الدكتور علي شلش - رحمه الله - حالة من الحالات المطابقة لهذا التصور، توقفت الحياة فافتقدنا بتوقفها نموذجاً متفرداً للناقد والمفكر الذي كانت تحركه وتدفعه مشاعر تحترق دوماً من أجل تقديم الجديد والمتميز. فمع تعدد الترحال وتنوعه بين الزمان والمكان انطلاقاً من الموقع المهجري الاختياري في لندن، ظل طائراً محلقاً بجسده وأفكاره مع الآداب العربية والعالمية بكل روافدها، فجاء تركيزه النقدي على النظرة القومية لهذه الآداب، مسرحاً كان أو شعراً، رواية أو قصة، فكراً أو تاريخاً أدبياً - سمة - من السمات المميزة لكتابات التي أوضحت بعمقها

المكثف وموسيقية أسلوبها وبساطته - ولعه - الشديد بالتراث، واهتمامه أكثر بتاريخ الآداب. لذلك حرص على الاقتراب بالقارئ العربي من نشأة الفنون الأدبية وتاريخ تطورها على مختلف العصور، فقد صحح، على سبيل المثال، وهو يتناول في مقال ضمن سلسلة مقالاته التي كان ينشرها بمجلة (الفصل) للمستعربة مارلين بوث التي قدمت في ترجمتها للإنجليزية مجموعة قصص لكاتبات عربيات، مازهبت إليه من ادعاء حول نشأة القصة العربية حين أرجعت ذلك للاستيراد المباشر من الثقافة الغربية، بينما الأساس التاريخي للنشأة مرجعه للحكايات والسير الشعبية المتوارثة في تاريخ الأمة. ثم حدثنا في مقال آخر عن

اكتشاف مسرح في جنوب لندن عام ١٩٨٩م، يرجع عهده إلى القرن السادس عشر، وكانت تقدم على خشبته أعمال شكسبير، وأن الذي أقام هذا المسرح هما رجلان من عشاق الدراما أحدهما دباغ للجلود والآخر بقال، وهي إشارة تاريخية موجزة بينت مدى الاهتمام القديم عند الإنجليز بفن المسرح.

وقد اهتم الدكتور علي شلش على وجه الخصوص بالآداب الأفريقي الذي ظلم إعلامياً في إطار ماتعرضت له القارة من ظلم وإجحاف على المستويات كافة، وقد أصبح واحداً من السباقين القلائل لتناول هذا الأدب، إن لم يكن في مقدمتهم، حيث اقتحم ميدانه المجهول - المتجاهل - فقدم للغة العربية ولأول مرة عام ١٩٦٣م نماذج أدبية تحت عنوان «من الأدب الأفريقي»، مصحوبة بدراسة إضافية فتح بها الطريق أمام القارئ العربي

لتعرف هذا الأدب الذي صيغ من المعاناة التاريخية الطويلة لشعوب قضت في إطار جدلية التفرقة العنصرية سنوات من الصراع البشري المرير.

ثم رأى - بعد هذا الكتيب الصغير وأمام استمرار تجاهل أدوات تعامل الثقافة العربية مع الشقافات الأخرى - أنه لا بد من تقديم المزيد من الإضاءة على نماذج أكثر عمقا وتطوراً مما سبق تناوله، فعكف على إعداد كتاب كبير، غير أنه قبل أن ينتهي منه رأى أيضاً - ووفقاً لرغبة عامة فرضت نفسها على الواقع الثقافي العربي - أن يقدم استخلاصاً لهذا الكتاب في كتاب صغير تحت عنوان «ألوان من الأدب الأفريقي» صدر عام ١٩٧٤م عن هيئة الكتاب المصرية ليكون تمهيداً يقيم علاقة أكثر حميمية مع هذا الأدب، يمكن من خلالها استقبال كتابه «الأدب الأفريقي» الذي صدر في آذار/مارس من العام ١٩٩٥م عن سلسلة عالم المعرفة متناولاً روافده: الشعر والمسرح والرواية والقصة القصيرة وأدب السير الذاتية، حيث إن كل هذه الروافد تطورت، وصارت أكثر تألقاً وتنافساً مع الآداب الأخرى في ميادين التقدير العالمية وقد خرج من بين مبدعي هذا الأدب من انتزع جائزة نوبل من بين أنياب عمالقة ظلت الجائزة حكراً عليهم لعقود طويلة.

أما النقد الاجتماعي فهو لا يقل أهمية ولا مستوى في الإبداع عن النقد الأدبي؛ لأن النقد عنده صارت له وظيفة اجتماعية حينما يكون عاملاً من عوامل التغيير الثقافي والجمالي؛ والنقد بشكل عام هو فن من فنون الإبداع، وتربطه علاقة طبيعية بالأدب والفن لأنها جميعاً في النهاية تخدم غاية واحدة، هي حاجة الإنسان إلى الزاد العقلي والغذاء الروحي، ومن اللغات الجديرة بالذكر على سبيل المثال، ماناقشته في زاوية «على موعد» تحت عنوان «هل هي عادة» عن عادة الإسراف التي بدأت تنفشي لدينا في استخدام الأقناب والاهتمام بالشكليات أكثر من الاهتمام بما تقدم من إبداع، بينما نجد في الشقافات الأخرى من يحمل العديد من الأقناب العلمية ولا يعنيه إلا عمله وما يقدم.



شيء وأشياء

د. صالح بن سليمان الوهبي

ومن لفتاته أيضا مآثره في زاوية «أسبوعيات» بجريدة الأهرام تحت عنوان «المستحقون المنسيون» واجه في مقاله اللاذع تجاهل الأجهزة والهيئات المعنية بالجوائز التقديرية في مجال العلوم الاجتماعية لعلم - الإعلام والاتصال وكذلك الصحافة - وصدر انتقاده بالرموز الريادية التي أثرت الحياة الثقافية كل في مجاله.

أما كتبه النقدية التي صدرت فلحظ حرصه فيها، إلى جانب الدراسات الأدبية التي تتضمنها، على إثارة قضايا نقدية مصاحبة لهذه الدراسات، هذه القضايا عنت بتصحيح كثير من المفاهيم، ورست مفاهيم جديدة عن خصائص العمل النقدي؛ فمثلا في كتابه «قضايا ومسائل في الأدب والفن» الذي صدر عام ١٩٧٥م، اهتم بتناول قضية «القرابة بين الفنون» وقضية «الإبداع في النقد». وفي كتابه «من مقعد الناقد» الذي صدر عام ١٩٨٥م ومع تطور الحركة الأدبية والنقدية في العالم جاء تركيزه على أن النقد ليس عملا من أعمال الفضول أو التطفل؛ لأنه في أساسه عمل خلاق كأني عمل أدبي آخر.

ومن خلال دراساته وآرائه النقدية والمفاهيم التي طرحها تباعا مع تطور الإبداع النقدي لديه نجد أن مجموعة من الأخلاقيات العامة والأعراف الاجتماعية انعكست في كتاباته بمجموعات رفعة من القيم، مرجعها إلى نشأته التي كان لها دور كبير في ارتباطه بالنقد، حيث كان يجالس الكبار في مجلس أبيه اليومي مع أصدقائه في شرفة الدار، حيث كان هذا المجلس يناقش قضايا الكون من مختلف جوانبها، وكان هو في هذه المجالس الصامت المتأمل الذي أصبح بعد ذلك يرى أن النقد يشارك كل فنون الكتابة في سلطتها التأثيرية، لكن ما يميز بينه وبينها هو عنصر - التشريع - الذي يعد خاصية بارزة من خواصه، ولأنه دخل إلى عالم النقد من باب الهواية، فإنه اختار أن يبقى طائرا محلقا يدرك بثقافته وخبرته ورؤيته متى يحلق وفي أي الأماكن يحط، لذلك كان النقد في تصويره هو الوجه الآخر للإبداع، وأنه قراءة إبداعية حرة لصاحبه. وهكذا يجب أن يكون.

١- من الكتاب من يرسم كلمة (شيء) بجعل الهمزة في آخرها على الياء هكذا: (شيئ) أو (شيء)؛ وكلتا الكتبتين خطأ وفقا لقواعد الإملاء المتبعة. وقد لاحظت أن الخطأ فيها قاسم مشترك بين الكتاب والأدباء والطابعين والطلاب.. فأحببت الإشارة إليها راجيا أن ينتفع بذلك من يقرؤه. والصواب في كتابتها أن ترسم منفردة على السطر، إذ إن كلمة (شيء) شبيهة بالكلمات الآتية: (عبء ودفء ودرء وجزء...) التي ختمت بهمزة سبقها حرف ساكن، فتكتب عندئذ على السطر ما لم يتصل بآخرها ضمير.

أما إذا اتصل بكلمة (شيء) ضمير فإنها تكتب حينئذ وفقا لضوابط كتابة الهمزة المتوسطة هكذا: شيء - في الرفع، وفي النصب: شيء، وفي الجر: شيء. وهي على هذا النسق لا تخرج عما شاكلها من كلمات توسطت فيها الهمزة لاتصالها بضمير، فعلا كانت أم أسما نحو: عبؤه وعبأه وعبئه، رفعا ونصبا وجرا.

٢- أما كلمة (أشياء) فإن الخطأ فيها ليس إملائيًا، بل هو نحوي. فإن هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم ممنوعة من الصرف (أي غير منونة - فالصرف هنا هو التنوين) في قوله تعالى في سورة (المائدة: ١٠١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ ولم ترد منكورة إلا في هذا الوطن.

وخطأ المتكلمين والكاثرين في (أشياء) ذو شقين:

الشق الأول: خطئهم في تنوينها، وقد وردت غير منونة فقل: «تلك أشياء لا تهمني» و«تركت أشياء لا تهمني» و«لا تسألني عن أشياء لا تهمني» - دون تنوين لها. وقد أكثر الصرفيون والنحاة والمفسرون الحديث عن سبب منعها من الصرف.

ومن أشهر الأقوال فيها قول الخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٠هـ) رحمه الله من أن السبب هو معيئها على وزن (فعلاء) الممنوع من الصرف؛ لأنه مختوم بألف التأنيث المدودة؛ فأصلها (شيئاء). وقد حصل عنده فيها قلب (أي تقديم وتأخير) حتى صارت على وزن (لَفْعَاء)؛ فالهمزة في أول (أشياء) عنده هي الهمزة التي في آخر كلمة (شيء). وما يهمننا هنا هو أن منعها من التنوين سماعي فيجب الوقوف عنده، إلا في ضرورة شعر كما هو مقرر في هذا العلم.

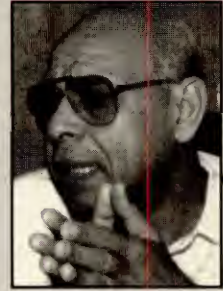
الشق الثاني: خطئهم في عدم تنوين ما يبدو على غرارها في اللفظ كأسماء (جمع اسم) وأعداء (جمع عدو) وأجزاء (جمع جزء)؛ فوزن هذه الثلاثة هو (أفعال) المصروف، أي المنون إن كان نكرة. من أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة (آل عمران: ١٠٣): ﴿... إِذْ كُنْتُمْ أَعدَاءُ قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾، وقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام (يوسف: ٤٠): ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَابْتَدَأْتُمْ بِهَا اللَّهُ يَكُونُ مِنْكُمْ لِقَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أما إذا صار (أسماء) علما على أنثى فإنه يمنع من الصرف (أي لا ينون) لأنه جمع بين العلمية والتأنيث؛ وهما موجبان للمنع من الصرف كما هو مقرر عند النحاة والصرفيين.



يحيى حقي.. عطر الأحباب

((٢))



د. سيد حامد النَّسَّاج

وإذا كان يحيى حقي قد بدأ حياته الأدبية بكتابة قصص قصيرة تغلب عليها الموضوعية، وتجعل هدفها تصوير أحياء وشخصيات من الواقع المادي الخارجي تصويراً حرفياً آلياً، لا أثر فيه لمشاعر الفنان الخاصة وانطباعاته الذاتية؛ فإنه في المرحلة التالية، تخلص كثيراً من موضوعيته الجامدة تلك؛ وأخذ ينظر إلى الواقع نظرة انطباعية تأثرية.

يظهر ذلك في اختياره للشخصيات التي يصورها في قصصه، وبعض الأحداث الخاصة التي وقعت له، أو لأحد معارفه؛ ويرويها هو من وجهة نظره الذاتية ورؤيته الخاصة. يضاف إلى هذا شغفه بوصف الشخصيات الشعبية التي تروق له، أو تعجبه، أو تؤثر فيه، لغرابتها، أو لشذوذها، أو لبلالتها. ويدفعه هذا إلى إبراز عاداتها وتقاليدها وأخلاقها والبيئة التي تعيش فيها، والشخصيات التي تحيط بها. انظر في ذلك قصصه: احتجاج - تنوعت الأسباب - في العيادة - سوسو - في السينما - وراء الستار - مولد بلا حمص - إفلاس خاطبة - عقرب أفندي - كنا ثلاثة أيتام.

ويحس حقي في هذه المرحلة مولع بالشخصيات التي لم يكن يلتفت إليها - قصصياً - من قبل. مولع بالمنسيين من التصنيف الطبقي. أبطال قصصه القصيرة ليسوا عمالاً ولا فلاحين ولا من «الارستقراطية» الزراعية أو الرأسمالية. إنهم المتسكعون في الشارع الشعبي المصري. ناس على باب الله، كما يقول. مجهولون، ليسوا في بؤرة الضوء. حاول يحيى حقي أن يلقي عليهم الأضواء الباهرة. ناس في الظل: إنسانياً واجتماعياً وفكرياً، واقتصادياً وسياسياً. وقد حاول تجسيد نوعية جديدة من المشكلات الاجتماعية والنفسية، من خلال تصوير هذه الشخصيات.

الاهتمام بالتجسيد المادي

وهو - في هذه المرحلة - يجعل لوحدة «الانطباع» المقام الأول في قصصه القصيرة؛ بمعنى أنه يقصد توصيل تأثير معين في نفسية القارئ، وفي شعوره. ومن هنا فإنه يخاطب منطقة الإحساس والمشاعر والعواطف والوجدان. إنه - هنا - يلتقط من الواقع الخارجي ويضيف إليه من عنده. لم يعد يعتقد بمجرد التصوير والوصف والنقل عن الواقع ما يكفي لأداء رسالة «التأثير» دون حاجة إلى الإفصاح عن مشاعر الكاتب الخاصة، لذا فإنه يحاول ترتيب الواقع المصور أو المصنوع؛ وسرده أو وصفه بحيث يثير القارئ؛ ويولد الانطباع الذي يرمي إليه الكاتب.

وقد يفسر لنا هذا من بعض الوجوه أنه يبرز «ذاته» بشكل واضح لا خفاء فيه؛ مما قد يعيد القصة القصيرة عن موضوعيتها. وغالباً ما تروى القصة بضمير المتكلم أو أن يجعل من نفسه

شخصية محورية. أو يعلق وينثر حكمة هنا وهناك في وضوح غير فني.

ومع أنه يختار من الواقع شرائح دقيقة جداً؛ فإنه يفصلها عمداً عداها، ويقف إزاءها في ذاتها كما لو كانت معزولة تماماً عن غيرها، مركزاً عليها الضوء، مبعداً بينها وبين النسيج الكلمي الذي يعد خيطاً من خيوطه. ويظل ميبالاً إلى تصوير الشخصية من الخارج محدداً القسّمات والملامح والزي والسن وما إلى ذلك ممّا يساعد على تجسيد الشخصية مادياً، وعلى تمثيل القارئ لها من الناحية الشكلية. وهذا الملمح يبدو أكثر جلاءً في صورة القصصية.

واللافت للنظر أنه - في هذه المرحلة - كما كان من قبل؛ لا يلتزم مذهباً سياسياً أو عقدياً. إذ نراه يفصل فصلاً تاماً بين السياسة والفن. ولا تكشف قصصه القصيرة عن اتجاهات فكرية (إيديولوجية) واضحة تحركه وتدفعه إلى الكتابة. اللهم إلا رغبته في التعبير عن إحساسه بالواقع من خلال ذاته هو قبل كل شيء. يقدم شخصية «إبراهيم أبي خليل» في قصة «أم العواجز» تقدماً انطباعياً من خلال ذاته هو؛ بما يوحي بأنه على معرفة ودراية بما يتصل بهذه الشخصية: «سبحان الذي وسع ملكه الخلق كله، ولا اعتراض على حكمه، فلا أبتغي إلا أن أروي قصة إبراهيم أبي خليل وهو يهبط درجات الحياة: كورق الشجر في الخريف، قد تدفعها الرياح قليلاً، ولكنها - حتى في ارتفاعها - تنطق بالهبوب المكتوب عليها، رويداً رويداً إلى أن يتوسد خدها الثرى وتدوسها الأقدام» ص ٧.

تقريرية وثبات

وذاته حاضرة حضوراً دائماً في كل قصصه، لا يغفل عنها؛ ومعظم بدايات قصصه تأثرية ذاتية على عكس ما كانت عليه في المرحلة السابقة، التي كانت «الموضوعية» من أوضح معالمها. فقطعته (تنوعت الأسباب) تبدأ على هذا النحو: «إنني شغوف بتتبع أخبار البخلاء، فليس كمثلهم جنس من الناس يثير الاشمئزاز والابتسام في وقت واحد. ويقال: «لعل أبلغ ما أملك ما شفاك». وهكذا أنا شغيف من هذا الهوس منذ أن سكنت دارنا هذه في حارة الشيخ البغال، وتعرفت على جارتنا الست زليخة» ص ٦٧ مجموعة أم العواجز. وفي قصة «إفلاس خاطبة» يحدثنا عن تأثره

الشديد بحال من يعاشره من الأصدقاء، وعن شغفه بتتبع أسعار الأسهم والسندات؛ ثم عن رثائه لحال صديقه ودعوته له بالتوفيق في محتته الكبرى من أجل العثور على زوجة. وكذلك الحال في قصته (في السينما) التي تكاد تكون قطعة من ماضي طفولته وشبابه؛ حين كان يعشق مشاهدة الأفلام السينمائية. والقصة كلها ذاتية انطباعية منذ البداية حتى النهاية. (أم العواجز ص ١٣١).

ويروي لنا في قصة «عقرب أفندي» ذكرى من ذكريات طفولته؛ ويعرض علينا صورة من صور التلمذة. وعلى هذا النحو في الكثير من قصصه القصيرة تحل ذاته حيناً كبيراً. ونحن لا نرفض أن تكون ذات الأديب موجودة؛ ولكن بشرط ألا يكون وجودها كل شيء؛ وأن يكون ذلك بفن وخفية لا سفوراً؛ فهو يفرض نفسه فرضاً على القارئ. كما أنه يعطي وصفه صفة التقريرية والثبات؛ لا الحركة والحيوية، ويفسخ المجال أمامه لأن ينثر تعليقاته وحكمه بكثرة، وبلا داع. فلا تكاد تقرأ صورة له إلا ويفاجئك تعليق هنا وحكمة هناك. وقد يطول التعليق فيبلغ فقرة كاملة؛ كهذا الذي نقرأه في قصة (صحوة) ص ١٣١ من مجموعة (أم العواجز). وانظر حكمه المقحمة والكثيرة في قصص (قصة في سجن) و(أبو فودة) و(السحافة تطير) و(كنا ثلاثة أيتام) و(كن كان) و(أم العواجز).

ولا تنف رغبت في «التصوير» القصصي عند حد الشخصيات الأدبية وحدها؛ بل تتعداها إلى تصوير الطيور والحيوانات؛ وهو ما لاحظناه في أول قصة قصيرة نشرها بصحيفة (الفجر). وتنحصر قصته «كوكو» في تصوير الطيور، ودقة وصفها وكذا وصفه للديك الرومي في قصته التي تحمل هذا العنوان. وأيضاً قصة (عنتر وجوليت).

ضوابط لم يلتزمها

أمّا من حيث الموقف من اللغة؛ فإنه أفاض في الحديث عنه وهو يقدم مجموعة (عنتر وجوليت) رغبة في تأكيد حرصه على أن يحدث تغييراً في أسلوب السرد القصصي، وفي لغة القصة بعامة. فقد أعلن في سيرته الذاتية أنه: «كان علينا في فن القصة أن نفك مخالب شيخ عنيد شحيح حريص على ماله أشد الحرص، تشدد قبضته على أسلوب المقامات، أسلوب الوعظ والإرشاد والخطابة، أسلوب الزخارف والبهرجة اللفظية والمترادفات،

أسلوب المقدمات الطويلة والخواتيم الرامية إلى مصممة من الشفاه، أسلوب الواوات والفاءات والثمات والمعدلات والغمدلكات واللاجرمات والبيدانات واللاسيمات وأسلوب الحدوة التي لا يقصد بها إلا التسلية. كنا نريد أن نتزع من قبضة هذا الشيخ أسلوباً يصلح للقصة الحديثة كما وردت لنا من أوروبا، شرقها وغربها. ولا أتحوّل عن اعتقادي بأن كل تطور أدبي هو في المقام الأول تطور أسلوب» ص ١٦ - (كناسة الدكان).

وصنع يحيى حقاً مجموعة من الضوابط والقيود في مقدمة هذه المجموعة معلناً التزامه تطبيقها. لكنه في مجال التطبيق وقع في تناقض واضح؛ وبالثبات في هذه المجموعة التي تنصدها ضوابطه. فإن ادعاءه بأنه يضيق أشد الضيق بحروف السببية، يذحضه ما نقرأه في قصة (عنتر وجوليت): «لذلك أجزم أن عنتر لم يقابل جوليت أبداً»؛ «لأن إرادة جوليت قد ماتت»؛ وقوله في قصة (الودع): «وأنا أزورها كل يوم سبت لأنها لا تفرش يوم الجمعة».

ومما حدّه صارماً عدم استخدام حروف العطف. علماً بأنه استخدمها كثيراً. وفي التطبيق استخدم الجمل الاعتراضية بدلاً من حروف العطف؛ فكثرت عنده لدرجة تقطع السياق وتوقف تيار التأثير للجمل الواحدة. والناظر في قصة (سوسو) - الجمهورية ١٢/٢٧/١٩٥٨ م - العدد ١٨٣٣ - ص ٥ - يجدها وحدها مملوءة بالجمل الاعتراضية التي لا حصر لها. فكيف يتسنى للقارئ أن يتذوق قصة تبدو فيها الجمل الاعتراضية على هذا النحو من التجاور والتعدد: (لم تكن السخرية - فهي مبلوعة بين الأصدقاء - ولا الاستهزاء من عيوي - ولست غافلاً عنها وإن كنت لا أستطيع التخلص منها - سبب ضيقي، وهذا الكلام - في نهاية الأمر - اعتدت سماعه من بسبوني، ولكنني شعرت بالضيق)؛ (ومتعتنا معه بأول سيجارة وأغراناً فؤاد - ونحن فريسة سهلة -)؛ (أمّا بسبوني فهو بغير سعي منه تصطفية - ونحن نكاد نتلازم - فتيات الأثرياء وزوجات رجال أفاضل). وقس على ذلك قصصه القصيرة التي كتبها أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات.

ويلاحظ أن ولعه باللغة العامية قد ازداد؛ إلى هذا الحد الذي جعله أشبه بباحث لغوي يسعده الحصول على أكبر قدر ممكن من الألفاظ

والكلمات والأمثال الشعبية. وقد أثر ذلك في بناء القصة القصيرة عنده. إذ نراه ينسى كل شيء من فنية القصة القصيرة وعناصرها الأساسية عدا «اللغة». حتى تحولت القصة القصيرة إلى معرض يضم نماذج من المأثورات والصور والتشبيهات الشعبية. فاللغة وحدها تصبح هي البطل الرئيسي الذي يستحوذ على فكر الكاتب. ناهيك عن الحوار المكتوب بالعامية.

ولئن كان يحيى حقي قد وضع لعاميته ضوابط عند استخدامها؛ كأن يكون اللفظ العامي (متجرداً من قواعد اللغة العامية كإدخال حرف الباء في أوائل الأفعال أو النفي بحرف الشين في آخر الكلمة) فإنه لم يوفق في تنفيذ ذلك، وخرج عن الحد الذي ألزم به نفسه دون أن يفرضه أحد عليه. ففي قصة «الودع» نجد حرف الشين الذي يستخدم للنفي في العامية: «أنا مش قتلتك أم محمد ما تدخلش هنا» يعني لسانك ما يسكتش ياميت ندامة على كده يا اخواني، «ليه يا حبيبي أنا أريحك مني ولا تزعلش» وفي قصة (العبادة): «لو كان علي أنا ما كنتش جيت»، «أنا مش بتوع حكما»، «أنا بيتنا ما يوهش». وفي (مولد بلا حمص): «كان أحسن تضربي لي تليفون علشان مشوارك ما يروحش فاشوش»، «أنا عاوزك تقف جنبي ماتسبينش دقيقة واحدة».

الزخرفة بعيداً عن الفن

شغل يحيى حقي في قصصه القصيرة بالبحث عن «صور» طريفة لشخصيات شاذة أو غريبة أو ساذجة. وانهمك في التنقيب عن ألفاظ عامية ليثثها بشأ. وسمح لذاته بأن تطفئ طغياناً مستبدًا قاسياً؛ بتفسيراتها وحكمها وتعليقاتها. وأخذ يقتفي أثر الشخصية ويتبعها تاريخياً. وحشد في القصة الواحدة عدداً كبيراً من الشخصيات، في حين أنها لا تحمل إلا جانباً يسيراً من جوانب الشخصية الواحدة. وليس من شك في أن هذا الاحتفال بالزخرفة والزركشة حال دون قوة التأثير من ناحية، وإحكام الشكل الفني المنضبط من ناحية أخرى؛ فضلاً عن خلوها من المضمون الاجتماعي؛ رغم أنه ينتخب صوره وشخصياته ونماذجها من الواقع. فهل وصلت به النعمة والزركشة والزخرفة إلى أقصى حدود الصناعة والحرفية، بعيداً عن الفن؟

في نوفمبر ١٩٣٤م نشرت المجلة الجديدة الشهرية في كتيب صغير منفصل يقع في ست

وخمسين صفحة رواية قصيرة ليحيى حقي بعنوان (البوسطجي)؛ ثم ما لبثت دار المعارف أن أصدرت له روايته القصيرة الثانية التي نالت شهرة واسعة وهي (قنديل أم هاشم) ط ١ - العدد ١٨ سلسلة (أقرأ) ١٩٤٥م، وبعدها بسنوات صدرت روايته القصيرة الثالثة (صح النوم) عن المطبعة النموذجية بالقاهرة ١٩٥٩م؛ لكنها كانت أقل حظاً من الروايتين السابقتين؛ لأن السينما أعدت الروايتين الأوليين، بينما لم تلتفت إلى الثالثة. كما أن عدداً كبيراً ممن تناولوا أعمال يحيى حقي لم ينفقوا عند هذه الرواية طويلاً.

جاءت رواية (البوسطجي) في الثلاثينيات مغامرةً فردية؛ في مناخ أدبي شهد إسهام عدد من كبار الكتاب في هذا المجال. شغلت الرواية بعضهم، ومثلت عند بعضهم جانباً من جوانب النشاط الأدبي. فهي لم تكد تشغل العقاد مثلاً، لذا فإنه لم يكتب غير روايته القصيرة الوحيدة (سارة) ١٩٣٨م. وكان محمود طاهر لاشين - كاتب القصة القصيرة - قد انتهى من نشر روايته القصيرة (حواء بلا آدم) في أول تموز/يوليو ١٩٣٣م. كذلك الحال بالنسبة لإبراهيم عبدالقادر المازني (إبراهيم الكاتب) ١٩٣١م، ومحمود تيمور (الأطلال) ١٩٣٤م، و(دعاء الكروان) ١٩٣٤م، ثم (أديب) ١٩٣٥م لطف حسين؛ و(عودة الروح) ١٩٣٣م لتوفيق الحكيم؛ وبعدها (يوميات نائب في الأرياف) ١٩٣٧م و(عصفور من الشرق) ١٩٣٨م.

محاولات الانفلات من التبعية

والظاهرة اللافتة للنظر، أن هؤلاء الكتاب، من خلال كتاباتهم الروائية؛ كانوا تجسيدا لما يمكن أن نسميه بالقلق وعدم الاستقرار وتأرجح الرؤية بالنسبة للمجتمع المصري آنذاك من مختلف الزوايا والجوانب: اقتصادياً وسياسياً، واجتماعياً، وفكرياً، وثقافياً. فلم يكن الاقتصاد المصري ثابتاً ومستقلاً، وإنما كانت التبعية موجودة بشكل أو بآخر. نعم كانت هنالك محاولات للانفلات من أسر هذه التبعية، بإنشاء مؤسسات ذات شخصية اعتبارية، وبدخول رأس المال المصري، لكن ظلت الهيمنة الاستعمارية، والسيطرة لرأس المال الأجنبي إلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

كذلك الحال بالنسبة للموقف السياسي، فإن تبعية القصر الملكي للاستعمار الإنجليزي؛ دفعت

الثوار الوطنيين إلى قيادة حركات نضالية وفدائية للخروج من حالة عدم الاستقرار الناجمة عن عدم الاستقلال الوطني الكامل، وهي حركات استهدفت القضاء على ما أصاب المجتمع من قلق، وتوتر، وعدم استقرار. وطبعي أن يكون لذلك انعكاسه الواضح على العلاقات الاجتماعية بين طبقات المجتمع. ويكون أكثر وضوحاً لدى الكتاب من أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة. فلم تكن معالمها واضحة. ولا ضفافها آمنة. ولا مستقبلها مضموناً. وليس من شك في أن هذه الطبقة في حد ذاتها تمثل الظاهرة التي نتحدث عنها. فأفرادها نبثوا من أصول فلاحية، ريفية. لكنهم تعلموا بشكل ما. وانخرطوا في إطار طبقة جديدة؛ واختلطوا بمجتمع جديد لا يحمل سمات مجتمعهم الذي نشؤوا في حضنه. ومنهم من سافر إلى أوروبا؛ فعرف أدباً ولغة وفكرًا وحضارة وأناسي؛ تختلف - جميعاً - عما كان يعرف. ثم مالبت بعضهم أن عاد إلى وطنه؛ ليعمل؛ وليتحدث لغة أهله؛ وليكتب؛ عندئذ يواجه بما يمكن أن يحدث لديه اضطراباً، وبلبلًا وقلقًا؛ عمن يكتب؟ عن نفسه أم الآخرين؟ وأي أناس؟ أهله الذين رضع قيمهم، وعرف مشكلاتهم، وحفظ تاريخهم؛ أم الناس الجدد الذين أصبح ينتهي إليهم بحكم التعليم، والوظيفة، والسفر، والسكنى الجديدة... وبأي لغة يكتب أو يتحدث؟ باللغة الأوروبية التي سافر ليتعلمها؛ ثم قرأ أدبها، واحتك بمفكرها أم باللغة العربية الفصحى؛ أم باللهجة العامية؟!.

اللغة الأولى لا تمت بصلة إلى تراثه العربي القديم. واللغة الثانية لا يجيدها ولا يفهمها إلا من تخرج في الجامعة أو في الأزهر أو في دار العلوم أو في دور المعلمين، والأخيرة إن كتب بها فإنها توقعه في مشكلة فنية وقومية، وإن استخدمها فإن عليه أن يواجه النقد وحراس اللغة العربية. كما أنه - في الوقت ذاته - لا يشعر بذاته وبما ثقف نفسه به. وقد يستعد بذلك عن تراث أمته العربية. ثم في أي شكل أدبي يعبر أو يصور؟! وبخاصة أن القضايا الجديدة، وحركة الواقع المتغير، قد لا يحتمل «الشعر» وطأتها؛ بالإضافة إلى أنه قد لا يحقق من خلال الشعر تميزه وتفرد، لوجود مئات الشعراء منذ العصر الجاهلي. وهو إن بحث في تراثه العربي النثري فلن يجد غير «المقامة» التي تستلزم لغة

بيئة حقي.. عطر الإحباب (٢)

الرواية القصيرة أن يلفت أنظار المفكرين والكتاب والفنانين والأدباء إلى ضرورة دراسة العلاقة بين حضارة الشرق العربي وحضارة الغرب الأوروبي، وما قد ينتج عن هذه العلاقة من انعكاسات على نفسية الفرد، ووضعه الاجتماعي، وتكوينه الفكري، وبنائه الثقافي، إلى غير ذلك. حقيقة إنه لم ينفرد بإثارة هذه القضية، كما أنه لم يكن وحده المعبر عنها، ولكنه أسهم مع غيره ممن سبقوه مثل رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك؛ أو ممن عاصروه مثل محمد حسين هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم. ولكنه صاغ رؤيته صياغة فنية جديدة، مكثفة، مُدبّية، هامة. في بناء محكم لم يسمح بكلمة واحدة زائدة. فضلاً عن أنه لم يجعل النموذج الأوروبي هو المثال الذي ينبغي أن يحتذى؛ على نحو ما فعل غيره من معاصريه وسابقيه.

البطولة للقنديل

كان إسماعيل مختلفاً عن الشخصيات الرئيسية في (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم، و(أديب) لطف حسين، و(الحي اللاتيني) لسهيل إدريس، حين اختار أن يتخذ من زيت القنديل أداته لعلاج عيني مريضته. بمعنى أنه أخذ عن الغرب «العلم» ووسائل «التقدم» وأحدث نظريات «الطب»؛ لكنه لم يفقد إيمانه - في النهاية - «كم من عملية شاقة نجحت على يديه بوسائل لو رآها طبيب أوروبي لشهق عجباً، استمسك من علمه بروحه وأساسه، وترك المبالغة في الآلات والوسائل، اعتمد على الله، ثم على علمه ويديه فبارك الله في علمه ويديه». بعدئذ - طبعاً - وليس قبلئذ - أبداً - كان النجّاح. عاد النور لعيني فاطمة. وأنجبت أبناءً كثيرين، واختار أن يداوي الناس في الحي الفقير؛ فأحبوه.

البطولة هنا للقنديل. والفكرة المحورية تكمن خلفه. ومن هنا جاء اختلافه وتمييزه عن (العصفور) و(الأديب) و(الحي اللاتيني). وكان يحى حقي موفّقاً في اختياره عنواناً لروايته القصيرة.

وما قلناه عن القنديل يسهل تطبيقه على «البوسطجي» ١٩٣٤م، من حيث الحجم، والشخصية المحورية، والحدث، واللغة، والأبعاد.

ويمكن لنا فهم المسألة على نحو آخر. قد يكون القنديل رمزاً للنور، والإضاءة، والكشف، وتوضيح معالم الطريق. وفي نسبة القنديل إلى أم هاشم، إلى السيدة زينب، رمز ديني، وشعبي. وقد تكون الفتاة رمزاً لمصر المريضة، التي استسلمت لأبنائها المثقفين؛ لكي يساعدها على الشفاء من مرضها، وليقودوها إلى المستقبل المضيء بعلمهم وثقافتهم. واختيار البطل متصلاً بالريف من حيث النشأة، وبالأحياء الشعبية من المدينة العاصمة القاهرة؛ ثم ذهابه إلى أوروبا للتخصص في طب العيون، يوحي بأن مصر كانت في حاجة إلى من يعالج أمراضها وأدواءها، وإلى من يساعدها على الرؤية الصحيحة. ثم اختيار المريضة قريبة جداً إلى إسماعيل، محبة له، يهيئ للاستجابة الطبيعية لأي تجربة يجريها إسماعيل. مصر تستسلم لأبنائها إذا ما هم أرادوا علاجها. إنها تقبل عليهم راضية محبة.

أما إذا بدا أنهم يخلصون - فقط - لأنفسهم فإنها لا تستجيب فيكون فشلهم الخاص والعالم في وقت واحد. وهم بذلك يثبتون عدم معرفة معمقة بها. علاقة المثقف بواقعه - هنا - وبتراث أمته الشعبي والرسمي علاقة واهنة. بل إننا نزعج أن الثقافة الأجنبية الغازية التي اقتحمت مصر من خلال أبنائها، لم تجد الأرض مهيأة في البداية وربما لم تهضم ولم تؤثر، فقد امتصتها مصر امتصاصاً وأذابتها، ودفعت المثقفين المصريين إلى اعتناق ما تؤمن به هي من عادات وتقاليده وتراث وثقافة. فهي تشرب وتمص، لكنها لا تتأثر وإنما تؤثر. ويكون تأثيرها موجهاً لمصلحتها هي أولاً وقبل كل شيء. هذا ما تقوله قنديل أم هاشم. وهذا هو إسماعيل وهذه هي وضعية المثقف الناتجة عن وضع المجتمع كله. مما كان له انعكاسه في الشكل القصصي من ناحية، وفي البطل من ناحية ثانية، وفي اللغة من ناحية ثالثة.

فاللغة ليست لغة المقامة. ولا هي لغة العامة. ولا هي اللغة الأجنبية ولا هي اللغة المتقاة من تراثنا الشعري والنثري. كما أن الحوار يبرز هذا القلق. فإذا كان السرد فصيحاً في بعض الأحيان فإن الحوار عامي. وأحياناً يكون خليطاً بين الفصحى والعامة. والفصحى غالباً لا تكون فصيحاً الواقع، أو فصيحاً الشخصية؛ وهكذا.

يضاف إلى هذا أن يحى حقي أراد من هذه

خاصة، وبطلاً معيناً، ورواية معيناً، واستشهادات مطولة! ومن ثم كانت المغامرة في الشكل الذي جاء حائراً، مضطرباً، قلقاً، بل إن شئت فقل غير محدد الملامح. وهو ما يؤكد أنهم كانوا قلقين؛ لم يستقروا على اتخاذ الرواية فناً مستقلاً، يتوفرون على الكتابة فيه وحده. وهكذا ظهرت أعمال تلك الفترة من حيث الحجم مؤرجحة بين الرواية الطويلة والقصة القصيرة. فلا هي روايات طويلة بالمعنى الأوروبي المستقر لدى النقاد، ولا هي قصص قصيرة بالمفهوم المحدد. والنظرة الفاحصة في كل من: البوسطجي، قنديل أم هاشم، حواء بلا آدم، صبح النوم، أديب، سارة، تثبت ذلك بكل جلاء.

والشخصيات المحورية - هي الأخرى - شخصيات قليلة، مضطربة. فلا هي إيجابية بصفة مستمرة، ولا هي سلبية على طول الخط، ولا هي واقعية أبداً. إنها تحمل بتحقيق أحلامها وآمالها الخاصة، وتدعي أنها تحقق للآخرين رغباتهم. إسماعيل بطل «قنديل أم هاشم» سافر إلى أوروبا. أصله من الفلاحين. تربى في بيئة شعبية «حي السيدة زينب». تخصص في طب العيون. عاد إلى القاهرة ليثبت وجوده وليؤكد ذاته وظيفياً واجتماعياً وعاطفياً، لكنه لا يتمكن من ذلك بالشكل الذي كان يبتغيه. لقد فرض نفسه وذاته ومشكلاته على واقع يتوهم أنه يعرفه، والحقيقة أنه لا يعي أبعاده، ولا يدرك أعماقه. ومن ثم فإن التوفيق لم يحالفه في البداية؛ وبخاصة مع أقرب الناس إليه من حيث صلة الدم؛ ومن حيث العاطفة. فهي فتاة تحبه، وتمناه زوجاً لها. لذا فإنها مقتنعة تماماً به، وبعلمه، وبطبعه، وبإخلاصه. وتتصور أنه يبادلها حباً بحب؛ لكنه - في أعماقه - كان يستهدف ذاته وإثبات نجاحه. ويسعى لمصلحته هو، ولشهرته هو، ولتفوقه وذبوع صيته.

إنه لا يعرف دخالها، وشعورها، ونفسياتها، وأحلامها. فكيف يمكن للنجاح أن يتم والحالة هذه؟! إسماعيل هنا كان قد ابتعد عن أصوله الرفيعة أولاً، ثم الشعبية الوطنية ثانياً؛ لأنه عاش في أوروبا، ودرس هناك؛ وحاول بعد العودة أن يعيش في دائرة طبقه لم يهيا لها. وهو - وظيفياً - حاول أن يكون ممتازاً؛ لأنه دارس للطب الحديث. ومع ذلك فإنه قد نسي طباع وقيم وعادات وعقائد الشعب الذي جاء ليغيره، وليبصره؛ وليشفي أمراضه.



بحية حقة.. عطر الإحباب » ٢ «

عباس البوسطجي ترك القاهرة إلى حيث جنوب الوادي؛ وكأنه إسماعيل العائد من أوروبا إلى حي السيدة زينب. وقد ذهب إلى الصعيد لتحقيق هدف خاص به. لا علاقة له بتلك البيئة؛ وبكل ما تحمل من عادات وتقالييد وتراث. وينتهي به المطاف إلى أن يخفق على المستويين العام والخاص، الوظيفي والاجتماعي؛ لأنه فصل نفسه عن الواقع، ولم يكن على وعي به. ونظر إليه منذ أول لحظة نظرة لا تنبئ عن تعاطف واحترام وإيمان.

يقول عباس: «من ساعة ما حظيت رجلي في البلد ما طقتهاش، حسيت إني محبوس. فين مصر وشوارعها وناسها، وفين الليل مليون نور، ونسوان رايحة وجاية، حركة. لكن هنا: أهو الشباك قدامك، بص. تلاقي إيه؟ شوية طين مكوم، وناس وسخين مقملين، وتو ما يدن المغرب كل واحد يتلم في بيته. والعمة؟ يا باي من العتمة يا باي. طول الليل حمير تنهق وكلاب تعوي. أول امبارح جاموسة الجيران ماتت. قبل ما يلحقوها بالسكين فضلو يصوتوا عليها وهات يا لطم. جنازة بحق وحقيقي. ما تمتش للفرج». هذا هو موقف المثقف الوافد.

يفشل عباس وظيفياً؛ إذ تلصص على أدق أسرار غيره، ومهنته تستلزم فيه الأمانة والحرص على خفايا الناس وخصوصياتهم. استغل وظيفته لنفسه ولمصلحته هو. خرج عن إطار وظيفته وما قد تفرضه من سلوك وقيم وأخلاق. كما أنه لم يوفق اجتماعياً؛ إذ انفصل عن واقع حياة الناس في كوم النحل، لم يفهم عاداتهم وتقاليدهم، بل إنه - إنسانياً - فرض نفسه على مشكلة الفتاة «جميلة» وصديقها «خليل». وتوقع داخل ذاته، فلم يوفق. بل لم يسع إلى تحقيق أي هدف إنساني. في حين أن عمله ذو بعد إنساني من الدرجة الأولى. عمله يستهدف توطيد الأواصر بين الناس بعضهم مع بعض. يبعث الطمأنينة، يوطد العلاقات، ييث الأمل، يحقق الأمان والاطمئنان، لكن شيئاً من هذا لم يحدث.

وثمة مسألة جانبية تتعلق برواية «البوسطجي» بالذات، وهي تحتاج إلى دراسة متأنية. تذككم هي:

إلى أي حد تأثر يحيى حقي في هذا العمل بعمل روائي قصير كتبه الكاتب الفرنسي روجر مارتن دي جار Roger Martin du Gard وطبع عام ١٩٣٣م، بباريس، بوساطة - Librairie Gali-martd - أظن أنها تحمل عنوان "France Vieille". والكاتب روجر مارتن دي جار واحد ممن حصلوا على جائزة نوبل في الآداب. وقد ترجمت هذه الرواية القصيرة إلى الإنجليزية. ترجمها جون رسل Gohn Russell تحت اسم The Postman تأليف روجر مارتن دي جار. ونشرت الترجمة عام ١٩٥٥م.

والشخصية الرئيسة هي شخصية بوسطجي. يترك باريس العاصمة لينتقل إلى الجنوب الفرنسي حيث الريف، والقرية، وقصة الحب، واللقاءات، وما إلى ذلك مما ينبغي دراسته دراسة معمقة تحدد بدقة: أين بوسطجي يحيى حقي من هذه الرواية الفرنسية، التي لا يشك أحد في أن يحيى حقي اطلع عليها في أصلها الفرنسي؛ والتي كتب البوسطجي في ضوئها بمجلة (المجلة الجديدة) ١٩٣٤م.

وتأتي روايته القصيرة الثالثة (صح النوم) ١٩٥٥م، وفيها يعود يحيى حقي إلى عالمه المفضل، ويبحثه التي أحبها، واستمد منها شخصيات وأماكن وأحداث قصصه الأولى؛ وهي التي قدّمها في مجموعة «دماء وطن» وبعض قصص «أم العواجز» وهي التي سجل فيها سيرته الذاتية وآراءه وموقفه «خليها على الله». هنا يعود إلى الصعيد؛ ليتأمل فيما جرى له؛ بعد «البوسطجي» وبعد الثورة. ما الذي أصاب قصاب القرية، والقرم، وزوج العرجاء، والفقي الفنان، وجميع أهل القرية، الذين هم ملح الأرض، يكسبون رزقهم بشق الأنفس؛ يكابدون كالحيوانات من مطلع الشمس إلى مغربها عملاً مرهقاً شاقاً، تنجزه الآلات في البلاد الأخرى بسهولة ويسر وفي وقت وجيز، لكنهم مع ذلك كله صابرون، وفي صبرهم تساؤل مرّ حزين: متى ينتهي الظلم ويعم العدل؟

ويحيى حقي - هنا - يقدم نماذج بلا تغيير (رتوش). وكما هم على حقيقتهم. بما يعلنون وبما يسرون. ويأتي الراوي ليوقظ فيهم ما يحاولون ستره والتغاضي عنه «أصل الفساد هو ما قرّ في أنفس أهل القرية من شعور الضعة والهوان، وهو

سيعمل جاهداً على بث شعور العزة والكرامة في القلوب، وأول المظالم هو ما يعانيه الفلاح، سيحدد الإيجار بمبلغ معلوم معقول، ويقنع الحكومة بأن تباع الأرض للفلاحين لقاء ثمن زهيد يدفع على أقساط طويلة، وآخر المظالم هو حرمان القرية من السكة الحديدية، وسيعمل على رفعه؛ ثم «ينبغي إغلاق الحان لأنه يؤرّ فساد. وينبغي أن يعمل كل عاطل؛ وأن يسد كل مدين دينه».

وعندما يعود الراوي يجد أن مبنى المحطة قد أنشئ، وأن النظافة بادية. والميدان فسيح. وقطار الثورة قد ارتفع بالعوض وهبط بالعوض الآخر. وهو في كل حال أيقظ الناس من نومهم العميق، ورفع من فوق كاهلهم عبئاً ثقيلاً. أصبح الناس يدركون أن قريتهم تعيش في رغد وسلام. وأنهم يعيشون عهداً جديداً، له مقاييس وأحكام؛ لا يغتفر فيها النهب، ولا ينجو المذنب بلا عقاب، وحبل الفساد غير ممدود، وأن حياة الرخاء بالنسبة للفلاح مسألة في يده: «هذه مسألة في يدك، والدنيا أمامك؛ حين تحسن زرع الأرض، فيجود محصولها، وتحسن زرع الخضر والفاكهة، وتربية الدواجن والنحل، وتحسن نسج الصوف، فليت كان سؤالك إذن: متى أتعلم مثلهم؟!».

والرواية في قسمين واضحين: الأول يسميه (الأمس) والثاني يسميه (اليوم) والفارق بين الاثنين هو مرور القطار ومجيء الأستاذ. والقطار هنا هو قطار الثورة. كيف كان حال القرية المصرية في الصعيد، قبل الثورة وبعدها. ومع أنه اجتهد في ثناها كي يكون اللفظ دقيقاً، والأسلوب محكماً، والكلمات حادة؛ فإنها جاءت في مستوى أقل كثيراً من روايته السابقتين. وقد يفسر لنا هذا سر اختفاء الحديث عنها في المؤلفات النقدية، والدراسات الجامعية التي تناولت أعمال يحيى حقي بالنقد والتحليل. ولم يغفر لها ما أعلنه يحيى حقي في سيرته الذاتية من أن هذه الرواية هي أحب أعماله جميعاً إلى قلبه.

ويبقى أن ندعو إلى ضرورة دراسة «اللغة» الفنية عند يحيى حقي في كل أعماله. موقفه الفني والنقدي. وأن تخصص دراسة للمقال الأدبي عند يحيى حقي. وهو المجال الذي غلب على إنتاجه في سنواته الأخيرة. إلى غير ذلك مما يؤكد - موضوعياً - قيمة ودور هذا الكاتب الكبير - رحمه الله - .

الإبداع والذات الكاتبة



فتحي سلامة

وبعيداً عن تحليل هذا الأمر؛ لأنه شغل مجموعة كبيرة من الباحثين العرب والأجانب، وأعترف.. أنه لاقتراحي من العاملين في ميدان علم النفس العام وخاصة بعض فروعه التي تدرس (الذات).. فلإنني أعترف في البداية أنني سوف أترك هذا الأمر دون توضيح من جانبي حتى لا أخضع لمؤثرات خارجية تكون قد ترسبت نتيجة التعامل مع هؤلاء.. الأمر الذي يمكن أن يوقعني في إصدار تعميم، ربما لا يكون صادقاً ولا منطبقاً على حالتي، وهذا الاعتراف يجب الأخذ به، ولهذا فسوف أشير إلى تجربة الإبداع من البداية في سرد لوقائع دون التدخل لإصدار أحكام.

البداية.. المعرفة

القرية، حكايات (حواديت) المصطبة مع أولاد الجيران، الحكايات تدور كلها حول الخرافات، أفزع منها، تضخم شخصيات (الحواديت)، أتعامل معها وكأنها موجودة.. أسرع بالهرب، ألوذ بحماية جدتي، أنا وأنا أبكي، تناوشني الأحلام المزعجة التي ظلت معي حتى الساعة، أكاد أخاف النوم بسببها.. أتحرر من (حواديت) الأولاد، ألبأ إلى

نوبة صراحة في البداية لا يمكن الاعتراف صراحة للقارئ.. كيف نكتب؟ لأننا بصراحة شديدة لا نعرف وعلى وجه التحديد (أنا) لا أعرف كيف، وقد سألني كثيرون هذا السؤال، منهم من طرحه على شكل (استقصاء علمي)، وخاصة زملائي في الجامعة الذين درسوا نفسية (سيكلوجية) الإبداع مثل الأستاذ الدكتور مصري حنوره الذي تخصص في هذا المجال، ومنهم من طرحه من الزملاء الصحفيين، وكأنه يسأل عن أهم الأكلات المحبوبة لدى فنان مشهور، ونظراً لأن الإجابة عن السؤال، سواء الذي طرحه الباحث الأكاديمي أو الزميل الصحفي المشغول دوماً بعمل تحقيقات صحفية تأكلها الصحف يومياً، ليست جاهزة وأيضاً لا تأتي على البال؛ لأنني أعتقد أن الكاتب تدفعه قوة لا يملك لها رداً كي يكتب وهو مدفوع للكتابة، للإمسك بالقلم لكي يكتب، كما أعتقد أنه إذا مضى الكاتب وفقاً لهذا (الهوى) فإنه يبدع أو يكتب شيئاً له قيمة الإبداع الفعلي، أما إذا (استكتب نفسه) أي أمسك بالقلم وأرغم نفسه كي يكتب فإن ما يفعله هو مجرد تحبير الأوراق البيضاء.. ولن يقدم لنا عملاً إبداعياً..

أحوالي.. أحدهم يجيد رواية القصص والحكايات (الحواديت)، عقلي بدأ يعي أن تلك التي تروى أمامي ماهي إلا حكايات خيالية، اختيارات (خالي) رغم أميته..، ابتعدت عن التهويل والخرافة، يحكي عن أناس مثلاً، يفعلون ما يمكن فعله في الواقع، تأتي نتائج الأفعال مطابقة لمقدماتها، الشرير يلقي جزاء شره، والإنسان الطيب المؤمن الذكي يلقي مكافأته، حكايات خالي ليست قاصرة على الإنسان إنما تتعداها إلى عوالم الكائنات الأخرى، وأيضاً توغل في القدم وتصل إلى بداية التاريخ، وتمر الليالي والقمر في السماء، وخالي وأنا جالسان على قش القمح أو الفول، وحكايات خالي لا تنفذ.

في ليالي الشتاء، كان جدي يجلس في الحجرة الشتوية، يده مشغولتان بصنع (القهوة)، ومن فمه تأتي حكايات الأجداد، ماذا فعل الأجداد عندما هاجروا من الأرض الرملية؟ وماذا فعل الأحفاد لكي يزرعوا الأرض؟ حكايات تهتم بسرد التاريخ للأسرة أو للقبيلة، تتخللها نغمات الفخر والمباهاة.. أسمع عن الكرم والشجاعة وقول الحق وحب الله وذكره وشكره والصلاة على رسوله، تتداخل حكايات خالي الأسطورية مع حكايات جدي عن تاريخ أهله.

في المدرسة، تلقفت قصص الأطفال والأولاد، بهرتني أياماً، ثم لا شيء. عدت إلى جدي، كان قد توفي وأيضاً خالي الذي كان يهوى الحكايات.. أبي يجيد رواية الأحداث التي وقعت له في يومه، كل يوم يجلس مع أصدقائه أو مع أسرنا لكي يروي ما وقع له، اسمع (الرواية) أكثر من مرة في اليوم الواحد، ولكن في كل مرة يرويها بطريقة مختلفة، لا تغير في الوقائع ولكن (السرد) مختلف، البداية، التشويق بالسؤال، إعلان نتيجة الحدث قبل تسلسله،

كل مرة يروي الوقائع ذاتها بطريقة مختلفة.. بهرني أبي.

أحسست مرة بانشغال عقلي بالتأليف، فقد بدأت هذا في سن الطفولة، كنت أجرب حكاية صنعتها في خيالي وأحكيها لأمي، وكنت أحاول أن أمزج بعض الوقائع المعروفة لأمي بما سوف أرويها فإذا هي تنصت، ولكنني أضيف من عندي وقائع أخرى. وتنفعل أُمِّي وتنصت في شغف ثم أنفجر ضاحكاً، وتكتشف أنني كنت أروي من عندي، من خيالي، وتهرع أُمِّي خائفة إلى جدتي حتى تشاورها في أمر (حبي للكذب)، وجربت هذا على أصدقائي الذين بهرتهم حكاياتي الجديدة.. ولكن سرعان ما اكتشفت أنني لا أجيد رواية الحكاية نفسها كما هي في كل مرة، كنت أضيف وأحذف.. ويكتشف الأصدقاء هذا التعديل، واقترح أحد أصدقائي أن أدون لهم الحكايات.. وكان ذلك في بداية دراستي، وكنت في العاشرة من عمري، وكتبت في كراسة حكاية طويلة، راح أصدقائي ينقلونها لأصدقائهم.. وظللت أفعل هذا حتى نهاية دراستي الثانوية.. ولا أدري أين هي تلك الحكايات التي كتبتها.. وعندما دخلت الجامعة.. تابعت ما كنت أفعله ولكن على شكل قصص أحاول نشرها.. كما بينت في متن الحديث.

في المدرسة الثانوية، كانت الدراسة لا تشدني، كنت أبحث عن الكتب، قادتني المصادفة إلى محل لبيع الأسماك المملحة (السردين)، هالني هذا الكم الكبير من الكتب، كان يأتي بها من بيوت الأثرياء، يشتريها بثمان بخس لكي يستخدم ورقها في عملية البيع، ووجدت ضالتي المنشودة، عثرت على الكنز.. على كل الكتب..

وخلال خمسة أعوام، نهار وليل وليل ونهار ويوم بعد يوم وأنا أقرأ في نهم كل ما يقع أمامي من كتب هذا (الفسخاني).. لم أقرأ الروايات ولا القصص إلا نادراً، كان كل همي أن أعرف.. أعرف المزيد من المعرفة، لهذا قرأت كتب التاريخ والعلوم والكيمياء والجغرافيا وكافة العلوم التي حصلت على مصادرها، وقرأت كتب التراث، كل همي أن أقرأ كل يوم كتاباً جديدة أقصد كتباً قديمة ولكن معارفها جديدة بالنسبة لي. وساقنتني عناية الله إلى أمهات الكتب، ووجدتني أقرأ للجاحظ وابن عبدربه وابن رشد وغيرهم، وأيضاً ابن خلدون، وألف ليلة في طبعتها القديمة، وكتيلة ودمنة وحديث عيسى بن هشام، وكذلك الكثير من كتب فلاسفة الغرب ومحاورات أفلاطون، وترجمات بعض الأعمال اليونانية القديمة، ولم تمض السنوات الخمس إلا وقد حصلت على ثروة هائلة من العلوم والمعارف..

وأعترف أنني كنت أعلم يقيناً أنني سوف أصبح كاتباً، بل وتحديدًا كاتباً روائياً، وكان هذا واقعي لكي أقرأ كل شيء. كنت - ومن البداية - أردت لنفسي أن الروائي عليه أن يلم بكل شيء؛ لأن هذا يفيد عمله، أليس هو الذي يحرك أشخاصه في الرواية، وهؤلاء الأشخاص لهم أعمال متباينة، أقول صدقاً إن هذا هو الذي دفعني إلى الإلمام بكتب التاريخ والفلسفة والعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية الحديثة، ولم أكن أقرأ الأعمال الروائية حتى لا أتأثر بها، أقول هذا وأعترف به أنني لم أقرأ رواية عربية واحدة إلا بعد تخرجي في الجامعة عام ١٩٥٨م، كما أن نشأتي الريفية وبعدي عن المدينة حتى دخولي الجامعة حالت دون دخول دور السينما، وحتى بعد استقرار

أكثر من عشر ورقات أو أقل من هذا حتى أحفظ بسر تلك السعادة التي تملكني، فأنا أعيش في روايتي، أغوص مع أبطالها، لا أتكلف معهم وهم أيضاً لا يتظاهرون، أحياناً أحلم أنني أكتب رواية جميلة، ولكنني أصحو وأكتشف أن هذا كان مجرد حلم، أحاول أن أتذكر وقائع الرواية ولكنني أ فشل، ويظل هذا الفشل في تذكر أحلام رواياتي يؤرقني، أحياناً تأتيني بعض الأفكار خلال سيرتي في الشارع أو خلال حديثي مع الناس، أو تبرق في ذهني فكرة عمل روائي وأنا أمر بين السيارات، ولكن عندما أجلس للكتابة تبدو لي تلك الفكرة تافهة عديمة القيمة. لا أطمع من وراء عملي الروائي في الشهرة ولا في المال ولا حتى يعنيني دراسته، لهذا لا أهتم بإرسال (هدايا للنقاد) لقد انتهت سعادتني بانتهاء عملية الكتابة، بل إن مشقة مراجعة (البروفات) تقتلني، ولولا حرصني على ظهور عملي بمظهر معقول ما راجعت تلك المسودات اللعينة؛ لأنني أتمزق بين ما هو مكتوب بالفعل وما يدور في رأسي رغباً أن أضعه بدلاً من المكتوب، والويل إن فعلت هذا.. فقد خسرت كل شيء المكتوب ضاع والقادم الجديد لا يريد أن يكتمل، وأجمل رواياتي تلك التي نشرتها على حلقات في الصحف العربية والمصرية. كنت أكتب الفصل الواحد وأرسله إليهم، لكي أعود لأكتب الفصل التالي، وهذا يجعلني كأنني على اتفاق لمقابلة الحبيب كل يوم، لقاء يتجدد وتتجدد معه سعادتني.

أعتقد أن هذه السعادة التي عشتها مع رواياتي وقصصي هي أفضل ما حصلت عليه، أما كتابة الأعمال (الدرامية) سواء للمسرح أو للسينما أو للتلفاز فهو أمر مختلف تماماً.. ربما أتحدث عنه مرة أخرى.

ولكنني لم أفرح، ولم أسعد بها. وبدأت في كتابة روايتي التالية، وساعدني في ذلك أنهم فصلوني من العمل، ووجدت نفسي متفرغاً، لأعمل ولا أمل في عمل لظروف الفصل الذي كان به شبهة سياسية، أخذت نفسي بالجد، وجلست في بيتي كي أكتب ما أريد، أكتب ما أحلم به، ما أردته منذ طفولتي، لا يهم نشره، كما لا يهم من يفهمه، وعشت أجمل أيامي وأنا أتابع الكتابة، أشعر بسعادة فائقة وأنا أستعد للكتابة، لم يكن عندي مكتب خاص ولا مكان خاص لكي أكتب، وكنت قد تزوجت حديثاً، لهذا وجدت مائدة الطعام هي أفضل المكاتب وصالة المنزل هي أفضل الأماكن، والبيت ساكن وزوجتي في العمل، وأنا أملك كل الوقت.. وكتبت روايتي التي أعز بها كثيراً (الجرار رقم ٣٥) عام ١٩٦٤م التي لم تنشر إلا عام ١٩٦٨م، وحصلت بها على جائزة الرواية عام ١٩٦٩م، ثم ترجمت بعد ذلك للإنجليزية والروسية، وشعرت بعدها أنني يجب أن أكتب ما أريد، ما أحسه وما أشعر به، وتوالت أعمالي.. أشعر كأنني على موعد غرامي رائع عندما أستعد للكتابة، أذوب عشقاً وأنا أكتب، لا أدري ماذا سوف أكتب؟، لا أعلم إلا الجملة التي تتكون في عقلي ثم يخطها القلم على الورق.. أحب الورق المسطور وأحب قلم الحبر، وأعشق كتابة الرواية، إنها أسعد لحظات حياتي وأنا أكتب رواية جديدة، لم أضع خطة أبداً لرواية لي، ولم أتخيل أحداثها قبل كتابتها، بل أترك لنفسي حريتها، عندما أشعر أن عقلي بدأ يبحث عن الكلمات، وأنني بدأت أفكر وأدبر بحثاً عن واقعة أو حدث في الرواية.. أترك القلم فوراً، لهذا فإنني لا أكتب في اليوم الواحد

في العاصمة عند دخولي الجامعة لم تشدني السينما كما فعلت مع أقراني من الطلاب. وانتهت مرحلة الدراسة الثانوية وقد أنهكتني القراءة، وكانت النتيجة (مرض عيني) الذي لازمني حتى الآن، وكان قاسياً في بدايته وتسبب في حجب بصري لمدة عام، اضطررت على إثرها إلى دخول كلية الآداب، ولم تكن مطمئني في ذلك الوقت لأنني كنت أتمنى أن أكون مثل (ابن سينا) طبيباً وأديباً، ولكن (مرض العين) أبعدني عن هذا الطريق.

ووجدت نفسي وحيداً في القاهرة، الدراسة ميسرة وسهلة ولا تأخذ وقتاً، بحثت عن العمل، وأردت أن أخوض تجربة الحياة العملية حتى أتأهل تماماً (للكتابة الروائية).. ووجدت العمل، بل واشتغلت بعدة أعمال في وقت واحد، كنت أعمل ليل نهار، وواصلت هذا بعد تخرجي، وخلال عملي حاولت الكتابة القصصية، وبدأت أنشر قصصاً قصيرة.. ولكن لم تكن تلقى اهتماماً، كانوا يقولون لي هذه ليست قصصاً بالمعنى المفهوم إنها مجرد صور، والتقيت - خلال عملي - بكثير من أدباء جيل الفرسان.. لم أكن قد قرأت لهم قصصاً، فكان خجلي يمنعني من عرض أعمالي، حتى التقيت بـ يحيى حقي الذي شجعني قليلاً.. ولكنني نفرت منه لأنه بدأ يعطيني دروساً في الكتابة؛ واتصلت بعبدالحليم عبدالله الذي كان يشكو إليّ همه أكثر من سماعه لي. وتعودت أن التقي بكل هؤلاء ولكن دون أن أسمع منهم ودون أن أعرض عليهم، حتى كتبت روايتي الأولى (ثمار الشوك)، لم أكن راضياً عنها ولكنني حاولت أن أكتب متخففاً من طريقتي التي كنت أستريح إليها، حاولت أن أكون مثلهم، ونشروا لي روايتي الأولى..



د. إبراهيم الدجيل



العنوان: البث المباشر.

الآثار والمواجهة تربويا وإعلاميا

المؤلف:

الدكتور إبراهيم بن عبد العزيز الدجيل

الناشر: دار القبلة للنشر والتوزيع - جدة

ط ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م. (٢٥٣ ص)

تعليمي بواسطة القمر الصناعي في تايلاند»،
والزيدي وكتابه «البث المباشر .. أبعاده
ومعانيه»، والنجعي ومقاله «البث المباشر
ضريبة القرية الإلكترونية» والشويعر ومقاله
«التواجد الإعلامي العربي لمواجهة التحديات
والوافد من البث»، وأسعد شحاده ومقاله
«نظرات في المسألة الإعلامية»، وحمود البدر
ومقاله «الإعلام قوة تسعى لتغيير الإنسان»،
وعلي رشوان ومقاله «البث المباشر وخطره
على الطفل المسلم».

وقضلا عن آراء هؤلاء العشرة من
الباحثين في إيجابيات البث التلفازي المباشر،
فإن ثمة آراء أخرى متتابعة عن تلك
الإيجابيات بلغ أصحابها الأربعين. وهذا
يعني أن الدجيل أتبع موضوعه بتلك الرؤى
التي تسعفه في الإلمام بسائر نقاط هذا
الجنب، وغيرها من جوانب، وليقف بنا
أخيرا عند نتائج إيجابية انتهت إليها بحثه،
وهي فوائد تلفازية منها: تعرف الثقافات
العالمية في كثير من البلدان، وإتاحة فرص
التزود بالعلوم والمعارف لأبناء المجتمعات
المسلمة التي قد لاتتوافر لهم في بلدانهم،
وتعرف مايدور في العالم من أحداث ووقائع،
ومتابعة التطورات العالمية المختلفة في جميع
المجالات، وتنمية تفكير المشاهدين واتساع
مداركهم نظرا لأطلاعهم على الحضارة
الغربية، وبخاصة في المجالات العلمية
والثقافية والتقنية، وإنهاء عزلة الدول بعضها
عن بعض، هذا فضلا عما في البث التلفازي
من حوافر تدفع بأجهزة الإعلام المحلية إلى
تطوير موادها وبرامجها لتكون مشوقة
وباهرة.

ثم ليقف بنا عند نتائج سلبية يجنيها
المشاهد من التلفاز، أو ذلك البث المباشر،

وكان هذا الطرح من خلال قضيته الأولى،
وهي: مفهوم البث التلفازي المباشر، وآثاره
الإيجابية والسلبية، وواقعها التربوي. وقد
انعكست تلك الآثار على الأخلاق، والثقافة
والعلوم، والأمن، والاقتصاد، والسياسة،
والصحة وغيرها.

فكان على الباحث إزاء هذه الآثار
الخطيرة، أن يتصدى لفكرة المواجهة
الإعلامية، والتربوية، من منظور معاصر.

ولندخل مدخلا متواضعا إلى أحد
الجوانب التي عرضها باحثنا، وليكن موضوع
«الآثار التربوية للبث المباشر» فقد مهد له، مثل
سائر الموضوعات، بكلام مقتضب وذلك
بإشارة إلى أن قضية البث التلفازي من
القضايا المهمة التي تستحوذ على اهتمام
المتخصصين وغيرهم، لكونه واقعا ملموسا، إذ
أخذ الناس يشاهدون العديد من القنوات
التلفازية من خلال البث المباشر. ولهذا بدت
آثاره التربوية تظهر وتتضح على المشاهدين
والمعلقين، سواء أكانت آثارا إيجابية أم سلبية.
وهكذا يضعنا أمام تلك الآثار، وذلك من
خلال الباحثين ورؤاهم، منهم: العسيري
وكتابه «البث المباشر .. التحدي الجديد»،
وجيهان رشتي ومقالها «البث التلفازي
المباشر ديناميت العصر»، ومصطفى حسين،
ومقاله «البث المباشر .. استعمار العقول .. لمن
السيطرة؟»، و (ق.ن.أ) ومقال «تطبيق برنامج

البث المباشر التلفازي قضية معاصرة،
ومهمة، لما لها من آثار في نفوس المشاهدين
وعقولهم، وبخاصة الأطفال والفتيان
المراهقون. لذلك كان الجانب التربوي
والإعلامي هو محور هدف الباحث الدكتور
الدجيل في هذا الموضوع التلفازي، الذي
منحه الحق في تقصّي ما قيل في محاور مادته
الأساسية وعناصرها، فأخذ يتابع الآخرين،
ويستدرجنا لأرائهم، كي يستخلص فحوى
الأفكار موضع تركيزه.

ولقد اتبع الباحث، من خلال الاستدراج
الذي ذكرناه، أسلوب طرح المشكلة، وترك
المجال لغيره في إدراك سبل الحلول والوصول
إلى النتائج، ووضع القارئ في خضم هذه
العملية الشائقة والخطيرة في آن. وكان
الهاجس الديني والتربوي هو الشاغل الأول
في كتابات الدجيل، التي تناول فيها مفاهيم
إعلامية وتربوية، فضلا عن أهدافها وأهميتها
وآثارها. وفي كل ذلك كان يمهّد، بحسن
مدخل، ليضع قارئه في صورة موضوعه،
وأبعاده. ومن تلك المحاور التي بسطها أمام
قارئه: مفاهيم التربية الإسلامية، لغة..
ومصطلحات، ومفاهيم الإعلام الإسلامي.

كل ذلك لينتهي إلى الرابطة بين التربية
والإعلام، رسالة، وعلاقة، وعلى سائر
المستويات والجوانب، وبخاصة في مؤسساتنا
الاجتماعية، كالأُسرة، والمدرسة، والمسجد،

وتكاد تكون ضعف النتائج الإيجابية. منها مثلاً: خلخلة الجانب العقدي وزعزعته لدى المسلمين، ونشر الإباحية والاختلاط وما يخالف الشريعة الإسلامية السمحة، وتفجير الغرائز من خلال رؤية مشاهد العري الفاضح في أغلب ماتعرضه محطات البث التلفزيوني المباشر، وإشاعة الرذائل والدعوة إلى تعاطي المخدرات وشرب المسكرات، وإضعاف اللغة العربية وإعلاء شأن اللغات الأجنبية، وإضعاف التماسك الأسري نظراً لترسيخ العادات والتقاليد الاجتماعية الأجنبية، وانشغال المرأة بعالم (الموضة) والأزياء العالمية وانصرافها عن واجبها ودورها في الأسرة، والدعاية والترغيب في شراء المنتجات الأجنبية والانصراف عن المنتجات المحلية، وإضعاف روح الانتماء للمجتمع وللأمة المسلمة، وضعف البصر والإجهاد العام، وإضاعة الوقت فيما لا يرضي الله، والانصراف أو العزوف عن متابعة وسائل الإعلام المحلية، وتشويه التغطية الإعلامية المتعلقة بالبلدان العربية والمسلمة وتحريفها، وإثارة الفتن والخلافات المذهبية في صفوف

المسلمين، والعزوف عن القراءة والبحث والاطلاع نتيجة برامج البث التلفازي المباشر لساعات طويلة.

وحيال تلك الآثار السلبية السيئة كان على الباحث أن يعرض بعض توصياته، ثم مقترحاته لبحوث مستقبلية، ومن تلك التوصيات: الاهتمام بتحصين أبناء المجتمعات المسلمة تحصيلنا إسلامياً صحيحاً من خلال التربية الإسلامية، وذلك بترسيخ الجوانب العقدية والخلقية والدينية في نفوس الناشئة وقلوبهم، وضرورة تعديل النظام التعليمي ومناهجه، ليس من أجل البث المباشر فقط، وإنما لمواجهة التغيرات التي يشهدها العالم والتي جاء البث المباشر نتيجة لها، وضرورة تضافر جهود المسؤولين والمتخصصين في المجالات المعنية لصياغة سياسات ثقافية تنبثق أهدافها ومنطلقاتها من الدين الإسلامي، وضرورة تطوير برامج التلفاز المحلي بإنتاج المواد الإعلامية التي تشد المشاهد إليها بالاعتماد على الطاقات الوطنية وغيرها من التوصيات.

على بتريدي الطفل الصغير، فلا أمل من شفائهما. قال الجد - رحمه الله - لابد من إخبار أمه كي لا تفاجأ بابنها دون يدين؛ فأخبروها. وقفت الأم ضد الجميع تصيح بهم: هاتوا ابني فلن يدفن بعضه وهو حي. فقال الأب: اعطوها ابنتها فمعهما الحق. وفي مشراق الفناء، وبين يدي الجدة العزيزة بدأ الطب الشعبي حيث عجز الطب الحديث. وما هي إلا أسابيع فإذا الصغير يمسك بيده الأشياء، وهو الآن يكتب بهما إهداء لوالديه ووالديها. فإليهم أهدي كتابي.

والكتاب يقوم على مقدمة صغيرة، ولقاء أول، ثم لقاءات أخرى بين الكاتب - فيما يبدو - «نافع»، وحمارة «تولب» - استغرقت ثمانية عشر أسبوعاً.

وفي كل لقاء يتمحور الكلام بين الإنسان والحيوان، حول بعض القضايا الاجتماعية والفلسفية والوجدانية والنقدية.

ومنذ اللقاء الأول يرسم لنا المؤلف شخصية المتحاورين. (نافع) يهوى المطالعة، ويقرأ كثيراً، وله مواقف ثقافية مع جيرانه وأصدقائه، حتى نعتوه بـ (حوار مع)، أحس من خلاله بالزهو، لكنهم يقصدون بضم «الحاء، أي ابن الناقة الصغير الذي لا يفقه شيئاً». أما (تولب) الحمار فكان يراقب نافعاً، عندها وجد فيه خير محاور يشبع فيه نهم المعرفة، وحسن آداب الحوار.

ومنذ البداية، أيضاً - وبأسلوب قصصي، وفق المؤلف بحسن مدخله، حين أدهشنا بتلك الشخصية الجديدة التي حلت على (نافع)، وهو في جلسته بحديقة قصره. ثم أزال عن روعنا كل غرابة، مثلما أزالها عن بطله نافع بهذا الضيف الجديد، وشيئاً فشيئاً أصبحنا نتقبل كلام الحمار ونقاشه؛



صالح العيري



العنوان: تولب نافع، حوار بين إنسان وبين حيوان
المؤلف: صالح بن عبدالله العيري
الناشر: مطابع السلطان للأوفست، بريدة.
ط ١٤١٤ هـ. (٣٠١ ص)

وأسرار الكون، وأن الإنسان لم يؤت من العلم إلا الشيء القليل. يهدي المؤلف كتابه إلى والديه، ويتوقع «ابنكم صالح»، وليشهدنا أن الواقعة حصلت له. يقول: «منذ ثلث قرن قرر الأطباء، ووافق الجميع،

من كلمات الإهداء المستفيضة لهذا الكتاب، تتكشف لنا معالم شخصية المؤلف، وما تنطوي عليه نفسه، وأعماقه وثقافته من قيم تراثية وشعبية ودينية، قد نسلناها وندرجها تحت مفهوم الغيبيات،

ونعجب بثقافته، وحجته المتفوقة على نافع. وأول ما ظهرت تلك الثقافة، بتعداد حوالى خمسة عشر كتاباً ألّفت في الحمار، ومنها قصص وحكايات وحوارات.

على أن الجانب الثقافي في المحاور يأتي أشبه ما يكون بإنارة المسرح، وتقديم الشخصيات المحورية التي تتصارع، ويحتدم بينهما الحوار. مما يشكل هيكل البناء المسرحي؛ بحيث لم يعد القارئ يستغرب ما سوف يجيء على لسانيهما. فأضيء جو المسرح بثقافة ومخزون كل منهما فيما يدخره من كنوز تراثية ومعاصرة، ومن الثقافة العربية والأجنبية.

وإن العناوين المتقدمة التي توجّ بها المؤلف رأس اللقاء في ظل أسبوع لم تكن هي محور الخطاب، وإنما ستعرض بصورة فنية وعفوية، اقتضتها طبيعة الحوار، وخاصة الاستطراد. كنا نتمنى لو لم يتوجّ بها أولى صفحات لقاءات أسابيعه. وإن تلك العناوين أو القيم هي: الإشاعة، كلام الحيوان، السفر، الأشتهار، العقوق، البر، رثاء الأبناء، البخل، الجود، المدح، الرثاء، الهجاء، الغيبة والنميمة، الشيب، الكذب، النكبة، النص، التعذيب، الحرب، الضحك، التشجيع، الرضا، الوظيفة، تربية الأولاد، التواضع، التكبر، العزيمة، الاستئناس، الرفق بالحيوان، الأثافي، الحسد، النصيحة، تحرير المرأة، العامي، الجولة الأولى من المحاكمة - بين الإنسان والحيوان، الجولة الثانية من المحاكمة بين الإنسان والحيوان (١)، علم الحمرة، الفلسفة، المنطق، النقد، والتعصب.

على أن تلك العناوين، كما قلنا، تجيء بشكل عفوي خلال الحوار، فيضمنها شيئاً من دلالتها أو تعريفها، مثلاً مع أول عنوان يرد التعريف من خلال الحوار على لسان

الحمار (تولب): «إنها تولد في المجالس الصاخبة، أو في المجالس التي لاتعرف فن الاستماع. هنا يضطر المتحدث لتحويل الحادثة، فيأتي بجديد لجذب أكبر عدد من الآذان، وتكبر الحادثة من مجلس لآخر». ص ١٤.

وإن ذلك الفن الأدبي الذي استخدمه (العميري) كان يقوم دوماً على المادة الثقافية في مخزون الشخصيتين: نافع وحماره تولب؛ وعلى حسن توظيفها في حوار دسم لا يخلو من الاحتدام، وبروز الانتصار والتفوق من أحد الجانبين، ويأتي الإفحام، غالباً، من جانب (التولب) الذي يسمو في عالمه. كما أنه يظل مشيراً بإصبع الاتهام إلى الكثير من تدني الإنسان في حياتنا المعاصرة.

ولهذا كان الصراع أو الاحتدام يتخذ منهجين: مقارعة الحجة بالحجة - من خلال تواصل وتلاقح الثقافات - وإدانة الإنسان المعاصر فيما آلت إليه حضارته وأخلاقه.

ومن هنا وجدنا الحوار يمتلئ بقصص وحكايات الحيوانات والطيور والهوام. وكما وردت في كتب الموسوعات العربية التراثية عند الجاحظ، والدميري والقزويني وغيرهم. ليأتي هذا الكتاب معرضاً معرفياً ثقافياً، يمتزج فيه الذاتي بالمعاصر، وبأسلوب قصصي، يقوم على الحركة والحوار، واستنطاق أدق وأعمق النصوص التراثية والمعاصرة، واستكناه دلالاتها الأدبية والإنسانية والعلمية والوجدانية وغيرها من الدلالات الثقافية والحضارية، فضلاً عما جاء، - وهو كثير - من الاستقراء، والاستشهاد بالنصوص الدينية، من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وكلمات للصحابة - رضوان الله عليهم -، وروايات رجالات

التاريخ ومواقفهم.

وهكذا فقد استطاع المؤلف أن يعالج قضايا جوهرية، ومن صميم حياتنا الفكرية والثقافية والأدبية.. منها: قضية الحوار الملتزم الهادف، والأدب المقارن من خلال النص، واستخراج القيم وموازنتها بين القديم والجديد، واكتشاف أو معرفة مفارقاتها العجيبة في زمن عجيب، وعصر غريب. كل ذلك بتوظيف عفوي، وساحر، وبلغة الحوار المسرحي والقصصي، وبتحريك الخواج النفسية الدفينة، وبرسم الانطباعات ثم الملامح الخارجية.. وبطريقة حديث المجالس، وإدلاء الحجج لإقناع السامعين، أو المتحاورين، وبمناى عن المباشرة والتقريرية - التي قد تصد السامع عن التجاوب والإصغاء - وبالتزام التعبير الفني الذي يجمع سائر عناصر الإيحاء والتأثير، وشد القارئ إلى أجواء جديدة مقبولة، ومنح بحور التراث، وكنوزه الأدبية والفكرية والشعبية.

وإن طريقة الكاتب (العميري) في الحوار والاستطراد لتذكرنا بحديث المجالس الذي سلكه قبله الأديب الدكتور عبدالعزيز الخويطر في أجزاء كتابه (أي. بني!)

الحواشي

- (١) وبما يقوله في الجولة الثانية من المحاكمة بين الإنسان والجن، وبعد حكاية البغاء والإنس، والملك الحاكم بينهما، ثم بعد أن سرد التولب باختصار، مآدار في المحاكمة بين البشر والحيوانات مقال التولب: كما ترى فالملك لم يقر أننا عبيد لكم، وأنكم الأرباب، فلم يحكم لتعادل البراهين البشرية والحيوانية. حسب وجهة نظره، فأمرنا بالانصراف. دار في خلد نافع الحجج الإنسانية التي لم تكن دافعة، وحكم ملك الجن الذي جانب العدالة، فبادر إلى تكذيب المحاكمة من أساسها قائلاً: هذه المحاكمة التي استعرضها ليس لها سند تاريخي.
- صحيح يانافع، فالمحاكمة غير موثقة السند، فقد خصتها لك من كتب التراث العربي بأمانة علمية، ولم أَدْخُل في أي زيادة. خصتها قاصداً الهدف منها لتسرى الفارق معدوماً بيننا. هذه الإثارة جعلت نافعاً يفتجر قائلاً:
- بل هناك فوارق بيننا وبينكم، لكنك مجادل مراوغ.

المنهل
ALMANHAL

ثقافة .. فكر .. معارف
علوم .. طب .. فنون

الأعداد
السبوعية
الخاصة
إضافات
جديدة
في عالم
الصحافة

صفحات المنهل منابر كبار
الأدباء والعلماء والمفكرين

«السائح» و «هن»
عطاء متميز

منهجية جديدة في
الموضوعية والأداء

المنهل
ALMANHAL

مجلة العرب الأدبية



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي/ جدة ٢١٤٦١ / ٢٩٦٥٠٠ / ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس / ٦٤٢٨٨٥٣
www.ahlaltareekh.com

نبات الأنابيب وتقنية الجينات

د. وجدي عبدالفتاح سواحل

النظم الزراعية القديمة

تنقسم النظم الزراعية القديمة إلى أربعة نظم: الزراعة التقليدية، والزراعة في البيوت المحمية، والزراعة المتكاملة، والزراعة العضوية.

الزراعة التقليدية

لقد تدخل الإنسان بطرق مختلفة لزيادة إنتاج المحاصيل الزراعية وتحسينها لتفي باحتياجات الإنسان والحيوان، وذلك باستخدام الطرق الفنية في الزراعة وتجهيز الأرض والري والصرف ومقاومة الآفات النباتية. لقد بدأت برامج تربية النبات

أن ننزعج قليلاً خير لنا من أن نظل أسرى لتراث من الأفكار القديمة دون أن ندرك حجم حقيقة ماواجهنا من تحديات. فنحن ببساطة نأكل أكثر مما ننتج، ومعدل زيادة السكان أكبر من معدل نمو إنتاج الغذاء، وما تخرجه لنا المنظمات الدولية المتخصصة من إحصاءات يظهر جلياً ركود الإنتاج الزراعي في بعض مناطق العالم وتناقصه في بعضها الآخر، وما تنقله وسائل الإعلام المسموعة والمرئية كل يوم يجسد مظاهر الفقر المدقع والعوز الشديد في بقاع شتى من الكرة الأرضية.

ولكي نكون منصفين مع أنفسنا فلا بد أن نعرف أننا نعيش مرحلة تحدٍّ علمي

تقني (تكنولوجي). إنها حقبة من الزمن تحدث فيها تطورات وتحولات

واختراعات علمية تقنية كبرى يمكن أن تنتج عنها مفارقات كبيرة تمتد لأجيال عديدة في المجتمعات التي لا تملك أسباب العلم والتقنية. فتلك هي أدوات العصر التي يمكن أن تتحقق من خلالها مواجهة حقيقية للمشكلات الحادة والمزمنة التي يعيشها الإنسان، كما يمكن بسببها أن يترسخ الأمن والاستقرار والسلام داخل المجتمعات وفيما بينها.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل تستطيع النظم الزراعية القديمة أن تلاحق النمو السكاني ونقص الإنتاج الزراعي، أم أن عليها أن تترك حلبة السباق لتقنية (تكنولوجيا) الجينات ونباتات الأنابيب؟

وتحسينه بالطرق التقليدية بوصفها فناً يعتمد أساساً على انتخاب النباتات القوية التي تتصف بصفات مرغوبة، ذات إنتاج عالٍ، وإكثارها، إما خضرياً كما يحدث في البطاطس فتظل صفاتها ثابتة إلى حد كبير، أو عن طريق البذور التي عن طريقها قد تتغير الصفات المرغوبة وتدهور. وظل ذلك حتى ظهر علم الوراثة بتجارب مندل على البسلة، في بداية القرن العشرين، فتحولت برامج تربية النبات إلى علم وفن يعتمد على تطبيق

الحقائق والنظريات والأسس الوراثية العلمية، مما أدى إلى التوصل إلى العديد من الأصناف النباتية الاقتصادية المهمة ذات الصفات المرغوبة.

تحديات وصعوبات

مشكلة التصحر اتسعت نطاقها خلال العقود الأخيرة، وأصبحت من أهم القضايا المعروفة في العصر الحاضر في العالم أجمع، وبخاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة حيث يتسارع معدل

تدهور الأراضي وتصحرها بسبب ندرة المياه والجفاف - وهما وجهان لعملة واحدة - والإفراط في الرعي، واتبع ممارسات زراعية غير مناسبة. وتقدر المساحة المتصحرة في الوطن العربي بحوالي ٩.٧ مليون كيلو متر مربع أو بنسبة ٦٨٪ من حجم مساحته الكلية، أما المساحة المهددة بالتصحّر فتقدر بنسبة ٢٠٪ أي حوالي ٢.٨

مليون كيلو متر مربع. ولقد حذرت دراسة نشرت مؤخراً في مجلة «ساينس» من أن كوكب الأرض لن يكون قادراً في الأعوام القادمة على توفير الطعام الكافي لسكانه، بسبب تآكل التربة الزراعية، بفعل عوامل التعرية حيث جرفت المياه والرياح ٧٥ مليار طن من هذه التربة. وأكدت الدراسة التي أجراها فريق من الباحثين بجامعة كورنيل



هذان النوعان بالزراعة المتكاملة.

الزراعة العضوية

في هذا النوع من الزراعة لا تستخدم أي مواد كيميائية، سواء للتسميد أو مقاومة الآفات، ويكون الاعتماد على المقاومة الحيوية (البيولوجية) والأسمدة الحيوية مثل مزارع الأرز والأسماك في شرق آسيا.

وأمام هذه الحقائق من ندرة المياه، والجفاف، والتصحر، والتأثير السلبي للمبيدات والمخضبات وقلة الإنتاج، أصبح تطوير نظم الزراعة أمراً حتمياً لا مفر منه. والسؤال الآن: هل من دور لتقنية الجينات ونبات الأنابيب في تحسين النظم الزراعية وتطويرها؟

نبات الأنابيب

لقد ثبت أنه من الممكن خلوية نباتية أو مجموعة من الخلايا أن تنمو على بيئات غذائية صناعية داخل أنبوبة اختبار لتعطي نسيجاً من الخلايا المنقسمة يطلق عليها



المادة الوراثية DNA

وهو مالا يمكن تعويضه، حيث تحتاج الطبيعة ٢٠٠ سنة لتكوين طبقة سمكها بوصة واحدة من التربة الزراعية.

البيوت المحمية

لقد انتشرت الزراعة في البيوت المحمية في أماكن عديدة من العالم، وأصبح النكوص عنها أمراً غير ممكن، بالرغم من اعتمادها اعتماداً كلياً على الكيماويات للمقاومة أو التسميد على حد سواء. وهذا الإسراف في استخدام الكيماويات أدى إلى ارتفاع صرخات المناهضين لهذا النوع من الزراعة مستندين في ذلك إلى ما يسببه الإسراف في استخدام الكيماويات من ضرر للبيئة والصحة عامة، ناهيك عن أن السلالات النباتية المستخدمة في هذا النوع من الزراعة متجانسة وراثياً، ومثل هذا النوع من السلالات تفقد قدرتها الإنتاجية جيلاً بعد جيل، وذلك لغياب التباين الحيوي (البيولوجي) بين أفرادها.

الزراعة المتكاملة

نظراً للإسراف الكيماوي في الزراعة المحمية، فقد ظهر شكلان جديداً من أشكال الزراعة في البيوت المحمية، يعرف الأول بالإدارة المتكاملة للمبيدات، ويعرف الثاني بالإدارة المتكاملة للمخضبات الكيماوية مع إحداث توافق بين المحاصيل والحيوانات والإنسان. ويسمى



نباتات معدلة وراثياً

الأمريكية أن أكثر من ٨٠٪ من الأراضي الزراعية في أنحاء العالم تعاني من التآكل بدرجات متفاوتة، الأمر الذي يشكل تهديداً مباشراً لإنتاجية الأرض. وأوضحت الدراسة أنه يلزم زراعة ١.٢ فدان لإطعام الشخص الواحد خلال العام، ولا يتوافر من هذه المساحة في الوقت الحالي سوى ٠.٦ من الفدان، وخلال الأربعين عاماً القادمة لن يتوافر منها سوى ٠.٣٤ من الفدان بسبب تآكل التربة. وأضافت الدراسة أن التآكل يدمر حوالي ٢٩ مليون فدان من التربة سنوياً، وأن المساحة الباقية من التربة الزراعية في كل أنحاء العالم أصبحت لا تتعدى ٣.٧ مليار فدان. وقال الباحثون: إن تناقص الأراضي الزراعية يعد سبباً أساسياً لنقص الغذاء في أماكن عديدة من العالم، وإن حوالي ٢٠٪ من سكان الأرض يعانون من نقص التغذية بسبب عدم وجود مساحات كافية من الأرض الزراعية. وانتهت الدراسة إلى أن سُمك التربة الزراعية في الولايات المتحدة كان حوالي ٢٣ سنتيمتراً في عام ١٧٧٦م، وأصبح الآن ١٥ سنتيمتراً فقط،



مراحل تكوين نبات الأنابيب

اسم الكالاس CALLUS، ويمكن بتغيير محتويات البيئة وإضافة الهرمونات النباتية، تحت ظروف محكمة من الحرارة والإضاءة أن يتشكل النسيج إلى نبات كامل. وقد وجد أن كل هذا يختلف باختلاف أنواع النباتات وأصنافها، وكذلك الجزء الذي يستخدم بادئاً لتكوين الكالاس.

من الجدير بالذكر أن هناك تشابهاً بين نبات الأنابيب وطفل الأنابيب في أن كلا منهما تتم مرحلته الأولى داخل المعمل في أنبوبة اختبار، ولكن في حين أن طفل الأنابيب هو عملية إخصاب تتم بين البويضة والجراثيم المنوية خارج الرحم - في أنبوبة اختبار - وترك البويضة المخصبة لتنمو لفترة معينة، ثم تتم زراعتها في رحم الأنثى لإتمام مراحل الحمل، فإن نبات الأنابيب هو عملية إكثار خضري يمكن أن تتم حتى مرحلة الحصول على النبات

الوراثي الكامن في نباتات أخرى، وبذلك يتم إنتاج نباتات ذات صفات خاصة.

تقنيات (تكنولوجيا) الجينات

(١) التحويل الوراثي GE-NETIC TRANSFORMATION: يمكن إحداث تحويل وراثي عن طريق نقل جين معين يحمل صفة مرغوبة، ثم العمل على استمراره في النبات وإظهاره دون حدوث أضرار بالنبات أو البيئة أو صحة الإنسان، ويمكن ذلك عن طريق استخدام الفيروسات أو البلازميدات PLASMIDS. وهي أجسام من الحمض النووي، تسبح في سيتوبلازم الخلية بصفاتها عوامل ناقلة للمادة الوراثية.

(٢) التهجين الجسدي SO-MATIC HYBRIDIZATION

يرجع تاريخ نبات الأنابيب إلى العالم هير لاندت عام ١٩٠٢م. وفي حين أن أسلوب الإخصاب خارج الرحم - طفل الأنابيب - بعث الأمل أمام الكثير من نساء العالم اللواتي كن يعانين من انسداد في قناة فالوب، فإن نجاح زراعة الخلايا والأنسجة النباتية معملياً جاء بالأمل في زيادة الإنتاج الزراعي عن طريق إكثار وزراعة النباتات النادرة والصعبة بكفاءة عالية وبطرق اقتصادية للغاية.

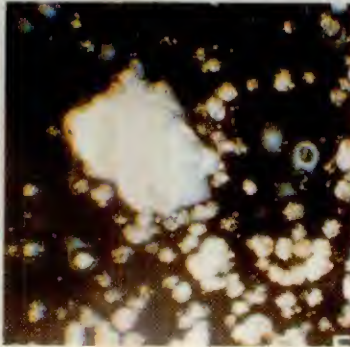
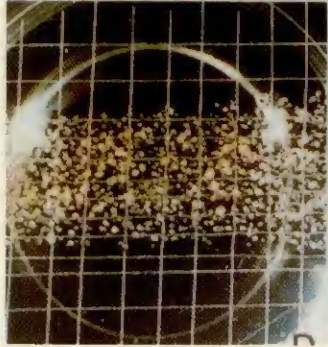
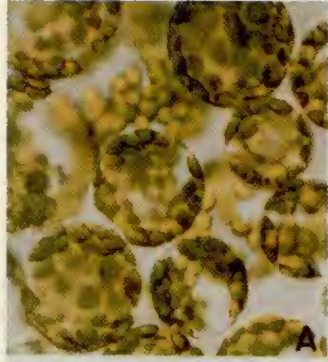
تقنية الجينات

تعتمد تقنية تطوير الجينات GENE TECHNOLOGY على التحكم في الجهاز الوراثي للنبات، ومن ثم إمكان برمجه وفق تصميمات معينة، عن طريق إدخال جينات - تحمل صفات مرغوبة - يتم عزلها من المخزون

الكامل داخل المعمل، أو يتم زراعة النبت LANTLET في التربة الزراعية لإتمام مراحل نموه. ومن منظور تاريخي فقد ولدت أول طفلة أنابيب في العالم (لويز براون) على يد الدكتور باتريك ستبنتو والعالم الفسيولوجي (المتخصص في علم وظائف الأعضاء) روبرت إدواردز في إنجلترا في يونيو ١٩٧٨م، بينما



أما في الزراعة المتكاملة حيث تستخدم المبيدات والكيماويات على نطاق ضيق، فدور تقنية الجينات في هذا النظام من النظم الزراعية يركز على الإسهام في إنتاج سلالات ذات مقاومة طبيعية، وكذلك في إنتاج مخضبات حيوية. أما في الزراعة التقليدية فإنه يمكن الحصول على أصناف نباتية من المحاصيل المختلفة التي تقاوم الملوحة أو مقاومة للأمراض والآفات المختلفة أو مقاومة للجفاف يمكن زراعتها بالصحراء أو مثبتة للآزوت الجوي، مما يقلل من تكاليف التسميد ويقلل من تلوث البيئة. كما يمكن



مراحل التهجين الجسدي في النبات

تجهيز سلالات الكائنات التي تفتك بالآفات والطفيليات ونشرها دون الإضرار بالإنسان والحيوان أو النبات، كما يمكن تحسين التربة الزراعية بإنتاج السلالات البكتيرية المعدلة وراثياً التي تثبت الآزوت الجوي، وتعمل على زيادة الخصوبة، والتي تتحمل الملوحة

تقنية الجينات لإحداث طفرات وراثية تؤدي إلى إنتاج سلالات ذات قيمة اقتصادية عالية يناسب هذا النوع من الزراعة. كذلك أدى الاستخدام المكثف للمبيدات في البيوت المحمية إلى الاهتمام بإنتاج سلالات لها قدرة على تحمل الاستخدام للمبيدات.

الأنسجة النباتية إلى خلايا وحيدة أو مجموعة مكونة من عدد قليل من الخلايا - بالمطفرات الكيماوية أو الإشعاعية - ثم الانتخاب للخلايا ذات الصفات المرغوبة. ويمكن التنبؤ بالصفات المطلوبة من شكل الخلايا أو حجمها أو مقاومتها لمرض معين أو مادة كيماوية.

الدور الحيوي لنبات الأنابيب وتقنية الجينات

نبات الأنابيب وتقنية الجينات يمكن أن يؤدي دوراً حيوياً في زيادة كفاءة النظم الزراعية من ناحية، وتقليل سلباتها من ناحية أخرى. فالسلالات الزراعية المستخدمة في البيوت المحمية والزراعة المتكاملة تتميز بأنها متجانسة وراثياً، لذلك فتطويع

يتم ذلك عن طريق اتحاد البروتوبلاستات -PROTO PLAST FUSION وهي خلايا نباتية يتحلل جذرها الخلوي بواسطة إنزيمات خاصة بين خلايا نباتين بعيدتي القرابة وحتهما على الاندماج بالطرق المختلفة (كيماوياً أو كهربياً أو باستخدام شعاع الليزر)، وانتخاب الخلايا المتحدة المرغوبة ثم حثها على التشكل لإنتاج النباتات الكاملة باستخدام بيئات مختلفة وهرمونات نباتية.

(٣) استحداث طفرات وراثية: يتم ذلك عن طريق معاملة مزارع الخلايا النباتية المفردة التي يمكن الحصول عليها باستخدام إنزيمات خاصة تذيب الجدر الخلوية النباتية، مفككة



عُقيدات تثبيت النيتروجين على جذور بادرة قمح

العمر والمقاومة للفيروسات، ومن ثم يكتسب النبات خواص وصفات وراثية لم تكن موجودة فيه من قبل، وفيما يلي بعض إنجازات استخدام نبات الأنايب وتقنية الجينات:

أساليب الهندسة الوراثية - باستخدام نبات الأنايب وتقنية الجينات - إلى حد بعيد في استنباط أصناف مختلفة من النباتات بالمواصفات التي يرغب فيها الباحث، وذلك من خلال نقل الجين الحامل للصفة إلى النبات، كما هو الحال مع الطماطم الطويلة

الغذائية، كما يمكن زراعة نباتات المناطق الحارة في المناطق الباردة والعكس على طريق إنتاج أصناف ملائمة لهذه الأجواء.

من إنجازات الهندسة الوراثية
في الآونة الأخيرة، نجحت

والجفاف حتى يمكنها تحسين صفات التربة الملحية أو الصحراوية، كما يمكن معالجة الأراضي القلوية أو الجيرية ببعض الكائنات الميكروبية التي تعمل على إصلاحها، وزيادة مقدرة النبات المزروع بها على امتصاص العناصر

هل تستمر نظم الزراعة التقليدية في ظل
تقنية الجينات؟



عملية إكثار المحصول ونشره حوالى خمس سنوات، يصبح بعدها أحد الأسلحة الفعالة في مواجهة الجوع في العالم.

(٢) مثبت نيتروجيني للقمح

يشكل النيتروجين أكثر من ٨٠٪ من الهواء الجوي، وهو مغذ لا يُستغنى عنه للنباتات. ولكن أكثر الأنواع لا تستطيع أن تحصل على حاجتها منه. أما البقول ذات الحبوب (كالفاصوليا والبازلاء) فلها ميزة نادرة حيث إنها مع نباتات أخرى قليلة تقوم بدور العائل للبكتيريا التي تسكن الجذور وتثبت

نيتروجين الجو بتحويله إلى أمونيا، تستطيع النباتات عندئذ استعماله. وتفتقد هذه المقدرة الحبوب السائدة في زراعة الأرز والقمح والذرة الصفراء.

والآن يعتقد الباحثون الزراعيون (زيمان وتشان وكينيدي) في الجامعة الأسترالية بسدني، أنهم توصلوا إلى الهدف المنشود منذ أمد طويل بإخماج INFECTING محصول غذائي من غير البقول ذات الحبوب بالبكتيريا المثبتة للنيتروجين. ويوصي بحثهم بأنه سيغدو ممكناً إنتاج غلال ذات محصول وفير من القمح، يقل اعتمادها على المخصبات الكيماوية. ويرى هؤلاء الباحثين أن التحسين النباتي الاصطناعي والهندسة الوراثية قد يقودان - في نهاية المطاف - إلى تطبيقات حقيقية، ولكنهم يشددون على أنها تبعد عنا عشر سنوات.

(٣) خضروات وفواكه مضادة للسرطان

أثبتت معظم الأبحاث أن استخدام بعض الفيتامينات والمعادن له تأثير إيجابي واضح في الوقاية من العديد من الأورام السرطانية وعلاجها، وبخاصة السرطان الناتج عن التلوث بكل أشكاله، ومعظم هذه المعادن والأملاح التي لها التأثير الإيجابي توجد في الخضروات والفواكه. ومن هنا فإن الأبحاث الأخيرة ترمي إلى رفع تركيز العديد من المواد المسؤولة عن الإسهام في الوقاية من السرطان، والموجودة في الخضار والفواكه، وذلك من خلال

(١) الأرز السوبر

استطاع المعهد الدولي لبحوث الأرز في الفلبين عام ١٩٩٤م تحقيق إنجاز زراعي كبير، حيث توصل فريق بحثي بالمعهد إلى نوع جديد من الأرز يزيد إنتاجه من المحاصيل بنسبة ٢٥٪ عن كل النوعيات الموجودة حالياً، وقد تم إنتاج هذه النوعية بطريقة الهندسة الوراثية، حيث أمكن نقل كل الصفات الوراثية لمقاومة الآفات الزراعية والأمراض، ومن المنتظر أن تستغرق



الأرز السوبر: مقاوم للآفات الزراعية والأمراض

التحكم في الجينات المسؤولة عن وجود هذه المواد. وهذه المواد تحديداً هي مضادات الأكسدة ووظيفتها في الأصل الحفاظ على المواد الغذائية في شكل سليم وصحي صالح، ومنها فيتامين (ج) و (هـ) ومادة البيتاكاروتين التي يتولد منها فيتامين (أ) حينما تدخل الجسم.

(٤) طماطس

يجري معهد الأبحاث بولاية متشجان الأمريكية تجارب لاستنباط نبات جديد يطلق عليه اسم «طماطس»؛ لأنه يجمع بين صفات الطماطم والبطاطس!

ومن الناحية النظرية، يسعى العلماء إلى دمج الصفات الوراثية التي تحملها كل من خلايا الطماطم وخلايا البطاطس لإنتاج النبات الجديد، الذي يمكن من خلاله إنتاج محصولين في وقت واحد وفي أرض واحدة، وعلى المساحة نفسها، ولا يستهلك من المياه إلا القدر الذي يستهلكه محصول واحد!

إن نجاح زراعة الخلايا والأنسجة النباتية معملياً، وإمكان التعامل معها وراثياً، سوف يمكنها من زيادة كفاءة النظم الزراعية القديمة وتقليل سلبياتها، وهذا بدوره سوف يؤدي إلى تحقيق زيادة في الإنتاج الزراعي، وكذلك تحقيق إمكان نقل صفات من أنواع نباتية مختلفة، بل وأجناس مختلفة، كان من الصعب أو المستحيل تحقيقه بالطرق التقليدية.

سكان الغابة

The Forest People

Colin Turnbull

Published by

Simon and Schuster

بقلم :

كولين - م - تيرنبول

تقديم وعرض :

نجلاء حسن حامد

كتاب " سكان الغابة " الذي صدر عن دار نشر Simon & Schuster في نيويورك يعد أكثر كتب كولين - م - تيرنبول الكلاسيكية مبيعاً، وهو يصف تجارب الكاتب أثناء معيشته مع أقزام بامبوتي، ليس كباحث سكاني (انثروبولوجي) فقط، ولكن كصديق لهم، يتعلم عاداتهم ويشاركهم حياتهم اليومية. ويوضح تيرنبول شعور البامبوتي أو المبوتي (Bambuti or Mabuti) الذين يركز وجودهم على أساس الحب اللانهائي لعالم الغابات، الذي يمنحهم في مقابل عاطفتهم وثقتهم كل ما يحتاجون إليه، ونحن معه نرى بعينه وقلمه مخيمات الأقزام وجماعات الصيد وشؤونهم الحياتية وطقوسهم، والمليمو Mo-limo الذي يجدون فيه الغابة كواهب وحام ومعبود، ورقصة إيلما Elima التي تصل فيها الفتاة إلى مرحلة البلوغ، ومعازل نكومبي Nkumbi التي يحاول فيها القرويون فرض سيطرتهم على الأقزام.

حساسة يجد أن الصمت تملؤه الأصوات: مشيرة، غامضة، حزينة، فرحة.. صيحات انتصار لفل، سعال نمر مريض، ومئات الأصوات التي يمكن للمرء أن يخطئ بشأنها، وتجعل قلبه يخفق ليلاً وتقول له إنه مجرد حيوان مذعور، وفي موسم جمع العسل يسمع المرء صوت بكاء مفعم بالمشاعر الجياشة يتردد بين الأشجار ويتكرر ويتكرر، ويتساءل المرء ما المخلوق الذي يكي كل هذا البكاء دون أن يتوقف ليلتقط أنفاسه؛ ويقول سكان الغابة إن الحرباء يخبرهم بوجود العسل في الجوار، رغم أن العلماء يؤكدون أن هذا الحيوان غير قادر على إصدار أي صوت، وقد تكون أكثر الأصوات تنغيماً هي أصوات الطيور الملونة وهي تطارد بعضها بعضاً، ولكن أجمل الأصوات على الإطلاق هو صوت سكان الغابة، وهم يغنون في مجموعة أغنية، يجدون بها عالمهم الرائع الذي أعطاهم كل شيء أرادوه، ولكن لمن لا ينتمي إلى الغابة تمثل هذه الأغنية مجرد ضوضاء. وعالم الغابات مغلق وعدواني لكل من لا يرغب

والمعروف أن تيرنبول قام بخمس زيارات ميدانية إلى أفريقيا، ومنها خرج بعدد من الكتب، منها: سكان الجبل، والأفريقي الوحيد، بالإضافة إلى هذا الكتاب، وهو يعمل حالياً مشارك بحث في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي ومراسلاً للمتحف الملكي في أفريقيا الوسطى، كما أنه يسلك مسلك البحث الحر بعد أن عمل فترة طويلة أستاذاً لمادة علم السكان (الانثروبولوجيا) في جامعة جورج واشنطن في واشنطن العاصمة.

عالم الغابة

في الركن الشمالي من الكونغو، وفي منتصف قارة أفريقيا تقريباً تقع غابات إيتوري Ituri، وهي مساحة كبيرة من الأشجار الكثيفة والرطوبة والظلام الدامس، وفي الوقت الذي تمثل الغابات - لغير المنتمين إلى المكان - كتابة أبدية، يشكل المكان في أعين أصحابه عالماً تسوده الراحة والظلال الوفيرة والبرودة المحببة، يتسلل إليه ضوء خجول من بين قمم الأشجار السامقة التي تحجب أوراقها الشمس. وحتى الصمت في الغابة أسطورة، ولمن لديه آذان

أسطورة، في الوقت الذي أكد أرسطو أن وجودهم حقيقة، وأنهم يعيشون في الأرض التي ينبع منها النيل، ولكن منذ هذا الوقت وحتى مطلع القرن الحالي بدأت معرفتنا بالأقزام تتضاءل إلى حد الاعتقاد بأنهم مخلوقات أسطورية يشبهون الآدميين، يطبرون فوق قمم الأشجار، معلّقين من ذيولهم، ولهم القدرة على جعل أنفسهم غير مرئيين، ويرجع الفضل إلى أحد رسامي الخرائط في القرن الثالث عشر الميلادي، الذي مازالت بعض أعماله محفوظة في كاتدرائية هيرفورد في إنجلترا، في تحديد مكان الأقزام بدقة كبيرة، ولكن تقديمه لهم جعلهم يدون كالوحوش شبه الآدمية.

وفي القرن السابع عشر نشر طبيب التشريح الإنجليزي إدوارد تايسون رسالة عن: "تشرريح القزم بالموازنة مع القرد وإنسان الغابة والإنسان" وأحضر من أفريقيا الهياكل العظمية اللازمة، ومنها استدل أن القزم لا يمكن أن يكون آدمياً، وكان من السهل معرفة سر نتائج تايسون، ذلك أن الهيكل الذي كان محفوظاً في متحف لندن حتى وقت قريب كان خاصاً بشمبازي.

والحقيقة أن المكتشفين البرتغاليين في القرنين ١٦ و ١٧ هم المسؤولون عن الأساطير التي لحقت بالأقزام، وقد يكون هذا بسبب رؤيتهم لحيوانات الشمبازي واعتقادهم خطأ بأنهم الأقزام، ولكنهم أشاعوا أن الأقزام يملكون القدرة على أن يكونوا غير مرئيين، وأن القزم لديه القدرة على قتل فيل، رغم صغر حجمه، وأن لهم ذيولاً، أو قد يكون هذا بسبب أنهم يمتزجون بالأشجار لدرجة أن المار بجوارهم لا يراهم، كما أنهم يرتدون ثياباً من لحاء الأشجار تضم أطرافها بين الساقين من الأمام والخلف، ولعل هذا هو السبب وراء إشاعة الذبول.

الإقرار بوجود الأقزام

كان جورج شونيفورت في القرن التاسع عشر أول من قدم الأقزام إلى

حبهم تمنحهم المسكن والمأكل والملبس، لذا يتجولون داخلها في مجموعات صغيرة معزولة، أو مجموعات من الصيادين، ولا يوجد لديهم أدنى إحساس بالخوف؛ لأن العالم بالنسبة لهم مسالم، وحتى قصر طولهم الذي يقل عن ٥, ٤ قدم في المتوسط، والذي يجعل جيرانهم القرويين يتندرون عليهم، لا يمثل لهم أي مشكلة، وقد تكون هذه ميزة، فلأنهم صغار يتميزون بالقوة ويسرون بطريقة أقرب إلى الركن.

وحوش شبه آدمية

كم أمضى الأقزام في الغابة؟ لا يدري أحد المدة على وجه الدقة، ولكن هناك من يرى أنهم من بين أقدم سكان أفريقيا، ويمكن أن يكونوا هم السكان الأصليين للغابات الاستوائية المطيرة، التي تمتد من الساحل إلى الساحل، وقد عاشوا هناك منذ البدايات الأولى للتاريخ، والإشارات المدونة الأولى عنهم ليست هي ماكتبه هوميروس الإغريقي بشأن معركة دارت بين الأقزام وطيور الغرائق كما يعتقد البعض، ولكن يوجد تسجيل لحملة أرسلت من مصر في عصر الأسرة الرابعة حوالي عام ٥٠٠ ق.م لاكتشاف منابع النيل، ففي مقبرة الفرعون نفريريكي يوجد تقرير محفوظ من قائده هيركوف الذي دخل غابة كبيرة في غرب جبال القمر في أفريقيا، ووجد أناساً صغاراً جداً يرقصون ويغنون، وعلى الفور أرسل الفرعون لقائده رسالة يطلب منه إحضار واحد من هؤلاء الناس على أن يشرح كيفية العناية به وطريقة معاملته حتى لا يصاب بأذى، وللأسف انتهت القصة عند هذا الحد.

وفي مدونات عثر عليها فيما بعد، تبين أن المصريين كان لديهم علم متقدم نسبياً بهؤلاء الأقزام الذين كانوا يعيشون كل هذه الآلاف من السنين في المكان نفسه الذي يعيشون فيه اليوم.

وفي زمن أرسطو كان العالم الغربي يروي قضية الأقزام على أنها

مزارعهم على أنه مكان مخيف مملئ بالأرواح الشريرة يصلح لعيش الحيوانات والبامبوتي Bambuti فقط، وهم الذين يطلق عليهم القرويون اسم الأقزام Pygmies، ونادراً ما يتوغل القرويون سواء من البانتو Bantu أو السودانيك Sudanic داخل الغابات إلا في حالات الضرورة القصوى.

ولكن البامبوتي هم السكان الحقيقيون للغابات، في حين أن القبائل الأخرى حديثة الوصول نسبياً، فالأقزام يعيشون فيها منذ آلاف السنين، وهي كل عالمهم، وفي مقابل

في فهمه، ومن النظرة الأولى يبدو أنه معاد لكل الآدميين على السواء، وفي كل قرية نجد الشكوك والخوف ذاتهما في نفوس أهلها من الغابات، فالفلاحون يتميزون بالصدقة والترحيب بالغرباء، يقيمون لهم منزلاً ويقدمون لهم الطعام والشراب، ولكن مثل هذه القرى توجد بين مزارع كبيرة تقع على الخط الفاصل بينهم وبين قلب الغابة حولهم، ويتحدث الفلاحون عن العالم الموجود فيما وراء



ينفقون ما يحصلون عليه من أجر في شراء الطعام والتبغ



ثياب الأقزام من لحاء الأشجار، وهنا أحدهم يحمل صيداً ثميناً

كهوفهم قاموا بقطع أوراق أشجار Mongongo، وتمثل الشجرة الواحدة غابة داخل الغابة، فسيقانها العملاقة تنتهي بأوراق كبيرة تشبه القلب، وبعد قطع أعداد ضخمة من الأوراق عادوا إلى الخيم لإنشاء الأكواخ.

فوق إطار متشابك من الأخشاب يتم تركيب الأوراق ورضها كما يرتب ويصف القرميد. البعض يعمل في تركيبها من الداخل، وآخرون

والعجزة بشك وتوجس؛ لأنه في مجتمع مثل هذا تكون الحركة شيئاً أساسياً، وهؤلاء يمثلون خطراً على أمن الجماعة وعقبة في طريقها، وهناك روايات عن أشخاص عجزوا تركوا ليموتوا عندما لم يتمكنوا من الانتقال مع الجماعة.

مخيم جديد

فجأة قرر الأقزام الانتقال إلى مكان جديد بالقرب من جدول لإنشاء مخيم جديد لهم، ولإقامة

ملاحم مميزة

قام تيرنبول بأول زيارة إلى غابات إيتوري عام ١٩٥١ م، وبعد قضاء سنتين في أكسفورد شعر بضرورة العودة ثانية للدراسة، وقبل عودته من زيارته الأولى للغابات كان أحد الأوروبيين قد أقام منزلاً ليسكنه أطلق عليه اسم مخيم بوتينام، وسرعان ما تناثرت حوله أكواخ الزوج، وعندما عاد تيرنبول ثانية عام ١٩٥٤ م وجد أن بوتينام توفي فتغير اسم المكان إلى إيبولو، وهو نهر قريب، وأنشئ في المكان فندق صغير لاجتذاب السائحين، ومحطة تجارب للحيوانات، وفيما بين الفندق ومحطة التجارب كانت تنتشر منازل للعمال، وعدد من المتاجر الصغيرة، ويبدو أن هذا المجتمع الصغير كان يجتذب الأقزام خاصة أنهم كانوا يتقاضون أجوراً يشعرون بالامتنان لها حتى لو كانت أقل من سائر القبائل، وكانوا ينفقون ما يحصلون عليه في شراء الطعام والتبغ والنبذ بدلاً من التجول في الغابة للصيد.

وللأقزام ملاحم - كما يرى تيرنبول - لا يمكن أن يخطئها المرء تميزهم من الزوج، فطول الواحد منهم لا يزيد بأي حال عن أربعة أقدام ونصف القدم، وسيقانهم قصيرة بالنسبة لأجسامهم، وهم أقوياء، لهم عضلات، وظهورهم عادة منبسطة، ورؤوسهم دائرية، وعيونهم واسعة، ولهم أنوف فطساء، وأفواه كبيرة، ينمو شعر الرأس، في شكل ذؤابة مثل الفلفل الأسود، وبعض الأقزام ينمو الشعر على أجسامهم من الرأس، إلى القدم، والسير بالنسبة لهم يعني الركض بخفة ومن دون انزلاق أو سقوط، وهذا هو الشيء الذي يميز سكان الغابات من سائر الناس. وعلى هذا السير تتوقف قدرتهم على جمع الفاكهة واقتناص الطرائد والنجاة بحياتهم من نمر متربص يتظاهر بالنوم في الجوار، وللأقزام مفاهيم خاصة بهم فهم ينظرون إلى الضعفاء

العالم في كتابه المعنون "قلب إفريقيا" وفيه ذكر أن الأقزام موجودون، وأنهم آدميون، وقد تتبع في هذا خطى الرحالة الإيطالي مايناي الذي توفي في أفريقيا، وكان قد أرسل من هناك ولدين إلى الجمعية الجغرافية التي تكفلت برحلته، حيث قام رئيسها بتربية الولدين القزمين وتعليمهما حتى أتقنا اللغة الإيطالية، وأجاد أحدهما العزف على البيانو، ثم توفي أحدهما في إيطاليا، وأصبح الثاني سروجيا في الجيش الأثيوبي فيما بعد.

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قام الأب «بول شيبستا» برحلة إلى الغابات، وتبين له أن هناك نقطة حصينة لأقزام البامبوتي على عكس الأقزام Pygomid الذين يعيشون في أماكن متفرقة من الحزام الاستوائي، وهناك حالات زواج بينهم وبين القزوين الزوج، في حين أن أقزام البامبوتي تمارس ضدهم تفرقة عنصرية، وذكر الأب بول أيضاً أنه يوجد نحو (٣٥٠٠) قزم بامبوتي ينقسمون إلى ثلاث مجموعات لغوية، ويتكلمون لهجات مشتقة من ثلاث لغات رئيسة عند الزوج، ويبدو أنهم فقدوا لغتهم الخاصة نتيجة التطبيع الثقافي، وفي الجماعة التي تعيش في أقصى الشرق، مازالت اللغة موجودة بينهم إلى حد ما، وهم أقزام Efe الذين يعيشون بين قبائل السودانيك والباليس، كما أنهم لا يستخدمون الشباك في الصيد، بل يصطادون بالرمح والسهم والقوس، وكان الأب بول يعتقد أن البامبوتي كانوا شريحة ثقافية مفردة يميلون للعيش في جماعات صغيرة تتكون من ثلاث عائلات فأكثر تتحرك حول الغابة، ولذا فهم دائمو الاتصال بالزوج، ولأنه لا توجد زعامة أو قوة لتنفيذ القانون، كان الأب يعتقد أن سيطرة الزوج على الأقزام هي السبب في عدم وقوع حالة من الفوضى الشاملة، ولكن تيرنبول يختلف معه في هذا الرأي كما سوف يتضح فيما بعد.

المكان نفسه، ويتناقشون في الصيد المتوقع العثور عليه.

بعد الإفطار يقوم الصيادون بتجهيز شباكهم للصيد متفحصين كل شيء بعناية، فوجود عيب في أي شيء يمكن أن يفسد فرص الجميع في الصيد، ثم يجمع كل صياد شباكه ويضعها فوق ظهره، وعند الخروج للصيد يخرج أفراد من ٦ أو ٧ عائلات معاً، ويخرج معهم الأطفال والنساء ليدفعوا الحيوانات في دائرة طويلة من الشباك المتصلة نهاياتها بعضها ببعض، وفي الأوقات العادية يكون هناك رقص قبل الخروج للصيد، فيجتمع الرجال والنساء في دائرة ويرقصون أغنية الصيد ويقلدون الحيوانات التي يحبون اصطليدها.

والصيد عند الأقزام عمل تعاوني، وعلى الأخص بالشباك، وهم يشعلون ناراً للصيد في أنحاء مختلفة من الغابة معتقدين أن هذا يجلب الحظ الطيب ويضمن مباركة الغابة لهم.

يتم عادة إحضار الطريدة إلى الخيم قبل تقسيمها، وعندها تطالب كل امرأة بنصيب لأسرتها، وأحياناً يوزع اللحم في الغابة، أما إذا كانت الطريدة ضخمة كالفيل فيقام مخيم حولها بدلاً من نقلها إلى الخيم، وهذا يعني أسبوعاً من الرقص والغناء وعدم الخروج للصيد.

تسوية المنازعات سلمياً
لا يوجد زعماء لدى الأقزام أو مجالس رسمية، ولكن في كل مناحي حياتهم يوجد رجلان أو امرأتان لهما سيادة أكبر على الآخرين، ويتضح هذا عند تسوية المنازعات، وهناك عدة طرق لتأديب المعتدين تتضمن سبلاً للردع، ولكن دون ضرورة لفرض العقاب، وحتى تنفيذ القانون، مثله مثل سائر الأعمال، عمل تعاوني، وهناك أخطاء محدودة تعد جرمًا خطيراً يستوجب الجزاء العيني، وأخطاء أخرى تصبح من شأن المليمو - كما سيتضح فيما بعد- الذي يظهر عدم رضائه



إناء من خشب الأشجار ولحائها، يحمل فيه أحد الأقزام العسل

للأمام وهي تؤدي أعمالها كافة وهي في هذا الوضع، وغالباً ما يكون الإفطار موزاً يوضع في الرماد لكي يُشوى، أو خبيزة برية تفرم أوراقها وتخلط مع اللحم المتخلف من الأمس، ويغطى الإناء بورقة شجر حماية له من التراب والقذارة، وتتولى الفتيات الصغيرات القيام بالأعمال البسيطة، بينما تتفرغ الشابات للعناية بأنفسهن، إذ يجلسن في استرخاء خارج الكوخ يجملن أنفسهن ويصبغن أجسادهن بمعجون أسود مستخرج من فاكهة الجردنية، أو يردن أسنانهن بشيء حاد يجعل أطرافها مدببة، ويتقابل الرجال بالقرب من الجدول يحتسون شراباً ما، ويجهز غير المتزوجين إفطارهم في

لا يحبون الجلوس على الأرض، وإنما يصنعون مقاعد بطريقة بسيطة مكونة من أربع عصي متساوية الأطوال، وتلف جبال الكروم حولها وبداخلها، وبهذا يكون المقعد مريحاً وصالحاً للنوم، وهكذا يجلس الأقزام على هذه المقاعد أو على جذوع الأشجار بجوار النيران، وإذا لم يتوافر هذا أو ذاك يجذبون الأوراق من أقرب كوخ ويضعونها على الأرض لكي يجلسوا عليها، وعادة تُبنى الأكواخ على شكل دائرة تتوسطها النيران.

نشاط الصباح

في الصباح الباكر تذهب النساء إلى الجدول القريب للاستحمام وإحضار الماء للطهي، وبجوار الكوخ تجلس الواحدة وساقها ممدودتان

يعملون من الخارج دافعين الأوراق عبر الفجوات من أعلى إلى أسفل، وتبدأ المشكلة عندما تصبح الأوراق قديمة ومنجعدة، إذ يسمح هذا بوجود فراغ بين الأوراق يمكن أن تتسرب منه الأمطار، بالإضافة إلى أن هذه الأوراق لا تحجب أي صوت، فالحديث الذي يدور بنبرة الكلام العادية يمكن أن يصل إلى سكان أربعة أكواخ أو خمسة.

داخل الكوخ ينام الأقزام على أوراق الأشجار الجافة أو على مجموعة عصي يرصونها على الأرض، وتنصب المناضد بالطريقة نفسها، ويستقر إطارها على أربع عصي لها شكل شوكة الطعام، وأقزام الغابة على قدر من النظافة، فهم

تنظر إليه في حيرة أولاً ثم في فهم، وبعدها يذهب الاثنان إلى الجدول لغسل الأوراق ورقة ورقة، وقد يحمل الزوج قوسه ورمحه من أجل «عشاء خاص» في هذا اليوم.

عالم القرية

يبدو من المعاشية على الطبيعة أن القرويين الزوج مرغمون على احترام الأقزام، ويرجع هذا إلى اعتقادهم في الرابطة الأسطورية التي تربط بين الأقزام وأرض أسلافهم، خاصة أن القرويين لا توجد لديهم مثل هذه الرابطة بالإضافة إلى أنهم شديدي الخوف من الأرواح التي تسكن الغابات، ولذا فهم يخافون من الأقزام، ويحرصون على ودهم،

والفاكهة والجذور المجموعة وسائر الأشياء التي يستعملونها.

من الأعمال اليومية في المخيم إصلاح الأكواخ، فتوضع أوراق جديدة وتنزع القديمة، أو يتم توسيع الكوخ، وإذا ماقامت خصومة بين الأسر، تتحول مداخل الأكواخ بعيداً بعضها عن بعض، والواقع أن أي تغيير يكون بمعرفة المرأة؛ لأن الكوخ بمثابة ملكية لها، وعندما ينشأ خلاف بينها وبين زوجها تجمع أوراق الشجر التي تغطيها في أول يوم، وفي اليوم التالي تجذب الأغصان والعيدان التي تشكل الهيكل وهي تبكي على الحب الذي كان، وإذا لم يمنعها زوجها فذلك يعني أنه لايريدها، وبالتالي تجمع حوائجها البسيطة ومن ثم تذهب إلى أبيها. يقوم الزوج بعد هذا بجولة حول الكوخ ويذهب إلى زوجته التي

المجموعة بمناقشة القضية، وإذا أيد الموجودون رأي الأب يكون على الابن أن يصصرف نظره عن هذا الزواج، وإذا أصر عليه ففي هذه الحالة يترك مخيمه وينضم إلى أسرة الزوجة، ولكن هذا يحدث نادراً.

أطفال الجميع

يعتاد الطفل على إطلاق ألقاب الأم والأب على من هم في عمر أبيه وأمه، والأخ والأخت على من هم في عمر أشقائه، والجدة والجد على الأشخاص الأكبر سناً، وعندما يحدث شيء لأي طفل في غفلة من الكبار كالسقوط في الرماد الحار يسرع إليه الكبار وينقلونه إلى كوخ قريب؛ لأن البالغين هم آباء الطفل وأجداده، وكلهم يرغبون في مساعدته، وهو بالتأكيد يعرف أباه وأمه، ويكن لهما قدراً خاصاً من العاطفة، ولكنه تعلم أنه طفل للجميع كما أن الجميع أطفال الغابة.

ومثل الأطفال في أي مكان، يهوى أطفال الأقزام تقليد آبائهم، وهذه هي بداية مرحلة التعليم لهم، لذا يصنع الأب لابنه سهماً وأقواساً صغيرة، وتعلم الأم بناتها طرق صنع السلال، وقد تصنع لهن سلالاً صغيرة، وعندما يذهب الجميع للصيد يلعب الأطفال لعبة المنزل، فيمثل الأولاد دور الأزواج، وتمثل البنات دور الزوجات وهو ما يحدث بين أطفال العالم.

يرتدى الأقزام ملابس مصنوعة من لحاء الأشجار خاصة الكروم، وبعد قلعها يضعونها في الماء أو الطين الذي يكسبها لوناً أقرب إلى السواد، وقد يدخنونها فوق النار فتكتسب طراوة ثم تنشر على جذع شجرة وتطرق بناب فيل، وبهذا تتحول إلى رداء ناعم سهل الثني، ويستخدم لصباغته عصير الحمضيات أو فاكهة الجردنية أو لحاء شجرة معينة يعطي لوناً أحمر، يلي هذا عمل الحزام، وقد يستغرق عدة أسابيع؛ لأنه يصنع بطريقة معينة لكي يتوضع فيه المدى

بالهجوم على كوخ المذنب صباحاً، ولكن كلا النوعين من الحوادث النادرة.

يحرم بين الأقزام زواج أبناء العم أو قيام علاقة بينهم، وتعد مثل هذه العلاقة نوعاً من الزنا، ويطالب الجميع بقتل من يقتربها إذا عثر عليه قبل أن يهرب إلى الغابة.

وتختفي السرقة بين الأقزام؛ لأنهم لا يملكون سوى أشياء قليلة، في حين أن السرقة لا تعد إثماً إذا تمت مع الزوج؛ لأنهم حيوانات في نظر الأقزام شأنهم شأن الأقزام في نظر الزوج، ولا تتم السرقة بين الأقزام إلا في حالة الكسل، وإذا ما اكتشفت سرقة يسرع السارق إلى الغابة ويختفي فترة، وعند عودته يتجنب الجميع محادثته ثم ينسى الأمر برمه، ويقدم له الطعام حتى لا يسرق ثانية خاصة إذا كان شخصاً محبوباً.

أخطر أنواع الخلاف هو الذي يحدث بين أفراد يتزوجون بتبادل الشقيقات ويقيمون في مخيم واحد، فعندما يختار الفتى زوجة ما يكون ملزماً بإيجاد أخت حتى من بين الأقارب ليقدمها إلى أسرة زوجته، لكي يتزوجها واحد من غير المتزوجين في الأسرة، وعند وقوع خلاف بين رجلين تكون زوجتهما ممزقتين بين الولاء للزوج والشقيق، وتحاول الواحدة منهما بكل ماأوتيت من قوة وحيل أن تثني زوجها عن القتال، وعندما تستنفذ كل الوسائل لا تجد الزوجتان بداً من الاقتتال فتشتبكان في معركة بالأظافر والأسنان، ويتقاتل الزوجان يجذوع الأشجار المشتعلة، ولعل هذا هو أكثر أنواع الخلاف ضراوة في المخيم، وعندما يتأزم الأمر تتدخل أم إحدى الزوجتين وتنتهي المشكلة.

وهكذا يسوء أي نزاع فور ظهوره، وإذا ماثار نزاع بشأن الزواج، كأن يعلن الأب أنه لا يوافق على الفتاة التي اختارها ابنه، يدعو كلا الطرفين أصدقاءهما للمساعدة، وتقوم



يتعلم
الطفل في
الغابة أنه
طفل الجميع

ويمنحونهم بشائر الفاكهة من مزارعهم.

والواقع أن العلاقة بين الفريقين غريبة، ممتلئة بالتناقض والتشكك، فالقرية هي مكان اللقاء بينهم فقط؛ لأن القرويين يكرهون الذهاب إلى الغابة إلا في حالات الضرورة، كما أن القرية هي عالم الزوج، لذا يشعر الواحد منهم بأنها هي مكان سطوته وسيطرته على العالم، ولأن الزوج غير قادرين على ممارسة أي نوع من القوة الجسدية لبيان سيطرتهم على الأقزام، أوجدوا أسطورة العلاقة الوراثية بين الزوج والأقزام أفراداً وعائلات.

وليست هذه حالة عبودية ولكنها تعد نوعاً من المصلحة المتبادلة، وغالباً ما يكون الثمن الذي يدفعه الزوج باهظاً، ولكن المقابل يستحق، فالقزم قادر على أن يقوم له بكل الأعمال الضرورية التي تستدعي الذهاب إلى الغابة مثل إحضار الطرائد، وفيما بعد عندما وجدوا أن رعاية المزارع تستوجب مزيداً من العمل، وأن الأقزام يمكنهم توفيره لهم، اضطروا إلى دفع أجور لهم، ورغم هذا يظل القروي خائفاً، فهو لا يعرف المدة التي ستمكثها جماعة الأقزام معه، وبخاصة إذا كان موسم الصيد جيداً، فلن تجرؤ قوة على إحضار الأقزام إلى القرية.

إيلما : رقص الحياة

بعد اتصال الأقزام بالزواج أفراداً وعائلات يكون من البدهي أن يتبنى كل فريق بعض عادات الفريق الآخر، وأحياناً يكون الاتصال بطريقة ناعمة، وفي أحيان أخرى يكون عدائياً واضطرابياً، وفي كل الأحيان تنظر كل جماعة إلى منطقة الأخرى على أنها مكان أجنبي، وعندما تنبني إحدى الجماعتين عادة الأخرى تخلع عنها شخصيتها وتغيرها لدرجة يصبح معها من المستحيل التعرف أصلها إلا في حالة استخدامها باسمها الأصلي، مثل حالة المليمو Molimo ورقصة

إيلما Elima، ولكن من اقتبس من الآخر؟ سؤال يبقى دون إجابة. تعني إيلما لكل من الزوج والأقزام وصول الفتاة إلى مرحلة النضج والأنوثة، وهذا يواكب مرحلة التغيرات الجسدية ودورة الطمث، وعند القرويين يستوجب هذا الأمر أكثر من العار، ومن الأفضل عدم الحديث عنه كلية، ولكن عند الأقزام يستوجب السرور ويطلق عليه "زواج القمر".

عند حدوث البلوغ تنقل الفتيات إلى مكان خاص تحف بهن الصديقات الأكبر والأصغر سناً، وفيه يتعلمن من النساء الأكبر سناً دروساً في الأمومة وأغاني النساء الناضجات، وأحياناً يتسلل الفتيان إلى المكان على أمل اختلاس نظرة للداخل، ويضج المكان بالغناء، فهناك أغان خاصة تنشدها الفتيات في صوت منخفض، ويرد عليهن الفتيان بصوت جهوري، وقد تتجول الفتيات بالخارج، وإذا نحن رجالاً يقذفنهم بالفاكهة والحجارة، وأحياناً يطاردنهم داخل الغابة، أو قد تستأذن الفتيات لزيارة معسكر الصيد وهن يرتدين (تنورات) من الأعشاب مضمخات أنفسهن بالزيوت والعطور، وينشدن أغنيات طوال الطريق، وعند بلوغ الخميم يهاجمن الفتيان الذين وقع اختيارهن عليهم ويقذفنهم بقشور الموز والحذوق المشتعلة، وقبل الفتيان الرد على هذا الهجوم يعني موافقتهم الضمنية على اختيار الفتيات لهم.

وفي اليوم المحدد لإنهاء مدة الاعتكاف يجلس الرجال أمام أكوامهم بينما الفتيات في الداخل ينشدن الأغاني، ثم يفتح الباب وتخرج الفتيات الأصغر سناً يليهن الفتيات المحتفى بهن تحيط بهن صديقاتهن، وتغطي أجسادهن رسوم دقيقة مرسومة بمهارة بوساطة الأصابع والعصي الرفيعة باستخدام الطين الأبيض، ويرقصن حول النيران، وبعد الفجر مباشرة يذهبن إلى النهر

للاستحمام، ثم يدهن أنفسهن بالزيوت ويرتدين ملابس جديدة من لحاء الشجر تغطيها الزيوت. يدوم الاعتكاف شهراً أو شهرين، وتكون فرصة للفتاة لكي تتعرف داخله إلى الفتى الذي اختارته ليكون زوجها إذ يمكن أن يتردد عليها داخل منزل الاعتكاف بموافقة الأم، وقد يجد الاثنان أن حياتهما ستستمر فيستزوجان، أو يشعران بالتناافر فيتباعدان.

في الزواج

عندما يتزوج واحد من البامبوتي تلحق به زوجته في العمل في المزرعة، وينظر الزوجي إلى الزوجة على أنها يد عاملة سوف تساعد زوجها في العناية بالمزرعة، فيقدم لها مبلغاً من المال كأجر، وفي الوقت نفسه لكي يجذب أقاربها للعمل، ويرغب الأقزام في الأخذ بهذا النظام، ولكن كيف والمرأة "شريك في الاقتصاد" من

دونها لا يمكن إقامة الكوخ أو صيد الطرائد أو تجهيز الطعام.

وعند زواج الأقزام يقدم الزوج المنتظر إلى أصهاره شيئاً ضخماً قام باصطياده كبقرة مثلاً أو فيل، وعند إتمام الزواج تقدم هدايا للعروسين مثل قطع القماش أو النقود أو المطارق، ويرتدي الزوج ملابس جديدة مغزولة من القش يزينها الريش، ويسلح نفسه بقوس جديدة وعدد من السهام، ويذهب المدعوون للنوم في كوخ العروسين، وفي الصباح تقف العروس مع اثنتين من شقيقاتها ويتقدم إليها قروي وراء آخر لشرح لها عاداتهم وتقاليدهم.. لأن العرس يتم غالباً في القرية عند الزوجي "مالك القزم" والذي لا يجهر صراحة بملكيتها.

في الطقوس الأخيرة للزواج تخبر العائلة ابنتها أنها الآن أصبحت مسؤولة أمام زوجها، وعليها ألا تترك منزلها وتأتي إلى أبويها كلما ضربها،



أدوات الصيد عندهم هي الرمح والسهم والقوقس

سكان الغابة

عند الحاجة : عندما يكون الصيد سيئاً أو عند وجود شخص مريض أو متوفى، فهم يعتقدون أن الغابة هي الأب والأم وهم أبناءها، تمنحهم المأكل والمأوى والظل، وعندما يحدث خطأ ما أثناء الليل تكون نائمة، لذا هم في حاجة دائمة إلى إيقاظها لكي تحميهم من الأخطار وتشاركهم فرحهم ويكون هذا بالغناء، كذلك في الصباح الباكر قد يهاجم الشباب كوخ أحد الأشخاص بشأن خطأ ارتكبه متظاهرين أن هذا من فعل المليمو.

الرقص عند الحزن

لتشجيع الأقزام على الاستقرار، أنشأت الحكومة المزارع النموذجية، وفيها يقوم الأقزام بزراعة الأرض التي تقتلع أشجارها، ولكنهم مطالبون بتقديم قدر معين من المحصول، وإذا لم يبلغ مايقدمونه الحد المقرر يغرم الفرد، وإذا لم يكن قادراً على دفع الغرامة يزج به في السجن، ويشعر الأقزام أن هذه المزارع تساعدهم على التحرر من الزوج، ونظريتهم في هذا أنها تحقق الاستقلال؛ لأنهم لم يعودوا في حاجة إلى طلب الأرز والفول السوداني من القرويين في مقابل إعطائهم اللحوم، والشيء الوحيد الذي كانوا يعتمدون فيه على جيرانهم في الحصول عليه هو المعدن لصنع السكاكين وسفريات الحراب. ويعتقد الأقزام أنه كلما أنشئ المزيد من الطرق والمناجم ازدادت الحاجة إلى قطع العديد من الغابات وأشجارها لإنشاء المزارع حتى تفي بحاجة العمال من الطعام، وهذا في رأيهم شيء غير طيب. وعندما يتذكرون هذا يقومون للرقص، وحتى النائمون عندما يصل إليهم صوت الغناء والرقص يهبون من نومهم ليلاحقوا بالراقصين.

وهذا مايفعله الزوج كذلك، ومثل هذا الحدث الجلل يستدعي وجود (المليمو).

المليمو عبارة عن غصنين مجوفين من أشجار البامبو أو غيرها، أحدهما يبلغ طوله (٤٠) قدماً والثاني نصف هذا الطول، وعند الذهاب للحصول على المليمو يخرجون في جماعة يركضون دون صوت، ولا يتحدثون، ومن يتخلف عنهم لأي سبب يترك لمصيره، ثم تتقدم مجموعتان إلى داخل الغابة تتولى كل واحدة مهمة إحضار غصن، وبعد الحصول على الاثنين بالفعل يمكنهم الحديث بصوت مرتفع، وعند الوصول إلى أي مجرى مائي أو جدول يغمر المليمو من الطرفين لكي يشرب كما يقولون.

في حالة الوفاة يُحتفى بالمليمو طيلة شهرين، ولأنعد أبواق المليمو قيمة أو مقدسة في حد ذاتها، ولكن الشيء المهم هو الصوت الذي ينطلق منها، وفي منتصف نهار كل يوم يذهب اثنان من الشباب في جولة حول المخيم، ويجمعون طعماً وأخشاباً للتيان من كل الأكواخ؛ لأن المليمو يجب أن يشارك فيه الجميع. وكل ليلة بعد العشاء تغلق النساء والأطفال الأبواب، ويتفرغ الرجال للمليمو بالغناء، وينطلق صوت المليمو في الغابة القريبة مقلداً أصوات الحيوانات، يلي هذا حضور المليمو يحمله رجلان حيث يلوحان به فوق النيران وفوق الجالسين حولها، ويسرع بعض الرجال بدعك المليمو ببعض الرماد الحار ويضع آخرون بعض الفحم المشتعل في الطرف الآخر له، ويظنون يغنون مادام المليمو يغني، ومن العار أن يغلب التعاس أحدًا أثناء غنائه، يعقب هذا ذهاب الرجلين للرقص حول المخيم ثم في الغاية، وبعد هذا يتوقف كل شيء، ويبدأ الرجال المجتمعون في التهام الطعام، وعادة مايشار إلى المليمو على أنه حيوان الغابة.

ويقوم الأقزام باستدعاء المليمو

الفتيان المقصودين ثم يحملهم القرويون إلى الجدول لتتم عملية الختان.. من لحظة دخول المعزل يجب أن يعتمد الفتيان على أنفسهم، فهم في البداية يجلسون صفًا، وينشدون أغنية عن العمل حتى لايفكروا في الألم، فبعد الختان يُلف الجرح في ورق نبات يشتمل على دواء محلي به كمية كبيرة من الملح، وبعد الأغنية يرقصون ثم ينامون في أسرة مصنوعة من الجذوع المشقوقة والمصفوفة بعضها بجوار بعض على إطار قوي، مرتفعة عن الأرض قدمين، ووسادة من ورق الموز، وفي المعزل توجد سلسلة من التحذيرات مثل عدم التعرض للبلل، وعدم تناول أنواع معينة من الطعام، ولكن عندما يذهب القرويون تُهمل هذه القواعد وينام الآباء داخل المعزل، ومن المحرم تمامًا دخول أي امرأة إلى المعزل.

يستمر المعزل شهرين أو ثلاثة، وفي السابق كان يستمر (٦) أو (١٢) شهرًا، وفيه يتعرض الفتيان للتعذيب النفسي، فالفتى رغم آلامه الجسدية عليه أن يتحمل كثيرًا من الأعمال الصعبة، والتعذيب الجسدي يبدأ كلعبة، ولكنه يتطور إلى اختبارات قاسية لمدى التحمل الجسدي، ففرصة الانقباض حول الأرض استعداداً للوثوب تصبح بعد نصف ساعة عملاً مرهقاً.

ويعتقد القرويون أن المعزل يحقق لهم سيطرة لانهائية على خدمة المتعبين الذين يرفضون أن يسلكوا مسلك الخدم، ويُقبل الأقزام على المعازل؛ لأن القرويين ينظرون للشخص الذي لم يدخل المعزل على أنه طفل ولايحترمونه، ولذا عندما يرجع الفتيان الأقزام إلى المخيم يصبحون أطفالاً ثانية.

رقص المليمو

عندما يمرض أحد الأقزام تطلق المرأة عويلها، وعندما يتوفى بالفعل يحزن الجميع، ويطلق الرجال أيضاً صرخاً وعويلًا أعلى صوتاً من النساء،

وإذا فعلت الزوجة هذا تكون الطامة الكبرى؛ لأنه في هذه الحالة يمكن أن يتهمها زوجها بعدم الإخلاص، ويطالب برد الثروة التي دفعها مقابل الزواج، وقد تكون الأسرة قد استخدمتها في الحصول على عروس أخرى لواحد من أشقاء الزوجة.

معزل القرية

من بين الطرق التي يحاول بها القرويون فرض السيطرة على البامبوتي وأكثرها فعالية هي ضمهم الأقزام إلى معزل القرية Nkumbi، وقد عد كثيرون أن وجود فتيان الأقزام في هذا المعزل دون ممارسة أي طقوس خاصة بهم يعد علامة على اعتمادهم على القرويين، في حين أن آخرين اعتبروا أن الأقزام ليس لديهم أي ثقافة خاصة بهم، ولكن الحقيقة مختلفة تمامًا، فليس الهدف هو إعداد الفتى لمرحلة الرجولة فقط، ولكن ضمان الاستمرار بين الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأن للأقزام الأسلاف الموتى أهمية كالأحياء، وأن الذين يدخلون المعزل سوف يلحقون بالأسلاف عندما يموتون.

يلتحق الفتيان بالمعزل في عمر (٨) أو (١٢) سنة، وفي البداية يلحق كل فتى بواحد من الزوج، ويرتبطان برابطة الدم التي لايمكن فصلها، ويتعاهدان على المساعدة فيما بينهما طول العمر، وهذا يؤدي إلى تقوية العلاقة الاقتصادية بين القوميين.

لجميع الفتيان يقوم (٨) أو (٩) أشخاص يحملون العصي أسفل إبطهم بالدوران حول المخيم ينشدون نشيداً معقداً منظماً، وبعد جمع الفتيان تخلق شعورهم، ثم يظهر طبيب القرية يغطي وجهه قناع، وجسمه مغطى بالطين الأبيض، وتغطي ساقه وذراعيه حزم من ليف النخيل، ولذا عندما يرقص يبدو كحيوان أسطوري، نصفه حيوان ونصفه طائر، وفي الوقت نفسه يدق الرجال بعنف على الطبول، وتسرع النساء والأطفال إلى الداخل، ويقوم الطبيب بالرقص حول



إعداد مصطفى جديد

صباح كل سبت

أنتم على موعد مع

مجلة

الشرف

نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهتم كل أفراد الأسرة

www.ahaltareekh.com

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان

لقد اشتهر هذا العصر بكثرة التأليف والإقبال على كتب الطبخ والأطعمة وشاعت أنواع مختلفة منها شعبية و مترجمة، إلا أن الاهتمام بهذا النوع من التأليف ليس من سمات هذا العصر فقط، فقد كانت للعرب عناية بالتأليف في الأطعمة وفوائدها واستطبائاتها، كما أولوا الطبخ اهتماماً بالتصنيف، ومن أشهر هذه الكتب: كتاب الطبخ للحارث بن بسخر، وكتاب الطبخ لإبراهيم بن المهدي، وآخر لابن ماسويه، وكتاب الطبخ لإبراهيم بن العباس الصولي، وكتاب أطعمة المرضى للرازي، وألفية الطعام لعامر الأبنوطي، وكتاب الطعام والإدام لمحمد بن عبدالله الحراني، ورسالة في أنواع الأطعمة وكيفية طبخها لتاج الدين النقشبندي، وكتاب ضوء الصباح في المآكل الملاح وهي منظومة لعبدالله بن موسى الدهمراوي، وليوحنا بن ماسويه كتاب خواص الأغذية والبقول والفواكه والألبان وأوضاع الحيوان والأبازير والأفاويه. أما كتاب «فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان» فهو صورة من فن الطبخ في الأندلس

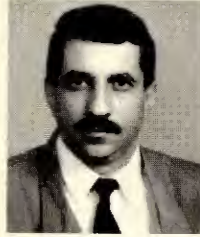
والمغرب في بداية عصر بني مرين، ومؤلفه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم محمد بن أبي بكر بن رزين التجيبي الأندلسي، الفقيه الأديب الكاتب، وحقق الكتاب وقدم له محمد بن شقرون، وأشرف على إعداده الدكتور إحسان عباس. يقول المؤلف في مقدمة كتابه: «إن مما يهتز إليه الكريم الاهتمام بالأغذية التي هي قوام صحة الأبدان، وأول الأسباب في اعتدال مزاج الإنسان، والتأنق في طبخها على ماتقتضيه الصنعة المحرمة من الإحكام والإتقان، لاسيما من كرم شيمة، ووقى شح نفسه فتحلى بالسخاء نفساً كريماً، ممن يعشى لضوء ناره، ولا يخفر بذمة جاره، ويوسع في بيته سعة صدره، ورضي النصف في قدره، كما لا يرضى إلا الدفع في قدره، والمقدمة التي لها الفضل «نعم الإدام الخل» والبركة التي عتيت على المزيد، والبركة في الثريد، ولو أطلت في هذا الباب لذكرت المأمون خبزاً الشعيرة، وبوران المنسوبة إلى اسمها اختراعاً أثيراً، ولأيت بطرف من فرائد الفوائد، وملح من جميع المفهوم وزرد الزرائد، لكن الاختصار أردت، والاقتصار

على المستحسن من أنواع الطبخ قصدت. وقد ألفت كتابي هذا من أنواع الطبخ في هذا الشأن، واستوفيت فيه ما استحسنت أو اخترعت من كثير الألوان، أتيت فيه من الأندلسيات بكثير، واقتصرت من المشرقيات على المنتخب اليسير، وأضفت إليها من المعلوم المشهور كل ما يدخل في أصناف الطبخ أو يتعلق به على الخصوص والعموم: كالكوافح والخلول، وغير ذلك مما أودعته في كثير من الفصول. وقد اهتم المؤلف بذكر الأطعمة المغربية، فذكر منها عدداً في كتابه هذا، فاستحسن منها ما استحب، واستقبح منها ما لم يعجبه، ووازن بينها وبين أطعمة بلاده فقيّمها وعلق عليها بعبارات وجيزة، ومن هذه الأطعمة: كسكسو، والعصيدة، والقلية، والمرقاس، والخبيزات، والأحرش والبرانية، والسنبوسك، والإسفنج، والبديعة، والكنافة، والقطائف، وغيرها من ألوان الأطعمة. وهذا نموذج لأسلوب عرض المؤلف لأحد هذه الأنواع: عمل القطايف العباسية: يحرك السמיד بالماء الساخن والملح والخمير، ويدرس سكر ولباب لوز (تقدم شرحه للتحريك والدرس في موضوع سابق من

كتاب) ويطيب بالأفاويه المعلومة ويسير ماء ورد، فإذا طبخت القطائف طبخها المعلوم يحل النشا بالماء، ثم تحول كل قرصة منها ويوضع الحشو المدروس طبخها ويضم عليه أطرافها، بحيث تكون أثقابها من خارج، ثم تغمس الأطراف في النشا المحلول، وتقلي في مقلاة بالزيت العذب حتى يعقد من حينها، ثم تخرج برفق وتسوى في صحفة، ويذر عليها سكر وقرفة وسنبل ويسير من دهن اللوز، وإن تهيأ قليها في دهن اللوز فهو أحسن، وتستعمل. وقد يدرس اللوز ويجفف كالسميد، ثم يدرس مع مثله من السكر الأبيض ويضاف إليه قرنفل وسنبل، فإذا طبخت القطايف في الطاجن يذر عليها الحشو المدروس، وتطوى كل قرصة على ما في طبخها كأنها نصف دائرة، ثم تلصق أطرافها بعجين محلول بماء ورد، وتقلي في زيت طيب حتى تحمر، ثم يجفف عنها ذلك الزيت الذي قليت فيه، وتوضع في ماء يغمرها من شراب ورد أو شراب جلاب أو شراب مصطكي، وتستعمل. وقد توضع الأقراص واحدة على أخرى والحشو بينها، وتضم أطرافها بالعجين، وتقلي في المقلاة حتى يحمر وتستعمل إن شاء الله تعالى.

الاغتراب والالتزام في الصحافة النسائية

خليل محمود الصمادي



تعدّ الصحافة المقروءة من أهم وسائل الاتصال وأكثرها تأثيراً، وهي بحق صلة الوصل بين أبناء الأمة الواحدة، وبينهم وبين الأمم والشعوب الأخرى، وقد تنوعت الصحف، وبخاصة بعد انتشار الصحافة المتخصصة، كتلك التي تتوجه إلى

الأطفال أو الشباب أو النساء، وقد تكون هذه الصحف اجتماعية أو فكرية أو سياسية أو دينية، وغيرها من الأنواع العديدة. ويرجع تاريخ الصحافة في البلدان العربية إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أي إلى حملة نابليون على مصر.

الماضي، وجريدة «لسان الحال».

أشهر الصحف ومجلات النسائية

وبعد مجلة «الفتاة» توالى الصحف النسائية في الصدور حتى بلغت العشرات، ومن أشهرها: - مجلة «أنيس الجليس» التي ظهرت في الإسكندرية عام ١٨٩٨م عن أفريينو قسطنطين الخوري اللبنانية الأصل.

- مجلة «العائلة» نصف الشهرية، صدرت عام ١٨٩٩م عن السيدة أستير أزهرى الفلسطينية الأصل. - مجلة «شجرة الدر» التي ظهرت في الإسكندرية عام ١٩٠١م عن السيدة سعدية سعد الدين.

- مجلة «المرأة» التي صدرت في القاهرة عام ١٩٠١م عن السيدة أنيسة عطا الله. - مجلة «السعادة» صدرت في القاهرة عام

أما الصحافة النسائية العربية فيرجع تاريخها إلى أواخر القرن التاسع عشر إبان الاحتلال البريطاني لمصر، وبالتحديد إلى عام ١٨٩٣م، ففي هذا العام ولدت أول صحيفة عربية نسائية، إذ قامت سيدة لبنانية قدمت للقاهرة من طرابلس تدعى هند نسيم نوفل بإصدار مجلة شهرية حملت اسم «الفتاة» وكانت تُعنى بشؤون المرأة وبالشؤون العلمية والأدبية والتاريخية وغير ذلك.

وهند نوفل تربت وتعلمت في بيت علم، فأمرها مريم جبرائيل نحاس كان لها اشتغال بالأدب والتراجم، وكذلك زوجها حبيب ربانة كان له اهتمام بالثقافة والأدب أيضاً.

وإذا كانت هند نوفل عربية تصدر صحيفة نسائية، فإن مريانا مرآش (ت ١٩١٩م) أول سيدة عربية نشرت مقالات في صحف عديدة «كالجنان» التي صدرت في منتصف القرن

١٩٠٢م عن السيدة روجينا عواد.

- مجلة «السيدات والبنات» صدرت في القاهرة عام ١٩٠٣م عن السيدة روز أنطون اللبنانية الأصل، ولما تزوجت روز من نقولا الحداد جعل اسم المجلة «السيدات والرجال».

- مجلة «فتاة الشرق» صدرت في القاهرة عام ١٩٠٦م عن السيدة لبيبة ناصيف هاشم اللبنانية الأصل، التي تلمذت على يد إبراهيم اليازجي، وهذه المجلة نالت شهرة واسعة إذ استمرت في الصدور ثلاثة عشر عاماً، وقد تقلدت صاحبيتها مناصب رفيعة في بعض البلدان العربية، فقد زارت سورية عام ١٩١٩م فتولت تفتيش مدارس الإناث فيها.

- مجلة «الريحانة» صدرت في القاهرة عام ١٩٠٧م عن جميلة حافظ، وغلب عليها الطابع القصصي مع بعض جوانب الأدب.

- مجلة «الجنس اللطيف» أصدرتها ملك سعد بمصر عام ١٩٠٨م.

- مجلة «الأمل» أصدرتها هدى شعراوي بالقاهرة.

- مجلة «روز اليوسف» أصدرتها فاطمة اليوسف توفيت بالقاهرة سنة ١٩٥٨م، ودفت في مقبرة قاسم أمين الذي كان زوجها الأخير، وما زالت هذه الصحيفة تصدر إلى يومنا هذا، بعد أن تحولت إلى مجلة عامة تُعنى أكثر بالشؤون السياسية.

هذه أكثر المجلات النسائية التي صدرت في مصر أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، وفي الفترة نفسها صدرت في لبنان عدة صحف نسائية تمثل اتجاه صحف مصر ومجلاتها وكان أشهرها:

- مجلة «فتاة لبنان» أصدرتها سليمة أبو راشد لمدة ثمانية أشهر إذ توقفت عند بداية الحرب العالمية الأولى.

- مجلة «الفجر» أصدرتها الأميرة نجلاء أبو اللمع، وقامت الصحيفة بنشر المقالات لبعض الأدباء أمثال جبران خليل جبران، بشارة الخوري وغيرهما.

- مجلة «صوت المرأة» أصدرتها في بيروت سلمى جبران صائغ.

- مجلة «الحذر» أصدرتها عفيفة صعب في الشويفات بلبنان.

- مجلة «الحسناء» أصدرها جرجي نقولا باز، وكانت تُعنى بشؤون المرأة.

- مجلة «المرأة الجديدة» التي صدرت في بيروت أوائل القرن الحالي.

أما في سوريا فقد صدرت عدة صحف نسائية، أهمها:
- مجلة «العروس» أصدرتها ماري عجمي عام ١٩١٠م، واستمرت إلى عام ١٩١٤م.

- المرأة: مجلة شعرية نسائية صدرت في مدينة حما عام ١٩٣٠م لصاحبتها ندى المنقاري، ومديرها المسؤول زوجها عطاء الله الصابوني، وقد كرسَتْ نفسها لشؤون المرأة.

وهي أول مجلة نسائية في مدينة حما استمرت لمدة عامين ثم احتجبت وظهرت مجدداً في دمشق عام ١٩٤٧م لصاحبة امتيازها ندى المنقاري التي كانت من العاملات المعروفات في حقل الإدارة والتعليم. ولم تعمر المجلة طويلاً.

وفي عدن صدرت صحيفة نسائية في الستينيات من هذا القرن، أصدرتها ماهية نجيب باسم «فتاة شمس».

الصحافة النسائية في المهجر

أما في المهجر فقد صدرت عدة صحف نسائية عربية من قبل بعض اللبانيات هناك، وأشهر تلك المجلات:

- مجلة «العالم الجديد النسائية» أصدرتها عفيفة يوسف ميخائيل كرم عام ١٩١٢م بأمريكا.

- مجلة «الشرق والغرب» أصدرتها لبيبة ناصيف هاشم عام ١٩٢٣م في مدينة سانتياغو بتشيلي، بعد أن أصدرت في مصر «فتاة الشرق» عام ١٩٠٦م. وكانت تعتنى بالأقلام النسائية «كالهدى» و«الأخلاق» اللتين صدرتا في نيويورك.

الاغتراب في الصحف النسائية

يبدو أن هذا الاتجاه من الصحف النسائية وإن جاز لنا أن نطلق عليه اتجاه الاغتراب كان له السبق في ميدان الصحافة النسائية العربية، فقد وجد من يشجعه ويدعو له لبعض الأهداف الواضحة آنذاك، وأهمها دعوة المرأة العربية إلى الاغتراب عن طريق تقليد المرأة الغربية، والدعوة إلى السفر والاختلاط.

فمن البدهي أن بعض القوائم على تلك الصحف كن ممن لا يهتمن إلى ثقافة المجتمع العربي ومعتقداته. وأحياناً ينشرن أفكارهن ومبادئهن في وسط العالم العربي.

وقد بدأت هذه الدعوة مع أول صحيفة نسائية عربية «الفتاة»، إذ أشادت منذ عدها الأول بملكة إنجلترا ودورها في رعاية المجتمع البريطاني، كما طالبت بالحقوق السياسية للنساء العربيات متوهة بما حصلت عليه المرأة الإنجليزية، مع دعوتها إلى السفر

والاختلاط. وقد لاقت مجلة «الفتاة» دعاية ورعاية من قبل المحتل الإنجليزي الذي أخذ يعرف مزايا المجلة من خلال الصحف البريطانية المرتبطة به مرات عديدة.

ولم تكن صحيفة «الفتاة» وحدها صاحبة هذه الدعوة، بل حاكتها أغلب الصحف المذكورة سابقاً، وجعلت لها رسالة واضحة تتمثل في تحرير المرأة وتعليمها وتشجيعها على الاختلاط والسفور، فقد طرحت مجلة «العالم الجديد» النسائية أهدافها المتمثلة في الدفاع عن المرأة السورية المهاجرة في الوطن، والاقتداء بالمرأة الغربية، ففي مقال لها عن المرأة الأمريكية كتبت: «لأنني مع معرفتي أشياء كثيرة عن نساء العالم قاطبة، ومع اختياري الحقيقي للمرأة الأمريكية الحقيقية، أعتقد من كل قلبي بأنها المرأة التي تستحق أن تدعى فخر بنات جنسها».

كما طالبت مجلة «فتاة شمس» في عدن منذ عدها الأول بتحرير المرأة ورفع الحجاب عنها، وهي الدعوة نفسها التي طرحت على صفحات مجلة «الحر» اللبنانية منذ عدها الأول أيضاً.

الاهتمام بالقضايا الاجتماعية

إلا أنه ومن الحق القول إن صحف تلك الفترة تناولت بعض القضايا الاجتماعية المهمة كوضع المرأة التعليمي والتربوي، وبعض المشكلات التي تعترضهن، وسبل حلها، كما دعتن إلى التعلم والتهديب. ولكن تلك الصحف لم تعمر طويلاً، فقد توقفت أكثرها بعد أشهر أو أعوام قليلة من الصدور، والسبب في ذلك يرجع إلى عدة أمور، منها أن تلك الصحف كانت سابقة لأوانها، فقد صدر الكم الهائل من الصحف النسائية في وقت لم تكن فيه المرأة العربية على مستوى القراءة والكتابة، فأغلب النساء العربيات وقتها كن أميات، ولم تكن نسبة المتعلّمات منهن بالعدد الذي يسمح بصدور مجلة واحدة فقط!

وقد عبرت سيدة عربية اسمها فكتوريا طنوس عن استغرابها من كثرة المجلات النسائية العربية، إذ قالت في مجلة «الأخلاق» عام ١٩٢٤م: «للمرأة الغربية الأسبقية على أختها الشرقية في كل شيء، ما عدا الصحافة، فلو أحصينا عدد المجلات الأمريكية أو الأوروبية التي تتولى تحريرها النساء لرجحت كفة المجلات العربية».

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الداعي إلى وجود الكم الهائل من تلك الصحف في الوقت الذي أصدرت فيه نساء أمريكا وأوروبا من الصحف

والمجلات أقل مما صدر في وطننا العربي أو المهجر، وفي غياب المرأة العربية المتعلمة بشكل عام؟!.

ومن الأسباب التي حجبت تلك الصحف دعوتها إلى أمور تخالف وضع المرأة العربية المسلمة، والدور الذي فطرت عليه وارتضته بوصفها أمًا وزوجة وأختاً، لها رسالة في هذه الحياة ضمن المنهج الرباني الشامل.

وكان لوجود تيار يدعو إلى مناهضة تلك الصحف، وتبصير الناس مخاطرها وأهدافها السبب في احتجاجها، وهذا التيار قام بدوره كاملاً وتمثل في إصدار بعض الصحف النسائية الجادة، الذي ندعوه الصحف النسائية المتزمنة.

تيار السطحية

وقبل التطرق إلى صحف الالتزام، حري بنا أن نبين نوعاً من الصحف النسائية ظهر منذ أوائل الخمسينيات إلى يومنا هذا يمثل تيار السطحية، وتمثل في إصدار العشرات من الصحف النسائية الهابطة التي ترمي إلى جعل اللباس والزينة هم الأول، للمرأة العربية، وتقليد المرأة الغربية في شكلها فقط، مع الاهتمام بأخبار شخصية لأهل الفن، ومن يطلق عليهم «نجوم المجتمع»، لانتهم أحداً، ولا تقدم فكراً.

ومن المؤسف له أن مجلات هذا الاتجاه تزداد كل يوم وتنتشر في البلدان العربية، وتحمل أكثرها عناوين براقة جذابة، وصوراً مغرية مع الاهتمام بالشكل الفني وبالإخراج الجميل.

ومع الموازنة بين هذا النوع من الصحف (الهبوط) مع النوع السابق (الاغتراب) يجد القارئ أو الباحث أن اتجاه الاغتراب له رسالة، لكونها دعت - إلى حد كبير - إلى تقليد المرأة الغربية في تعليمها وثقافتها، أما اتجاه السطحية فإنه يدعو إلى تقليد المرأة الغربية في شكلها ولباسها وزينتها وغير ذلك مما لا فائدة منه.

صحف الالتزام

إن ما يدعو إلى التفاؤل والأمل وجود بعض الصحف المتزمنة التي قام بإصدارها من المهتم وجود هذا المقدار الغث من الصحف النسائية، وتبلورت دعوتهم في إصدارات مهمة دعت إلى إنقاذ المرأة من جهلها، وتبصيرها بطرق الخير القويم، وبيان دورها الرائد في المجتمع، وإسهامها من خلاله بتنشئة الأجيال، والأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان.

ويبدو أن أول من فكر في إنشاء مجلة نسائية هادفة هو الأستاذ إبراهيم رمزي الذي أصدر عام ١٩٠١م مجلة «المرأة في الإسلام»، وكان الهدف من



إصدارها الردّ على أصحاب دعوة تغريب المرأة المسلمة وإلى سفورها واختلاطها، إذ كانوا يظنون أن المانع من تعليم المرأة وتثقيفها هو حجابها المادي والمعنوي، وقد طالبت مجلة «المرأة في الإسلام» برعاية المرأة وتثقيفها وتعليمها. وبيّان الأحكام الشرعية والفقهية المتعلقة بشأنها، غير أن المجلة المذكورة لم يكتب لها الاستمرار، فلم يصدر منها سوى أربعة أعداد.

ولكن البذرة التي زرعها «المرأة في الإسلام» آتت أكلها في الصحف الكبيرة آنذاك، كالنار، والمؤيد، والوقائع المصرية، وروضة المدارس وغيرها، إذ وجدت بعض الأقلام التي تدافع عن المرأة ضمن المنهج العادل.

وفي عام ١٩٣٠م صدرت صحيفة شهرية باسم «أمهات المستقبل» عن جمعية الشابات المسلمات في القاهرة، ودعت ضمن صفحاتها إلى مادعت إليه «المرأة في الإسلام»، وبرز اسماً تفيدة علام وعبدالرحمن العيسوي بوصفهما مسؤولين عن الصحيفة.

وفي تلك الفترة صدرت مجلة جديدة باسم «النهضة النسائية» للسيدة لبيبة ابنة الدكتور أحمد عبدالنبي التي انتهجت منهجاً جاداً لتبصير المرأة العربية وتثقيفها، وقد أثنى الأستاذ أحمد الجندي في كتابه «تاريخ الصحافة الإسلامية» على المجلة المذكورة، وعلى صاحبته التي انقطعت للعبادة في سنها الأخيرة قبل وفاتها عام ١٩٥١م.

وأهم صحيفة صدرت في تلك المرحلة هي «السيدات المسلمات» التي تعدّ انعطافاً مهماً في تاريخ الصحافة النسائية الجادة؛ لأنها سارت على منهج واضح رسمت من خلاله أهدافها الواضحة في الوصول إلى الحق، لاستقرار رسالة المرأة على قواعد سليمة وأسس حكيمة، ولخدمة الدين والوطن، في ظل الأمومة الصحيحة، والأبوة الكاملة، والبنوة الصالحة، كما جاء في افتتاحية العدد الأول.

وصدرت هذه المجلة عام ١٩٥١م في القاهرة ورئيسة تحريرها السيدة زينب الغزالي رئيسة جمعية السيدات المسلمات.

وعانت المجلة كثيراً من المشكلات، كان أهمها

التوقف وعدم الانتظام في الصدور، والمصادرة أحياناً. فبعد أن كانت أسبوعية أصبحت شهرية، ثم اشتد التضيق عليها حتى صودرت عام ١٩٥٧م ولم تصدر من حينها.

ومنذ ذلك الحين احتجبت الصحف النسائية الجادة عن الصدور في معظم البلدان العربية، ولجأت بعض الأقلام النسائية إلى الصحف والمجلات الشهيرة التي فتحت لها صفحاتها لتعبر عن رسالتها السامية.

إلا أنه في أواخر العقد الماضي من هذا القرن. ومع امتداد الصحوة الإسلامية انطلقت عشرات الصحف النسائية لتأخذ دورها في المجتمع مع الصحف الجادة الأخرى، ولم تكن انطلاقتها على مستوى الوطن العربي فحسب، بل نجدها انطلقت من أنحاء العالم كله، ومن أشهر هذه الصحف:

- مجلة «المؤمنات» صدرت عام ١٩٨٧م في بيشاور بباكستان عن بعض الأخوات العربيات اللواتي قدمن مع أزواجهن إلى هناك، لكنهن لم تستمر طويلاً.

- مجلة «عفاف» صدرت في بيروت عام ١٤٠٨هـ، وما زالت تصدر إلى الآن وهي من أكثر المجلات النسائية نُضجاً وانتشاراً.

- مجلة (أسماء) صدرت عام ١٩٨٩م عن الاتحاد الثقافي في فرنسا، وهي فصلية ومتقدمة من حيث الفكر والإخراج.

- مجلة «ذات النطاقين» شهرية ثم كل شهرين، صدرت عام ١٤١٠هـ عن مكتب خدمات المجاهدين في بيشاور اللجنة النسائية، قدّم لها الدكتور عبدالله عزام - رحمه الله - في العدد الأول، لكنه لم يرها، وقامت بالمهمة نفسها زوجته أم محمد متحملة مشاق المهنة الصحفية، وما زالت تصدر حتى الآن.

- مجلة «الأسرة المسلمة» شهرية صدرت عام ١٩٨٩م في بريطانيا عن مركز التعليم الإسلامي هناك.

- مجلة «روضة المغتربة» صدرت عام ١٩٩٠م عن اللجنة النسائية لجمعية الطلبة المسلمين في ليفربول ببريطانيا.

- مجلة «هاجر» صدرت عام ١٩٩١م عن دار المختار الإسلامي بالقاهرة، وكانت في بدايتها ملحقاً لمجلة المختار الإسلامي.

- مجلة «الزهراء» صدرت في القاهرة عام ١٩٩١م عن طالبات جامعة الأزهر الشريف.

- مجلة «اليقظة» صدرت في إسلام آباد

بباكستان عام ١٩٩١م، نشرة نصف شهرية عن اللجنة النسائية القائمة على الأنشطة الخيرية والثقافية بين نساء الجالية العربية هناك، ثم تطورت عام ١٩٩٢م إلى مجلة تضم العديد من الأبواب والموضوعات التي تعمل على تلبية حاجة المرأة المسلمة إلى المعرفة الأكثر عمقاً بدينها وحضارتها، وإلى إدراك دورها ورسالتها في الحياة اليومية، ورأست تحريرها زينب مصطفى خريجة جامعة الإسكندرية.

- مجلة «الأسرة» صدرت عام ١٤١٣هـ عن مؤسسة الوقف الإسلامي في هولندا، وتعد هذه المجلة من أرقى المجلات النسائية شكلاً ومضموناً، بالإضافة إلى اهتمامها بالمرأة اهتمت بالطفل، إذ خصصت له عدة صفحات تناسب مستواه.

- مجلة «منير الطالبة»، نشرة دورية أصدرتها لجنة الطالبات في الاتحاد الوطني لطلبة الكويت، فرع الجامعة، وكانت لسان حال الطالبات الملتزمات، وقد كتبت على صفحاتها بعض الأقلام النسائية.

- جريدة «المسلمات» الأسبوعية، وقد ظهرت أخيراً ملحقاً من أربع صفحات ضمن جريدة «المسلمون» عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر. ومجلة «مؤمنة» ضمن مجلة «النور» الكويتية، وغيرها من الصفحات النسائية ضمن الصحف والمجلات العديدة.

مشكلات الصحافة النسائية الهادفة

تعاني هذه الصحف من المشكلات والمتاعب العديدة، ومن أهمها:

- ندرة الأقلام النسائية العاملة في المجال الصحفي، وقلة الخبرات إن وجدت.

- وجود بعض المحاذير الشرعية في عمل المرأة الصحفي، الذي يتطلب في أغلب الأحيان الاختلاط والسفر والمقابلات.

- سوء توزيع هذه الصحف وقلة انتشارها ووضع القيود عليها.

- ضعف الإمكانيات الفنية في إخراج هذه الصحف، وعدم انتظام صدور أكثرها.

- عدم تشجيع بعض المؤسسات الإعلامية لهذه الصحف بالقدر الكافي.

- اضمحلال التمويل والمساعدة لهذه الصحف من قبل المؤسسات الإعلامية أو أهل البر والخير.

وليست هذه مشكلات الصحافة النسائية الهادفة، بل هي مشكلات أي صحيفة جادة بشكل عام.

مراثي الرجل المغدور

في التقراث الشعبي الأردني

يحدث في كثير من الأحيان، عند إطلاق العيارات النارية في الأفراح والمناسبات الاجتماعية المختلفة التي يحتفل الناس بها في المجتمع الشعبي الأردني، أن تصيب طلقة طائشة، بطريق الخطأ، رجلاً أو صبياً من الحضور وتودي بحياته، وفي مثل هذه الحال، يتدبر الناس الأمر فيما بينهم، ويعدّون ما حدث قضاء وقدرًا، وقد يسامحون في حقوقهم الشخصية، ويتكفلون بإخراج الجاني من السجن.

غير أن الأمر يختلف كثيراً في حال القتل العمد، إذ يصبح كل رجل من أفراد قبيلة الجاني مُهدّراً دمه، ومطلوباً الثأر منه، وبالمقابل يشعر كل فرد من أفراد قبيلة المغدور، بأن الإهانة لحقت به، وعليه أن لا يتردد في أخذ الثأر لمحو العار عن قبيلته، وبذلك تكون المشكلة كبيرة، ويصبح من العسير الوصول إلى حل كما في حال القتل غير العمد.

أماكن مختلفة، في أحياء قبيلة الجاني، وعلى أسطح منازلهم، خوفاً من حصول مضاعفات لا تحمد عقباه.

وفي المقابل تسارع عشيرة الجاني إلى الاتصال برجال البلدة وشيوخها ووجهائها طالبة منهم التدخل الفوري بالذهاب إلى عشيرة المغدور، لأخذ عطوة «فورة الدم» (١) لمدة ثلاثة أيام وثلث اليوم، وترسل الحكومة مندوباً عنها، يرافقه عدد من رجال الشرطة، مع هذه الجاهة لإجبار أهل المغدور على إعطاء عطوة عشائرية

يصل خبر ارتكاب الجاني لجريمته، وينتشر في البلدة بسرعة مذهلة، وتدب الفوضى في نفوس أبناء العشيرتين المعنيتين بالجريمة، وسرعان ما يلتف كل رجل على قبيلته، ويتم التجمع في مكان ما، وفي لحظة وصول الخبر إلى أهل المغدور، يعمد الرجال منهم إلى إطلاق العيارات النارية في الهواء، أو في اتجاه تجمعات أفراد عشيرة الجاني، إشعاراً منهم بنية الثأر لمغدورهم، وفي تلك اللحظات، يتدخل رجال الشرطة والبادية، وينتشرون في

صالح خريسات

يتوسط فيها طرف ثالث، حتى يتمكن أهل الجاني من تدبير أمورهم أو الالتجاء إلى عشيرة أخرى تتكفل بحمايتهم.

وفي بعض القرى والبادية، تصر عشيرة المغدور على جلاء عشيرة الجاني من ديارهم وحتى الجد الرابع أو الخامس، ولا يعودون إلا بعد منحهم عطوة إقبال بكفالة طرف محايد يسمى «كفيل دفا» (٢)، غير أن التقليد السائد الآن هو أن تعلن عشيرة الجاني التجاءها إلى عشيرة كبيرة لحمايتها، وتقوم هذه العشيرة بالسهر والتناوب ليل نهار في أحياء وتجمعات أفراد عشيرة الجاني، حتى لا يتمكن أحد من أفراد عشيرة المغدور من الوصول إلى أي منهم وإلحاق الأذى به، ويلحق العار بهذه العشيرة المجيرة إذا لم تتمكن من حماية دخیلتها (عشيرة الجاني)، ولذلك يبذل رجال هذه العشيرة وشبابها جهوداً مضنية لحماية العشيرة الدخيلة، وتراهم يحملون العصي والشباري، ويمنعون بالقوة أي فرد من أفراد عشيرة الجاني من الخروج من منزله، ويمنعون أيضاً دخول أي رجل يشتبه في أنه يعمل لصالح عشيرة المغدور، ويستمررون على هذه الحال مدة ثلاثة أيام وثلاث اليوم، وبعدها يتنفسون الصعداء ويحمدون الله أن (عدت) الأمور على خير.

وفي بيت أهل المغدور، يكون الرجال ملثمين بالشماع، وتجد كلاً منهم يحرص على حمل سلاحه تحسباً لأي طارئ، ولا يكون حديثهم إلا بما يدل

على أخذ الثأر أو يشجع عليه، يقول الرجل للرجل: «بسيطة! أبروحش حق وراه مطالب!» (٣). أو يقول: «عندهم شباب وعندنا شباب، والأيام جايه».

وبعض الشباب يتصرفون تصرفات طائشة، إذ يخرجون بسرعة في نية الذهاب إلى أحياء عشيرة الجاني لأخذ الثأر منهم، فيمسك بهم رجال الشرطة المتمركزون أمام البيت، فيحتجزونهم أو يعيدونهم إلى منازلهم بعد تحذيرهم أو أخذ التعهد عليهم بعدم تكرار مثل هذه المحاولات الطائشة مرة ثانية.

وفي اليوم التالي، يتم تشييع جثمان الرجل المغدور، وتكون جنازته مختلفة عن غيرها في الموت الطبيعي، إذ يتقدم الجنازة عدد من رجال الشرطة للحفاظ على الأمن، ويكون عدد المرافقين لهذه الجنازة أكثر من غيرها، وتجد الرجال فيها مشدودي الأعصاب، خوفاً من حدوث مالا تحمد عقباه.

وبعد أن تتم عملية دفن الميت في قبره، يعمد الرجال من أولاد المغدور أو إخوته، إلى إطلاق العيارات النارية في الفضاء، تعهداً منهم بأخذ الثأر من قاتله، ولسان حال الناس في تلك المواقف يقول: «عليك النوم وعلينا اللوم» بمعنى: عليك أيها المغدور أن تنام هادئ البال مطمئن في قبرك، ولكن اللوم يظل علينا حتى نثار لك من قاتلك.

ثم يصطف الرجال من ذوي المغدور، ليتقبلوا التعازي ممن شاركهم في تشييع هذا الجثمان، وبعد ذلك ينصرف

الرجال إلى طعام الغداء الذي صنع لهم بهذه المناسبة.

أما عند النساء، فيكون الصياح والعيول على أشده، وتعتمد زوجة المغدور وأمه وأخوته وكل أقاربه من النساء إلى شق الأثواب، ولطم الخدود، وإهالة التراب أو السكن (الرماد) على رؤوسهن، ويكون لنوائح النساء في مثل هذا الموقف دلائل عظيمة. مع العلم أن هذا من المخالفات الشرعية الواضحة التي نهينا عن الوقوع فيها.

ثم تعتمد أم المغدور إلى سب القاتل، وذم الذين حضروا جريمة القتل؛ لأنهم لم يمنعوا هذا الجاني من ارتكاب جريمته. تقول هذه المرأة:

ضرايه انشلت يمينه

يسودّ وجه الحاضرينه

ع غير ذنب لا جرى.. (٤)

وتقول أيضاً:

ياريت كنتاله كتيل

دمه على سيف يسيل

دمه على المصطبة يجري.. (٥)

ياريت كنتاله انصيده

نركض عليه أونقطع إيده

ع هوشة برض الخلا.. (٦)

ويلاحظ عند النساء في مثل هذه المواقف، أنهن يؤكدن بأن الجريمة حصلت بلا ذنب يستحق القتل، وبذلك يطلبن القصاص من القاتل مهما كلف الثمن. تقول المرأة:

امكتلين أو نايمين

بالدم لحر غارقين

مراسي الرجل المغدور

في التراث

الشعبي

الأردني

(٥) كَتَّالَه: الأصل في الكلمة كَتَّالَه، ولكن العامة من الناس يلفظون حرف القاف كافاً.

(٦) انصبيده: نصطاده. اونقطع: ونقطع. ع هوشة: على هوشة، والهوشة: قتال بالأيدي والعصي.

(٧) أمكتلين: مقتولون، أو ناهمين: نائمون (أموات) ع خلاف: من غير.

(٨) نجمة أسهيل: النجم في السماء. ع ضوها: على ضوئها. ابليل: في الليل. ابظلما: في الظلام.

تشبه المرأة بارودة زوجها، الرجل المغدور، بأنها ثمينة ونظيفة، وهي تلمع كنجم سهيل في السماء، حتى إن أهله بإمكانهم أن يسيروا في الليل وفي الظلام الدامس في ضوء لمعان هذه البارودة.

(٩) شبريتك: الشبرية السلاح الشعبي المعروف. أبو الهشاييل: مصطلح شعبي يقصد به الرجل الكريم المضياف. لليل: الموت.

(١٠) أبمشيته: بمشيته. ثقل: معتدل ومتزن.

وتصف المرأة هنا الرجل المغدور بأنه كان يتقلد سيفه الطويل، ويمشي بهدوء بالغ بما يدل على تواضعه، وكيف لا وهو العاقل الشهم الذي يعرفه الناس بأنه من أهل هذه المرأة ومن ذويها، فأهلها يتصفقون بمثل هذه الصفات الحميدة.

(١١) التساوين: نساء البليدة. الرجاجيل: الرجال.

تندب المرأة حظها وحظ من معها من النساء، وتتحدث عن الذل والهوان الذي لحق بهن بعد وفاة هذا الرجل، الذي كان مصدر عز وكرامة ليس للنساء فحسب، وإنما للرجال أيضاً.

(١٢) عيروني: من التعتير. كيف أقول: ماذا أقول وبماذا أجب. أهيل: تصغير أهل. ردوا: أرجعوا وأعيدوا. عليه: عليّ.

تسأل المرأة الرجال من ذويها، إذا عيرني الناس بهذا الرجل الذي قتل ظلماً ماذا أقول لهم؟! هل أقول لهم لقد مات الرجال كل الرجال؟! هل تطلبون مني أن استعين بالأموات وأقول لهم اخرجوا من قبوركم لتعيدوا لي كرامتي وشهامتي؟!.

(١٣) عباءة: كاكيد: من الكيد. قلوب: قلوب. العدا: الأعداء، وتعود المرأة هنا لتصف الرجل الذي مات وتقدمه بما يليق به، فقد كان أنيقاً يضع عباءة حمراء، لونها كلون دم الغزال، وكان شجاعاً مقداماً يكيد الرجال ويرعب الأعداء، ويقذف في قلوبهم الرعب.

(١٤) اعضودي: ضعيفة. اودياتي: بدائي.

تقول المرأة بأنها تخاف من بعد وفاة زوجها أن يضربها الرجال، أو يتعرضوا لها بشيء من الأذى، فماذا عليها أن تفعل؟! إنها ضعيفة وبداها قصيرتي لا تقوى بهما على حمل العصا لتدافع عن نفسها.

(١٥) حملوني: تركوا على عاتقي. اتقبل: ثقل. ابوجع: بسبب الوجع. أشيله: أحمله.

تصف المرأة الحمل الذي تركه زوجها على كاهلها بأنه أثقل من حمل الرصاص، وهو بلا شك يسبب لها الوجع ولا تستطيع أن تحمله، والمقصود هنا مسؤولية الأولاد ومن يدبر شؤونهم ويوفر لهم لقمة العيش.

(١٦) والي: والذي. ع القنطرة: على المكان المميز.

تختتم المرأة كلامها بتعزية نفسها فتقول: إن الرجل القوي صاحب الرجال والأموال له الحق في أن يكبر برجاله، لأنهم لاشك سيفتخرونه من الأعداء، وله الحق في أن يتصختر أمام الناس أو يسكن في رابية جميلة، حتى جماله لها الحق في أن تسلك طريقاً غير الطريق الذي يسلكه عامة الناس. أما قليل الرجال فمن الخير له أن يعتزل الحياة ويعيش في منأى عن الناس.

تقول المرأة:

يابو عباءة دم غزال

ياكايد قلوب الرجال

ياكايد اقلوب العدا.. (١٣)

وتذكّر زوجة المغدور الرجال بما

آلت إليه حالها بعد مقتل زوجها، فتقول

لهم بشيء من الذل والحسرة:

أنا خايف تضربني الرجال

اعضودي اودياتي قصار

واقصار ماتحمل عصايا.. (١٤)

أنا حملوني حمل رصاص

حمل ثقليل ويوجع الراس

حمل ثقليل ما أقدر أشيله (١٥)

ثم تبكي المرأة على الرجل قليل

الرجال، الذي لايجد من يأخذ بثأره من

قاتله، وهي تقصد بذلك تقوية عزيمته

الرجال. تقول المرأة:

واللي كثيرين ارجاله

ع القنطرة تمشي اجماله

قليل الرجال يروح برا.. (١٦)

وهكذا!

الهوامش

(١) فورة الدم: مصطلح شعبي يقصد به التماس العذر لذوي المغدور عند أخذهم بثأر مغدورهم أثناء وقع المصيبة عليهم، إذ يكون دمهم يغلي، وقد يتصرفون بطريقة غير صائبة، ومدة فورة الدم ثلاثة أيام وثلاث كما حددها العرف العشائري، وبعد هذه المدة لا عذر لذوي المغدور في إقدامهم على الأخذ بثأر مغدورهم، وإنما يجب أن يتم الأمر حسب العادات والتقاليد المتعارف عليها في المجتمع الشعبي الأردني.

(٢) كفيل دفا: يعمد هذا الطرف المخايد بكل مايرتب على عشيرة الجاني من حقوق وواجبات لذوي المغدور، كما أنه يتوسط في الصلح بينهم.

(٣) بسيطة: كلمة يقصد بها هنا التحدي والتوعيد بالانتقام. أبروحش: لفظة شعبية بمعنى لا يلهب.

(٤) ضرابه: الرجل الذي ضربه. انشلت: من الشلل وهو مايصيب الأطراف. والكلمة هنا يقصد بها الدعاء إلى الله بأن يصيب يد هذا الرجل، وهي اليد اليمنى التي ضرب بها المغدور؛ بالشلل. يسود: من السواد، والمقصود هنا أن يخزي الله الرجال الذين حضروا مقتل هذا الرجل المغدور لأنهم لم يتصروه ولم يمنموا القاتل من قتله. ع غير: من غير. لاجري: لم يجر ولم يحدث.

ع خلاف ذنب لاجري.. (٧)

وتعمد النساء أيضاً إلى ذكر الرجل

المغدور ووصف سلاحه، تشجيعاً لأولاده

من بعده، كي لا يهابوا حمل السلاح،

تقول المرأة:

بارودته يانجمة السهيل

ع ضوها نمشي ابليل

ع ضوها نمشي ابظلما.. (٨)

شبريتك يابو الهشاييل

واللي لبسها اليوم مايل

لايسها رايح للبالا.. (٩)

السيف ياساحل طويل

والعاقل ابمشيته ثقليل

والعاقل من حي أهلنا.. (١٠)

ثم تتحدث النساء عن الذل

والهوان الذي لحق بهن بعد أن فقدن هذا

الرجل. تقول المرأة:

ياذلنا بين النساءين

ياذلنا بين الرجاجيل

ياذلنا من بعد أهلنا.. (١١)

وتسأل المرأة الرجال بعد وفاة هذا

الرجل المغدور، إذا عيرها الناس ماذا تقول

لهم؟! ولمن تلجأ لرد كرامتها؟! هل تطلب

ذلك من الأموات وتقول لهم اخرجوا من

قبوركم؟! تقول المرأة:

إن عيروني كيف أقول

قوموا اطلعوا أهيل القبور

ردوا شهامتي عليه.. (١٢)

ثم تقول المرأة لهؤلاء الرجال: هل

نسيتم من هو صاحبكم؟! إنه الرجل

الشهم، كايد قلوب الرجال والأعداء،

حامى العشيرة.



استراتيجيات القراءة

د. علي بن صالح الخبتي

يشترط في تحقيق القراءة الفاعلة معرفة القارئ الهدف الذي يقرأ من أجله، ومن ثم استخدام الطريقة المناسبة والخطوة المناسبة لتحقيق ذلك الهدف.. وتعرف القراءة الفاعلة أنها قدرة القارئ على معرفة هدف القراءة واستخدام أساليب محددة للوصول إلى ذلك الهدف. وسوف ناقش بالتفصيل كيفية تحقيق ذلك.

أهداف القراءة

هناك أربعة أهداف للقراءة هي:

أولاً: القراءة بهدف الاستيعاب الشامل لكل الأفكار والمعلومات التي يتضمنها النص، والقدرة على استرجاع تلك المعلومات بسهولة.. مثال ذلك قراءة الكتب الدراسية والقراءات العلمية.

ثانياً: القراءة بهدف استعراض النص بشكل سريع لمعرفة الموضوع الذي يناقشه النص. وتسمى هذه الطريقة «SKIMMING»، وتستخدم عادة عندما نريد اقتناء الكتب، أو عندما نريد أن نقرر قراءة كتاب لتعرف مدى أهميته، وهل هو جدير بالقراءة. وتساعدنا هذه الطريقة على معرفة الأفكار الرئيسة التي يتحدث عنها الكتاب أو النص بشكل سريع..

ثالثاً: القراءة بهدف زيادة حصيلتنا المعلوماتية، أو إعطاء رأي معين فيما نقرأ، وهذا الهدف لا يتطلب استرجاعاً كاملاً لكل المعلومات التي يحويها الكتاب أو النص.

رابعاً: القراءة بهدف استخراج معلومة من النص أو تاريخ محدد، وهذا النوع من القراءة يتم بسرعة فائقة ويسمى «SCANNING».

ومعرفة القارئ الهدف الذي يقرأ من أجله أمر مهم يتوقف عليه استخدام الطريقة التي نقرأ بها؛

فلا نقرأ مثلاً كتاباً مدرسياً للهدف الذي نقرأ من أجله جريدة يومية، ولا نستخدم الطريقة التي نقرأ بها الكتاب المدرسي لقراءة الجريدة اليومية. ويقول كل من ميكرو ولينير (١٩٨٥م) إن هناك أربعة عوامل تؤثر في درجة الصعوبة في القراءة:

أولها: عدم وجود خلفية لدى القارئ عن موضوع النص، فإذا كان القارئ يألف النص، كانت قراءته سريعة واستيعابه أعمق..

وثانيها: مدى احتواء النص على مصطلحات علمية تخصصية غير مألوقة، وتزداد صعوبة النص إذا احتوى على قدر كبير من هذه المصطلحات.

وثالثها: تعقيد الأسلوب باستخدام عبارات طويلة وأسلوب رمزي غير مباشر.

ورابعها: مدى قدرة القارئ على تحديد هدف القراءة واستخدام الطريقة المناسبة لذلك الهدف؛ ولهذا النوع الرابع استراتيجية محددة لا بد من اتباعها للتغلب على الصعوبة التي يجدها القارئ.

ويقول كل من ميكرو ولينير إذا كنا نقرأ مثلاً كتاباً مدرسياً بهدف الاستيعاب الشامل فلا بد أن نقرأ ببطء أي في حدود (٢٥٠) كلمة في الدقيقة، وتسمى هذه «الطريقة الدراسية» وهدفها كما ذكرنا الاستيعاب الكامل. أما القراءة السريعة التي تسمى

الطريقة العمودية فتزعم إلى الحصول على المعلومات وإعطاء تعليق عليها والسرعة المطلوبة لهذا النوع من القراءة بين (٢٥٠) إلى (٨٠٠) كلمة في الدقيقة..

وهنا لا نقرأ كل كلمة؛ بل نقرأ كل فكرة بطريقة عمودية فلا تساهم كل كلمة في هذا النوع من النصوص في زيادة الاستيعاب؛ فلو كان لدينا في النص مثلاً ثلاثئة كلمة، فقد تقوم خمسون كلمة فقط بتقديم كل ما نريده من معلومات من هذا النص، على أن يتم التركيز على الكلمات الأساسية «KEY WORDS».. ويجب تدريب القراء على

معرفة الكلمات الأساسية في النص والتركيز عليها أثناء القراءة بهدف تدريبهم على القراءة العمودية، أو القراءة السريعة، وهذا النوع من القراءة من أهم أنواع القراءة وأفضلها، ومعرفته والتدريب عليه أمر بالغ الأهمية، ونستخدم هذا النوع من القراءة في

قراءة الصحف والمجلات والروايات، وبعض القراءات الحرة. ولا يستطيع أي قارئ أن يلتصق بالكتاب ويتعلق به ويكون قارئاً جيداً وفعالاً دون الإلمام بهذا النوع من القراءة، ويكون التدريب على هذا النوع من القراءة بإعطاء القراء نصاً معيناً،

ونطلب منهم وضع خط تحت الكلمات الأساسية لتدريبهم على معرفتها في النصوص، ونكرر ذلك لوقت مناسب حتى يتم تدريبهم على هذه المهارة. ولو جربنا أن نقرأ نصاً حذفنا منه كل الكلمات

ماعدنا الكلمات الأساسية لوجدنا أننا نحصل على كمية المعلومات نفسها فيما لو قرأنا النص بكل كلماته.. ولا أتصور طالباً أو قارئاً يتعلم القراءة بهدف الالتصاق بها دون أن يلم إلماماً كاملاً بهذا النوع من القراءة، ويجب أن نعرف أن التدريب على هذا النوع من القراءات غاية في السهولة إذا اتبعنا الأسلوب الصحيح في التدريب عليه.

أما المصطلح «SKIMMING» و «SCANNING» اللذان سبق الحديث عنهما، فإن السرعة في الأول تكون في حدود ألف كلمة في الدقيقة، ولتذكر أن هذا النوع من القراءة يرمي إلى مسح الكتاب أو النص لمعرفة الموضوع الذي يتحدث عنه، وهذا هو الهدف الوحيد له، أما النوع الثاني، فالسرعة تصل إلى آلاف عديدة من الكلمات في الدقيقة؛ لأن الهدف هو فقط استخراج تاريخ أو اسم معين أو معلومة محددة من النص، وهاتان الاستراتيجيتان أيضاً تحتاجان إلى تدريب، كأن نسال القارئ أن يستخرج تاريخ إنشاء مؤسسة معينة، أو تاريخ استقلال دولة، أو اسم بطل الرواية من النص في حالة الـ «SCANNING»، أو أن نعطيهم

نصوصاً ونطلب منهم في دقيقة واحدة أن يتعرفوا على الموضوع الأساس الذي يتحدث عنه ذلك النص في حالة الـ «SKIMMING» أي المسح الشامل.

هذه أهم استراتيجيات القراءة، وهي قد تبدو صعبة للوهلة الأولى، لكنها في الحقيقة وبعد التدريب عليها لفترة محددة تلبين قيادتها للقارئ والمتعلم. فهذه الاستراتيجيات عبارة عن خبرات وتجارب لا بد أن يعيشها القارئ لفترة محددة تختلف من قارئ إلى آخر، حتى يصل القارئ إلى مرحلة التلقائية، عندها يقوم القارئ باستخدام هذه الاستراتيجيات بشكل عفوي وغير مباشر مثلها تماماً مثل قيادة السيارة التي تؤذيها في البداية بانفعال وارتباك، ثم لانلبث أن تؤذيها بشكل عفوي لا يحتاج منا إلى تركيز كبير.

ولاشك أن هناك شحاً كبيراً في المصادر العربية لتعليم القراءة والكتابة، إلا أن القارئ - وبجهد معقولة - يستطيع عمل أدواته الخاصة باستخدام أنشطة إضافية يقوم بتجهيزها لاستخدامها في تعليم القراءة.

التراث أساس الحاضر والمستقبل

د. قماضر حسون

الإسلام، دين الرحمة والعدل والمساواة والمحبة. وقد تمكن أبناء هذا المجتمع منذ القدم من التمسك برسالة الإسلام والدفاع عنها ونشرها والحفاظ على استمراريتها، إدراكاً منهم لرسالتها الإنسانية الكبرى.

لذا، فقد تأصل في جوهر هذه الأمة الانفتاح الحضاري والإنساني القائم على الأخذ والعطاء، فمن أرضها قامت الفتوحات، وعبرها مرت حاملة راية الأخوة والمحبة والعدل والمساواة والسلام للإنسانية. لقد كانت كلمات رسول المحبة محمد صلى الله عليه وسلم «الحكمة ضالة المؤمن، أثنى وجدها فهو أحق بها» الهادي والمثقل للمسلمين الفاتحين، فلم يدمروا حضارة بلد فتحوه، ولم يقفوا منها موقف العداء والرفض، بل احترموها واحترموا علماءها ومفكرها، وأخذوا ما هو نافع صالح من قيمها وعلومها بما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام وتشريعه ومع قيمهم العربية الإسلامية الأصيلة، وصبروه في بوتقة واحدة، فظهرت الحضارة العربية الإسلامية التي شكلت فكر العالم وحضارته أجمع في ذلك الوقت، وبقيت المسيطرة السائدة لقرون عدة.

إن دعوتنا لإحياء التراث تنطلق من أن إدراك مستقبل أمتنا قائم ومتصل بإدراك ماضيها ومبني عليه، ومعرفة الماضي تساعدنا - دون ريب - على معرفة الحاضر، فالحاضر كما يقول العلماء: حد متحرك فاصل بين الماضي والمستقبل. فالماضي مثل، والحاضر عمل، والمستقبل أمل.

إن دعوتنا لإحياء التراث يجب ألا تُفهم على أنها دعوة لمزيد من كتب التاريخ، بل يجب إعطاء تراثنا الإنساني قيمة ووظيفة كي يتحول إلى مؤثرات فاعلة في حياة أمتنا ومجتمعنا الحاضر وفي بناء مستقبلها الذي تطمح وترنو إليه، أي يجب أن نوظف التراث كي يكون قاعدة استلهام لأعمال إبداعية ومبتكرات واختراعات جديدة، ونشاطات فكرية وثقافية تعمل على ضبط قيم ومفاهيم تسربت بشكل أو بآخر لمجتمعنا. باختصار، يجب أن نوظف التراث ضمن حياتنا ومفاهيمنا المعاصرة، إذ إن إدراك أبناء هذه الأمة وفهمهم - على مختلف مستوياتهم ومكاناتهم - لتراثهم، يعني الكشف عن جذورهم وأصالتهم، الأمر الذي يجعلنا ننطلق من قاعدة صلبة راسخة نبنى عليها حاضرنا ومستقبلنا.

لكل أمة تراثها، ولأمتنا العربية الإسلامية تراثها الثري الزاخر بالقيم والأصالة. في معرض الحديث عن التراث الذي كثر تناوله هذه الأيام لا بد لنا من وقفة، نتعرف من خلالها مفهوم التراث عامة، وتراثنا العربي الإسلامي خاصة.

والتراث لغة - كما جاء في لسان العرب - لا يعني مرحلة تاريخية معينة، بل إنه جُماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن. والتراث لفظ جامع شامل يجمع الأمور المادية والمعنوية والروحية للأمة، أي إنه يتمثل في كل ما يتركه السلف من الأجداد والآباء للخلف من الأبناء والأحفاد. باختصار، إنه كل ماتخلفه الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة في مختلف المجالات الفكرية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية والدينية والمعمارية وأنماط السلوك والتفكير وأساليب العيش. وكما أشار الدكتور محمود السيد - في الكتاب المرجعي في التربية السكانية، الصادر في دمشق عام ١٩٩٢م - بقوله: التراث يضم ما أنشئ على أرض الأمة من معالم، وما قام على ظهرها من آثار، وما حفظ في بطنها من خبايا وخيرات، وما ابتدعه عقل الأمة من مبتكرات، وما صنغه من تأليف، وما سجله من رسوم، وما خطه من مناهج، وفتحته من سبل، ونظمه من مسالك وطرق. والتراث لون تلونت به الحياة في البلد، واصطبغ به محيط العيش فيه من ناحية المنظار الطبيعي ومن ناحية السلوك النفعاني.

والتراث هو حياة لاموت، وحركة لاجمود، إنه مجموعة من القيم والمثل والأعمال والمضامين والأشكال نشأت في الماضي القديم وامتدت إلى الماضي الحديث، وسافرت إلينا عبر القرون والأقطار لتكون خلفيتنا ولتكون حالنا وكثيراً من مستقبلنا. يقول المؤرخ المعروف توينبي: «إن لكل إنسان في هذا العالم وطنين، أولهما: مسقط رأسه، وثانيهما: مسقط روحه وجوهره الإنساني الذي هو بيئة أمتة الحضارية». ولما لاشك فيه أن المجتمع العربي مهد الحضارات الإنسانية، كما أنه مهد الديانات السماوية، فعلى أرضه هبطت الديانات السماوية الكبرى لأهل الكتاب، وعلى أرضه دون غيرها اختتمت تلك الديانات برسالة

قصة قصيرة

أشياء ضائعة

لؤي علي خليل

نعم، لقد اختفت المدينة.. صدق أو لا تصدق... هذا ما حدث. اختفى الناس والأشجار والبيوت والحجارة. الكائنات كلها أدركت أنها ستختفي.

كل شيء كان يدل على ذلك؛ ففي أيامها الأخيرة نسي الشيوخ أسماء آبائهم، ونسيت العجائز الطريق إلى بيوتهن، وكثر نباح الكلاب ومواء القطط مما أزعج الشباب فهربوا منها، حتى لقد قيل: إن لعنة حلت على المدينة وأهلها فما عاد أحد يزورها.

وحده ذلك الكائن الصغير لم يكن يدري، وها هو يركض إليها من بعيد. يدغدغ الأرض بقدميه الغضبتين طائراً بين السماء والأرض، تراه لفرط انسيايته كالزمان. يحتضن بين يديه فراشة تعبق من جناحيها رائحة الألوان.

يقول لها: «سترى أُمي أن الفراشات قطع صغيرة سقطت من قوس قزح». يتمنى في سريره أن تظهر الملائكة لتحمله على أجنحتها فيعبر الأمكنة بغير زمن.

«يأتي في آخر الوادي على الجانب الغربي من النهر.. وفي مدينتي ينام قوس قزح، ونومه ثقيل، فلا يستيقظ إلا إذا ألقت السماء عليه شيئاً من مائها».

يتطاير صوته مع ذرات الهواء ترنيمه ترددها الكائنات. لو أنك استطعت أن تراه بعين ذاتك مع المكان والزمان، لأيقنت أن الطبيعة تمارس آنذاك طقسها العبودي أمام الحضرة الإلهية.

يقف فجأة، ينظر ذات اليمين وذات الشمال، تجوس عيناه الاتجاهات كلها بحثاً عن مكانها، ينبض عرق الخوف في داخله، ترتجف أعضاؤه، يقول بصوت منكسر: «هنا كانت مدينتي... ضاع مكان قوس قزح».

تسايل الدمع من عينيهِ على الأرض،

فنبت شوق غريب بينها وبينه. داعبت نغماته الحزينة وجنة الطبيعة، فاكتمسى الفراغ بلون الظل. مدّ يده إلى التراب، مسدّ شعره بحنان دافئ، سأل: «من سرق غرفتي الجميلة؟»

أشار بيده إلى اليمين، قال: «هنا كان بيتنا» تقدم خطوات إلى الشمال:

«هنا غرفتي الصغيرة، مكاني الوحيد الذي أحبه في هذا البيت، تحميني من أبي حين يكون غاضباً، ألعب فيها حين تظنني أُمي نائماً.. غرفتي بحيطانها الأربعة أجمل شيء في المدينة». قالت الفراشة: «أنا لا أحب الحيطان أحب المدى الواسع ورحابته المطلقة». تقدم بضع خطوات: «هنا غرفة أُمي وأبي، أحياناً أخاف من الظلام فأنام بينهما ليقصاً عليّ قصصاً جميلة عن قوس قزح وعن الملائكة الطيبين، أظن أنني أحب غرفتهما أيضاً» يلتفت إلى الخلف:

«وهنا المطبخ، أتسلل إليه في غياب أُمي لأكل الفطائر اللذيذة التي تخبئها كي لا أكلها دفعة واحدة، أنا أحب المطبخ أيضاً»، يدور حول نفسه، وبصوت عال: «وأحب الغرف الأخرى وحديقتنا الصغيرة». يمد يده إلى التراب مرة أخرى، وبصوت مرتجف يسأل: «من سرق بيتنا الجميل؟» يتقدم إلى الجهة المقابلة: «هنا بيت الجيران، عندهم طيور جميلة جداً، ألعب معها كل صباح وتحكي لي حكايات جميلة»، صمت قليلاً وأردف: «ألا تعلمين!! أنا أعرف لغة الطيور، ولكن أبي لا يصدقني».

نظر إلى الفراشة: «أنا أحب بيت الجيران أيضاً».

قالت: «أنا أحب الفراشات كلها» تراجع إلى الراء، ومشى بخط مستقيم كأنه يسير في شارع يعرفه، وأخذ ينحني يمينا ثم شمالاً كأنه يدخل في حارات



أخذت أصابعه تتراخي شيئاً فشيئاً. أمسك الرجل عوداً طويلاً وجعل يرسم على التراب: «هذا بيتك، وهذه بيوت الجيران، وهذه أشجار جميلة باسقة تلف الدور كلها، وهذه وهذه وهذه...» نظر الصغير إلى التراب، تجاوز الآثار إلى باطن يتمناه، أسدل يديه، ارتقى في أحضان التراب، ارتطم بالأرض، تعقر وجهه بسائل أحمر لزج، فبكى كثيراً. قال بصوت عال يشكو إلى السماء: «لا أحد يعرف الطريق».

رددت الكائنات: «لا أحد يعرف الطريق».

أخرج الفراشة من جيبه، فتح يديه، قال: «قولي لأمي: قوس قزح جزء صغير من جناحنا».

مدت جناحيها، حلقت في الفضاء، تابعتها بعينيه، تصاعدت روحه ثم تحلقت مع الأجنحة الملونة بحثاً عن أشياء الضائعة.

سأله: «هل تعرف الطريق إلى مدينتنا الضائعة؟» ارتسمت على وجه الرجل ملامح الدهشة، أشاح بوجهه بعيداً وحاول استئناف المسير، وضع الصغير الفراشة في جيبه، ارتقى في أحضان الرجل، تشبث به صائحاً: «أريد مدينتنا.. أريد مدينتنا»، حاول أن يتخلص منه فلم يستطع، كانت أصابعه مخالب تغوص في جسده ولا يستطيع منها فكاً.. فكر الرجل قليلاً ثم قال: «سأخذك إلى المدينة».

مد يده الخشنة، مسد رأس الصغير، وبصوت هامس كالبحر، قال: «كان يا ما كان مدينة جميلة، بيوتها بيضاء، تغسلها السماء بمائها الفضي.. تنشفها الشمس بنورها الذهبي، وكان وكان وكان...»، ولجت كلماته قلب الصغير فعبّر رسومها إلى عالم يراه بعين ذاته، قال للفراشة: «وجدت مدينتنا»، ومع ازدحام الصور في مخيلته،

محسوسة، يشعر بحضرتها رغم غيابها الحسي.

«هنا ساحة المدينة، نجتمع كل أسبوع ونشكل دوائر صغيرة وكبيرة لنرقص معا». دمعت عيناه مرة أخرى: «أنا أحب مدينتي بيتا بيتا وحجرة وحجرة».

قالت الفراشة: «أنا أحب العالم كله» انحنى على التراب، مسد شعره من جديد، عاد يسأل: «من سرق مدينتي الجميلة؟».

وقف كأن نورا أضاء غياهب ذاكرته، ردّد بصمت: «قالت أُمي: إذا تهت ولم تعرف الطريق، فاسأل»، أشرفت ملامح وجهه ومضى يعدو باتجاه النهر. وعلى الصخرة الكبيرة وقف بانتظار قادم يترقبه بصره وبصيرته. كان الزمن بليداً كسولاً يثير الملل. حملت الطريق رجلاً يسير بمحاذاة النهر، ركض إليه بشوق عارم.

قصة قصيرة

الصداع

حمد الزيد

كنت أستغرب من حالة صديقي ماجد حسن الذي يزورني يومياً تقريباً، وكلما زارني طلب دواء للصداع؛ إلى أن جاء اليوم الذي زال معه استغرابي من حالته التي كنت أظنها من نوع الصداع المزمن.

وقد أفاض ماجد في الحديث عن أثر الصداع في أعصابه، بل وتغيير مجرى حياته أحياناً، فقد رفض عملاً في السفارة السعودية بالقاهرة؛ لأنها إحدى عواصم الضجيج في العالم؛ وباع منزله الجميل الذي يقع على شارع الشهداء بالطائف ليسكن إحدى الضواحي البعيدة عن العمران؛ وفضل العمل في الصحافة ابتداءً من منتصف الليل ليضمن أن المدينة قد نامت، ونام معها الضجيج؛ وترك مهنة التدريس حين أيقن أنه تحول إلى ملقن لمناهج عقيمة؛ وباع البيغاء الذي اشتراه بعشرة آلاف ريال بنصف ثمنه؛ ولكن الأهم من ذلك كله أنه طلق زوجته؛ لأنها على حد قوله لا تكف عن الشرثرة كبعض الإذاعات العربية!

- حسناً يا ماجد ألم تجد مخرجاً بعد من مشكلتك؟!

- لا، سوى أن أدعو الله في الحرم الشريف أن يجعلني من الصم!

- ياراجل فال الله ولا فالك!

صديقي يا «محمود» إنني بت أغبط خالتي المسنة «هالة» على فقدانها لسمعها.

- إن السمع حاسة ضرورية؛ بل إنه يقدم على البصر.

- لكن الشرثرة والضجيج يدخلان هذا الرأس!

- وما الحل؟!

- لقد مارست التدريس كما تعلم، وأخذت الامتياز فيه، ومارست النقد

الساخر للمجتمع؛ وكنت لا أنام حتى أسمع إذاعات العالم كلها، فإذا أغلقت

حزنت! وكانت النتيجة أن تولدت لدي حساسية مقلقة، بل مرعبة من الكلام،

حتى وجدت في الصمت النعمة الكبرى التي لا تتمتع بها إلا بعض الحيوانات!

- يالك من رجل استثنائي، ولكن قل لي لماذا طلقت زوجتك الثالثة؟!

- إن قصتي معها خلال السنوات التي قضيناها معاً قصة طويلة ومليئة

بالمآسي. ولكنها باختصار قصة الإزعاج و«الصرقع» الذي يمكن أن تحدثه زوجة

جميلة وغبية وثقافتها ووعيها الحضاري «صفر» في مثقف مثلي يمارس التأمل

كأحد طقوس إبداعاته.

- ولكن هل ستكرر الغلطة للمرة الرابعة، أم ستظل وحيداً، يأتي عليك سن

الستين بعد عشر سنوات فلا تسمع إلا همساً؟!

- وما له؟!

- وماذا سيكون شعور المسكينة التي أحبتك وتعلقت بك إلى درجة الهيام؟

- أتريدني أن أضحي بنفسي وفني من أجلها؟ إن العمر قصير يا محمود!

ولكن ماذا ستصنع بنفسك في البيت، وأنت من يدبر أمورك؛ وأنت كغيرك

من المثقفين والكتاب إنسان فوضوي، بل تزيد عليهم بأن ضيوفك كثيرون؟!

إن الخدمة ليست مشكلة في هذا الزمن، الخدم متوفرون، المطاعم، المغاسل،

هل تريدني من أجل وجبة أو وجبتين أقضي على كياني ووجودي، وأفقد فوقها

أعصابي؟!

ولكن شريفة تحبك. لو طلقتها - كما قالت يوماً - لذهبت لمستشفى

الأمراض العقلية!

- إن هذا يحيرني. فبقدر ماتحبي فإنني أمتنى أن لا أسوء إليها أو أكسر

خاطرهما، وهذا مبدئي حتى مع الناس؛ صحيح أنني لا أحبها ولكنني لا أكرهها،

بل أرحم ضعفها وتعلقها بي وحب والديها وأسرتها لي. إن مشكلة الأسرة

العربية أنها لا تقدر وجهة النظر الأخرى فهي إما تحب أو تكره ولا وسط، وعليه

فإن الصدمة ستكون عليهم كبيرة.

إن مشكلتي أنها مشكلة مزمنة، وعدم إيماني منذ الصغر بأنصاف الحلول

يجعلني أتخذ دائماً قرارات صعبة يكون وقعها علي وعلى الآخرين وقع

الصدمة.

وكلها في النهاية قرارات حاسمة ومريحة!

لقد عرفت من دراستي لعلم النفس أن الصدمة الكهربائية هي علاج لبعض

الأمراض، وطبقت هذا الأسلوب فكان كالسلاح ذي الحدين.

إنني حائر.. باختصار غير سعيد سواء اتخذت قراراً أو لم أتخذه.

- هل أنت تغالط نفسك أم إنك متردد؟!

- لا. ولكنني متورط!

- لقد قرأت لكاتب أجنبي ساخر: إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي

يكرر أخطائه.

- وهو الحيوان الوحيد الذي يعض اليد التي تطعمه كذلك!

- ألم تحاول تعديلها؟

- الطبع يغلب التطبع. لقد وجهتها، ثم نهرتها، ثم ضربتها، ولكن بلا

جدوى.

- ألم تكرهك بعد كل ذلك؟

- لا بل زاد حبها لي والتصاقها بي؛ لأن المرأة كالنار - كما يقال - كلما

ابتعدت عنها تلحق بك.

- وإذا اقتربت منها؟

- تحرقك!

- الآن عرفت يا ماجد سبب صداعك - كان الله في عونك.

من رواد أدب الطفولة العرب

إعداد: الزبير مهرداد

(أ)

الأبراشي، محمد عطية: مرب مصري، درس في جامعتي إكستر ولندن، واشتغل مراقبا عاما بوزارة التربية والتعليم بمصر. أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته في التربية والتعليم وأصول التربية والمناهج. ومن باب الاهتمام بالتربية، صنف للأطفال عددا كبيرا من القصص، ضمن سلاسل، منها: المكتبة الحديثة للأطفال (٥٠ كتابا) المكتبة الذهبية (١٠ كتب) مكتبة التلميذ (١٠ كتب) مكتبة الطفل (٦٢ كتابا) المكتبة الخضراء (٦ كتب) وغيرها.

أبو شنب، عادل: كاتب سوري، من بواكير أعماله الخاصة بالأطفال مسرحية «الفصل الجميل» التي صدرت عام ١٩٦٠م عن دار مجلة الثقافة. تقع هذه المسرحية في فصل واحد، لم يكن الغرض من وضعها تعليميا، بل كتبها أبو شنب ليسد فراغا بينا في أدب الأطفال، خاصة في الفن المسرحي، كتب هذه المسرحية بلغة قريبة من السجع، ليمنحها شيئا من التنعيم الموسيقي، وتبدو أقرب إلى الشعر فيسهل على الأطفال حفظ النص وتمثيله. أصدر أبو شنب قصصا أخرى للأطفال، واشترك في تحرير مجلة «باسم» الخاصة بالأطفال وكتب مذكرات موقعة باسم بطل هذه المجلة (باسم).

(ب)

البلغيشي، عبدالمالك: شاعر مغربي ولد حوالي ١٩٠٣م، درس اللغة الفرنسية ومواد أخرى في المدارس الحديثة التي أدخلتها فرنسا إلى المغرب، كما درس الشعر الجاهلي والنحو العربي على كبار الشيوخ، وأكمل دراسته بالقرويين بفاس.

كان ولوعا بالأدب منذ صباه، أصدر ديوانه «باقة شعر» عام ١٩٤٧م، ضمنه قصائد خفيفة الوزن والإيقاع، سهلة الأسلوب والترسل، عن لعبة كرة القدم، وعن اهتمامات الصغار، وضرب الأمثال لهم.

(ت)

تامر، زكريا: كاتب سوري رأس تحرير مجلتي «المعرفة» و«الموقف الأدبي» السوريين، اشتهر بأسلوبه المتميز في الكتابة للأطفال، أغنى مكتبة الطفل العربي بالعديد من القصص التي ظهرت بشكل جميل وطباعة أنيقة. يقول متحدثا عن تجربته: «عندما جاءت حرب حزيران ونتائجها، ازداد ارتباطي بالواقع وصار أكثر حدة وصرامة، وابتدأت أنظر إلى الصغار نظرة مختلفة: إنهم الجيل الذي سيطلب منه في المستقبل أن يجابه عدوا شرسا، فلا بد من منحه الوعي وإرادة التحدي، ولابد أن يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل العدالة والحرية والفرح. كانت غالبية قصص الأطفال تغضبني، فهي تسيء إلى الطفل تربويا ولغويا، وتحاول أن تشوّهه بقيم لم تعد تتسجم مع ما حدث في حياتنا من تغير وتطور. ولقد كتبت أكثر من مئة قصة للأطفال، وهي كما أعتقد تتناول موضوعات متنوعة. وقد حاولت فيها أن أجد القيم التي أعتقد أنها جديرة بأن يتبناها الطفل، كما حاولت أن تكون قصصي بمستوى فني، يؤهلها لأن تصبح وسيلة تشجع الطفل على حب لغته العربية الفصحى، وتنمية قدراته على تذوق الأدب الذي يخاطب عقله وقلبه دون ترفع.

(ج)

جلال، محمد عثمان: مصري، ولد بصعيد مصر عام ١٨٣٨م، وتوفي عام ١٨٩٨م. دخل مدرسة الألسن التي أنشأها الطهطاوي بالقاهرة، فدرس العربية وعلوم البلاغة والهندسة والطب والتاريخ وغيرها مما كان يلقى في المدرسة، واشتغل بالترجمة من الفرنسية إلى العربية.

كان من أوائل الذين ترجموا، بتصرف يقترب من الاقتباس، قصص لافونتين، وسمأها «العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ» في مئتي حكاية منظومة. وأضاف بتصرفه في الترجمة

(ش)

شوقي، أحمد: شاعر مصري ولد بالقاهرة عام ١٨٦٩م من أسرة غنية، وتوفي عام ١٩٣٢م، درس القانون في مصر ثم باريس، ومنها حصل على الإجازة في القانون، عاد إلى مصر، ونفاه الإنجليز إلى إسبانيا. وفي مغتربه بفرنسا وإسبانيا اتصل شوقي بالأدب الفرنسية واطلع عليها، ودرس الشعر الأندلسي.

في فرنسا تعرف كتابات لافونتين فأثارت اهتمامه، وترجم منها شعرا ثلاثين حكاية. قال شوقي متحدثا عن عمله «جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهيرة. فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها. فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسونه به ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر بذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلاما جعل للأطفال في البلاد المستحدثة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم». ودعا في كلمته هذه الشاعر خليل مطران إلى التعاون معه على إيجاد شعر للأطفال والنساء، كما وجه الدعوة إلى سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأهمية.

ويبدو أن دعوة الشاعر لم تلق استجابة من أحد، فعزف فيما بعد عن الاستمرار في هذا الاتجاه. واستبعدت هذه القصائد من الشوقيات في طباعتها المتكررة، ونشرت عام ١٩٤٩م في كراس خاص بعنوان منتخبات من شعر شوقي في الحيوان».

(ط)

الطهطاوي، رفاعة رافع: مصري من رواد النهضة الحديثة، ولد عام ١٨٠١م، وتوفي عام ١٨٧٣م. تولى التدريس بالأزهر، وعين إماما للبعثة التعليمية المصرية إلى فرنسا، ثم عضوا بها. وخلال إقامته بفرنسا تعلم اللغة الفرنسية ودرس الترجمة، وعند عودته إلى مصر قاد

وتأثير أحوال التربية والتعليم في الحياة العامة ومستقبل الأمة. منتقدا أحوال المدارس العربية، داعيا إلى التفكير في إصلاح ما بها من خلل. وعن أسباب كتابته تلك الأشعار يقول الرصافي في المقدمة: «إن في أدمغة الصبيان قابلية عظيمة للتلقين، واستعدادا كبيرا للأخذ. لذا أخذ المفكرون، فيما يريدون للأحداث الصغار من التربية الفكرية والأخلاقية، ومما أوجدوه من تلك المسائل، ما كتبوه لهم من الأناشيد والأشعار التي تشرب قلوبهم حب الوطن، وتلقنهم الأخلاق، وتعودهم التفكير والاعتبار بمخلوقات الله وغير ذلك، مما يكون له تأثير حسن على أخلاقهم أيام الصبا. وهذا هو الذي دعاني إلى أن أكتب لأبناء مدارسنا هذه الرسالة الشعرية، التي ضممتها مقاطع مختلفة من الشعر المدرسي».

(س)

سعيد، نصره: أديب سوري، كان له اهتمام خاص بأدب الأطفال منذ الأربعينيات من هذا القرن، فكتب مسرحيات مختلفة ونصوصا شعرية، لحن له إبراهيم الدرويش (أوبريت) السارق والمسروق. وأعد خصيصا لمدارس البنات مسرحية «بنت المفتشة» التي جعل كل أبطالها من البنات.

وفي عام ١٩٤٥م أصدر ديوان «أغاني الطفولة» من حلب، وحرص فيه على تضمين قصائده القيم والأخلاق الفاضلة الاجتماعية والسياسية والتربوية، وقدمها في قالب لغوي فصيح ليسبب الأطفال على حب العربية، وحرص على أن تكون كلمات القصائد سهلة مألوفة، خالية من التعقيد، ليستسيغ الطفل إنشادها، ورتبها من الأسهل إلى الأصعب سواء من حيث الموضوع أو التعبير أو الموسيقى والألحان. يقع الديوان في جزأين مزينين بالصور، وإلى جانب كل قصيدة توطئة موسيقية، مما يسهل حفظها وإنشادها.

بعضا من الحكايات العربية، وحاول أن يضيف عليها اللون المحلي، مخترعا من عنده أزمانا وأوقاتا، ومختتما كلا بمغزى قد يكون من نظمه، وقد يكون بيتا عربيا. ولتحقيق السهولة اللغوية كان يلجأ إلى مزج الفصح بالعامي العرب، مما يجعل قصائده تكتسب روح المرح والخفة.

جواد، مصطفى: عراقي ولد عام ١٩٠٥م وتوفي عام ١٩٦٩م ببغداد. أديب، مدرس، علامة لغوي. تلقى تعليمه ببغداد ثم القاهرة ثم باريس. اشتغل بالتدريس في دار المعلمين العليا (كلية التربية) له مؤلفات عديدة، نشر في شبابه بعض المقطوعات الشعرية على ألسنة الحيوانات عام ١٩٢٣م مثل اللقلق والعصفور والهر والفيضان.

(ج)

الحلي، أحمد حقي: ولد عام ١٩١٧م، اشتغل بالتعليم ببغداد. وضع للأطفال خلال الأعوام من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣م عددا من المنظومات الشعرية ليملا فراغا أحس به في مجال المحفوظات الشعرية الشائعة بين الأطفال. نشر أعماله عام ١٩٥٢م في جزأين تحت عنوان «المحفوظات الطفولية»، وقد جاءت بعض القصائد على ألسنة الطير، وتضمنت بعض المقطوعات مشاعر وطنية وقومية.

(ر)

الرصافي، معروف: شاعر عراقي ولد عام ١٨٧٥م، وتوفي عام ١٩٤٥م. نظم مقطوعات شعرية للأطفال، منها ما نشر في المجلات الصادرة لطلاب المدارس خلال الأعوام من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٢م. نشر بعض هذه المقطوعات مجموعة ضمن كراس بعنوان «تأثير التربية والتعليم»، قدم لها بحديث تربوي عن دور الأسرة والمدرسة والوسط الاجتماعي في حياة الطفل،

كآئة المآف

(ق)

القصى، حامد: مهندس، أصدر عام ١٩٢٩م أول جزء من أجزاء كتبه الثلاثة «التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل» الذي طبع مرات عديدة، وأضيفت إليه الصور والرسوم في الطبعة الرابعة. والكتاب عبارة عن قصص تهيئية تتضمن مواعظ وحكمًا، ترجمها الكاتب عن الإنجليزية، قصد المؤلف بعمله هذا «تربية الناشئين تربية خلقية قومية»، وتقديم «صورة واضحة لطالبات المدارس وطلابها الذين يفيدهم هذا النحو من التهذيب، خصوصًا وأن كتب المطالعة العربية التي تتناولها الأيدي خلو من كثير من أمثال هذه القصص». حرص على كتابة القصص بأسلوب شائق، وعني باختيار عباراته، وتوخى في الترجمة الاحتفاظ بروح القصة، دون تقييد بالالتزامات الأخرى.

(ك)

الكيلاى، كامل: أديب مصري، ولد عام ١٨٢٧م من أسرة مثقفة ثرية، تمتع بالاستماع إلى القصص الإغريقية والشعبية العربية من مريته اليونانية، وفي حلقات الأزهر اطلع على الأدب العربي القديم، ثم تابع مسيرته العلمية بالاطلاع على الآداب العالمية. أصدر أول قصة للأطفال وهو في العشرين من عمره، وتوالت بعد ذلك كتاباته القصصية الموجهة للأطفال، فخلف عددا كبيرا، منها ماهو مترجم ومقتبس، ومنها ماهو مبدع. قال الكيلاى مخاطبا ابنه، وشارحا دواعي الكتابة للأطفال: «ألمني وأحزنني أن تحرم تلك المتع العقلية التي نعيم بها في البلاد المتحضرة الأخرى أترابك ولداك، وقد آليت على نفسي أن أسليك وأثقفك، وأقرب لك تلك الثمار

«سندباد» التي أصدرتها دار المعارف بمصر. يعد العريان واضع الأسس الأدبية والفنية لأدب الأطفال، ومؤسس المنهج لمن أتوا بعده. من مؤلفاته الخاصة بالأطفال مجموعة القصص المدرسية في ٢٤ قصة عام ١٩٣٤م، بالاشتراك مع كتاب آخرين، وكتب سلسلة «كان ماكان» في خمس قصص. تتميز قصصه بالرشاقة في الأسلوب والسهولة في اللغة، فضلا عن المحتوى المحبب للأطفال، ومرعاتها لعمر الأطفال العقلي وقدراتهم المعرفية واللغوية، ومضامينها دينية واجتماعية وثقافية.

رأس تحرير مجلة «سندباد» مدة تسع سنوات، وجمعت بعد توقفها عن الصدور في أربعة أجزاء، نال عنها عام ١٩٦٢م جائزة الدولة التشجيعية في الآداب، تقديرا لجهوده في خدمة أدب الطفولة والنهوض به.

(ف)

الفاى، محمد علال: أديب وشاعر وسياسي مغربي، ولد بفاس عام ١٩١٠م، وتوفي برومانيا يوم ١٣/٥/١٩٧٤م، ولد وترعرع في أسرة علم ميسورة، تلقى تعليمه بالقرويين، ونال العالمية سنة ١٩٣٠م، اشتغل بالتدريس وانبرى للعمل الوطني ومقاومة الاستعمار، فعرض للسجن والنفي. كتب الفاسي في مجالات عديدة أكثرها الكتابات السياسية والاجتماعية، كما خلف مؤلفات في الفقه والفكر الإسلامي، ونظم الأشعار والأناشيد منذ ريعان شبابه. كتب عام ١٩٢٥م مجموعة من القصائد الشعرية سماها «رياض الأطفال»، كما كتب خلال الأربعينيات حكايات أخرى سماها «أساطير مغربية ومعربية»، توخى بها الحكمة والموعظة، نظمها بأسلوب سهل. ومن أعماله أيضا في باب أدب الأطفال «المثل الأعلى». و«الزورق المغربي». أعيد نشر هذه المؤلفات بعد وفاته، فصدرت عن مطبعة الرسالة بالرباط.

حركة الإصلاح التربوي التعليمي، فأنشأ مدرسة الألسن بالقاهرة عام ١٨٣٥م على غرار مدرسة اللغات الشرقية بباريس.

أسهم الطهطاوي في خدمة أدب الأطفال، بتشجيعه ترجمة قصص الأطفال من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، كما ترجم بنفسه قصصا منها «حكايات الأطفال» و«عقلة الأصبع» عن الإنجليزية. وأدخل قراءة القصص في المنهاج الدراسي، كما أشرف على تحرير صحيفة «روضة المدارس» التربوية الثقافية.

(ع)

العرب، إبراهيم: توفي عام ١٩٢٧م. أصدر عام ١٩١٣م ديوان شعر خاص بالأطفال «آداب العرب» تضمن تسعا وتسعين قصة شعرية، على غرار خرافات لافونتين، ذكر في مقدمته: «هذا كتاب خدمت به نابتة الوطن المحبوب، وأجريت فيه الأمثال والحكم الماثورة. ليأخذوا منها ما يربّي نفوسهم ويقوم أخلاقهم، ويطبّعها على أصوب آراء المتقدمين». وذكر أنه جعل مواعظ كتابه أفايص شعرية واضحة المعنى، حتى ينتهي الصبيان بقراءتها إلى مغزاها دون صعوبة.

كما أكد أنه جارى السابقين من الكتاب، فجعل حكم العظات على ألسنة الحيوانات لتكون الأخبار أفكها المواعظ، وأبلغ في ضرب الأمثال وسرد الحكم.

يتميز أسلوب إبراهيم العرب بالابتعاد عن الفكاهة التي تميز بها جلال وشوقي. فالتزم الكتابة الوعظية، ومع ذلك لم تخل منظوماته من رقة في الأسلوب وجمال المغزى. تدور موضوعاته حول وجوب الانشغال عن عيوب الآخرين بعيوب النفس، ومواتاة النجاح لمن لا يستحقه، وضياح ملك من لا يحسنه، ومزايا التعاون ومضار البخل.

العريان، محمد سعيد: أديب مصري ولد عام ١٩٠٥م، وتوفي عام ١٩٦٤م، كتب القصص للأطفال، ورأس تحرير مجلة

كائرة المعاف

اليانعة، فترجمت وقبست لك من طرائف القصص، نخبة مختارة تنعم بقراءتها ودراستها.

استمد الكيلاني موضوعات قصصه من مصادر مختلفة: ألف ليلة وليلة، نوادر جحا، أعمال شكسبير، أساطير الشرق والغرب. ويعد الكيلاني الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية، وزعيم الكاتين الناشئة في البلاد العربية كلها. في قصصه تجلّى عنايته باللغة العربية رغم عدم قدرته على التحرر من التصنع، ومن تفادي التراكيب والعبارات الصعبة أحياناً. وأحدث بأعماله نقلة في مركز الاهتمام بهذا الأدب من الوعظ والإرشاد إلى الثقافة والتنشئة، خصوصاً الاهتمام بتنمية الخيال والتفكير مع احترام قدرات الأطفال العقلية حسب مراحل نموهم المختلفة، فوضع قصصاً خاصة بكل مرحلة من مراحل عمر الأطفال.

الكرمي، عبد الكريم: أديب فلسطيني لجأ إلى سورية وعمل فيها، أصدر ديوان «أغاني الأطفال» عن مكتبة أطلس بدمشق عام ١٩٦٤م، ويضم سبع عشرة قصيدة وأنشودة، كلها من تأليفه إلا أنشودة «ديكي أحبه» التي نظمها الشاعرة فدوى طوقان. وضع الكرمي إلى جانب كل قصيدة (نوطتها) الموسيقى.

عبّر الكرمي بعمله عن أمله في ملء فراغ المكتبة العربية في مجال أدب الصغار. توخى في قصائده أن تكون ألفاظها سهلة، أوزانها خفيفة، موضوعاتها مشوقة، وأن تحمل أفكاراً سهلة ونبيلة، وتجب لدى الأطفال الطبيعة والوطن والقومية. يعدّ هذا العمل أول لبنة وضعت في بناء شعر الأطفال الحقيقي الصحيح في سوريا.

(م)

المخلصي، نقولا أبو الهنا: لبناني ترجم مائة وثمانين عشرة خرافة من خرافات لافونتين ونظمها في شكل قصائد، وأصدرها في شبه كراسات متتالية. ثم جعلها في كتاب واحد بعنوان «أمثال لافونتين» وأصدره عام ١٩٣٤م. وكان الهدف من ترجمة هذه الأمثال ونشرها تعليمياً تهنئياً تربوياً.

(ن)

النحاس، جبران: أديب لبناني، ولد في بيروت وعاش متقللاً بين بيروت ومصر ودمشق. وضع في أوائل الثلاثينيات ديوان «تطريب العندليب»، الذي صدر عام ١٩٤٠م، ويضم سبعاً وتسعين قصة شعرية. أخذ بعضها من لافونتين، وفي مقدمة ديوانه أشار النحاس إلى نشوء الحكايات المنظومة وتطورها. وأشاد بلافونتين مفاضلاً بينه وبين إيسوب، ونوّه بآب المققع. واستهل ديوانه بمقدمة شعرية، سجل فيها آراءه إلى جانب الحديث عن مولده، ونشأته.

كانت بعض قصائده قد نشرت في عدد من المجلات ابتداء من عام ١٩٠١م.

النشاشيبي، محمد إسعاف: أديب مرب، ولد عام ١٨٨٥م بالقدس، وتوفي عام ١٩٤٨م، درس في المدرسة البطريركية ببيروت، واشتغل بالصحافة الأدبية والتعليم، وأصبح المفتش الأول للغة العربية في مدارس فلسطين. كتب للأطفال «مجموعة النشاشيبي» و«البيستان».

أسلوبه في الكتابة يميل إلى الجزالة، وتخير المفردات والعناية بنظم الجمل، ويكشف عن تأثيره بذوق النثر في عصوره الأولى.

(هـ)

الهراوي، محمد: شاعر مصري، ولد عام ١٨٨٥م، وتوفي عام ١٩٣٩م. اشتغل بوزارة المعارف، ثم محاسباً بدار الكتب المصرية. يعدّ الهراوي من الرواد الذين أرسوا قواعد أدب الطفولة في اللغة العربية، في وقت قل فيه المهتمون بالطفولة وثقافتها، بما وضعه من

منظومات شعرية، حرص على أن تكون مناسبة لأعمار الطفل ومستواه المعرفي واللغوي. من أعماله: «سمير الأطفال للبنين» ١٩٢٢م، و«سمير الأطفال للبنات» ١٩٢٣م في عدة أجزاء، و«السمير الصغير» و«الطفل الجديد» و«مسرحيات الأطفال» و«قصص الأطفال» و«أغاني الأطفال» ١٩٢٤م في أربعة أجزاء، مراعيًا أن يكون كل جزء مناسباً لفترة من فترات الطفولة.

لقد حرص الهراوي في كتاباته الشعرية على أن يخاطب الأطفال بلغة سهلة واضحة، مبهمة، كما حرص على اختيار أوزان وأيسرها حفظاً. وكان يختار موضوعاته من صميم الحياة، وتوزعت هذه الموضوعات على المجالات الدينية والوطنية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية.

هنداوي، خليل: أديب لبناني، ولد عام ١٩٠٦م درس في صيدا ولبنان ثم دمشق. واشتغل بالتدريس. نفي من لبنان عام ١٩٢٧م إلى سوريا، واشتغل هناك بالتدريس. وكان يلم بلبنان زائراً، صاغ حكايات كليلة ودمنة في شكل قصص تناسب الأطفال.

المراجع:

- (١) الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، ١٩٨٦م.
- (٢) ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيثمي. المجلس الوطني للثقافة الكويت، ١٩٨٨م (عالم المعرفة).
- (٣) المرشد لتراجم الكتاب والأدباء، غنيمة بلحاج. دار توفيق، الرباط، ١٩٨٧م.
- (٤) ثقافة الطفل العربي، مصطفى حجازي وآخرون. المجلس القومي للثقافة، الرباط، ١٩٩٠م.
- (٥) في الأدب الحديث، عمر الدسوقي. دار الفكر بيروت، ١٩٧٣م.
- (٦) أدب الأطفال في سورية، عيسى فحوح. الناشر العربي، العدد ١١، ١٩٨٨م.
- (٧) أدب الأطفال في التراث العربي، سمر روجي الفصيل. الناشر العربي، العدد ١١، ١٩٨٨م.
- (٨) نحو فلسفة عربية لأدب الأطفال، مفتاح محمد دياب. الناشر العربي، العدد ١١، ١٩٨٨م.
- (٩) أدب وأدباء الطفولة، عيد معمر. الثقافة العربية (ليبيا) العدد ٣، ١٩٨٣م.
- (١٠) قصيدة الطفل، بيان الصفدي. الأقلام (العراق)، العدد ٣، ١٩٧٩م.
- (١١) الأغلام، خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

الرسالة قبل الأخيرة

يس قطب الفيل

وإن ثار موجي .. فلا تغضبني
 بعيداً .. وإياك أن تغضبني
 تصدّيتني في الزمان الغيبي
 تراءت لعيني بلا مذهب
 وكلّ له كأسه .. فاشربي
 يحلّق في العوالم الأرحب
 ويطوي جناحيه في المغرب
 له الحسن، في عذوه الأشهب
 سوى أن عينيّك أحدفن بي
 لأنني مع الله، لم أغلب
 أنا في الهوى - بعد - لم أذنب
 لغير الترفّع لم يطلب
 سبيلاً إلى خسة المأرب
 قناع .. به الغدر كم يختبي
 سيمضي .. فلن غبت .. لاتعجبي

إذا ما ارتحلت .. فلا تغضبني
 وإن ضمنا متدي .. فاستريحني
 فما عُدن تجذبني همهمات
 وماعدت أشواق في الحب دنيا
 هي الكأس .. دارت على الشاربين
 نصبت الشباك لطير بريء
 يسبح لله عند الشروق
 ويهتف للحسن أتى تراءى
 نصبت الشباك .. وما كنت أدري
 وناركتني زماناً .. ولكن
 تقولين!! ماذا تقولين عني؟!
 نقائي نقاء .. لغير الشموخ
 وأنت المروق .. استطاب التدني
 فنحّي عطايك .. إن العطايا
 من الغدر .. كل إلى ما يريد

الحصاد .. والمكافأة

سعيد سالم

١ -

كالنار تؤججها ريح عاصفة، سرى النبأ من البيت إلى الجامعة إلى المستشفيات وأقسام الشرطة وبيوت الأصدقاء والأقارب. أصبح اختفاء الدكتور عاصم عبدالرحيم الأستاذ بكلية الآداب، حديث الصحافة والمجتمع بعد أن عجز الجميع عن العثور عليه في أي مكان. لم تجد الزوجة مسوغاً لاختفائه تُصرِّح به علناً للأجهزة المعنية بالبحث عنه، أو تبوح به سرّاً لأبنائها وبناتها، أو حتى لأقرب الصديقات إلى قلبها. استبد الدهول بقدرتها على البكاء فتعاطمت لوعتها، أما الأبناء فقد أصابتهم الصدمة بهزة عنيفة، ضربت بالخوف والتعاسة حياتهم في مقتل.. وأصبحت الأسرة السعيدة بين يوم وليلة موضوعاً مستباحاً لأحاديث وتخمينات تنوعت ما بين الرثاء والشفقة وإطلاق الحكم والأحكام وتشعب التكهنات بباعث من حسن الظن أحياناً، ومن سوءه في معظم الأحيان.

٢ -

لم يصدق الطالب مارآه واقفاً أمام عينيه. الدكتور عاصم في ملابس رثة يمسح العبرات الواقفة على الرصيف في مواجهة مجمع الكليات. بيده فوطه صفراء، وبين قدميه وعاء ملوئ بماء متسخ. سارع الطالب إلى زملائه فجاءوا مذهولين، يرقبون براعة الأداء وشدة الإثقان، وهو يمسح إحدى العبرات بإخلاص لا يعرفه المحترفون. بعد قليل جاء بعض زملائه من الأساتذة فتسمروا أمامه ليصبحوا جزءاً من المشهد الصامت. لم يجروء أحد على مواجهته بما يفعل أو حتى على محاولة التأكد من شخصه، كما لو كان في الأمر شك.

ما إن انتهى الدكتور من مسح العبرة حتى انتقل في وقار وثبات إلى غيرها حاملاً وعاء الماء و"الفوطه" الصفراء. لم يعبأ بحضور صاحب العبرة الأولى وانصرافه بعبرته في سرعة مخفية، وقد تحول بفعل ارتياكه من هول الموقف إلى مصدر لسخرية الطلبة وباعثاً لضحكاتهم المكتومة. توالي حضور أصحاب العبرات من الطلبة والأساتذة، والحال لا يتغير إلا بالانتقال من عربة إلى أخرى.

تشجع زميل عمره مقترباً منه في حذر وحنان.

- يادكتور عاصم

نظر إليه بثبات لا تبدو من ورائه أمارات انفعال من أي نوع وقال له:

- نعم.

- أرى أن هذه التجربة المثيرة قد انتهت، وأن الآوان أن تعود إلى بيتك

وعملك ثم تحدثنا بعد ذلك عن النتائج.

قال متفهماً للباقة الزميل ومحبتة:

- ياسيدي أنا لأقوم بتجربة. أنا أعمل ماسحاً للعبرات.

- والفلسفة؟!

- تركتها لك يادكتور سليم أنت وبقية أعضاء الهيئة.

- إن كان لا بد من تركها، فلماذا هذا البديل التعس؟!

- لأنه واحد من مئات الأبدال التي تحقق نفعاً مباشراً ملموساً للناس،

ولو تماديت في الأسئلة سأقسو عليك. ارحل بعبرتك وسأقبل ماتدفعه، ولن أعترض إن لم تدفع شيئاً.

تمهل الدكتور سليم قبل أن يتكلم، فحالة زميله غير مسبوقة، خاصة وأنه متماسك الأعصاب صحيح المنطق شديد الاقتناع بما يقول ويفعل. ترى هل جنُّ الدكتور عاصم ولماذا؟! لقد تزوج من زميلتنا راوية بعد قصة حب لم تخف على أحد، وأنجبت له البنين والبنات، وحين طلب منها أن تنفرغ لبيتها لم تعترض. أما الأبناء فلم يخيبوا ظنه في دراستهم فنجحوا وتفوقوا وتخرج أكبرهم في الجامعة هذا العام.

٣ -

هاهو زميل العمر يسقط فجأة في غموض مُحير، وكأنه كائن آخر غير عاصم الذي عرفناه في شبابه، عاشقاً للعقل والمعرفة، محباً للحياة والناس بلا حدود. أهكذا تكون مكافأته؟! تاريخه في الكلية يدعو إلى الفخر، وكان دائماً أسبقنا إلى الترقية بفضل أبحاثه المتجددة. لم يقع مايكدر صفو علاقته بزميل أو معيد أو موظف بالإدارة. لم تتجاوز المسألة في هذا الشأن أو ذلك حدود خلافات العمل الوتئية التي لاتلبث أن تزول مصحوبة بابتسامة مشرقة من وجهه الوسيم.

إذن فالبيت والعمل خارج مجالات الظنون المحتملة، لو قلنا إن الدكتور عاصم قد جن بالفعل؛ وهكذا لا يبقى إلا عالمه الخاص الذي لا يعرف أسراراً أحد سواه.

- ألا ترى أن الفلسفة تحقق نفعا على الإطلاق؟

- منذ متى ونحن ندرسها للطلبة؟

- منذ حوالي ربع قرن.

- وهل عميت ياسليم؟

- عفوا.. لست أفهمك.

- ألا ترى ماحولك؟ إنه حصاد الفلسفة.

- تلفت سليم حوله يمينا ويسارا مدعيا أنه لم يفهم مقصده، ثم قال

بلطف:

- أرى تلاميذك يناشدونك العودة.

- استفزه ادعاء زميله وإنكاره لحقيقة يراها ساطعة كالشمس. ولأول

مرة تنطلق شرارات غاضبة من عينيه. بدا التقلص على عضلات وجهه،

وأشاح بيده في عصبية صارخا بصوت مزلز:

- ألا ترى ماحولك يا أعمى؟!

- ٤ -

انقضت الكارثة بعينها على سكان العمارة بعد مضي ساعات على

ظهور الدكتور عاصم أمام مجمع الكليات. نقل نشاطه فجأة إلى الموقف

(الجراج) العمومي الذي لا يبعد أكثر من خطوات عن مسكنه. ما إن بدأ

يمارس عمله بإتقانه المعهود حتى انهار عامل (الجراج) في البكاء والولولة

ناشرا الخبر بين السكان. لم تشفع دموع الزوجة ولاتوسلات الأبناء

والجيران أن يترك عاصم الوعاء والفوطة ويعود إلى شقته وهيئته.

بعد أن باءت جميع المحاولات بالفشل تصدى عرنوس بك ساكن

الدور الأول بالعمارة وأبرز شخصياتها لحل المشكلة على مسؤوليته على

ألا يتدخل أحد بينهما. ورغم اعتراض البعض إلا أنه تقدم نحوه في

كبرياء وثقة، قائلاً بلهجة عسكرية أمرة:

- دع مايبذك فوراً واتبعني إلى قسم البوليس.

- ما التهمة؟ وماصفتك التي تأمرني بها؟

- لاجدل. اتبعني وإلا أرسلت جنديا يقتادك بسلسلة!

- تأدب في مخاطبتي يا عرنوس.

- ومن أنت يا ماسح العريبات حتى أتأدب في مخاطبتك؟!

برقت العيون بالأمل إذ استغل عرنوس بك دهائه في استفزاز الدكتور

عاصم حتى يعود لنفسه ويتشبث بكياته المهدد بالضياح دون مقابل.

واصل عرنوس تحديه صائحا بقوة:

- من أنت؟ تكلم!

- راح عاصم يتأمله في شرود تحول بالتدريج إلى ابتسامة ساحرة

فضحكة يائسة خافتة ولم يجبه.

- تكلم أو أبعث بك إلى مستشفى المجاذيب. من أنت؟

- أخيراً قال في هدوء بغير أن يتخلى عن ابتسامته الساحرة:

- أنا عاصم عبدالرحيم

- أقصد مامهنتك؟

- مادمت قد أعطيت نفسك حق استجوابي فأنا الآخر أعطيت نفسي

هذا الحق.

تبدد الأمل وماجت الهواجس بعقول الحاضرين. توجس البعض شراً

خاصة أولئك العالمين بخفايا عرنوس بك، وأسرار ثرائه الشديد، وسطوته

العارمة، وقدرته الفائقة على البطش بمن يريد.

قال ساخراً:

- تريد استجوابي إذن.. هات ما عندك.

- عندي سؤال واحد لو أجبت عنه سوف أفعل ما تطلبه مني.

اهتز ثبات عرنوس وتلفت حوله مخفياً حرجه مستسماً الحاضرين

في تركهما على انفراد تحسباً للمفاجآت، لكن عاصم قال في حسم:

- أشرت بقاء السكان.

ساد صمت مشحون بالقلق، وصاح أحد الجيران:

- دعه يسأل ما يشاء يا عرنوس بك، لعل الله يهديه.

سرت همهمات التأييد من الجمع، ومازال عرنوس صامتا. تجلت

علامات الانتصار في نظرات عاصم أمام تخاذل عرنوس وتردده فصاح

مستغزاً إياه:

- هاه.. أسأل؟!

قال عرنوس بك يائساً:

- أسأل.

ضحك عاصم مقهقهها. انتقلت عدوى الضحك بين الجميع وظلت

سارية حتى قال عاصم في جدية مشيراً إلى الجماهرة التي تزايدت من

السكان والجيران:

- السؤال غير موجه إليك يا عرنوس. إني أوجهه لهؤلاء الأغبياء.

استطاع عرنوس أن يتنفس، ولكن مالبث عاصم أن قال مشيراً

بسبابته إلى أنف عرنوس:

- كيف تتركون كل السكان وتفوضون هذا الوغد ليفصل في أمري

وكلكم تعلمون أمره؟!

- ٥ -

قال الطبيب الكبير:

- الدكتور عاصم في كامل قواه العقلية والنفسية والجسمانية.

تساءلت الزوجة في لهفة:

- فكيف يعود كما كان؟

- لا يستطيع الطب الإجابة.

- فماذا يمكننا أن نفعل؟

- صلوا لأجله.

السعودية

مركز سعودي للترجمة
في مدينة زينتسا البوسنية



الأمير سلمان بن عبد العزيز

تنفذ الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك بتوجيهات رئيسها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض مشروعاً ثقافياً إسلامياً مهماً في مدينة زينيتسا، يتمثل في إقامة مركز لترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة البوسنية. بدأ المركز، الذي اتخذ من دار الإفتاء بالمدينة مقراً له، عمله بترجمة وطباعة ١٥٠ ألف نسخة من كتاب «الحياة الأسرية في الإسلام»، وتجري حالياً ترجمة تفسير ابن كثير تمهيداً لطباعته.

مشروع لدراسة الإعاقة لدى الأطفال

وقعت أربع جهات حكومية وخيرية عقد تنفيذ مشروع بحثي وطني عن الإعاقة، يحمل اسم «مشروع البحث الوطني لدراسة الإعاقة لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية».

يرمي المشروع إلى معرفة حجم الإعاقة لدى الأطفال تحت سن الثانية عشرة، وتحديد أنواعها، وتوزيعها الجغرافي، ومسبباتها، ومسح الخدمات المتوفرة سواء الحكومية منها

أو الأهلية، وصولاً لتحديد متطلبات الرعاية المناسبة، وإعداد برامج للحد من حدوث الإعاقات، مع وضع برامج تدريب لإعداد الطاقات المؤهلة لرعاية المعاقين.

والجهات الأربع التي تتبنى المشروع هي: مؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية، الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وشركة سابك.

متحفان إسلاميان في مكة والمدينة

تقرر إنشاء متحف إسلامي في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتجري حالياً دراسات للانتهاء من عمل تصاميم متحفين محليين في كل من القصيم ووادي الدواسر. وأكد وكيل وزارة المعارف للآثار أن الوزارة تخطط مستقبلاً لإقامة متاحف في مدن أخرى أو تحويل بعض المعالم الأثرية المنتشرة في المدن إلى متاحف.

مركز الأمير محمد بن فهد للبحوث الطبية

تعتزم جامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية تأسيس مركز للبحوث في كلية الطب والعلوم الطبية التابعة لها، يحمل اسم «مركز الأمير محمد بن فهد للبحوث والدراسات الطبية». يرمي المركز إلى توفير المناخ العلمي اللازم لطلاب الدراسات العليا وطالباتها، للقيام بأبحاثهم في الأمراض المتوطنة والمشكلات البيئية والصحية بالمنطقة الشرقية، ويقام على مساحة ١٦ ألف متر مربع بتكلفة قدرها ٥٢ مليون ريال.

ندوة ظاهرة

الضعف اللغوي

تعتقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خلال الفترة من ٢٢ إلى

الحركة الثقافية في شهر

بليوجرافيا شاملة لما ترجم إلى العربية

منح الشاعر الجواهري أرفع الأوسمة السورية

تونس عاصمة العالم الثقافية لعام ١٩٩٧ م

معارض فنية متنوعة، وكشوف أثرية مختلفة

إنشاء أول مركز إسلامي في السويد

إنشاء دار نشر لكتب الخيال العلمي



محمد صلاح الدين

الشرعية الإسلامية.
وفاز الكاتب
الصحفي محمد
صلاح الدين
«بجائزة العمود
الصحفي» عن
عموده الذي تنشره
له جريدة المدينة المنورة، وحظي

بجائزة المقال الشاعر والناقد محيي الدين
اللاذقاني عن مقالاته المنشورة في صحيفة
الشرق الأوسط، وكانت جائزة التحقيقات
الصحفية من نصيب الصحفي أيمن الصياد
عن تحقيقاته المنشورة في مجلة «المجلة»، ونالت
جيهان فاروق الحسيني جائزة الحوار
الصحفي عن حواراتها مع العديد من
الشخصيات التي نشرت في مجلتي «الوطن
العربي» و«كلام الناس»، وفاز بجائزة
الكاريكاتير هاشم عبدالعزيز كاروري عن
رسوماته في صحيفتي «المدينة المنورة»
و«سعودي جازيت».

الفائزون في مسابقة أدب الطفل

أعلنت - مؤخراً - أسماء الفائزين في
المسابقة الثقافية الرابعة والعشرين لنادي أبها
الأدبي حول أدب الأطفال في مجالات:
الشعر، القصة، والمسرح.
تقاسم الجائزة الأولى للشعر كل من
درويش الأسويطي ورفعت عبدالوهاب
المرصفي، ونال الجائزة الثانية محمد سعيد
البريكي، وتقاسم المركز الثالث كل من
مديحة إبراهيم حجازي وصديقة أخرس.

وفي مجال القصة، جاء في المركز الأول
فريد محمد معوض، تلاه خالد محمد
خلاوي، ثم محمد علي وهبة.
ونال الجائزة الأولى للمسرح أحمد
زرزور، وحلت أمل غانم صقر في المركز
الثاني، ثم محسن محمد حسن.

١٤١٦/٥/٢٤هـ، ندوة بعنوان «ظاهرة
الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية» يشارك
فيها عدد من المتخصصين في علوم اللغة
العربية، والمعنيين بعلاج ظاهرة الضعف
اللغوي. وأوضح عميد كلية اللغة العربية
رئيس اللجنة التحضيرية للندوة، د. عبدالعزيز
عبدالله العواد، أن عدد الأبحاث المقدمة
للندوة بلغ ٧٠ بحثاً.

جائزة نادي جدة الأدبي

أعلن نادي جدة الأدبي عن جائزة الإبداع
السنية التي تبلغ قيمتها ١٠٠٠٠ ريال
لأحسن كتاب أدبي، ووضع النادي الشروط
التالية:

- أن يكون الكتاب صادراً في الفترة من
١٤١٠ إلى ١٤١٥هـ.
- أن يكون العمل إبداعياً.
- أن يكون المؤلف سعودياً أو من دول
مجلس التعاون الخليجي.
- سوف تخضع الأعمال المقدمة لتحكيم
علمي سري تقرر بموجبه النتائج.
- حدد ١٥ رجب القادم موعداً نهائياً
لتلقي الترشيحات.
- تقبل الترشيحات من المؤسسات العلمية
والثقافية، ويجوز الترشيح الشخصي.
- أن ترسل ثلاث نسخ من العمل المرشح.
يتم إرسال الترشيحات على عنوان النادي
(ص.ب ٥٩١٩ - جدة ٢١٤٣٢).

الفائزون بجوائز علي وعثمان حافظ الصحفية

أعلنت - مؤخراً - أسماء الفائزين بجائزة
علي وعثمان حافظ الصحفية لعام ١٩٩٤م
في فروعها المختلفة.
نال جائزة مفكر العام المستشار د. طارق
البشري لاجتهاداته الفكرية المنطلقة من أصول

كتب جديدة

أصدرت جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية دليلاً إحصائياً لأنشطة معهد العلوم
الإسلامية والعربية في أندونيسيا بمناسبة مرور
خمس عشرة عاماً على افتتاحه.

الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج
العربية: نظرة إسلامية، تأليف د. محمد
عبدالعليم مرسي، صدر عن مكتبة العبيكان
في الرياض.

لكي تنجز أهدافك، تأليف بول هوك،
ترجمة إلى العربية د. فهد سعود البجيا،
وراجعه د. أحمد الشويخات.

خدمات الإعاقة في المكتبة الحديثة،
تأليف سعود عبدالله الحزيمي، صدر عن مكتبة
الملك فهد الوطنية.

معلم التربية البدنية في دول الخليج
العربي: اختياره، إعداده، مؤهلاته، إعداد د.
عبدالوهاب محمد التجار، صدر عن مكتب
التربية العربي لدول الخليج.

الاختيار، ديوان شعر جديد للشاعر يحيى
السماوي، صدر عن دار الرفاعي.

الشباب وقضايا المعاصرة، تأليف: د.
إبراهيم بن مبارك الجوير، صدر عن مكتبة
العبيكان.

الكويت

كتب جديدة

الفكر الشرقي القديم، تأليف جون كولر،
ترجمه إلى العربية كامل يوسف حسين،
وراجعه د. إمام عبدالفتاح إمام، وصدر ضمن
سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني

محافضة أسوان لاستضافة المهرجان، نظراً لوجود أحجار الجرانيت بها، حيث سيتم استخدامها في النحت، إلى جانب توافر المناخ الفرعوني، حيث تزخر بالمعابد القديمة، مما يمكن الفنانين من استلهام أعمالهم منها.

مؤتمر عن التراث

في الإبداع المعاصر

يقام في مدينة الأقصر مؤتمر أدبي كبير تحت عنوان «التراث في الإبداع المصري المعاصر»، خلال شهر جمادى الأولى المقبل. يرأس المؤتمر الروائي بهاء طاهر، ويتضمن طرح قضايا مختلفة تتعلق بالتراث والإبداع



بهاء طاهر

والصلة بينهما من خلال دراسات تطبيقية على إبداعات أدباء الصعيد، مع محور خاص عن أثر مؤتمر طيبة الأدبي في إثراء الحياة الثقافية منذ انطلاقة الأولى عام ١٩٨٩م.

مؤتمر دولي عن قضايا

البحث العلمي بالجامعات الإسلامية

استضافت جامعة الأزهر في النصف الثاني من شهر صفر الماضي مؤتمراً دولياً لمناقشة قضايا البحث العلمي في الجامعات الإسلامية والمصرية.

ناقش المؤتمر على امتداد أربعة أيام دور البحث العلمي في خدمة قضايا الصناعة والتقنية والإنتاج الزراعي والتنمية والصحة والاقتصاد والإدارة، ودور الجامعات الإسلامية والعامة في تخريج الطاقات المتخصصة اللازمة لدفع مسيرة التنمية في البلدان الإسلامية. إضافة إلى بحث المعوقات والمشكلات التي تعترض البحث العلمي.

لعمل بيلوجرافيا شاملة لكل ما ترجم إلى اللغة العربية في السنوات العشر الماضية وجود نقص حاد في الكتب العلمية المترجمة، وضعف الترجمة عن بعض اللغات الأوروبية مثل الألمانية.

يشمل المشروع الفترة ما بين ١٩٨٥م إلى ١٩٩٤م، وقد انتهى بالفعل من الجزء الخاص بترجمات عام ١٩٩٤م وتم إصداره، فيما يعد لإصدار الطبعة الكاملة التي تشمل السنوات العشر، وتضم قرابة عشرين ألف عنوان.

نُصب فرعونية تحت البحر

أُكتشفت أثناء تنقيبات أثرية أجريت تحت البحر في موقع منارة الإسكندرية القديمة عشرة نصب شبه كاملة تعود إلى العهد الفرعوني، من بينها مسلة كتب عليها اسم الفرعون سيتي الأول (القرن الثالث عشر قبل الميلاد).

وعثر في الموقع نفسه على عدد كبير من القوالب الحجرية الضخمة، إلا أنه لم يعثر على كتابات يمكنها أن تؤكد أن هذه القوالب كانت تشكل منارة الإسكندرية القديمة. وتمتد الآثار التي عثر عليها على مساحة أكثر من هكتارين، وفي عمق يصل إلى ستة أو ثمانية أمتار تحت سطح البحر، حيث يعتقد أن سلسلة من الهزات الأرضية قد تسببت في ابتلاع البحر لقسم من المدينة.

ومن المقرر أن تستأنف عمليات التنقيب في الموقع بواسطة بعثة آثار فرنسية خلال شهر جمادى الأولى المقبل.

مهرجان دولي للنحت

في الهواء الطلق

يقام في مدينة أسوان في الشتاء المقبل مهرجان دولي للنحت في الهواء الطلق يستمر ثلاثة أشهر.

يشارك في المهرجان ١٥ نحاتاً عالمياً، إضافة إلى النحاتين المصريين، وأختيرت

للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

نوادير مخطوطات علامة الكويت الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، فهرس وصفى، صدر عن الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف.

عبدالعزیز حسین وحلم التنوير العربي (مجموعة دراسات حول دور عبدالعزیز حسین الفكري)، أشرف على إصدارها د. سليمان العسكري، وصدرت عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

فلسفات تربوية، تأليف د. سعيد إسماعيل، صدر عن عالم المعرفة (العدد الثامن والتسعون).

م

القاهرة مقراً لأول منظمة

عربية للمتاحف

اختار المجلس الدولي للمتاحف (الأيكوم) التابع لمنظمة اليونسكو مدينة القاهرة، لتكون مقراً لأول منظمة عربية للمتاحف.

وقرر المجلس في ختام اجتماعاته في مدينة ستافنجر بالنرويج اختيار الأمين العام للمجلس الأعلى المصري للآثار د. عبدالحليم نور الدين رئيساً للمنظمة العربية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

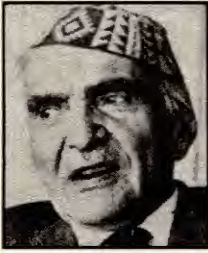
وترمي المنظمة إلى رعاية المتاحف وتطويرها، وتضم في عضويتها عشر دول عربية هي التي شاركت في اجتماعات «الأيكوم». وقد تقرر أن يعقد اجتماع موسع في القاهرة خلال الفترة من ١٦ - ٢١ رجب المقبل (٩ - ١٤ ديسمبر ١٩٩٥م) لدراسة اللائحة التنفيذية للمنظمة، بمشاركة مسؤولين حكوميين وخبراء متاحف وآثار.

بيلوجرافيا للمترجمات

إلى العربية

أظهر مشروع تنفذه دار الكتب المصرية

عن الرئيس الأسد وازنت فيها بين الجواهري والمنتني، قالت فيها: «إن الجواهري يتماهى بالمنتني، ومن قال إن المنتني لو كان حياً لما تماهى بالجواهري».



الجواهري

ويذكر أن الجواهري من مواليد النجف عام ١٩٠٠، وهو ينتمي إلى أسرة عريقة في علوم الدين والشعر والأدب، وقرض الشعر مبكراً،

حيث صدر أول دواوينه عام ١٩٢٣م، كما أصدر عدداً من الصحف منها «الفرات» ١٩٣٠م، «الانقلاب» ١٩٣٦م، «الرأي العام» ١٩٤٨م، وأسقطت الجنسية العراقية عنه بقرار من النظام العراقي قبل أشهر.

منحوتة من العصر الحجري

عشر على منحوتة حجرية نادرة تعود إلى العصر الحجري الحديث، أي قرابة ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد في موقع الجرف الأحمر على ضفة نهر الفرات في منطقة غمد سد تشرين بمحافظة حلب.

ويوجد على المنحوتة التي يبلغ طولها ٤,٥ متر وعرضها ٣,٥ متر صورة لطائر النسر في قسمها العلوي، بينما احتوى القسم الأسفل على صورة غزال يقف بين خطوط مثل أفاع.

وتعد هذه المنحوتة - حسب وصف أحد الخبراء - أقدم وثيقة في العالم، حيث تدل على أن طائر النسر انطلق من سورية منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، وهو حالياً شعار الدولة.

أعدها للنشر د. مراد وهبة، وصدرت عن المجلس الأعلى للثقافة.

الأسلوبية والتقاليد الشعرية؛ تأليف محمد أحمد بري.

الأوييون والماليك، تأليف د. قاسم عبده قاسم، ود. علي السيد علي.

صدر الكتابان السابقان عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

فيكتور، رواية للكاتب الإسرائيلي العراقي الأصل سامي ميخائيل، ترجمها إلى العربية سمير نقاش، وقدمها د. رشاد الشامي، وصدرت عن الدار العربية للنشر.

رجفة أثوابهم البيض، مجموعة قصصية ليويسف المحيّد، صدرت عن دار شرقيات.

أفق النص الروائي، تأليف عبدالعزيز موافي، صدر ضمن سلسلة «كتابات نقدية» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الحب في المنفى، رواية لبهاء طاهر، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال» عن مؤسسة دار الهلال.

أنشودة في وجه الريح، ديوان للشاعر شوقي علي مكي، صدر عن المكتب العربي للمعارف.

مختارات من شعر علي الجارم، أعدها وقّدها لها د. أحمد علي الجارم، وصدرت عن الدار المصرية اللبنانية.

سورية

تكريم الجواهري

أقيم مهرجان تكريمي للشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري في مكتبة الأسد بدمشق في النصف الأول من شهر صفر الماضي بحضور وزيرة الثقافة د. نجاح العطار.

وكان الرئيس السوري حافظ الأسد قد منح الجواهري وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة وهو أرفع وسام سوري، تقديراً وتكريماً للشعر والشعراء.

وألقت وزيرة الثقافة السورية كلمة نيابة

معرض للفنون التشكيلية

في الصحافة

ينظم المركز القومي للفنون التشكيلية مع مطلع العام الميلادي المقبل معرضاً هو الأول من نوعه عن الرسوم الفنية المصاحبة للموضوعات الصحفية المنشورة في الصحف والمجلات.

ويجرى حالياً تشكيل لجنة عليا لمتابعة تنفيذ المشروع، الذي تقرر أن يكون دورياً كل ثلاث سنوات.

وفاة صاحب «المصري»

توفي - مؤخراً - الكاتب والصحافي حسين أبو الفتوح، أحد ملاك جريدة «المصري»، وتقيب الصحفيين الأسبق.

بدأ أبو الفتوح العمل الصحافي في الأربعينيات الميلادية، وترأس مجلس إدارة جريدة «المصري» ورئاسة تحريرها حتى إغلاقها، كما أنتخب نقيباً للصحفيين عامي ١٩٥١-١٩٥٢م، وظل نقيباً حتى حل النقابة عام ١٩٥٤م، وهو حاصل على وسام الجمهورية عام ١٩٧٦م، وعاش مغترباً منذ منتصف الخمسينيات الميلادية وحتى قبيل وفاته بقليل.

كتب جديدة

الرؤية الإبداعية في أدب عبد الحميد جودة السحار، تأليف الدكاترة: محمد عبد المنعم خفاجي، عبدالعزيز شرف وعبد الفتاح شلبي، صدر عن مكتبة مصر.

ثورة في عالم الإدارة، تأليف توم بيترز، ترجمه إلى العربية محمد الحديدي، وصدر في جزئين عن الدار الدولية للنشر والتوزيع.

رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين الأذواق والأحوال، تأليف عبدالرازق الكاشاني، تحقيق وتقديم سعيد عبدالفتاح، صدر عن المكتبة الأزهرية للتراث.

حوار حول ابن رشد، مجموعة بحوث

ندوة علمية عن

ابن السلوم الحلبي

تقام في معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ندوة عن الطبيب العربي «الكامل صالح بن السلوم الحلبي» الذي عاش في مطلع القرن السابع عشر الميلادي، وترك العديد من المؤلفات الطبية المهمة.

تقام الندوة خلال شهر جمادى الأولى المقبل، ويشارك في أعمالها عدد من الباحثين والأطباء حيث يناقشون مؤلفات ابن السلوم، وأثره في علوم الطب.

مؤتمر عن مصر والشام

عبر العصور

يشارك خمسون مؤرخاً وأكاديمياً من الجامعات المصرية والسورية في مؤتمر بعنوان «مصر والشام وحدة عبر العصور»، خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٤ جمادى الأولى المقبل (١٦ - ١٩ أكتوبر ١٩٩٥م).

يرمي المؤتمر إلى تقوية الروابط بين مصر وسورية، وإثبات أن الشام ومصر يكملان

بعضهما، وأن أكثر الانتصارات خلوداً هي التي تمت بتنسيق بين هاتين القوتين. ينظم المؤتمر جامعتا دمشق والقاهرة.

السودان

معرض فني سوداني

شارك السودان في معرض الفن المعاصر الذي أقيم مؤخراً في العاصمة الأندونيسية جاكارتا بعشر لوحات مختارة للفنانين أحمد محمد شيرين، وحسن الهادي، وعبدالباسط الخاتم، وأحمد الأمين با بكر، ومحمد عبدالله عتيبي، إلى جانب لوحات شارك بها الفنان صالح مأمون سفير السودان لدى أندونيسيا.

لبنان

كشف أثري

عثر بالقرب من برج المرفى بيروت أثناء شق نفق يربط وسط المدينة بأطرافها على معالم سبع مقابر جماعية وثلاثة نواويس

مزخرفة ومنحوتة، وستة هياكل عظمية في حفرة واحدة، يعتقد أنها كانت جزءاً من بيت أو مسكن.

ويعتقد أن النواويس تعود إلى العصور الرومانية، وبالتحديد إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

كتب جديدة

معالم النبوة في الكتاب والسنة، تأليف الشيخ خالد عبد الرحمن العك، صدر عن دار النفائس في بيروت.

سر النجاح، تأليف صموئيل صمايلز، تعريب يعقوب صروف، صدر عن دار الحمراء.

المستحيل لا يتوقف، مجموعة شعرية لمجاهد قلدري قلعجي، صدرت عن دار الكاتب العربي.

ديوان عمرو بن قميثة، تحقيق خليل إبراهيم العطية، صدر عن دار نشر صادر.

الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، تأليف يورجن هابرماس، ترجمه للعربية نظير جاهل، وصدر عن المركز الثقافي العربي.

«القاهرة: المدينة والشاعر»، عنوان أمسية شعرية أقيمت في مكتبة القاهرة الكبرى، شارك فيها كل من: إسماعيل عقاب، عبدالمعتم عواد يوسف، عبدالمعتم رمضان، وحسن طلب.

«كيف تقضي الإجازة؟»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد التوجيهي في حوطة سدير بالسعودية، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري.

«ثورة يوليو وأثرها في الأدب العربي الحديث»، عنوان ندوة نظمتها رابطة الأدب الحديث في القاهرة، بمشاركة عدد من الأدباء والنقاد، أدار الندوة رئيس الرابطة الناقد د. محمد عبدالمعتم خفاجي.

«ماذا يجري حولنا؟»، عنوان ندوة أقيمت في مركز شباب

محاضرات وندوات

«الوقت والحياة»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد فقيه بالعزيزة في مكة المكرمة، د. أحمد نافع المورعي.

نظم البيت العالمي للثقافة في برلين بألمانيا أمسية للشاعر نزار قباني، قدمت الأمسية الناقدة سلمى الخضراء الجيوسي.

«الامتحان الأكبر»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأنصار بظهرة البديعة في الرياض، الشيخ عبدالله بن حماد الرسي.

«أحدث الوسائل لتحديد صلاحية الأغذية للاستهلاك الآدمي»، موضوع محاضرة ألقاها في مركز الاقتصاد الإسلامي بمدينة نصر في القاهرة، د. مصطفى عبدالرزاق نوفل.

أخرى تحت الطبع.

تونس

تونس عاصمة

ثقافية عالمية

مهرجان أصيلة الثقافي عن إلغاء المهرجان هذا العام.
وأكد ناطق باسم الجمعية أن رئيس المجلس البلدي لمدينة أصيلة وسفير المغرب في واشنطن محمد بن عيسى قرر إلغاء المهرجان بسبب الأزمة الاقتصادية التي يحيها المغرب نتيجة للجفاف.

الفائزون بجوائز
المغرب الفكرية والأدبية

رعى ولي العهد المغربي الأمير سيدي محمد - مؤخراً - حفل توزيع جائزة المغرب للكتاب للعام الحالي.
منحت جائزة الاستحقاق الكبرى لكل من: أحمد الصفريري، أحمد الشرقاوي

بدأت وزارة الثقافة التونسية بمشاركة وزارات وجهات حكومية وأهلية في وضع برنامج الاحتفالات المقرر إقامتها بمناسبة اختيار منظمة اليونسكو لتونس لتكون عاصمة العالم الثقافية عام ١٩٩٧م.
وتحرص الوزارة على أن تكون الاحتفالات على مستوى الحدث، خاصة أنها سوف تتزامن مع الاحتفال بالذكرى العاشرة للتغيير في تونس.

المغرب

إلغاء مهرجان أصيلة الثقافي
أعلنت «جمعية المحيط» التي تنظم سنوياً

مواطن الغد: نماذج في الثقافة المدنية، تأليف أنطون مسرة، صدر عن المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم.

العراق

وفاة الوردى وجنداري وبكر

غيب الموت خلال شهر صفر الماضي ثلاثة من أبرز أدباء العراق هم: علي الوردى، محمود جنداري، وإسماعيل عيسى بكر.
ويعد علي الوردى (٩٠ عاماً) من أبرز علماء الاجتماع ليس في العراق فحسب، وإنما في الوطن العربي، وله ما يقارب المائة مؤلف في هذا المجال.

أما القاص محمود الجنداري (٥٨ عاماً) فهو من رموز القصة العراقية المعاصرة، وله عدة مجموعات قصصية منها: «حالات»، «الحصار»، «الخامات» و«عصر المدن».

ويعد القاص إسماعيل عيسى بكر (٣٠ عاماً) من مؤسسي جمعية «تضاد» للقصة العراقية، وقد صدرت له مجموعة قصصية واحدة باسم «عيون مستعارة»، وله مجموعة

العرب، وشاركت فيها كل من: إنجي رشدي، أمينة شفيق، د. عواطف عبدالرحمن، د. إيناس طه، عطيات الأبنودي، تهماني الجبالي، د. علي الدين هلال، السيد ياسين، ونبيل عمر.
«قاديشا.. صفحة في تاريخ لبنان القرون الوسطى»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي لأكولينا في الراية ببيروت، آلان مارون، وفادي بارودي.

«آليات النقد الإسلامي وخصوصياته»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بمنطقة الباحة، د. حسن فهد الهويمل.
«الاتجاهات الحديثة في القصة والشعر»، موضوع ندوة نظمها جمعية الصعيد للتنمية والمدارس في المنيا بمصر، شارك فيها عدد من الأدباء والنقاد.

الجزيرة في القاهرة تحدث فيها د. مصطفى الفقي.

«مستقبل التعليم الجامعي بين الحكومة والقطاع الخاص»، موضوع ندوة نظمها لجنة التربية وعلم النفس في المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، تحدث فيها الدكتورة: جابر عصفور، حامد عمار، محمد الجوهري، عبدالحالقي علام، وأدارها: د. عبدالفتاح جلال.

«فناوى وأحكام»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الخالدية بمحافظة المذنب السعودية، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.

«مفهوم الشرف وأبعاده في مصر»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة جيرهارد سيركاتور دوسبورج الألمانية، عاصم العمري.

«واقع الإعلاميات بين حرية التعبير وفرص النفاذ إلى مراكز صنع القرار»، موضوع ندوة نظمها في القاهرة اتحاد المحامين

المجر

مركز ثقافي عربي وقسم للغة العربية

تأسس في بودابست أول مركز ثقافي عربي، وقسم للغة العربية في جامعة بيتش. أسهم في تأسيس المركز والقسم أساتذة قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة.

وفاة جيزا باسكاندي

توفي الأديب المجري الروماني الأصل جيزا باسكاندي عن عمر يناهز ٦٢ عاماً. وقد عرف باسكاندي الذي هاجر إلى المجر عام ١٩٧٤م بتناوله للمشكلات الاجتماعية في أوروبا في مسرحياته، وحصل عام ١٩٩٣م على جائزة كورات، التي تعد من أهم الجوائز المجرية، وترجمت أعماله إلى لغات عدة من أبرزها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والرومانية والبغارية والبولندية والإسبانية والفنلندية.

فرنسا

وفاة صاحب مختصر التفكك

توفي - مؤخرًا - في باريس الشاعر الفرنسي الروماني الأصل سيوران عن عمر يناهز ٨٤ عاماً.

ويصعب تصنيف سيوران في خانات الإبداع، أو تحديد مؤلفاته، إذ كان شاعراً وفيلسوفاً ومفكراً، وجمع بين نزعات متناقضة مثل العزلة والتقصف والصوفية السلبية والتأمل الميتافيزيقي والبوهيمية واللامبالاة واللهو والفوضى.

وقد أصدر مؤلفه الأول عام ١٩٤٩م بعنوان «مختصر التفكك»، وهو على مشارف الأربعين من عمره، وكتب بالفرنسية، والرومانية، حيث هاجر إلى فرنسا عام

مجموعة من العلماء والباحثين. الحضارة الإسلامية في النيجر، ترجمه عن الفرنسية د. محمد وقيدني. صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في الرباط.

تركيا

وفاة مترجم «آيات الشيطانية»

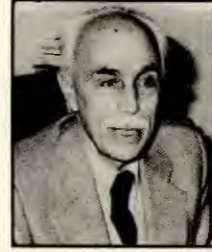
توفي - مؤخراً - الكاتب التركي عزيز نسين أثر أزمة قلبية عن عمر يناهز ٨٠ عاماً. ويعد نسين الذي كان ضابطاً وترك العمل العسكري ليتفرغ للكتابة من أكثر كتاب تركيا نتاجاً، حيث قدم نحو مائة كتاب، وعُرف بعلمانيته الشديدة، ومعاداته للإسلام وللحركة الإسلامية، حيث تحدى جموع المسلمين والحظر الحكومي وقام بنشر مقتطفات من رواية سلمان رشدي «آيات شيطانية»، وأساء إلى الإسلام في كلمة ألقاها، مما حدا بالجماهير الغاضبة إلى إحراق فندق كان يقيم فيه في بلدة سيواس مع ضيوف أحد المهرجانات، ومات في الحريق نحو ٣٧ مؤلفاً وكاتباً، وأُنقذ نيسين عن طريق سلم مطافئ.

السويد

أول مركز إسلامي

قررت بلدية ستوكهولم الموافقة على تحويل مبنى أثري تاريخي كان مقراً لشركة الكهرباء إلى مركز إسلامي هو الأول في العاصمة السويدية، يضم مسجداً وقاعات للمحاضرات والندوات والبحث. ويتنظر أن يكون المركز جاهزاً للعمل عقب الانتهاء من عمليات الإصلاحات والتعديلات والترميمات في المبنى، التي تستمر حتى مطلع عام ١٩٩٧م.

إقبال، والصادق بن العربي، تقديراً لمجموع نتاجاتهم في الميادين العلمية والثقافية والإبداعية.



عبدالكريم غلاب

ونال جائزة الكتاب في مجال الإبداع الأدبي الروائي عبدالكريم غلاب عن روايته «شروخ في المرايا»، ونال جائزة النقد الأدبي والفنسي محمد مفتاح عن كتابه «التلقي والتأويل مقارنة نسقية»، وحظى بجائزة العلوم الإنسانية والاجتماعية كل من: طه عبد الرحمن عن مؤلفه «تجديد المنهج في تقويم التراث»، وحسن جلاب عن مؤلفه «الحركة الصوفية وأثرها في الأدب» ونال جائزة العلوم والتقنية كل من: أحمد الأخضر غزال عن كتابه «الحلول التقنية لمشكلات الكتابة العربية»، وإدريس المرباط عن كتابه «مدخل إلى تاريخ الرياضيات بالمغرب العربي»، فيما حُجبت جائزة الترجمة.

وفاة الصحفي العربي الصقلي

توفي في الرباط - مؤخرًا - الصحفي المغربي العربي الصقلي عن عمر يناهز ٥٧ عاماً.

ويعد الصقلي من أشهر الصحفيين المغاربة، حيث عمل رئيساً للتحريير في الإذاعة المغربية، كما أسهم عام ١٩٧٣م في تأسيس المعهد العالي للصحافة في الرباط، وكان مديراً للفرع المغربي للاتحاد الدولي للصحفيين وللصحافة الناطقة بالفرنسية.

كتب جديدة

كتابان في العمل بالأسطرلاب، تأليف عبد الرحمن بن عمر الرازي، تحقيق علي عراوي. التقريب بين المذاهب الإسلامية، تأليف



عبد الفتاح أبو غدة

في مجال دراسات
الأحاديث الشريفة
وعلم الحديث.
وأبو غدة من
مواليد سورية عام
١٩١٧م، وهو مقيم
في السعودية منذ
أربعين عاماً، وتحديدًا
منذ عام ١٩٥٦م، وقد مارس التدريس في
جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية
والملك سعود، حتى تقاعده عام ١٩٩١م.

نقل مكتبة بوبر إلى النمسا

تتبنى وزارة الثقافة البريطانية مشروعًا لنقل
المكتبة الخاصة بالفيلسوف البريطاني
النمساوي الأصل كارل بوبر من بريطانيا إلى
مدينة كلانغفورت النمساوية.
وتتضمن مكتبة بوبر (١٩٠٢ - ١٩٩٤م)
ما يقارب ستة آلاف موسوعة ثقافية، حيث
كان صاحبها من أبرز الفلاسفة المعاصرين،
وله العديد من النظريات العلمية الثقافية، لعل
أبرزها نظرية منطق الاكتشافات العلمية.

وفاة سفير الأدب البريطاني

توفي - مؤخرًا - الشاعر والروائي ستيفن
سيندر عن عمر يناهز ٨٦ عامًا.
ولد سيندر عام ١٩٠٩م، وتلقى تعليمه
في أكسفورد وانتمى إلى جماعة شعراء
أكسفورد التي كانت تضم أودن، ماكيس،
سيسيل دي لويس، وكريستوفر ايشروود.
وعمل صحافيًا، حيث شارك في الحرب

طريق الذكاء، تأليف باري بوزان،
صدر عن دار نشر أورجانيز - أشون.
أطفال الأحد، تأليف برانجمان برجمان،
ترجمها إلى الفرنسية لوسي ألبرتيني، و.س.
ج. بجورسترم.
لويس باستير ومملكة الميكروب، تأليف
دانييل ريفار.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر
جاليمار.
العجبر في فرنسا ١٩٣٩ - ١٩٤٦م،
تأليف دنيس يشانسكي، صدر عن دار نشر
سانترناشيونال دولار بشرش سيانتيغيك.

كرواتيا

بقايا سفينة موريثانية من

القرن الثالث الميلادي

عثر قبالة جزيرة هفار الكرواتية على بقايا
سفينة موريثانية يعتقد أنها غرقت في القرن
الثالث الميلادي.
وجدت السفينة على عمق ما بين ٢٠ إلى
٢٥ مترًا، وتحتوي على ٧٠ جرة سعتها ٤٠
لترًا تقريبًا، جميعها في حالة جيدة، وعشرة
أخرى أصغر، كان الطاقم - فيما يبدو -
يستخدمها لحفظ الزيت والمياه، إضافة إلى
خزفيات وبقايا فسيقساء.

بريطانيا

أبو غدة يفوز بجائزة أكسفورد

للدراستات الإسلامية

منح العالم السوري الشيخ عبد الفتاح أبو
غدة، الأستاذ السابق بالجامعات السعودية
جائزة الدراسات الإسلامية التي تحمل اسم
سلطان بروناي حسن بلقيه، ويقدمها مركز
أكسفورد للدراسات الإسلامية.
جاء منح أبي غدة الجائزة تقديرًا لأعماله

١٩٣٧م ومن مؤلفاته «صلوات المهزومين»
باللغة الرومانية، وقد صدر أحد كتبه مترجمًا
باللغة العربية عام ١٩٩١م تحت عنوان
«توقيعات»، وهو عبارة عن مختارات من
شذراته، اختارها مترجم الكتاب لقمان سليم.

لجنة أولمبية دولية للإبداعات

الثقافية والفنية

أعلن - مؤخرًا - في قاعة الاحتفالات
الكبرى بمقر منظمة اليونسكو ميثاق اللجنة
الأولمبية للثقافة والفنون، بمشاركة ممثلي ٦٥
دولة من قارات العالم المختلفة.
وترمي اللجنة إلى إحياء الفنون الأولمبية
من خلال اجتماع فناني العالم ومبدعيه،
وتبادل الأفكار بين المتسابقين في مختلف
المجالات الثقافية والفكرية والفنية.

خمسون عامًا على الأمم المتحدة

صدر للكاتب أندريه لوين الناطق السابق
باسم الأمم المتحدة (١٩٧٢ - ١٩٧٦م) في
باريس كتاب بعنوان «الأمم المتحدة.. لماذا؟»،
ذلك بمناسبة مرور خمسين عامًا على إنشاء
هذه المنظمة العالمية التي تضم في عضويتها
١٨٥ دولة.
ويروي الكاتب الذي يعمل حاليًا سفيرًا
لفرنسا في النمسا المراحل المختلفة للأمم المتحدة
في سنواتها الخمسين.

أحدث الكتب

النقاش الممنوع: النقد وأوروبا والفقير،
تأليف جان بول فيتوشسي.
بناء تاريخ، تأليف جيرار شاليان.
صدر الكتابان السابقان عن دار نشر
أرليا.

عشية اصطدام جبل الثلج، (رواية
تاريخية لحادث غرق السفينة تيتانيك)،
تأليف فرانس هوسر، وبرنار جينييه، صدر
عن دار نشر فايار.

مشروعه المتعلق باكتشاف الزيولايت وتطوير استخداماته في الزراعة والبيئة.

هاديا سعيد تفوز

بجائزة «الكاتبة»

منحت الكاتبة اللبنانية هاديا سعيد جائزة أفضل عمل روائي تكتبه امرأة من العالم العربي التي تقدمها مجلة «الكاتبة» عن روايتها «بستان أسود».

شاركت في المسابقة ١٧ رواية من ثماني دول عربية، حيث قامت لجنة خاصة من المجلة بإجراء التصفية الأولى، وعرضت الروايات المتبقية على الناقد يميني العيد وصبحي الحديدي والروائي إدوار الخراط، حيث قرروا بالإجماع اختيار الرواية الفائزة. ويذكر أن «جائزة الكاتبة للرواية» تأسست عام ١٩٩٤م وتمنح كل عامين.

تظاهرة ثقافية أفريقية

تقام حالياً في لندن تظاهرة ثقافية أفريقية تحت عنوان «أفريقيا ٩٥»، ترمي إلى التعريف بالوجه الحضاري لأفريقيا، وتستمر إلى شهر

المعروضات مع التقنية الحديثة التي زود المعرض بها، ليتمكن زواره عبر شبكتها من الاستزادة من المعلومات.

تسليم جائزة

الملك عبدالله بن الحسين



د. ناصر الأسد

قام د. ناصر الدين الأسد، رئيس المجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بتوزيع جائزة الملك عبدالله بن الحسين في مجال التقنية والعلوم التطبيقية لعام ١٩٩٥م على الفائزين بها، في حفل كبير أقيم بجامعة درهام شمال بريطانيا.

قسمت الجائزة بين الجمعية العلمية الملكية في الأردن والموظف بها مازن يونس عن مشروع يتعلق بالطاقة الكهربائية المولدة من الأشعة الشمسية، وفاز بالنصف الآخر د. إبراهيم الدويري من جامعة اليرموك عن

الأهلية الإسبانية بهذه الصفة، وأسهم في إصدار مجلة «الأم» خلال الحرب العالمية الثانية.

ومن مؤلفاته: «قصائد مختارة»، و«المعبد» رواية، كما ترجم ثلاثية سوفوكليس «أوديب». وترجم لشيللر وريلك ولوركا ويفتشنكو وآخرين، ولماكانته الأدبية العالمية وصفته جريدة الحارس «الجارديان» بأنه كان سفيراً غير رسمي للأدب الإنجليزي لا يمكن أن يتكرر في المستقبل وحلقة وصل بين ثلاثينيات هذا الأدب وتسعينياته.

معرض لفنون الخرائط

نظمت المكتبة البريطانية معرضاً في لندن بعنوان «الأرض والسماء في وضع الخرائط الجغرافية».

اشتمل المعرض على أكثر من مائة نموذج من الخرائط والكتب والمخطوطات واللوحات الفنية القديمة، من بينها إسهامات العرب والمسلمين، كما ضمت المعروضات تحفاً من المكتبة البريطانية والمتحف العلمي، ومتحف البحار القومي البريطاني، وتفاعلت هذه

رسائل جامعية

في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد عبدالمعطي.

«الشعر في عمان في عصر النباهنة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدمت بها سعيدة بنت خاطر الفارس.

«مجلات المرأة والأسرة في الوطن العربي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم الإعلام بكلية الآداب في جامعة الزقازيق، تقدم بها إسماعيل إبراهيم.

«اقتصاديات صناعة الصحافة في مصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة السوربون في باريس، تقدم بها إبراهيم أحمد إبراهيم.

«مستويات البناء الشعري عند الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق، تقدم بها شكري الطوانسي.

«المنطق وعلاقته باللغة عند الأشاعرة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بسوهاج في مصر، تقدم بها محمود محمد أحمد.

«ديوان الإنشاء» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها إبراهيم عبدالغني شحاتة.

«الحرية الإنسانية بين أفلاطون وأرسطو»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنيا في مصر، تقدمت بها أمية البكري.

«نظرية الاستدراك عند ابن حزم»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية آداب بنها في مصر، تقدم بها عبدالقادر الفيتوري.

«المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والخفرين في القرون السادس والسابع والثامن للهجرة.. دراسة حضارية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الآثار بجامعة الجزائر، تقدم بها صالح بن فريه.

«دور المشرف التربوي ومدير المدرسة في تطوير مناهج المواد الاجتماعية في المملكة العربية السعودية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى، تقدم بها عبدالعزيز محمد مشيب القحطاني.

«الدعاية الانتخابية في ظل النظام الانتخابي المصري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم الإعلام بكلية الآداب في جامعة الزقازيق المصرية، تقدم بها لواء محمد كمال القاضي.

«مشكلة الغاية عند الفلاسفة الإسلاميين»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت

تأليف توني ينيت، صدر عن دار نشر روت
ليدج.

إسبانيا

افتتاح متحف لوركا

اختيار المشروع المعماري المناسب، تمهيداً
للبدء في عملية توسيع المتحف مع مطلع عام
١٩٩٧م، وتتكلف هذه العملية نحو عشرين
مليار بيزطة إسبانية.

ألمانيا

معرض للوحات فنانني الجسر

افتتح معرض فني كبير يضم أبرز أعمال
حركة فنانني الجسر في قصر مورتسبورج في
مدينة درسن، بمناسبة مرور تسعين عاماً على
تأسيس هذه الحركة الفنية في المدينة.
ضم المعرض ما يزيد على مائة وثلاثين لوحة
لمجموعة مختلفة من فنانني الحركة التي أسسها

افتتح مؤخراً متحف الشاعر الإسباني
جارسيا لوركا (١٨٩٨ - ١٩٣٦م)، حيث تم
تحويل منزله في جزيرة جرانادا إلى متحف
يضم أعماله الشعرية، إلى جانب ٢٤ لوحة
للرسام سلفادور دالي، كان قد أهداها إلى
لوركا، لما بينهما من صداقة.

مسابقة لتوسعة متحف برادو

ينتظر أن يشارك ما يقارب خمسمائة
معماري في مسابقة تجريها وزارة الثقافة من
أجل عملية توسيع متحف برادو، الذي يعد
المتحف القومي الإسباني، حيث يحتوي على
عدد هائل من القطع الفنية لكبار الفنانين
التشكيليين على مدى العصور.
ومن المقرر أن يتم في يونيو ١٩٩٦م

شعبان المقبل (نهاية ديسمبر ١٩٩٥م).
يغطي المهرجان أنواعاً مختلفة من الفنون
مثل الرسم والنحت والموسيقى والسينما،
وتشارك فيه سبع دول أفريقية أبرزها السنغال
ونيجيريا وجنوب أفريقيا، يمثلها أكثر من ستين
فناناً وأربعين شريطاً سينمائياً.

أحدث الكتب

دليل أكسفورد للفلسفة، إعداد تيد
هنريك
قرن من الجواسيس، تأليف جيفري. تي.
ريتشلسن.
صدر الكتابان السابقان ضمن مطبوعات
جامعة أكسفورد

التاريخ المعاصر لجنوب شرقي آسيا، تأليف
كليف. جي. كريست، صدر عن دار نشر
ديمي.

التلفاز والتبادل الثقافي، تأليف ماري
ميلسبي، صدر عن دار نشر روت ليرج.
الطريق إلى السلطة، تأليف مارجريت
ثاتشر، صدر عن دار نشر هاربر وكولينز.
المتاحف.. التاريخ والنظرية والسياسة،

التجارية)، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التجارة بجامعة عين شمس،
تقدمت بها جازية صلاح الدين زعتر.

«المرئيات الاجتماعية في المسرحين الإسباني والمصري المعاصرين من خلال
أعمال بويرو بايخو ونعمان عاشور»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة
الإسبانية، بكلية الفلسفة والآداب بجامعة أتونوما في مدريد، تقدم بها جمال يوسف
زكي.

«تحليل أسلوب مسرحية والاس ستيفنز: ثلاثة مسافرين يرقبون شروق الشمس»
موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة الإنجليزية، بكلية الآداب في جامعة
القاهرة، تقدمت بها إنجي محمد عرفة.

«شعر المهجر.. دراسة الجملة الاسمية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في
كلية آداب بنها في مصر، تقدم بها سامي محمد محمد عمر.

«المونولوج بين الدراما الشعرية والشعر الدرامي»، موضوع رسالة ماجستير
نوقشت في المعهد العالي للنقد الفني التابع لأكاديمية الفنون بالقاهرة، تقدم بها أسامة
فحات.

«إبراهيم بن أدهم وتصوفه»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية
الدراسات العربية بجامعة المنيا في مصر، تقدم بها محمد عبد الحميد.

«الحلي وأدوات الزينة في عصور ما قبل التاريخ والعصر المبكر»، عنوان رسالة
دكتوراه نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها مصطفى عطا الله
محمد خليفة.

«تشنيف السمع في انسكاب الدمع لمؤلفه صلاح الدين خليل بن أيلك
الصفدي.. دراسة وتحقيق»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب
بينها في مصر، تقدم بها أشرف محمد البطاوي.

«تحليل الإجهادات الناشئة عن الحرارة العالية في المفاعلات النووية ومحطات
الطاقة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة توتنجهام البريطانية، تقدم
بها خالد أحمد يحيى.

«المجلات الأدبية في مصر في الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٨١م.. دراسة فنية
تاريخية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة،
تقدمت بها عزة بلدر.

«استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي وعلاقتها بالأداء المتميز في البنوك

الولايات المتحدة

حسب موضوعاتها.

وفاة مؤرخ الحروب

توفي - مؤخراً - الكاتب الصحفي جورج سيلدز عن عمر يناهز ١٠٤ أعوام. بدأ سيلدز عمله في الصحافة وهو ما يزال بعد في الثانية عشرة من عمره، واستطاع من خلال عمله الصحفي أن يتابع أهم أحداث العالم من حروب وصراعات، وشكلت مقالاته النقدية اللاذعة علامة بارزة في تاريخه الصحفي، مما عرض بعضها للمصادرة والمنع من جانب الرقابة الصحفية وقتها، مما اضطره إلى جمعها في كتاب تحت عنوان «ممنوع من النشر»، احتل قائمة أعلى المؤلفات مبيعاً لعام ١٩٢٩م. وكان آخر مؤلفاته كتابه «شاهد على العصر» الذي أصدره قبل رحيله.

رحيل سيوران

توفي مؤخراً كاتب المقال أي. أم. سيوران (٨٤ عاماً)، وهو يعد من أكثر الكتاب اهتماماً بالكتابات الفلسفية، من مؤلفاته «قمة اليأس» ١٩٣٣، «إغراء الوجود» ١٩٥٦م، «السقوط في الزمن» ١٩٦٤م، و«المشكلة أنى ولدت» ١٩٧٢م، كما أنه كتب باللغة الفرنسية، حيث عاش فترة طويلة في فرنسا.

النمسا

تحويل بيوت كبار الموسيقيين

إلى مزارات سياحية انتهى - مؤخراً - العمل في مشروع ثقافي يرمي إلى إعادة افتتاح مقر إقامة بعض أشهر الموسيقيين في فيينا للجمهور بوصفها مزارات سياحية. يشمل المشروع مقار إقامة بيتهوفن، ويوهان شتراوس، وجوزيف هايدن.

معرض «تجاوز السلام»

يستضيف مقر قصر الأمم في جنيف حالياً معرضاً فنياً تحت عنوان «تجاوز السلام» يستمر حتى الرابع من شهر ربيع الآخر (٣١ أغسطس ١٩٩٥م). يقدم المعرض حواراً بين مختلف الثقافات حول موضوع واحد عبر أعمال ستين من المبدعين، أنجز كل منهم عملاً خصيصاً احتفالاً بالذكرى الخمسين لمولد منظمة الأمم المتحدة. وتباينت لغة الحوار في هذا الصدد، حيث عبر معظمها عن حقوق الإنسان، والإنسان في المنفى والإنسان المغترب.

دار نشر لكتب الخيال العلمي

«إيورييس» اسم أحدث دار نشر سويسرية، وهي متخصصة في كتب الخيال العلمي، حيث ترمع نشر سبعة أو ثمانية كتب سنوياً، وشاركت في تأسيسها الكاتبة السويسرية إيزابيل كودابومبياني. من الكتب المعدة للنشر، كتاب بعنوان «الخليج الأبيض» لفريدي يومون، و«حمرة البحر» لآلان نويل، و«الأراضي الغريبة» لفورتيه شالومو.

أستراليا

آثار حيوان عمرها ٤٢٠ مليون عام

اكتشفت في الحديقة الوطنية في كالباري في غرب أستراليا أقدم آثار لقوائم حيوانات، تعود إلى أكثر من ٤٢٠ مليون سنة. ويحمل هذا الكشف على الاعتقاد بأن الحيوانات بدأت في مغادرة المياه والزحف إلى اليابسة قبل نحو ثلاثين مليون سنة، حيث تعد الآثار المكتشفة أقدم من أقدم حفرة لجسم حيوان برّي تم العثور عليه حتى الآن.

في مطلع القرن الميلادي الحالي مجموعة من الفنانين الكبار، في مقدمتهم أرنست لودفيج، وماكس بشتاين، وفريتز بلاير وإيريش هيكل.

معرض

فني مكسيكي

استضافت مدينة كونزلزاو معرضاً تشكيليًا مكسيكيًا في مجالي الرسم والحفر أقيم تحت شعار «الفن بين الطبيعة والوقت المعاصر».

ضم المعرض ١٣٥ عملاً، قدمها خمسة عشر فناناً، تميزت - رغم اختلاف توجهات مبدعيها - باستلهاهم رموز التراث الهندي الأحمر، مما يشكل عودة إلى التراث بعد سنوات من تأثر الفن المكسيكي بالمدارس الفنية الأوروبية، كنتيجة طبيعية لفرض المستعمرين عقليتهم.

سويسرا

معرض الفن العثماني

يقام حالياً في متحف راث بالاس نوف في جنيف معرض بعنوان «إمبراطورية السلاطين.. الفن العثماني في مجموعة ناصر، د. خليلي»، يستمر حتى الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر (٢٤ سبتمبر ١٩٩٥م). يضم المعرض مجموعة هائلة من المعروضات يصل عددها إلى ٢٥٠ قطعة، من بينها مختارات لنسخ القرآن الكريم، ومخطوطات، وقطع معدنية، وأطالس جغرافية، وأسلحة، وفرمانات تحمل علامة الطغراء، وقد جرى تصنيف جميع القطع

أيام صوفيا

د. حيدر الغدير

أتيت رحابه خفف الجنان
فلأحزن تارة وأبش آخرى
وطفت بها فـحكي لي وأحكي
وما قد مرّ من سعد ونحس
ضممت المسجد الخالي ففاضت
وأجهش لي وأجهشنا وكنا
ومال المنبر المحزون نحوي
وقلت له وقال ومائبنا
ومرّ على فؤادي همس نجوى
ومحارب له بثّ ووجد
سألت المسجد المحزون لما
حنانك ما تريد فقال عود
أحن إلى بلال إذ ينادي
ومع تكفينا جني من براه
وجمع إثر جمع من كرام
وشيوخ في عباءته جلال
وشبان كما أهوى وتهوى
وبيض قد درجن إلى صلاة
وسيف سلّ للإسلام صلّت
وسلطان إذا ساحل ساحا
له بطش إذا ما اغترب باغ
وجود حاتم يوم جدد
أحن إلى الأذان حنين ثكلى
لقد ملّت ضلوعي من دموعي
أمضي العمر مأسورا وحيدا
أما من فاتح يجلو همومي
فقلت: بلى أطل الفجر يُزجي

تدافعني وأطلبها الأمان
ويخذلني ويسمعفني جناني
لها ما كان في ماضي الزمان
وما أبلى وأبقى العاقبان
مواجهه وسالت دمعان
أسيري غربة يتعمانقان
وأطرق عاتبا لما رأي
وأغنانا السكوت عن البيان
لمذنة تشوّف للأذان
وأشواق لآمال حسان
عراني من شجاه ماعراني
لأيام خلت كالمهرجاني
يغرّد فيّ في سمع الزمان
وتال يقرأ السبع المثاني
وقد هشت لهم مني المغاني
ونور بصيرة وسنا بيان
لصدق أو لعلم أو طعان
قوانت نيرات كالجُمان
تعود أن يظفّر وهو قان
أناه عوده مبيت الجنان
وعفوا عن مُرّاة وعان
ورقّة والد حذب وحنان
وأرنو الدهر للجمع الحسان
وأنت من مكابدة الهوان
أعاني في إساري ما أعاني
وتصدق عنده غرّ الأمان
مواكبه ونحن الشاهدان





الجزيرة تكفيك



**تثري
مسائك**

المسabeeh
مؤسسة النشر والطباعة والنشر

تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للطباعة والنشر، ص: ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف ٢٠٢٥٥٥٥ - فاكس ٤٠١٤٧٩ جزائي أس جي

الجوانب القانونية في إدارة المفاوضات وإبرام العقود

كتاب يعالج الجوانب القانونية لمرحلة ما قبل التعاقد بين الطرفين، أي كيفية الإدارة القانونية للمفاوضات من ناحية، وعملية إبرام العقد من ناحية أخرى، ويتبع د. محمد إبراهيم دسوقي في البحث الذي أعده النواحي القانونية في كل من هذين الطورين. ويخصص الباب الأول من الكتاب لمناقشة مسألة إدارة المفاوضات، وأفرد الباب الثاني لإبرام العقود.

جاء في مقدمة البحث «أن العقد عادة يتم بتبادل التعبير عن إرادتين متطابقتين، ويقع ذلك من الناحية العملية بأن يعرض أحد الطرفين التعاقد وفقاً لأسس معينة، فيوافق الطرف الآخر، ومتى كان هذا القبول مطابقاً للإيجاب فقد قام العقد، مادامت أركانها الأخرى من محل وسبب قد توافرت»، ويقول الباحث: «إن في العصر الحديث عادة ماتطول فترة ما قبل التعاقد، وتمر بمرحلتين:

الأولى: تتمثل في المفاوضات، حيث يناقش الطرفان عناصر العقد، والحقوق، والالتزامات المتبادلة. والمرحلة الثانية: إبرام العقد، وتبدأ من الوقت الذي تتبلور فيه وجهة نظر مشتركة للطرفين تجري صياغتها في صورة مشروع للعقد. وينتهي الأمر بتوقيع هذا العقد، فيصبح باتاً بين طرفيه. ويؤكد الباحث أن العقد يحتاج بعد إبرامه إلى إدارة حقيقية لعملية التنفيذ، كما تحتاج مرحلة ما قبل التعاقد إدارة قانونية لعملية التفاوض بما ينأى بالعقد عن المنازعات التي تقع في التنفيذ بسبب

عيوب الصياغة، ويحقق تفادي الوقوع في التدليس، أو الشكوى من عيوب خفية، أو غير ذلك من أخطاء تخل بالالتزامات».

درس الباحث خلال صفحات الكتاب، تحديد عناصر العقد المزمع إبرامه، وكيفية نشأة بعض الالتزامات في مرحلة ما قبل التعاقد، بالرغم من أن العقد لم يقم بعد، كما درس كيفية قبول عناصر العقد التي أسفرت عنها مرحلة المفاوضات، ثم صياغة العقد وكيف يكون مبرراً عن الإدارة المشتركة للطرفين من حيث الشكل والمضمون، قابلاً للتنفيذ دون مشكلات.

الكتاب يقع في ٢٤٥ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن معهد الإدارة العامة، الرياض.

الكرنفال

مجموعة شعرية لرياض نظير خليل من سوريا تضم ١٢ قصيدة، عولجت موضوعاتها بالشعر الحر. والمجموعة تمثل الإصدار الرابع للشاعر بعد مجموعتيه القصصيتين بعنوان «الريح تقزع الأبواب» و«القرش والأسماك»، ومجموعة شعرية بعنوان «بوابة الضوء». والكرنفال هو القصيدة الخامسة في المجموعة التي تبدأ بقصيدة «الجريمة» وتنتهي بـ «الانتصار»، وبين هاتين القصيدتين اللتين حشدهما الشاعر بإسقاطات مختلفة هناك «وردة الشمس»، و«الأمير»، و«لم أكن أتألم»، و«الملك»، و«البحر»، و«الغريق»، و«الوحش»، و«النار»، وقصيدة «المحارب».

الكتاب يقع في ٤٤ صفحة من القطع الصغير، وقد صدر في دمشق.

قطع الغيار

كتاب يشتمل على خمس عشرة قصة قصيرة للقاص التونسي ساسي حمام، والإصدار يمثل المجموعة القصصية الثانية للكاتب بعد كتابه القصصي الأول «لاهثون معي». عالج الكاتب موضوعات مجموعته بعنوانين «زمن الجراح»، و«الثلج.. النار»، و«قطع الغيار»، و«على أهداب الشمس»، و«على الأعتاب»، و«الرحيل إلى مدائن الشمس»، و«العائد» و«السباق» و«الخوذة والكسوة»، و«الطابق الخامس»، و«التسائب»، و«الديادة»، و«الجرس»، و«القطار»، و«الدهليز»، و«الهواجس».

قصص هذا الكتاب تتمحور أكثر على المستوى المكاني في القرية كفضاء رتيب ومحدود الأحداث والآفاق، يقول حسن بن عثمان في التعليق الذي حيز الكاتب إirاده في خاتمة المجموعة: «نصوص ساسي حمام في هذه المجموعة تحضر فيها مستويات عديدة من القص.. مثل السرد المطمئن الذي يقدم حكاية، وثمة تصوير الشخصيات والأماكن، وثمة الخرافة بفجائيتها، ولامعقوليتها، وثمة أنواع من العبر والأحداث، وفي كل ذلك ثمة هجاء مضمحل للواقع الذي يتحدث عن نفسه».

يقع الكتاب في ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن الدار العربية للكتاب في تونس بدعم من وزارة الثقافة التونسية.

كيف تعمل الأشياء؟

كتاب يقدم جديد العلم في مجالات عدة، ويعرض للقارئ العام

والمختص في آن واحد «خلفية» علمية عامة، يقترن فيها التحليل العلمي والتعليمي أحياناً، بأسلوب أدبي مناسب في إطار الفكر التربوي. في غضون ذلك يأخذ المؤلفان د. صالح عبدالله جاسم وعبد الرؤوف القبلاوي القارئ في رحلة علمية تعريفية، ويحتوي الكتاب على عشرين موضوعاً تتعلق بمجموعة من الأجهزة والأدوات والآلات التي يتعامل معها الإنسان في العصر الحديث، بدءاً من السفن الفضائية، والأقمار الصناعية، إلى أجهزة التسجيل الصوتي وآلة التصوير، والأدوات المنزلية الكهربائية، كما أنه يتضمن صوراً ورسومات توضيحية. ويؤكد المؤلفان «أن التعامل الحريص مع المواد التي صُممت من أجل الإنسان لا يأتي إلا من معرفة «بسيطة» لطريقة عمل الأشياء». ويشتمل الكتاب على إرشادات وأفكار تطرح الاحتياجات الأمنية الضرورية عند استخدام هذه الأشياء بما يساهم في إطالة عمرها الافتراضي، وتحقيق أكبر الفوائد، بالإضافة إلى بعض الجوانب التربوية والتوعية الضرورية.

قدم للكتاب د. علي بن محمد التويجري المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج، مؤكداً «أن معرفة الإنسان ودرايته بحقيقة الأجهزة والآلات التي يتعامل معها أصبحت ضرورة من ضرورات العصر الحديث».

صدر الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج، ويقع في ١٠٩ صفحات من القطع المتوسط.

الفصل

١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول
الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشترك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج - عشر جوائز اشترك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة مجلة الفصيل

ص.ب. (٢) الرياض (١١٤١١)

المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

ج - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب

التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢٢٣)

١ ج : أمر الله - عز وجل - نبيّه بقيام الليل، فقال: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (الإسراء: ٧٩). وهذا الأمر وإن كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ إلا أن عامة المسلمين يدخلون فيه بحكم أنهم مطالبون بالاعتداء به صلى الله عليه وسلم.

وبين - سبحانه - أن المحافظين على قيامه هم المحسنون المستحقون لخير ورحمته، فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا تَأْتَاهُمْ رِبهِمَ إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٥-١٨).

ومدحهم وأثنى عليهم، ونظمهم في جملة عباده الأبرار، فقال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا. والذين يبيتون لربهم سجّدًا وقيامًا﴾ (الفراق: ٦٣، ٦٤).

وشهد لهم بالإيمان بآياته، فقال: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّرُوا بها خروا سجّدًا وسُبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون. تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا وما رزقناهم ينفقون. فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ (السجدة: ١٥-١٧).

ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بصفاتهم، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَاتِلُ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

٢ ج : استقبال القبلة فريضة لا يسقط إلا في الأحوال الآتية:

١ - صلاة النفل للراكب؛ إذ يجوز للراكب أن يتنفل على راحلته، يومئ بالركوع والسجود، ويكون سجوده أخفض من ركوعه، وقبلته حيث اتجهت دابته. فعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي على راحلته حيث توجهت به. ولم يكن يصنعه في المكتوبة (أي الصلاة المفروضة). وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يصلون في رحالهم ودوابهم حيثما توجهت. وقال ابن حزم: وهذه حكاية عن الصحابة والتابعين، عموماً في

الحضر والسفر.

٢ - صلاة المكرة والمريض والخائف؛ فيجوز لهم الصلاة لغير القبلة إذا عجزوا عن استقبالها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، قال ابن عمر: مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها.

٣ ج : من العلماء الذين أفردوا مؤلفات عن السيرة النبوية العطرة على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم:

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (السيرة النبوية [سيرة ابن هشام])، محمد بن إسحق بن يسار المظلي (كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي [سيرة ابن اسحاق])، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (الروض الأنف)، محمد بن عفيف الباجوري الحضري (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين)، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (زاد المعاد في هدي خير العباد)، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (تلقيح فهم الأثر في عيون المغازي والسير)، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (جوامع السير)، الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي (السيرة النبوية)، الشيخ محمد الغزالي (فقه السيرة)، وغيرهم كثيرون لا حصر لهم، نهلوا من معين السيرة العطرة، وتحدث كل منهم عن بعض جوانب العظمة في حياة سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بأبني هو وأمي.

٤ ج : من علماء الجغرافية المسلمين الذين طبقت شهرتهم الآفاق، وكان لمؤلفاتهم عظيم الأثر في الحضارة الإنسانية:

١ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (٣٣٥هـ/٩٤٦م - ٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، من أشهر الجغرافيين المسلمين وأدقهم. ولد في بيت المقدس. ساه في معظم بلاد العالم الإسلامي، ورسم خرائط ملونة للبلاد التي زارها. له كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم».

٢ - أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الملقب بالشريف (٤٩٣هـ/١١٠٠م - ٥٦٠هـ/١١٦٦م)، ولد في سبته وتعلم في قرطبة، وساح في أوروبا وآسيا الصغرى وحوض البحر المتوسط، ثم استقر في بلاط روجر الثاني في صقلية. وهناك صنع كرة فلكية من الفضة، وخرطة للعالم على اسطوانة فضية، وصنّف كتابه «نزهة المشتاق

أسئلة مسابقة العدد (٢٢٦)

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾. ما المقصود بالرفث والفسوق والجدال؟

السؤال الثاني:

دلت الأحاديث الشريفة على أن الله - عز وجل - حرم مكة المكرمة قبل خلق السماوات والأرض. اذكر حديثين شريفيين في ذلك.

السؤال الثالث:

صحابي جليل، قيل إنه أول من جهر بالقرآن في نادي قريش. فمن هو؟

السؤال الرابع:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
هذا البيت من الشواهد التي تمثل بها أناس كثيرون في مواقف عديدة مرت بهم. لمن ينسب؟

السؤال الخامس:

فيزيقي أمريكي، ولد بإيطاليا. نال جائزة نوبل ١٩٣٨م. ساعدت بحوثه في صنع أول قنبلة ذرية. فمن هو؟

قدموا للحضارة الإنسانية إسهامات جليلة القدر، منهم: ابن حوقل، ابن رسته، أبو الريحان البيروني، أحمد بن الطيب السرخسي، عرام بن الأصمغ السلمي، أبو إسحق الاصطخري، عبداللطيف البغدادي، وغيرهم، أحجمنا عن ذكرهم لضيق المساحة.

ج ٥: هو المهندس البريطاني الألماني المولد وليم سيمنز (١٨٢٣-١٨٨٣م). يعد أول من طبق القوس الكهربائية على عمليات الصهر (١٨٧٩م). اخترع قرناً لإنتاج الصلب، كما أنه أول من طبق استخدام الكهرباء في السكك الحديدية؛ إذ اخترع - بالاشتراك مع يوهان جورج هلسكه - أول قطار مجرور بقاطرة كهربائية تعمل بالتيار المتردد، وعرضها في معرض برلين الصناعي (١٨٧٩م)، وإن كانت هناك محاولات متواضعة سابقة له، مثل القاطرة التي اخترعها روبرت ديفيدسون سنة ١٨٤٢م، وكذلك قاطرة المهندس الأمريكي باج سنة ١٨٥١م.

في اختراق الآفاق» ١١٥٤م، وهو عمل جغرافي عظيم مزود بالخرائط الإقليمية التفصيلية، وله أيضاً كتاب «المسالك والممالك».

٣ - محمد بن موسى الخوارزمي (٨٥٠هـ/٨٥٠م)، رياضي وفلكي وجغرافي، ظهر في عهد المأمون. له فضل في تعريف العرب والأوربيين بنظام الأعداد الهندية. يعد مؤسس علم الجبر وقد أخذ الأوربيون عنه هذا الاسم، كما أن كتابه «حساب الجبر والمقابلة» يعد الأول من نوعه. أدخل تحسينات على جغرافية بطليموس، ونشر كتاب «صورة الأرض».

٤ - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المشهور بابن خرداذبة (٢٧٢هـ/٨٨٥م)، جغرافي عربي فارسي الأصل، ألف عدة كتب، أهمها «المسالك والممالك» الذي قامت عليه شهرته، وهو أول كتاب جغرافي يتضمن دليلاً للطرق الكبرى، وأشهر البلاد التي تقع عليها.

وهناك أعلام آخرون في الجغرافيا غير من ذكرنا،

نتائج مسابقة العدد (٢٢٢)

- ٣ - طلحة عبدالله عبد الحميد عرواني، العين - الإمارات العربية المتحدة.
- ٤ - سامي بن حسين بن عمر الجازي، الميدة - تونس.
- ٥ - علي سلمان الرشيد، تيماء - المملكة العربية السعودية.
- ٦ - ردينة سالم حماد، الزرقاء - الأردن.
- ٧ - الليلي يحيى، الدار البيضاء - المغرب.
- ٨ - هويدا محمد موسى إسحق، الخرطوم - السودان.
- ٩ - سمير راشد عبده ناشر، صنعاء - اليمن.
- ١٠ - عمر عبدالعزيز أحمد خليل، الدقهلية - مصر.

- ج ٥: كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:
 - ١ - عبدالله صالح عبدالله البلوشي، عراد - البحرين.
 - ٢ - أنس ضيف الله نصر، الزرقاء - الأردن.
 - ٣ - فيصل خالد حاج جنيد، حلب - سورية.
 - ٤ - زدوتي أحمد، طان طان - المغرب.
 - ٥ - محمد دياب محمد محمد دياب، الزقازيق - مصر.

- أ - فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، عبد المجيد عبدالرحيم خليف، سوسة - تونس.
- و فاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعودياً، حمد عيسى حداد، الرميثة - الكويت.
- و فاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعودياً، أحمد هاشم العاصي، عمان - الأردن.

- ب - فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً)، كل من:
 - ١ - علي متعب يحيى الشامي، الرياض - المملكة العربية السعودية.
 - ٢ - محمد الدمري، مكناس - المغرب.
 - ٣ - زينب أحمد محمد الديب، المحلة الكبرى - مصر.
 - ٤ - عبدالقادر علي النعيم، شندي - السودان.
 - ٥ - عبدالرحمن عقيل السليم، تيماء - المملكة العربية السعودية.

- ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً)، كل من:
 - ١ - رتيبة عيد أحمد عروق، صنعاء - اليمن.
 - ٢ - كلثوم ملحم بنت ملحم، حلب - سورية.

يعرف الإنسان نفسه. فقيل: وما أسهل شيء؟
قال: أن ينصح غيره.

القاضي والمتقاضي

طلب رجل من أبي نواس حاجة، فوعده
بقضاها والحضور بها إلى منزله صباح اليوم
التالي، وجلس الرجل في بيته منتظراً أبا نواس
لقضاء الوعد من طلوع الشمس إلى الغروب، فلم
يحضر ولم يف بوعده، وفي مساء اليوم التالي
صادفه في الطريق فقال له: لم أرَ في حياتي
إنساناً أكذب منك، ولو علم أمير المؤمنين بما
انطوت عليه نفسك لجعلك قاضياً للمنافقين!
فرد أبو نواس بكل برود: صدقت فيما تقول،
فهل من دعوى تعرضها علي؟!

البر والشكر

كان الفضل بن يحيى يرسل إلى القاسم
البصري مع جوائزه رقااً مختومة، فيردها هذا
برقاع مفتوحة، فلما سأله الفضل في ذلك قال

بالنساء، فتعري الشريفة، وترمي العفيفة، وإياك
والهجاء، فإنك تحق به كريماً، وتستثير به لئيماً،
وإياك والمدح، فإنه كساب الوقاح، وطعمة
السؤال، ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من
الأمثال ماترين به نفسك وشعرك، وتؤدب به
غيرك.

احفظها ثلاثاً

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -:
قال لي أبي: إني رأيت أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب يدينك ويقربك، فاحفظ عني ثلاثاً: إياك
أن يجرب عليك كذبة، وإياك أن تفشي له سرا،
وإياك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال: يا عبد الله
ثلاثاً وأي ثلاث.

عليكم بالأدب

قال عبد الملك بن مروان: عليكم بالأدب،
فإن احتجتم إليه كان مالا، وإن استغنيت عنه كان
جمالا.

مكافأة

شتم رجل ذات يوم الصحابي الجليل أبا ذر
الغفاري - رضي الله عنه - فقال أبو ذر لشائته:
لا تغرق في شتمنا، ودع للصالح موضعاً، فإننا
لأنكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله
فيه.

المشورة

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:
المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة،
لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم.

أهل شيء، وأصعبه

سئل طاليس يوماً: ما أصعب شيء؟ قال: أن

ويأتيك بالأمثال

ليومها تجري مهاة بالنعق
المهاة: البقرة الوحشية. والنعق: ضرب من
السير، ويضرب بهذا مثلاً لمن أراد أمراً فأخطأه ثم
أصاب بعد ذلك.

كذا قيل في معنى هذا المثل:

قلت: ويجوز أن يقال: إن قوله «ليومها» أراد
ليوم موتها وهلاكها تجري، أي إلى يومها، فيكون
كقولهم: «أتتك يخائن رجلاً»، والمعنى إلى يوم
تهلك فيه تجري هذه المهاة بعجلة وسرعة.

أصول الخطايا

أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر، وهو
ما أوصل إليس إلى ما هو عليه من كفر، والحرص،
وهو ما أخرج آدم من الجنة، والحسد، وهو ما جراً
قبايل على قتل أخيه هابيل. فمن وقى شر هذه
الثلاثة فقد وقى الشر، فالكفر من الكبر،
والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد.

آفات الأشياء

لكل شيء آفة تفسده، آفة العبادة: الرياء،
وآفة الحلم: الظلم، وآفة الحياة: الضعف، وآفة
العلم: النسيان، وآفة الحكمة: الفحش، وآفة
اللب: الصلف، وآفة القصد: الشح، وآفة الزمان:
الكبر، وآفة الجود: التبذير.

معاوية والشعر

قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -
لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص: قد رأيتك
تعجب بالشعر، فإذا فعلت فإياك والتشبيب

السترلجعة العبد

وكان السؤال الأول: مَنْ هي أكثر الزوجات إخلاصاً وإرضاءً لزوجها: الشقراء أم السمراء، أم ذات الشعر الأحمر؟ وكان رد أعضاء الجمعية: المرأة ذات الشعر الأبيض!

الإهانات، فسوف يمكنه بالتأكيد تحمل ماستقوله العروس فيما بعد!

قوة نفس

تمكن الإنجليزي نيقولا مايسون من نفخ بالون يزن طناً إلى حجم يصل إلى ٢.٤٣ متراً في وقت قصير لم يتجاوز ٥٧ دقيقة و ٧ ثوان، ونفخ نيقولا البالون بنفسه الخالص دون استخدام وسائل مساعدة، وكان ذلك في ١٩٨٦/٣/٩م.

اتزان

احتفل الأمريكي ألكس شارفنسكي بيوم مولده السبعين بأن قام - باتزان - بوضع ٣٩٠ قطعة نقود معدنية فوق بعضها على حافة قطعة واحدة فوق المنضدة.

مواظ

مواظ المواظ لن تقبلا
حتى يعيها قلبه أولاً
ياقوم من أظلم من واعظ
خالف ماقد قاله في الملا
أظهر بين الخلق إحسانه
وخالف الرحمن لما خلا

الفول والكوستروول

كشفت بحوث علمية أن تناول الفول المدمس يمنع الإصابة بالأمراض القلبية، إذ يقضي على ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم، ويقلل بذلك من احتمالات الإصابة بتصلب الشرايين الذي ينجم عن الكولسترول.

قرقعة الجبة

جاء رجل إلى جحا يسأله في لهفة: سمعت بالأمس ضوضاء في دارك، وصوت شيء يتدحرج على السلم، فماذا جرى؟! قال جحا: المسألة بسيطة، تخاصمت مع امرأتي فلکمت جبتي، فسقطت الجبة وتدحرجت على السلم، فقال الرجل في دهشة: وهل يكون للجبة قرقعة إذا سقطت؟ أجاب جحا: نعم، إذ كنت في داخلها!

تاريخ أسود

كما ترويه الصحف الأمريكية عن غرائب الرئيس الأسبق هاري ترومان وفكاهاته أنه فاجأ زوجته يوماً وهي تلقي برسالته التي كان يعث بها إليها في النار، فقال لها معاتباً: ماهذا ياعزيزتي؟ هلا فكرت في التاريخ؟ فأجابته الزوجة وهي تواصل إلقاء الرسائل في النار: أجل فكرت، وقررت أنه تاريخ أسود!

عادات غريبة

من مراسم العرس في بعض قرى باكستان عادات غريبة، منها جذب العريس أمام أقارب زوجته الذين يوجهون له الإهانات بكل ألوانها، والفكرة في ذلك أنه إذا استطاع تحمل تلك

ذات الشعر الأبيض

توجد في سويسرا جمعية للأزواج المخضرمين الذين مضى على زواجهم أكثر من ٢٥ عاماً، ووافق أعضاء الجمعية على الرد على أسئلة الشباب العزاب حول أنسب الفتيات للزواج.



جانب من صحن الجامع الكبير بالقيروان في تونس ومنازته



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم بتأشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالتابعة النقدية أو التعليق أو الترجمة لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة وميزة تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.



قصيدة

للتاريخ وجه آخر



سلطان بن فهد الفهد
المعهد العلمي في المنزل
الرياض

قف أيها التاريخ وافتح صفحة
قف أيها التاريخ وارث محمدا
قف أيها التاريخ واذكر من مضى
هذا هو الفاروق يرسل جيشه
ويقول للأبطال عند مسيرهم
الدين عزّ إن تمسكنا به
مهما ابتغينا قوة في غيره
رحلت جيوش المسلمين إلى بلا
بأخوة التوحيد شدّوا رحلهم
حتى أزالوا ليل جهل مطبق
دخلوا إلى الأقصى بكل سعادة
واليوم هل أبكي بكاء مهّدد؟
فلقد أتانا الغاصبون وحققوا
إني أقول وفي الفؤاد كآبة
قف أيها التاريخ وارسم وصمة
القدس تصرخ تحت وطأة ظالم
أنضِيع الأمجاد دون تأمل

بيضاء تسطع في المساء المظلم
فلقد بنى صرحاً ولم يتهدم
من عابد، ومجاهد، ومعلم
بالدين، والإيمان، والخلق الجم
للقدس، قولة صادق متفهم
سنظلّ شمساً، للعقيدة نتمي
فلسوف نهوي للحضيض بمأتم
د الشام، يوحى جمعهم بالضيغم
وبقوة البركان جدّوا بالرمي
وأثّروا بفجر ضاحك متبسم
ورنوا إلى الأخرى بحبّ مفعم
أم أنزوي كمداً ألوح كالعلمي
أطماعهم في قدسنا المتظلم
وأناشد التاريخ: اسمع من فمي
بالعار تبقى في الجبين المسلم
وشبابنا وسط الملاعب يرتمي
فيمن أشاد الصرح لم يتبرم

متابعات

الأخ محمد حسين العلّو - حمّاة - سورية،

«صديقتي البعيدة التي أرسلتها»
ليست قصيدة، وهي بعيدة عن عالم
الشعر، والعنوان الذي اخترته خال من
الشاعرية. كي تكتب شعراً يا أخ محمد
لا بد أن تكثر من القراءات الشعرية وأن
تألف الإيقاع الموسيقي للكلمات الذي
تفتقده الآن، وهو من أهم عناصر الكتابة
الشعرية التي تميزه من كتابة النثر.

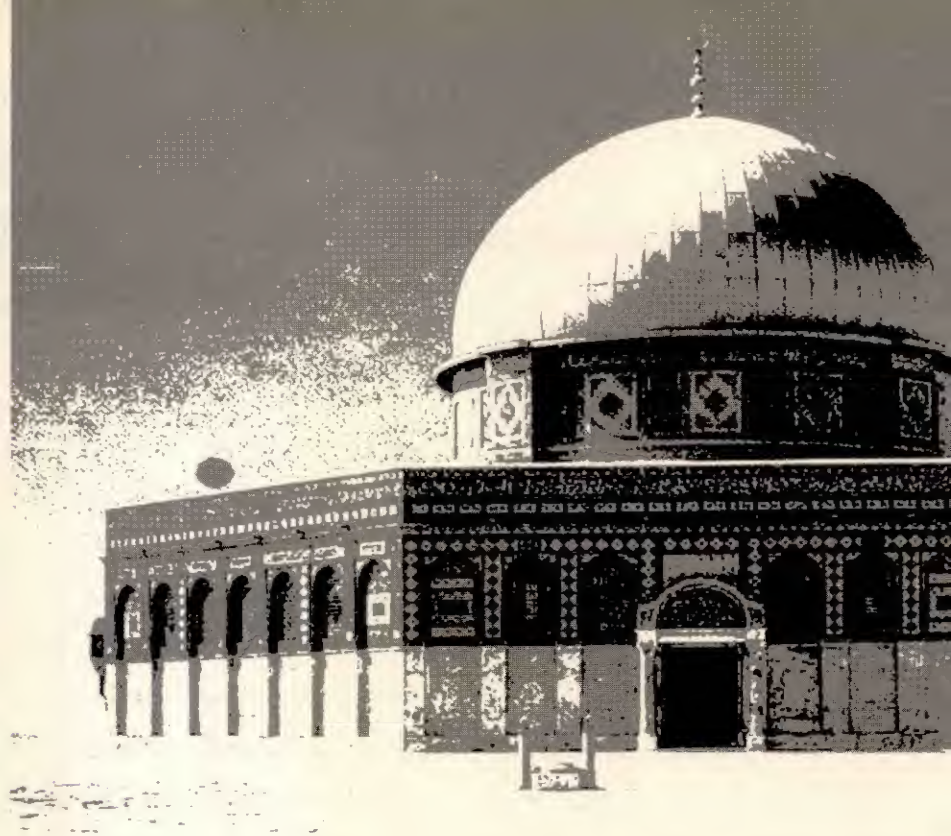
الأخ عزّي أحمد - بوسعادة - الجزائر:

موضوعك جيد، لكنه أقرب إلى
الخواطر ولا تميل إلى وصفه بالقصيدة
كما ذهبت في رسالتك. ملحوظة
أخرى هي أن العنوان «جنون أمة» غير
مناسب للموضوع، وسنحاول نشره في
أحد الأعداد المقبلة في هذا الباب تحت
عنوان آخر.

الأخ إبراهيم عبد الله مارش - جامعة السند - حيدر آباد:

قصيدتك «البحث عن ذات الرداء
الأسود» تنطلق فيها من هوايتك قول
الشعر لا من موهبة تحسّها في نفسك لا
تستطيع لسلطانها دفعا ولا منعاً.

وفي قصيدتك التي بعثت بها،
على قصرها، أخطاء غير يسيرة في
النحو والصرف والحس الموسيقي
العروضي، بالإضافة إلى أن الأخيصة
والصور ملتقطة من هنا وهناك، ولا
تكشف عن معاناة حقيقية.



من صنع صحب للرسول الأكرم
لوا أنه متحامل لم يفهم
إن الحقيقة مرة كالعلقم

هانحن نأتي كي نزيل حضارة
لاتنعتوني بالتشاؤم أو تقو
قسماً بمن خلق البرية كلها

التعليق:

بانت فيما لوحت به، وعلى ذلكم،
فالقصيدة جيدة تشدّ من يتأملها وتطربه
بموسيقاها الشعرية القوية. فهي صالحة
للقارئ كي يجدد عهده بالرّوي والقوافي،
وهذا بعد أن جرى فيها قلم من سبقني
بقراءتها فاستقامت ملاحظاته (انظر
الهوامش) مع ماء القصيدة.

د. محمد أحمد سليمان إدريس

هوامش:

١- تم تصحيح بعض ما أورده الشاعر حتى تستقيم الأبيات، وهنا
التصويبات التي أدخلت:

الجم: الجمي

للقيدة تنتمي: لأنطال بسلم

حب مقعم: بقلب مقعم

تمهدد: مضيع

٢- مثلية: مستقيمة، قال الشاعر «فانلاّت بنا نجدة»

٣- الحزنونة: الشموخ والاعتداد بالنفس.

جاءت القصيدة في بحر الكامل وقافية
المتدارك وروي الميم. وقد تناول الشاعر
سلطان موضوعه بصورة رفيعة حيث دخل
في موازنة بين الحق والباطل فانتصر الحق
عنده.

فقد ذكر في منحي الباطل، المساء المظلم
والحضيض وليل الجهل، والعصى الذي هو
الظلام والتشاؤم والعلقم. وأما في جبين
الحق، فكان ذكره للانتصار وللرسول صلى
الله عليه وسلم، وللأقصى والتاريخ والفجر
والسعادة والبياض والحرص والمجاهد والمعلم
والدين والإيمان وجيوش المسلمين والتوحيد
وقوة البركان. فقصيدة «للتاريخ وجه آخر»
ملیقة بالصور المثلية (١) الجامحة التي يمشي
الحق فيها بخزوانة (٢) عالية.

ويتوكأ الباطل فيها على صور مهترئة

رسالة خصة

الدار البيضاء - المغرب، سيدة بنت
الطيب التركي - مدين - تونس:

رسالة كل منكما موضع الاهتمام
والعناية، وسيتم النظر بما يضمن لكما
الحصول على الجائزتين المستحقتين لكما.

الأخت غ بنموسي - السمارة -
المغرب:

لسنا متأكدين من إمكان تلبية طلبك
الخاص بتزويدك بصور تذكارية للمكان
الذي أشرت إليه في رسالتك، لكننا
أحلبناها إلى الإدارة المختصة على كل
حال، وستنظر في طلبك.

الأخ كامل السعدون - أوصلو -
النرويج:

«الدوحة» توقفت عن الصدور منذ
سنوات، وعنوان مجلة «الثقافية» تجده
منشوراً في زاوية «عناوين».

إرسال مسوداتها النهائية لمراجعتها حتى
يمكن إبداء الرأي فيها على بينة.

الأخ محمد أحمد عبدالله الزهراني -
الباحة:

اقتراحتك جيدة وستنظر في إمكان
تنفيذ بعضها في الوقت المناسب. أما نشر
الأحداث السياسية للعالم الإسلامي في
«الحركة الثقافية في شهر» فهذا غير وارد
إطلاقاً؛ لأننا معنيون بالحركة «الثقافية»
فقط، وفي هذا خير كثير ولله الحمد! أما
رأيك حول قلة الموضوعات الإسلامية
والدينية في المجلة - حسب تعبيرك - فهناك
من القراء من يشتكي من كثرتها وطغيانها
على المجالات الأخرى!

الأختين: سكينه عبد الإله الإيراوي -

الأخ عبدالرحمن عبدالعزيز الرومي -
الزلفي:

شكراً على كلماتك ومشاعرك
الكريمة. نأمل دوام المراسلة.

الأخ داود كمال الدين الأفغاني -
رابغ:

رسالتك أحييت إلى القسم المختص في
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الإسلامية، ونأمل أن يكون قد تجاوب
معك.

الأخ كمال محمود أحمد - أسوط -
مصر:

الحاجة غير قائمة حالياً لوجود مراسل
للمجلة في أسوط أو في غيرها من المدن
المصرية. أما مشروعات الكتب فالأفضل

بين القارح والقارح

أرجو مساعدتي في الحصول على الكتاتين التاليتين:

- BIOLOGICAL DIVERSITY، تأليف جيفري ماكنيلي
وآخرون، صدر العام ١٩٩٤م.

- WATAR IN THE ARAB WORLD، تأليف بيتر روجرز
وبيتر ليدون عن مطابع جامعة هارفرد ١٩٩٥م.

محمود نافع سلطان أبها - محال عسير - الريش
مدرسة متوسطة الريش للبنات بواسطة المعلمة صفاء نافع سلطان
المملكة العربية السعودية

أرغب في الحصول على الكتب التالية:

- «كان أبي معلماً»، كتاب يروي تجربة معلم ناجح عاش في مصر في
فترة الاحتلال الإنجليزي.

- مؤلف حول الصحراء الإفريقية الكبرى.

- مرجع يحوي قصيدة الأصمعي الشهيرة «صوت صغير البلبل».

الطاهر الأدهم
بوساطة فضيل بن السعيد

P.O BOX 12160 ISLAMABAD - PAKISTAN

عناوين

الأخ مولع محمد الأسمرى - أبها:

١- مجلة الدارة:

ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ - فاكس ٤٤١٧٠٢٠ - ١

٢- مجلة القافلة (قافلة الزيت سابقا): - ص.ب ١٣٨٩ الظهران
٣١٣١١ - فاكس ٨٧٣٣٣٦ - ٣

٣- مجلة الخفجي:

شركة الزيت العربية المحدودة - مكتب الإعلام - ص.ب ٢٥٦
الخفجي ٣١٩٧١ - هاتف وفاكس ٧٦٦٢٨٠٩

٤- دار الشروق:

ص.ب ٤١٤٦ جدة - هاتف ٦٤٢٦٦١٠ - ٦٣١٠٠٣٢

٥- دار العلوم:

ص.ب ١٠٥٠ الرياض - هاتف ٤٧٧٧٢١ - ٤٧٧١٩٥٢

٦- معهد الإنماء العربي:

ص.ب ١٤/٥٣٠٠ - بيروت - لبنان

هاتف ٨٣١٠٢٦ - ٨٣١٠٢٥

الأخ بنعلي أحمد ناه - الداخلة - المغرب

١- مؤسسة الملك فيصل الخيرية:

ص.ب ٣٥٢ - الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية - هاتف ٤٦٥٢٥٥ - ١ - ٩٦٦

٢- الشيخ أحمد ديدات:

ISLAMIC PROPAGATION CENTRE INT.

124 QUEEN ST., DURBAN 4001

SOUTH AFRICA

الأخ محمد بن يحيى - الجزائر العاصمة:

مجلة «الثقافية»:

AL THAGAFIAH
Saudi Cultural Office _ 29 Belgrave Square
London SW1 8QB U.K.

الأخت منى الإبراهيم - الرياض:

الأعداد المطلوبة في طريقها إليك،

وسيتولى قسم التوزيع الإيضاح حول
قيمتها المادية.

الأخ عدنان بيطار - حلب - سورية:

اقترحك أن يكون هناك باب ثابت

يتناول الصناعات والحرف اليدوية القديمة
في الوطن العربي اقترح جميل، ونضيف
إليه أن يشمل ذلك العالم الإسلامي
ككل، لما في الحضارة الإسلامية وتراثها
من تنوع فني لا مثيل له، وحذا لو تقترح
لنا بعض الأسماء التي يمكن أن تتولى
إعداد الباب أو الكتابة فيه.

الأخ واضح نور الدين - غليزان -

الجزائر:

طبيعة المجلة لا تتطلب وجود مراسل
دائم لها في الجزائر في الوقت الحاضر.

الأخ ماجد حمروش - حلب -

سورية:

مرحبا بك صديقا للمجلة، ونطمئنك
بأنها ماتزال تصدر بانتظام، والوسيلة المثلى
للحصول عليها بشكل متتابع هي
الاشتراك فيها.

الأخ محمد مبروك محمد بركات -

كفر الشيخ - مصر:

مجلتنا ثقافية عامة، والتوازن في
الموضوعات وإرضاء رغبات القراء
واهتماماتهم الكثيرة والمتباينة تفرض
علينا ألا يطغى جانب على الجوانب
الأخرى، وتفسير القرآن من المحاور
الرئيسية لاهتمامات المجلة، ويتناوله
كتابها من آن لآخر، لكننا لانميل إلى
تخصيص صفحات ثابتة له بالقدر
الذي سيكون على حساب المحاور
الأخرى.

إيضاحات

تعذر المجلة سلفا من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على
إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك
والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات
إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يرسلونها وذلك لكثرة الرسائل،
وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته،
يرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية
السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تبشير، ردود خاصة
- بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على
المطروق، مع شكرنا للجميع.

أرغب في الحصول على عدد من كتب الدكتور عبدالله الطيب، فهل
هناك من يستطيع أن يساعدني على ذلك؟

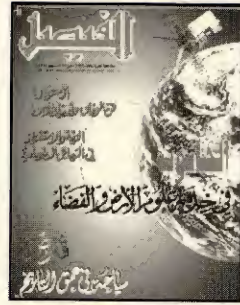
راجي خليل

جامعة أم درمان الإسلامية - كلية الاقتصاد

السودان

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم
لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفذت
أعدادها.



حقار وضع النقاط فوق الحروف

- أن يقوم الأخوة العاملون في مجال الدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية بالاتصال مع جميع الهيئات والمنظمات والجمعيات الإسلامية لوضع خطة عمل جديدة ترسم مسيرة الدعوة الإسلامية.

- تطوير منهج الدعوة والدعاة.

- إعداد الدعاة إعداداً جيداً ابتداءً من حفظ كتاب الله، وبناء شخصياتهم بناءً صحيحاً بما يتيح لهم إمكان التأثير في الآخرين؟

- إنشاء معاهد لإعداد المؤهلين الذين يتخصصون في مجال مقارنة الأديان ويجيدون اللغات الأجنبية، ويمكن أن تكون هذه المعاهد في كثير من الدول الإسلامية، كأن يكون أحدها في تشاد نسبة لموقعها الرابط بين إفريقيا والوطن العربي.

وقد وضع الأستاذ حقار بن محمد أحمد في حوار النقاط على الحروف ورسم الطريق المؤدي إلى إنقاذ إفريقيا من خطر التنصير الصليبي الذي يدهمها حاضراً ومستقبلاً، مما يستدعي تكتلاً عربياً إسلامياً إفريقياً حتى نستطيع الوقوف في وجه الزحف التنصيري المنظم؛ فهم يضعون خططهم بدقة فائقة، ولديهم دعاة مدربون ومعدون إعداداً جيداً، في حين ينقص العمل الإسلامي العدد الكافي والتنظيم اللازم، مما تستحيل معه الموازنة. لي عدد من المقترحات التي قد تساعد في تضيق الفجوة، وهي:

قرأت في العدد (٢٢٣) من مجلتكم حواراً مع الداعية التشادي الأستاذ حقار محمد أحمد، وهذا يعبر عن اهتمامكم بالأعلام من أبناء الأمة الإسلامية، وقد لمسنا - نحن في تشاد - ما توليه المملكة العربية السعودية من اهتمام واضح بإخوانها من التشاديين، إذ تفتح لهم أبواب معاهدها العلمية وجامعاتها، حتى تخرج فيها كثيرون، ومنهم من أكمل دراساته العليا فيها، إلى جانب وجود مركز الملك فيصل في العاصمة التشادية الذي يعمل به عدد كبير من التشاديين، ما يعكس حرص المملكة على نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة.

وقد أتلج الحوار الذي أجريتموه مع الأستاذ حقار قلوب التشاديين عامة؛ لأنه يمثل فرصة للتعريف بالبارزين من أبنائنا الذين لا تسلط عليهم أضواء الإعلام كثيراً، ونأمل استمرار مثل هذه اللقاءات الطيبة مع الشخصيات البارزة من أبناء تشاد، وهم كثيرون، منهم الدكتور عبد الرحمن الماحي، ود. محمد صالح أيوب، ود. محمد صالح بن عمر، ود. بخاري آدم بركة، ود. الجدي عثمان، ود. فضل كلودو، وغيرهم ممن يستطيعون توضيح مسيرة النهضة الإسلامية في إفريقيا عامة، وتشاد بصفة خاصة. فشكراً «الفصل» على هذه المبادرة الطيبة التي لم يسبقها إليها أي إصدار أوجهة إعلامية.

إدريس علي عبد الله
(تشادي يعيش في السودان)
أم درمان - جمهورية السودان

نافسات وتعليقات نافسات وتعليقات



الجانب السياسي في حياة ابن ميمون

ولي بعض الملاحظات على المقال، فالكاتب الفاضل تناول نقاطاً كثيرة تتعلق بحياة هذا المفكر إلى أن وصل به الأمر إلى توجيهه إلى مصر، حيث عاش بها، واتخذ القصر الأيوبي طبيباً خاصاً، كما كان عميداً لأطباء الدولة وعميداً لمدرسة الطب، إلى جانب كونه شيخ

قرأت في العدد رقم (٢٢١) (ذو القعدة ١٤١٥هـ/أبريل ١٩٩٥م) مقالاً عن المفكر اليهودي الأندلسي موسى بن ميمون لكاتبنا الفيلسوف د. حسن ظاظا، وأعجبت بما كتب عن هذا العالم الذي عاصره فيلسوفنا العربي ابن رشد.

النبي والعالم السياسي

إذا كان من المسلم به أن أي إنسان لديه الاستعداد للاضطلاع بمهام الرئاسة وإدارة شؤون الدولة، فإن هذا الاستعداد لا ينتقل من حالة القوة إلى حالة الفعل إلا عندما تبلغ ملكات عقله ومخيلته مرتبة الكمال. فإذا تحقق ذلك استطاع أن يصير نبيا، عندما يتلقى عقله ثم مخيلته فيضاً إلهياً. أما إذا تقبل عقله دون مخيلته هذا الفيض الإلهي، فإنه يصير فيلسوفاً ينقطع لحياة النظر والتأمل. وعلى العكس من ذلك إذا تلقت مخيلته دون عقله الفيض الإلهي، فإنه إما أن يصير سياسياً يضطلع بسن القوانين أو من أصحاب النبوءات والعرافة.

ويتبين من كل ذلك أن الأنظمة القانونية الموضوعية هي من صنع الساسة، فهم يستقونها في أساسها من مخيلتهم فحسب، في حين أن نظام الشريعة الإلهية يستند إلى ملكات النبوة التي تستلزم كمال العقل وكمال الخيلة على حد سواء. والنبي الحقيقي يجمع إذن بين قدرات رجل السياسة ورجل العلم ويتجاوزها، ذلك لأن الفيض الإلهي الذي يتلقاه عقله يتيح له من الإدراكات النظرية ما يمكنه من معرفة طبائع الأشياء على حقيقتها، ومن ثم تجعل منه فيلسوفاً متفوقاً.

ومن هذا العرض نجد أن موسى بن ميمون يفرق بين السياسي والنبي، فالسياسي من وجهة نظره هو الرجل الذي يضطلع بسن القوانين للمجتمع، أما النبي فهو الذي يجمع بين ملكات النبوة وقدرات رجل السياسة ورجل العلم.

ومن هذا الجانب نجد أن ابن ميمون لم يكن فيلسوفاً أو طبيباً فقط، ولكنه كان سياسياً بارعاً فذاً كشأن اليهود في كل مكان وزمان، وعلى هذا يعده اليهود من الموجهين السياسيين، وهذا واضح من رسالته اليمينية التي وجهها إلى يهود اليمن، والتي لم يكن فيها طبيباً أو فيلسوفاً، بل

والفكر العربي الإسلامي، ومن خلال مؤلفه «دلالة الحائرين» يبرز ما تميزت به أقوال هذا الفيلسوف من اتساق:

ضرورة النظام السياسي

يتخذ موسى بن ميمون نقطة بدايته من طبيعة الإنسان، فقد رأى على غرار أرسطو، أنه حيوان مدني بطبعه، ففي حين أنه من الممكن للفرد في حالة الكائنات الحية الأخرى أن يعيش بمفرده دون استعانة بأي فرد من أفراد نوعه، فإن الإنسان لا يستطيع - إلا فيما ندر - أن يوجد خارج المجتمع دون أن ينتهي إلى الهلاك بعد فترة قصيرة؛ ذلك لأن حاجة الإنسان إلى الغذاء في حد ذاتها تستلزم تقنيات متعددة الجوانب وتقسيم العمل بين عدد كبير من الأفراد. غير أن تقسيم العمل على هذا النحو مستحيل خارج نطاق النظم السياسية، ولذلك كان الناس في حاجة إلى من يرشدهم ويجمع بينهم، كي ينتظم مجتمعهم ويكتسب القدرة على الدوام، وكي تسود بينهم روح التعاون.

ويذهب ابن ميمون إلى أن ضرورة نظم الحكم تنبع أيضاً من التنوع الكبير الذي يوجد بين أفراد النوع الإنساني، ومن ثم كانت ضرورة وجود مدير يستطيع أن يفرض على جميع أفراد المجتمع قواعد عامة ودائمة.

ويميز موسى بن ميمون بين ثلاثة من النظم السياسية: فهناك أولاً: النظم القانونية الموضوعية حيث ينحصر همّ المشرع في تدبير المدينة وتنظيم أحوالها دون التفات إلى إصلاح الإنسان أو تكملة عقله. وهناك ثانياً: نظم الشريعة الإلهية التي تختلف عن سابقتها في أنها لا تعنى بتحسين أحوال الإنسان من الناحية المادية والاجتماعية فحسب، ولكنها تعنى أيضاً بجانبه الروحي كي تساعد على بلوغ السعادة. وهناك أخيراً: نظم تدعى صفة الأنظمة النبوية، وهي الأنظمة التي تأخذ في الواقع ما تحتويه من سنن - كله أو بعضه - عن النظام النبوي الحقيقي.

شيوخ اليهود في مصر. وقد ترك آثاراً من المؤلفات النفيسة، منها كتابه الفذ «دلالة الحائرين». وكنت أتمنى أن يتناول الكاتب عرضاً موجزاً لهذا الكتاب حتى يعطي قارئ «الفصل» تفصيلات عن بعض محتوياته. وقد قال الدكتور ظاظا عنه إنه تضمن آراء فلسفية أثارت الفتنة بين العلماء اليهود التقليديين إلى درجة إعلانهم تكفيره، لكن كان يتعين على الكاتب أن يتناول الجانب السياسي في حياة ابن ميمون؛ حتى تتضح الرؤية السياسية لهذا الرجل من خلال كتابه المذكور سابقاً، وإنني أحاول في هذا التعليق أن أتناول هذا الجزء الذي أعتقد أنه إضافة متوازعة يستفيد منها القارئ. ذلك؛ لأن كتاباً مثل كتاب «دلالة الحائرين» يلقي بعض الضوء على حياة ابن ميمون السياسية بوصفه مفكراً يهودياً، عاش في الأندلس ثم انتقل إلى فلسطين وعكا ومصر. فابن ميمون كما نقرأه في «دلالة الحائرين» مفكر بلغ ذروة ازدهاره، واستطاع أن يجمع بين العلم العربي والفلسفة اليونانية واللاهوت اليهودي. كتب ابن ميمون ما يلي في خطاب أرسله إلى صموئيل بن طبون الذي كان يزمع ترجمة «دلالة الحائرين» إلى العبرية في فرنسا: «ياك أن تدرس مؤلفات أرسطو دون الاستعانة بشراحه: الأسكندر الأفروديسي أو ثمسطيوس أو ابن رشد. أما كتابات أفلاطون أستاذ أرسطو، فهي مؤلفة من أمثال يصعب فهمها، وليس بك حاجة إلى الاستعانة بها. ففي كتب أرسطو ما يكفي، كلا ولا حاجة بك إلى أن تشغل نفسك بكتابات من سبقه، فعقله هو ذروة العقل الإنساني إذا استثنينا من نزل عليهم الوحي الإلهي.. أما فيما يتعلق بالمنطق، فمن الضروري أن تدرس ما كتب الفارابي دون سواه؛ فجميع كتاباته ممتازة، مثلها مثل كتابات ابن باجه».

أما نظريات ابن ميمون السياسية فتوضح أن تفكيره يقع عند ملتقى الفكر اليهودي

وبقراط، كانت كتبهم مترجمة في أيدي الناس، وأحسن من شرحها وفسرها هم فلاسفة المسلمين. ولا دليل في رسالته إلى (ابن تبون) - بالناء من «التبني»، وليس بالطاء من «الطب» مثلاً كما ورد في ملاحظاتكم القيمة، على أنه كان يعرف اليونانية.

وأخيراً هناك علماء يهود من تلك العصور كان إنتاجهم ونشاطهم أوضح من موسى بن ميمون في العمل السياسي، مثل الوزير حسداي بن شبروط، الذي اتصل سياسياً بيهود الخزر، وصمويل التجيد والشاعر بن جبرول، وأشعر شعراء العبرية في العصور الوسطى الأندلسية يهودا اللاوي، مؤلف كتاب في بيان أن الدين اليهودي هو أكمل الأديان، عنوانه «الحجة والدليل في نصرته الدين الذليل» وغير هؤلاء كثير.

وشكراً مرة أخرى على تلقيبي بلقب «الفيلسوف»، في حين أنني مجرد (طالب علم) من المهدي إلى اللحد.

د. حسن ظاظا

هي التي ستبعث يوم القيامة، لأن الآخرة في نظره عالم اللامادة، والغريب أن التوراة قد خلت من أي ذكر للقيامة والحساب، حتى إن طائفة اليهود الصدوقين المعاصرين للمسيح - عليه السلام - استمرت في إنكار الآخرة، فأعلن المسيح تكفيرهم، ونهى عن التعامل معهم. ومع ذلك، فكيف يشغل ابن ميمون بالسياسة اليهودية وليست لهم دولة؟ أما التضامن مع أبناء دينه (في رسالة اليمن) فذلك أمر طبعي في جميع الملل والأديان. ولو كان عمله سياسياً في «دلالة الحائرين» لما أرسل يهود المغرب وراءه من سبته إلى القاهرة من يتهمه بأنه كان قد أسلم في الأندلس ثم ارتد. ورُفضت التهمة.

٢- ليس لدينا ما يثبت أن الرجل يعرف اليونانية، بل كان يقرأ علم اليونان مترجماً إلى العربية، وأرسطو والإسكندر الأفروديسي، وأفلاطون، وجالينوس،

كان موجهاً سياسياً ويهودياً قومياً. وعلينا - نحن المسلمين - أن نقرأ كتب ابن ميمون وغيره حتى يمكن أن نستفيد منها.

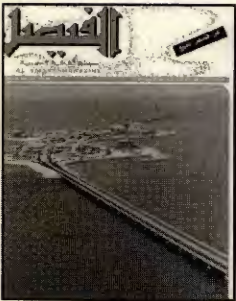
إبراهيم عبد الوهاب شرف
جامعة المنصورة
ج.م.ع

تعقيب

قرأت ملاحظاتكم على مقالي حول موسى بن ميمون في كتابه «دلالة الحائرين»، وإنني إذ أشكر لكم اهتمامكم بإرسال هذه الملاحظات إلى هيئة تحرير «الفصل» الغراء، وعنايتكم بأن تكون هذه الملاحظات واضحة وافية، أستأذنكم في الإشارة إلى بعض ملاحظات، من جانبي أيضاً:

١- لا أثر للسياسة في كلام موسى بن ميمون، بعكس كتاب سلفه سعيد بن يوسف الفيومي المشهور باسم سعديا جأون شيخ أكاديمية (سورة) اليهودية القرية من بغداد. وعنوان الكتاب هو «الأمانات والاعتقادات» وهو أيضاً في أصول العقيدة اليهودية. كل ماورد في كتابيهما هو أن حاجة العباد إلى نظام اعتقادي وتعبدي يسر عليهم مهمة تهئية حضارة آمنة مطمئنة في الدنيا، ونهاية راضية مرضية في الآخرة، أما ما أشرت إليه من ضرورة التعامل مع كتاب ابن ميمون «حتى تتضح الرؤية السياسية»، فإنني أخشى لو فعلت ذلك لخرجت بسيرة الرجل من «التفسير» إلى «التأويل»، وفي مثل هذه القضايا يكون التأويل ممنوعاً حتى أمام المحاكم، وفي أصول القوانين الوضعية. ولعل هذا التأويل من جانب موسى بن ميمون في «دلالة الحائرين» هو الذي أثار عليه اليهود وجلب عليه تهمة الكفر. إذ كان رأيه أن الأرواح - لا الأجسام -

أسواق الأشواق والواضح المبين



«الاتصال في مختلف النسبة» لمغلطاي بن قليج (٦٨٩ - ٧٦٢هـ). وقد ذكر الشيخ الجاسر أن الأستاذ محمد علي قاسم العمري أحصى للعلامة مغلطاي (٣٣) كتاباً. وعرض الشيخ محمد الجاسر منها (١٥) كتاباً، ولست أدري ما أسماء الكتب الباقية.

مع إطلالة كل عدد من مجلة الفصل يتحفنا علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر - أمد الله في عمره - بيبان عنوانه الرئيس «مخطوطات جديدة بالدراسة والنشر»، وقد استرعى انتباهي مقالاته اللتان نشرتا في العدد (١١٩، ٢٢٠)، وتناولتا كتاب

لأحمد بن محمد الأنطاكي (٣٩٩هـ) (٦).
وبعد: أرجو أن أكون قد كشفت اللبس
الذي وقع في الموضوع الذي تناول كتاب
«الاتصال» لمغلطاي بن قليج، وأضأت بعض
الجوانب المتعلقة بكتابه «الواضح المبين».

محمد باسل عيون السود
دمشق - سورية

الهوامش :

- ١- المزهري للسيوطي ٣/٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٤٢/٢
- ٢- مصارع العشاق ٩/١
- ٣- مصارع العشاق ٨/١
- ٤- بروكلمان ٢٤٠/٢
- ٥- بروكلمان ١٤٢/٣
- ٦- بروكلمان ١٠٣/٢

كتاب «الواضح المبين» وأشير هنا إلى أن
داؤود الأنطاكي قد ذكر في مقدمة كتابه
«تزيين الأسواق» أن البقاعي قد وضع كتابه
«أسواق الأشواق» اختصاراً لكتاب «مصارع
العشاق»، وهذا ما يتضح من عنوان كتابه
«أسواق الأشواق من مصارع العشاق». وإذا
كان ثمة تشابه بين الكتابين فهذا يرجع إلى
أن مغلطاي والبقاعي قد استفادا من مصادر
واحدة. ومن الكتب التي استفاد منها
مغلطاي في تأليف كتابه «الواضح المبين»:

«الذهول والنحول» لمحمد بن خلف بن
المرزبان (٣٠٩هـ) (٤)، و«الجواهر» لنصر بن
يعقوب الدينوري (نحو ٤١٠هـ) (٥)،
و«رستاق الاتفاق في ملح شعراء الآفاق»

وقد وقعت على اسم كتاب لمغلطاي هو
(الميس على ليس) تعقب فيه «ابن خالويه» في
كتابه (ليس) (١).

وأود أن أتحدث قليلاً عن كتاب «الواضح
المبين» في ذكر من استشهد من المحبين الذي
ورد اسمه في آخر قائمة الكتب التي عرضها
علامة الجزيرة. الذي قال فيه «تبعث الكتاب
- الواضح المبين - فلم يتضح لي من شعره
سوى ثمانية أبيات، أورد منها في آخر كل
جزء من أجزاء كتابه الخمسة بيتين».

ثم أورد الأبيات الثمانية ونسبها إلى مغلطاي
، في حين أن الأبيات الثمانية ليست كلها
لمغلطاي، وإنما أربعة منها له والأربعة الأخرى
للسراج صاحب «مصارع العشاق»، وهي:

كتاب جمعت به جُلّ ما

تفرّق من قصص العاشقين (٢)
وكنّت ألومهم دأباً

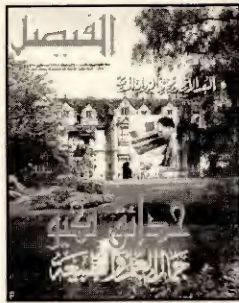
فصرت لهم أحدَ العاذرينا
تصنيف من ذاق من سلافته

الصفو، وما فاته مكدراً (٣)
يطوي أحاديث وجده، ودمو

ع العين في فيضهن تنشرها
كما أن الشيخ حمد الجاسر ابتعد عن

الصواب حين قال إن مغلطاي سار في كتابه
«الواضح المبين» على نهج صاحب كتاب
«أسواق الأشواق» من مصارع العشاق، جعفر
بن أحمد السراج، فال معروف أن السراج له
كتاب «مصارع العشاق»، وليس كتاب
«أسواق الأشواق» من مصارع العشاق؛ لأن
مؤلف هذا الكتاب هو أبو الحسن إبراهيم بن
عمر البقاعي (٨٨٥هـ).

ذكر الشيخ الجاسر، أن البقاعي في كتابه
«أسواق الأشواق» قد أدمج أغلب ما فيه من



هل المعلم معذور حقاً؟

تختزن عقولهم ثقافة تضاهي ثقافة خريجي
المعاهد والجامعات، والأمثلة كثيرة ولا مجال
لذكرها الآن.

أما الذين يتخذون التعليم وسيلة للتسلية،
فالواقع قد يفرض عليهم هذا؛ لأن المعلم يُكلف
أحياناً بأعمال أخرى إلى جانب التدريس، وقد
تكون مرهقة ومن دون تعويض مادي، كما
يؤدي الظرف العائلي دوراً مهماً في ذلك،
وخاصة بالنسبة للمعلمات المتزوجات.

هل مايزال المعلم يتخذ مثلاً أعلى؟ لقد
كان ذلك قديماً، أما الآن فعلى توافر الوسائل

قرأت في العدد (٢٢٠) للمعلمة الفاضلة
فادية العمر حول نقدها لموضوع «تربية جديدة
للمعلمين». وفي رأيي أن مسألة التعلم مقدور
عليها، ولكن التربية تعود للأصل. وبعد
شكري للمعلمة على استمرارها في النقاش لما
هو مفيد للجميع، أود أن أعلق على ماورد
حول بنية التربية الجديدة، فهي عائدة إلى
البيت أولاً، ومن ثم يأتي دور المعلم والمدرسة،
أما الثقافة فهي متروكة للفترة كما بين ذلك
الرسول صلى الله عليه وسلم، وكم من أناس
عاديين جداً لم يحملوا شهادات عليا تذكر

ناشرات وتعليقات

وتعليقات ناشرات وتعليقات ناشرات وتعليقات ناشرات

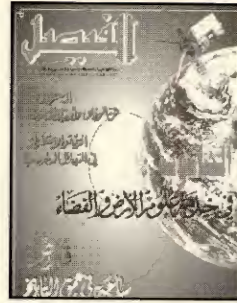
الجاد يجد ذهنه مشغولاً باستمرار في تحضير الدروس ومتابعة أوضاع التلاميذ ومراعاة وجود الفوارق بينهم، فمنهم الذكي جداً ومنهم الأقل ذكاءً، وتجده هؤلاء يبذلون قصارى جهدهم في إيصال المعلومات الصحيحة إلى التلاميذ . فالذنب يقع على التلاميذ المشغولة أذهانهم في اللعب واللهو وليس على المعلم.

مجد العرب عزّي
حماء - سورية

الحديث في التعليم نراه في أكثر الأحيان معرضاً للسخرية والتعليقات اللاذعة من قبل طلابه في المراحل العليا، حيث لم يعد له وجود أو احترام إلا في الصفين الأول والثاني الابتدائي فقط. ولماذا هذا التهجم الشديد على معلم المرحلة الابتدائية في مجال تعليم القواعد الأساسية؟ فهو دائم السهر والبحث عن معلومات إضافية لكي يقدمها إلى طلابه. والمعلمة أو المعلم المخلص

ذهب كما جاء في مختار الصحاح، وهي لاتختص بالإبل، وإن كان من المفسرين من قصرها على الإبل. أما البعير فهو قطعاً يشير إلى الجمل أو الناقة إذا صار جذعاً. وقد ذكر القرآن الإبل في سورة الأنعام (الآية ١٤٤)، فيما من الله به على البشر من أصناف الأنعام المسخرة حمولة وفرشاً، وكان قد ذكر أنه أمدّ قوم عاد بالأنعام (الشعراء: ١٣٣)، ثم وردت لفظة الناقة صريحة في الآية التي أرسلت إلى قوم صالح أي ثمود: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ (الأعراف: ٧٣)، ﴿فنعقروا الناقة﴾ (الأعراف: ٧٧)، ﴿وأتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ (الإسراء: ٥٩)، ﴿قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ (الشعراء: ١٥٥)، ﴿إنا مرسلوا الناقة فتنه لهم﴾ (القمر: ٢٧)، ﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله﴾ (الشمس: ١٣).

ويقدر زمن قوم ثمود بـ ٢٠٠٠ إلى ١٩٠٠ ق.م، أي قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام. كما ثبت في السنة الصحيحة أن ما حرم إسرائيل - يعقوب عليه السلام - على نفسه كان لحوم الإبل وألبانها، ولا سبيل إلى ألبانها إذا لم تكن مدجنة في ذلك الوقت: ﴿كل الطعام كان حلال لبني إسرائيل﴾ (آل عمران: ٩٣)؛ فقد جاء في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، ما يشير إلى امتناع اليهود عن شرب ألبان الإبل، وروى الطبري بسنده حوار اليهود زمن



حجج موريس بوكاي لم تصل إلى درجة اليقين

للسيد هنري لوت عن الموضوع، وبعدم وجود نقش الجمل في نقوش تصف معركة قادش. ثم إنه وجد استعمالاً آخر في الآية ٤٠ من سورة الأعراف. وأحب أن أوضح مايلي :

إن سورة يوسف قد اشتملت على ذكر للبعير والبعير. أما اللفظ الأخير فهو يشير إلى قافلة حمولة، حيث إن كلمة عار أصلها من

اطلعت في العدد ٢٢٣ الصادر في يونيو ١٩٩٥م، على مقال «التوراة والقرآن» ترجمة وتعليق د. محمد خير البقاعي عن مقال للدكتور موريس بوكاي. وقد وجدت الدكتور بوكاي يذكر أن لفظة (بعير) الواردة في سورة يوسف (الآيات ٦٥ و٧٢) لا يمكن تفسيرها بالجمل، لأن الجمل بوصفه حيواناً مدجناً لم يكن قد ظهر بعد مستدلاً بكتاب

ملاحظات عامة

للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسيته لسياة النشر فيها.

٤- أن يرقى الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

مع تقديرنا لكل من يساهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتابنا الكرام أن يضعوا في حساباتهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلأ إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه (غير مناسب

الفصيل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفصيل الثقافية

الفصيل العدد ١٢٦ من ١٤٤٠

وعبقريته الفذة؛ فهذا الرجل علامة ومفكر ومؤرخ شهير يكاد اللسان يعجز عن وصف ثراء نتاجه وفكره ومكانته العلمية، والدليل على ذلك تاريخه الكبير «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» الذي يتألف من ثلاثة كتب في سبعة مجلدات. وبقيت مباحثه مجهولة طوال القرون الوسطى لم تجد من يتابعها بعده ويكمل مسيرته العلمية.

كان الإيطاليون يدعون أن فيكو هو الذي أنشأ علم الاجتماع، بينما يزعم البلجيكيون أنه كتبه، ويدعي الفرنسيون أنه أوجست كونت؛ ولكن بعد أن طبع مقدمة الكتاب بالعربية في مصر ثم ترجمت إلى التركية وأخيراً إلى الفرنسية، اتضح أن الفضل في تأسيس علم الاجتماع يرجع قبل هؤلاء جميعاً بنحو أربعة قرون إلى العلامة المسلم عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي وذلك بشهادة الغربيين والشرقيين. كما أن عبقريته ابن خلدون لم تكن مقصورة على علم الاجتماع فحسب؛ بل تعداه وأصبح رائداً في مختلف العلوم، فكانت حياته العلمية - يرحمه الله - حافلة بالنشاط والحيوية حتى توفاه الله في مصر سنة ٨٠٨هـ، وماتزال أفكاره ونظرياته قائمة وفي أوج قوتها وواقعيتها حتى يومنا هذا.

عبد الله نوح الشهري
أبها - المملكة العربية السعودية

أو معروفاً، لأن القرآن أشار إلى استعماله من قبل يعقوب وقومه الذين لم يكونوا مقيمين في داخل مصر وإنما في تخومها الشرقية الشمالية.

نسأل الله أن يلهمنا الصواب، ويقينا التسرع في إصدار الأحكام، وأن يكون استقرارنا عاماً شاملاً قبل التوصل إلى قضية نريد أن نعدّها في حكم المقطوع به. وجزاكم الله خيراً.

مأمون الجويجاتي
دمشق - سورية

النبي - صلى الله عليه وسلم - في قصة تحريم إسرائيل عليه السلام لحوم الإبل وألبانها على نفسه، وكذلك ساقها ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما. إن الحجج التي ساقها د. بوكاي في عدم كون الجمل مدجناً آنذاك لم تصل إلى درجة اليقين، ولا بد من استعراض الدلائل التي ساقها السيد هنري لوت، كما أن عدم استعمال القدماء من المصريين للجمل في معركة قادش أو حتى في معاركهم الحربية يمكن أن يكون له أكثر من تعليل؛ إذ ربما لم يكن مألوفاً في مصر بالذات أولم يكن كثيراً

مناقشات وتعليقات مناقشات وتعليقات مناقشات



إضاءة حول ابن خلدون

لمؤلفه الكاتب الإسباني المعاصر خوان فرنيت، وخص بالذكر العلامة ابن خلدون. وبدوري أشكر الأخ نعم علي غيرته وحبه وتقديره لهذا العلامة المسلم العربي، وأود أن أعلق على هذا الموضوع بإضفاء بعض المعلومات اعترافاً بجهود ابن خلدون العلمية

لقد ورد في «مناقشات وتعليقات» العدد ٢٢٣ عتاب من الأخ نعم إبراهيم عبود من سورية موجه للأستاذ حلمو جلّول لكونه أغفل أهمية العرب والمسلمين، وإسهامهم الحضاري الفعال، ودورهم في ازدهار العلوم في عرضه الموجز لكتاب «فضل العرب»

٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة
جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً
سعودياً.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار:

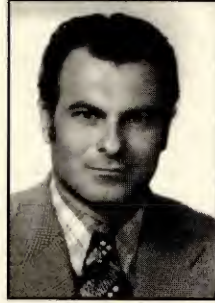
السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلساً - الإمارات
٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلساً - عُمان
٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠ فلس - اليمن ٢٥ ريالاً - مصر
جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦ دراهم - تونس
٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية
٢٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال
٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكاً - لبنان مايعادل

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ -
٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكس ٤٦٤٧٨٥١

ردم ١١٤٠ - ٢٥٨ - رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

عندما يحل الصغار مكان الكبار



بقلم: ياسر الفهد

فهؤلاء هم الأقدار على حماية القانون وتحقيق مشاريع التنمية والانتعاش العلمي والنهضة الاجتماعية والتلاحم القومي.

إن أوضاع العرب ليست اليوم على مايرام، وإحدى الطرق الفعالة لتحسين هذه الأوضاع، بصورة أساسية، تتمثل في إعادة الأمور إلى نصابها في كل مستوى من مستويات المسؤولية والإدارة التي اختلت فيها الموازين، فحل الصغار مكان

الكبير. ولانكر أن تصحيح الوضع ليس بالأمر اليسير، فهناك أولاً ضرورة توافر النية، والقدرة على التنفيذ، فضلاً عن أن المقاييس التي تفرز الصغار من الكبير، وتحدد الصالح من الطالح، ليست دائماً واضحة؛ لأن المصالح والأمزجة وسوء التقدير والنظرات النسبية كثيراً ما تتحكم بهذه المقاييس. ومع ذلك، تظل هناك مبادئ وأسس عامة ثابتة وأحكام حدسية ثابتة، قادرة - في المحصلة النهائية - على التمييز بين الصغير والكبير، فالكبير يبقى كبيراً مهما حاول المغرضون تصغيره، والصغير يبقى صغيراً، مهما عظمت الجهود لتكبيره. وفي نهاية المطاف لا يمكن أن يصح إلا الصحيح، ولا يمكن للجاهل الغر، مهما أدلهم الليل، أن يحل مكان العالم الجليل.

رحم الله الشاعر زهير بن أبي سلمى الذي قال:

ومهما تكن عند امرئ من خليفة،
وإن خالها تخفى على الناس، تعلم
كما لا أنسى بهذه المناسبة ما قاله
الشاعر الصديق عبد الرحمن خزندار في
ديوان «مع الذكريات والحب والحياة»:

وكذا الصغير يظل مهـ
حما طاول الدنيا صغيراً

المسؤولية، لانهارت الأمة بأكملها ولقضت نهجها.

وماذا يمكن أن تكون النتيجة غير ذلك، إذا تصورنا جاهلاً يقود عالماً، أو مريضاً يوجه طبيباً، أو لصاً يحاكم قاضياً، أو تلميذاً يدير مدرسة، أو مسافراً يتحكم بطائرة بدلاً من ربانها... إلخ؟

أجل، ماذا يحصل عندما تتخذ مثل هذه الأمثلة الافتراضية واقعا ملموسا على الأرض؟

إن كل شيء في هذه الحالة سوف يسير حثيثاً نحو التدهور والفساد والانحراف، وسوف يختلط الحابل بالنابل، ويختفي وهج الحقيقة، ولا تحصد الأمة إلا الضياع.

وإذا ساد مثل هذا الوضع الشاذ بصورة منتظمة وكاملة، في معظم أو جميع المؤسسات والقروع ومختلف الأقسام، فإن هذا قد يعني أن الأمر مخطط بأياد خفية لا تريد للبلاد أن تتقدم.

خلاصة القول، إنه لا يمكن أن تقوم للأمة قائمة إلا إذا كانت الكلمة الأولى واليد الطولى والقدرة على الحسم واتخاذ القرار في أيدي الصالحين الطيبين الذين أوغلوا عميقاً في دروب العلم والمعرفة،

لانقصد بالكبير، هنا، كبير السن، ولا بالصغير صغيره، وإنما نعني، الكبير أو الصغير، في ثقافته وعلمه وقدراته وأخلاقه وسلوكه وعمله.

وفي الحالات الطبيعية، عندما يكون كل شيء في مكانه الصحيح، فإن الإنسان الأغزر علماً والأوسع معرفة، والأصلح سلوكاً، والأسمى أخلاقاً، هو الذي يجب أن يتولى المسؤولية، ويتخذ القرارات المصيرية، وبالتالي يقود من هو أقل منه وعياً وثقافة.

ولكن الأمور في كثير من البلدان لاتسير دائماً على هذا المنوال؛ ففي بعض المؤسسات والدوائر يسود وضع معاكس لذلك الوضع الطبيعي؛ فنجد الأقل مقدره، والأدنى مرتبة علمية، والأسوأ خلقاً، هو الذي يصل ويجول مهيمناً على الساحة وممسكاً زمام الأمور. أما الأكبر منه قدراً ومنزلة وكفاءة فإما أن نجده عديم التأثير، لاحول له ولا قوة، أو معزولاً خارج اللعبة بأكملها. وهذا وضع غاية في الخطورة، وفي الفظاعة. ولكن ما يقلل من خطورته وفضاعته، أنه لا يسود في جميع القطاعات، وإنما في بعضها فقط. ولو كان هو القاعدة المطبقة في مختلف مجالات الإدارة ومواقع